تجليد مكتب
صالح الدقر

922.97:M98aA

مروّه ـ سليمان

احسن الاثر في حياة النبي والايمة الاثني عشر.

AUG 9 A70 OCT 15
AUG 13 G1551

922.97
M98a A
OC 15

اهداء الكتاب
الى مكتبة الجامعة الاميركية
الخالدة ٢١/٣/٥٤ في بيروت
المؤلف

92297
M98aA

احسن الأثر

في حياة النبي والأئمة الاثني عشر

تأليف الاستاذ

الشيخ سلمان مروة الحارثي الهمداني

١٣٧٢هـ مطبعة العرفان * صيدا ١٩٥٣م

عروش لم تثبت قوائمها إلا بتمزيق وحدتهم وتفريق كلمتهم «فوَيلٌ لهمْ مِما كَتَبتْ أيْديهمْ ووَيلٌ لهمْ مِمّا يَكسِبون»

فالشقاء يتهددنا إذا لم نتدارك أمرنا بالرجوع إلى الله وتطبيق حياتنا على الدين الذي اكرمنا الله به، دين الانسانية الشامل فهل نشقى والسعادة أمامنا وهل نموت والحياة بين أيدينا «وانّ هذهِ أمّتُكمْ أمةً وَاحِدة وَانا رَبكمْ فاتّقون» لقد مني المسلمون بعد الخلفاء الراشدين بعصبة من بعض الحكام الزّمنيين اذكوا نار الفتنة بين الامة تأييداً لسلطانهم ومنفعتهم المادية فشطروها شطرين وجعلوا بأسها بينها فانقسمت على نفسها متشاكسة متدابرة بعامل الجهل والذهول وانفصمت عرى المحبة والوئام واستولى عليها الضعف المادي والمعنوي وأصبحت تبعاً لغيرهـــا وفقدت استقلالها الصناعي والاقتصادي والسياسي وإلى متى ونحن غافلون عما أرادوه لنا قديماً وعما يراد بنا حديثاً

فالعروش تداعت وانهارت باصحابها وقدموا على ما قدموا وأصبحنا رعيّة تتخطفنا الضواري الجائعة في كل صُقع ولم يزل بيننـــا وبين الحقيقة حجاب كثيف موروث من التضليل فإلام هذا الانقسام المردي وربكم واحد لا شريك له ونبيكم خاتم الانبياء وكتابكم دستور مكرّم ولا يوجد بينكم خلاف في العبادات والعقائد والعادات فهل يقوم فينا مصلح رشيد، بهذا الواجب المقدس يهتف بصوت جهوري «لا سنيٌ ولا شيعيٌ بعد اليوم» «قُلْ بَلْ مِلّةَ إبراهيمَ حَنيفاً مُسْلماً وانّ امتكم امة واحِدة وَانا رَبكم فاعبدون»

«فرّق الاسلام قومٌ ويحهم ... مزجوا الاحقاد والشرك بضغن»
«ليت شعري يالقومي ولماذا ... صرت شيعيا وهذا صار سني»
«إن دين الله دين قيمٌ ... فدع التفريق يا هذا ودعني»

المؤلف

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

المتفضل على عباده بالهداية إلى الصراط المستقيم والحمد لله والصلاة والسلام على خير خلقه المبعوث للناس كافة محمد بن عبد الله وآله أهل العباء وأصحابه النجباء.

إن كل مسلم غيور إذا نظر في هـذا العصر إلى مختلف النوازع الفكرية والمتجهات الدينية « ليس بين المسلمين فحسب » يرى تيارات مختلفة متباينة يتنازعها الوهن والضعف والاستهتار وتتوزعها الأهواء والشيع ومن ثم كانت القومية المريضة والدين المريض والأمثلة الدنيا

وبدأت تعاليم الدين تنحسر رويداً رويداً ويوشك أن لا نرى لها أثراً في نفوس الشيوخ والكهول والشباب ولا مخرج لنا معشر العرب عامة والمسلمين خاصة من هذا البلاء النازل والمأزق الحرج الذي ران على قلوبنا واغشى أبصارنا إلا التمسك باهداب الدين الحنيف والاقتباس من نبراس سيد العرب وفخرها الباذخ النبي القرشي الهاشمي القائل وقوله حق « بعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق » فالسير على منهاجه والتخلق باخلاقه والاهتداء بهديه يعيدنا إلى حظيرة الأمان ويثبتنا على احترام الأديان ويحفزنا لعبادة الله الكريم المنان

لذلك عزمت وأنا الفقير لله الغني سلمان مرّه الهمداني الحارثي نسبا اللبناني موطنا لتأليف هذا الكتاب بعد الاتكال على الله مستمداً العناية من روحانية الرسول الأعظم والأئمة الاثني عشر عليه وعليهم صلوات الله وتحياته، يتضمن تاريخ حياتهم المفعمة بالأعمال الصالحات للاقتداء بهم في الحياتين وسميته «أحسن الأثر في حياة النبي والأئمة الاثني عشر » راجياً من الباري عزّ اسمه أن يجعله من سبل الهداية إلى الطريق القويم ويجعلنا من المقتدين بهم في العلم والعمل ولما كان الدين اعتقاد

وعمل واخلاق فهو قوي لا يعرف الضعف ناشط لا يعرف الجمود واسع لا يضيق صدراً بالأحداث والنوازل ممهداً السبل لمعرفة الله والايمان بكتبه ورسله فالايمان الذي دعا عيسى اليه مكملا ما جاء به موسى عليهما السلام وقد جاء بعدهما محمد صلى الله عليه وآله وسلم بمبادىء علمية عليا اجتماعية وعملية تماشي من جاء قبله من الأنبياء والرسل وكلهم أنبياء الله ورسله وما هي إلا معاول فتاكة لهدم صروح الفساد الذي يحيق بالمجتمع رحمة منه ولطفاً بعباده

لقد قضت إرادة الله القادر على كل شيء تفضلاً منه على خلقه أن يكون التطور الحيوي للانسان على قاعدة الترقي من الأدنى إلى الأعلى ليتسنى له السلوك في معترك الحياة الصاخب خوفامن العثار فالصعود في معارج الرقي لا يأتي دفعة واحدة والطفرة محال والتقدم الطبيعي لا يكون إلا تدريجياً والانتقال من دور إلى دور يحتاج إلى أسباب ومسببات والمتتبع للحقائق التاريخية على ضوء العلم من أول الخليقة إلى القرن العشرين يتبين له أن العالم في تفكيره الاجتماعي سار على هذا الناموس في معاده ومعاشه ينشد الكمال والكمال لله

فالنبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم له المقام المحمود عند ربه حيث اجتباه على فترة من الرسل للناس كافة ليهديهم إلى سواء السبيل وينقذ قومه من حمأة الشرك ليفيؤا للتوحيد وينبذوا عبادة الأصنام فكان جزاؤه من جبابرتهم وعتاتهم الأذى والاضطهاد والحرمان والطغيان وثابر وجاهد حتى أظهره الله عليهم واتلأب له الأمر واستقام ولذلك قال ما أوذي نبي ما أوذيت

وقد قام بتبليغ رسالته في أول البعثة مكتفياً بالاقرار بالشهادتين بالدليل العقلي الذي لا يحتمل الشك والريبة ليطهر النفوس من ادران الشرك حتى استقر الايمان في قلوب المؤمنين ، كلفهم بالعبادات وبعدها جاء الشرع الاسلامي بالوحي الالهي جامعاً لكل ما يحتاجه الانسان في الحياتين وأطلق الحرية للعقل ليواكب العلم جنباً إلى جنب فالدين الاسلامي لم ينتشر إلا بفيض أحكامه وفضل استعداده للاتساع فالعقل المجرد من الالحاد يستدل على وحدانية الله من صنع الله والاعتراف بالوحدانية تبعث على التصديق بالانبياء والرسل .

لقد حمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قومه ما تنوء به الجبال وطالما أعجزهم ببلاغته وفصاحته وكثيراً ما فاجأهم بالمعجزات التي يعجز البشر أن يأتوا بمثلها فلم يرعووا عن غيهم عتياً واستكباراً ولم تخفف من غلوائهم الا آي الذكر الحكيم التي وقفوا عندها مشدوهين حائرين واجمين وهي أبلغ معجزة أعجزت بلغاءهم وأخرست السنتهم، قطعت جهيزة كل خطيب وتعاياهم الأمر وأعجزهم عن أن يأتوا بآية من مثله وكل معجزات الأنبياء انقطعت بموتهم إلا معجزته خالدة إلى يوم الدين فقرآنه جماع الدساتير الربانيه ورسالته كالشمس تغيا ظلالها العربي والأعجمي والكل سواسية في الحقوق والواجبات والتفاضل بالتقوى والعمل الصالح مصداقاً لقوله عز وجل « إن أكرمكم عند الله اتقاكم » « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقال صلوات الله عليه « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » ومن هذه العناصر المؤمنة خلق الله أمة حملت مشعل الهداية فأضاءت به أنحاء العالم وكونت أمبراطورية عظيمة خدمت الانسانية وشادت حضارتها على معالم العلم والعرفان غيرت بها مجرى التاريخ

شهادة العلماء والفلاسفة

من غير المسلمين بالرسول الامين ودينه القويم

١ قال جول سيمون الأديب الفرنسي الشهير أن محمداً قد رفع أعلام التمدن

٢ وقال أيضاً إني أعتقد أنه لو تولى رجل مثل محمد دكتاتورية الدنيا الحديثة لنجح في حل مشاكلها باسلوب يجلب لها السلام والسعادة اللذين يعوزانها

٣ وقال المستر ولز الانكليزي كان محمد أنجح الأنبياء وأكثرهم توفيقاً

٤ وقال أيضاً أن محمداً هو الذي استطاع في مدة وجيزة لا تزيد عن ربع قرن أن يكتسح دولتين من أعظم دول العالم وأن يقلب التاريخ رأساً على عقب وأن يكبح جماح امة اتخذت الصحراء المحرقة سكنا لها واشتهرت بالشجاعة ورباطة الجأش والأخذ بالثار واتباع آثار آبائها ولم تستطع دولة الرومان أن تغلب الأمة العربية على أمرها فمن الذي يشك أن القوة الخارقة للعادة التي استطاع

بها محمداً أن يقهر خصومه هي من عند الله

٥ وقال أيضاً كل دين لا يسير مع المدنية في كل أطوارها فاضرب به عرض الحائط ولا تبالي به وكل دين لا يسير مع المدنية جنبا إلى جنب لهو شرٌ مستطير على أصحابه يجرهم إلى الهلاك وإن الديانة الحقة التي وجدتها تسير مع المدنية هي الديانة الاسلامية وإذا أراد الانسان أن يعرف شيئا من هذا فليقرأ القرآن وما فيه من نظرات علمية وقوانين وأنظمة لربط المجتمع فهو كتاب ديني اجتماعي تهذيبي خلقي تاريخي وكثير من أنظمته وقوانينه تستعمل حتى في وقتنا الحالي وستبقى مستعملة حتى قيام الساعة

٦ وقال تولستوي الفيلسوف الرومي ومما لا ريب فيـــه أن النبي محمداً من عظام الرجال المصلحين الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة

٧ وقال غوته الفيلسوف الألماني والشاعر إذا كان الاسلام هو إسلام النفس لله فكلنا نحيا في الاسلام ونموت ولا يتمكن أحد أن يعلو فوق شرع محمد وأن التشريع في الغرب ناقص على الرغم من تقدمه ناقص بالنسبة للتعاليم الاسلاميـة وإننا أي أهل أوربا بجميع مناهجنا لم نصل إلى أبعد ما وصل إليه محمد وسوف لا يتقدم عليه أحد

وكل من قرأ قصيدة غوته التي عنوانها حدود الانسان يحس في خباياها نفسا من روح الايمان الشرقي ومن وحي القرآن وله أناشيد تحتوي على سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع مرضعته حليمة ومع ابن عمه علي بن أبي طالب وابنته فاطمة وفي كتابه الحقيقة والشعر برهان جلي للمتتبع

٨ وقال مونتي شاعر طلياني حماسي : رفع محمد قدر العلم إلى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم

٩ وقال وليم موير امتاز محمد بوضوح كلامه ويسر دينه وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس وأحيا الأخلاق ورفع شأن الفضيلة في زمن قصير كما فعل محمد

١٠ وقال العلامة توماس كارليل في كتابه الطبعة الثالثة والعشرون في

مدينة لندن ٤٩ صفحة كان محمد منذ الصغر يعرف بالعقل والاستقامة والصدق ولذلك سماه قومه بالأمين صادق بما يعمل ويقول

١١ وقال الاستاذ لبنتز في كتابه ديانات الأمم وعقائدهم إن دين الاسلام يوافق الامم كافة ويجعلهم امة وإني اؤمل أن أرى النصارى بعد حين آخذين بدرس هذا الدين والتدين به وموالاة محمد لأن دينه الدين القويم

١٢ وقال المؤرخ استنلي بول في مقدمة كتابه منتخبات القرآن ما نصه لقد كان لمحمد بحث وهو الله تعالى وغرض واحد وهو تخليص قومه من عبادة الأصنام ثم دلالتهم على عبادة الله ولقد كان يخبرهم عن الله بكلام بديع خارج من صميم قلب صاف متأجج فينبه أفكارهم إلى أسرار بدائع الطبيعة وانهـــا صنع الله الداعي لعبادته ولكن بفصاحة غريبة

١٣ وقال الاستاذ هورتن المستشرق الالماني في كتابه استعداد الاسلام قبول الثقافة الروحية لم ينشأ ظن الأوربيين بأن الدين الاسلامي لا يتمشى مع المدنية إلا من جهلهم لهذا الدين وعدم تعمقهم فيه لتعلقهم بالقشور التي لا يفهمون منها إلا ما يكتبون

١٤ وقال القس لوزان الفرنسي من خطبة له ليس في الاكتشافات العلمية الحديثة ولا في المسائل التي انتهى حلها ما يغاير هذه الحقائق الاسلامية الوضاحة والسهلة المأخذ

١٥ وقال الاستاذ أدوار جيبون إن دين محمد خال من الشكوك والظنون والقرآن أكبر دليل على وحدانيـــة الله بعد أن نهى النبي عن عبادة الاصنام والكواكب هذا الدين أكبر من أن تدرك أسراره عقولنا الحالية

١٦ وقال العلامة الاستاذ ديتو نبورت بأن علوم الطبيعة والفلسفة والفلك والرياضيات التي انعشت أوربا مقتبسة من القرآن بل إن مدنية أوربا مدينة للاسلام

١٧ وقال البرنس كايتاني الايطالي إن الحماقة ان نظن ان الاسلام قام بحد السيف وحده لأن هذا الدين يحرم سفك الدماء ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وقد أمر بالشورى ونهى عن الاستبداد

١٨ وقال أيضاً كما جاء في مجلة المنار المصرية إن مزيّة النبي العربي كفاءته العجيبة كسيامي محنك أكثر منه كنبي موحى اليه

١٩ وقال العلامة الفيلسوف الألماني دريسمان إن مدنية العرب قامت على أساس الحرية التي منحها محمد للمرأة ولما سلبت منها هذه الحرية اضمحلت مدنيتهم

٢٠ وقال الدكتور شبلي شميل الفيلسوف اللبناني للسيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار أنت تنظر إلى محمد كنبي وتجعله عظيما وأنا أنظر اليه كرجل وأجعله أعظم

٢١ وقال الكونت هنري دي كاستري لو لم يكن في القرآن غير جهاء معانيه وجمال مبانيه لكفى بذلك أن يستولي على الأفكار ويأخذ بمجامع القلوب

٢٢ وقال أيضاً سنحصر كلامنا في انتشار القرآن في قارة أفريقيا وإنما نذكر على سبيل العرض بان له في الصين عشرين مليونا من النفوس وإن للمسلمين منزلة عليا في المملكة الوسطى

٢٣ وقال أيضاً إن اليهود وجدوا مجيراً وناصراً في الاسلام فإن كان لهم بقية حتى الآن فالفضل فيها راجع لحماية المسلمين وإحسانهم ولين جانبهم نحوهم

٢٤ وقال الاستاذ سيديو أحد أعضاء جمعية العلوم في فرنسا وبعد ظهور النبي محمد الذي جمع العرب امة واحدة يقصد مقصداً واحداً ظهرت للعيان أمة كبيرة مدت جناح ملكها من نهر طاج في اسبانيا إلى نهر الكنج في الهندورفعت أعلى مناراً لاشادة أعلام التمدن في أقطار الأرض أيام كانت أوربا مظلمة بجهالات أهلها في القرون المتوسطة

٢٥ وقال معززاً رأيه أيضاً في الاسلام: وحدة تتجدد وتحد اتحاد العلم والدين فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما فتجد فيه الدين ماثلا متمكناً في دائرة العلم وترى وجهة الفقيه والفيلسوف متعانقين فهما واحدة لا اثنتين

٢٦ وقال العلامة يوسف هل: لو لم يكن في الدين الذي أتى فيه محمد إلا قوانين الاسرة والزواج لكفى الاسلام ذلك فخراً

٢٧ وقال الفيلسوف الانكليزي توماس كارليل ولسنا نعد محمداً هذا رجلا كاذبا قط يتذرع بالحيل والدسائس والوسائل إلى بغيته أو يطمح إلى ملك أو

سلطان أو غير ذلك من الحقائر والصغائر وما الرسالة التي أداها إلا حق صراح وما كلمته إلا صوت صادق صادر من العالم المجهول وإنما هو قطعة من الحياة تفطر عنها قلب الطبيعة وإذا هي شهاب قد أضاء العالم أجمع ذلك أمر الله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذه حقيقة تدفع كل باطل وتدحض حجة القوم الكافرين

٢٧ وقال أيضاً في كتابه صفحة خمسين من الطبعة الثالثة والعشرين في لندن أن ابن البر يعني محمداً لذو قلب كبير وافكار سامية له نفس عظيمة مطمئنة وأنه من الذين ليس بامكانهم إلا أن يكونوا صادقين مخلصين وهم الذين اختارتهم الطبيعة للاخلاص إن كلامه لصوت خارج من صميم قلب الطبيعة وعلى الرجال أن يصغوا له وليس لأحد سواه حيث أن كلام غيره ريح لاغير

٢٩ وقال صفحة ٥٣ من كتابه: الاسلام معناه التسليم أي فناء النفس وهي أعظم كلمة اوحيت من السماء لدنيانا وقد فسر بعض علماء الافرنج ممن اطلع على القرآن المجيد الآية الكريمة « رب المشرقين ورب المغربين » تفسيراً لم يفطنوا له علماء المسلمين وهو أن الشمس تشرق على نصف الكرة الأرضية ثم تغيب وتشرق على النصف الآخر ثم تغيب وهذا التفسير يؤيد القائلين بكروية الأرض

٣٠ وقال المسيو ليون روش المستشرق الفرنسي في كتابه ثلاثين عاماً في الاسلام لقد وجدت في الاسلام حل المسألتين الاجتماعيتين اللتين تشغلان العالم طراً الأولى في القرآن الكريم « إنما المؤمنون اخوة » فهذه أجل مبادىء الاشتراكية والثانية في آيات فرض الزكاة على كل ذي مال وتخويل الفقراء حتى أخذها غصباً إن امتنع الأغنياء عن دفعها طوعاً وهذا دواء الفوضوية

٣١ وقال المستر جوليان في كتابه فحص التوراة والانجيل صفحة ٣١ القرآن بديع المعاني بليغ العبارة حلو التلاوة لم يستطع أحد من الناس أن يأتي بسورة من مثله وليس بالامكان أن يؤتى باحسن منه أو يزاد في تحسينه وهذه خصائص تفرّد فيها القرآن على كافة الكتب الدينية الكائنة بايدي الناس

٣٢ وقال الفيلسوف اللبناني جبران خليل جبران

« إن دين الله يأتي مثل ظل ويروح »
« لم يقم في الأرض دين بعد طه والمسيح »

٣٣ وقال المسيو هانوتو وزير خارجية فرنسا إن الدين الاسلامي يدعو إلى إله واحد ويجعل الايمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل الذاتية الاجتماعية ويستولي على المؤمن به استيلاء شديداً فلا يقدر على التفلت منه فمن الواجب أن ندرس هذا الدين ونبذل جهدنا في فهمه

٣٤ وقال المؤرخ دوزي أحد وزراء فرنسا بينما أهل أوربا تائهون في دجى الجهالة لايرون الضوء إلا من "سم" الخياط إذ سطع نور قوي من نور الأمة الاسلامية في علم وأدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك حيث كانت بغداد والبصرة وسمرقند والشام والقيروان ومصر وفارس وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ومنها انتشرت في الامم واغتنم منها أهل أوربا في القرون الوسطى صناعات وفنون وعلوم

٣٥ وقال المستشرق منتي من مقدمته ترجمة القرآن صفحة ٣١ أن مرشد المسلمين هو القرآن وحده والقرآن ليس بكتاب دين فقط بل كتاب علم وآداب وتجد فيه بيان الحياة السياسية والاجتماعية حتى أنه مرشد الانسان إلى حياته اليومية والأحكام الاسلامية والتي لا توجد في القرآن توجد في السنة والتي لا تكون واضحة لا بالسنة ولا بالقرآن توجد في الفقه الواسع الذي هو علم الحقوق

٣٦ وقال أيضاً في كتابه صفحة ٣٦ أن محمداً العربي الذي أدرك خطايا المسيحية واليهودية وقام بمهمة لاتخلو من الخطر بين أقوام من المشركين يعبدون الاصنام يدعوهم إلى التوحيد ويغرس في أفكارهم عقيدة أبدية الروح لا يستحق أن يعد بين صفوف المؤرخين من الرجال العظام فقط بل يستحق أن يكون نبياً .

٣٧ وقال الفيلسوف توماس كارليل أن في الاسلام خلة أراها من أشرف الخلال وأجلها وهي التسوية بين الناس وهذا يدل على أصدق النظر وأصوب الرأي فنفس المؤمن راجحة في جميع دول الأرض والنـــاس في الاسلام سواء .

٣٨ وقال أيضاً الزكاة في الاسلام والاسلام لايكتفي بجعل الصدقة سنة محبوبة بل يجعلها فرضا حتما على كل مسلم وقاعدة من قواعد الاسلام ثم يقدرها بالنسبة إلى ثروة الرجل فتكون جزءاً من اربعين من الثروة تعطى للفقراء والمساكين

والمنكوبين جميل والله كل هذا وما هو إلا صوت الانسانية صوت الرحمة والاخاء والمساواة يصيح من فؤاد ذلك الرجل ابن القفار والصحراء .

٣٩ وقال المحقق المسيو برتلمي سانت هيلبار لقد كان محمداً أذكى العرب في عهده واكثرهم تقوى ودينا وأرحبهم صدراً وأرفقهم بأعدائه وخصوم دينه وما استقامت امبراطوريته إلا بسبب تفوقه على رجال عصره وأما الذي راح يدعو إليه فقد كان خيراً عظيما على الشعوب التي اعتنقته وآمنت به .

٤٠ وقال المسيو هانوتو في خطبته التي القاها على المؤتمر الجغرافي في باريس سنة ١٩٠٢ بأن الشريعة الاسلامية وحدها وضعت الحجر الأخير في بناء المدنية الكاملة ويليق بها أن تفتخر بتدريسها الصف المنتهي من طلبة علم الحياة وتتباهى بإبقائها حق العمل الذي استبقى لها بمشيئة المشترع الإلهي لتتم اكماله في حينه .

٤١ وقال الفيلسوف غوستاف لوبون ان محمداً العربي أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين .

٤٢ وقال أيضاً في كتابه تمدن الاسلام : المسلمون مع ولوعهم بالأبحاث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع فقد اكسبت علومهم لصنائعهم جودة بعيدة جداً واننا كنا نجهل اكثر الطرائق التي سلكوها في ذلك الا اننا نعرف نتائجها وآثارها فنعرف مثلاً انهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب وانهم برعوا جداً في صناعة الصياغة وانهم مهروا في سقي الفولاذ مهارة بعيدة حتى أن صفاح طليطلة اصدق البراهين على ذلك ونعرف ايضاً انه كان لمنسوجاتهم ومدبوغاتهم من الجلود ولورقهم شهرة عامة .

٤٣ وقال ايضا أن القاعدة عن العرب جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً أما في اوربا فلم يهتدوا لذلك إلا بعد القرن العاشر الميلادي وحسبنا ما هو معلوم أن القانون الفرنساوي المعروف «بكود نابوليون» قد بنيت احكامه على أساس كليات قواعد الشرع الاسلامي تحت كيفيات صار تطبيقها على مقتضى حاجة البلاد والأمة وهذا القانون في اوربا له من الشهرة والشيوع والنفوذ ما يفوق الوصف .

٤٤ وقال العلامة القس زويمر رئيس جمعية التبشير الانجيلي أن عبقرية محمد هي

السبب في نجاحه واستطارة شأنه يضاف إلى هذا كله معرفته بالديانات في عصره وقوته في الاقنـــاع وحماسه الذي غمر أصحابه وامتد منه إلى انصاره وقوته في اجتذاب القلوب إليه ومقدرته في الادارة والحرب وثقافته السياسية الفائقة .

٤٥ وقال الدكتور ماردوس المستشرق الفرنسي أن اكثر الكتاب إرتيابا وشكا خضعوا لسلطان تأثير محمد .

٤٦ وقال المؤرخ المستر ولز الانكليزي الاسلام هو المدنية وهل في استطاعة إنسان أن يأتيني في دور من الأدوار كان فيه الدين الاسلامي مغايراً للمدنية والتقدم وكان محمد طبيبا وزراعيا وقانونيا وقائداً واقرأ ما جاء في أحاديثه تتحقق صدق ما اقول ويكفي قوله المأثور « نحن قوم لانأكل حتى نجوع وإذا اكلنا لا نشبع » هو الاساس الذي بني عليه علم الصحة ولم يستطع الأطباء مع كثرتهم ومهارتهم ان يأتوا اليوم بنصيحة أثمن من هذه الخلاصة ان محمداً كان مجموعة من الخيـال والبحث والنبوغ وهذا هو التحديد الصحيح الذي يجب على كل مسلم أن يعرفه .

٤٧ وقال جول سيمون الفرنسي أن محمداً رفع أعلام التجدد

٤٨ وقال الاستـــاذ أدوار جيبون في تاريخه أن الجيش الاسلامي أينما حل وارتحل ترافقه نساء مسلمات لتمريض المرضى واعانة الجرحى

٤٩ وقالت الشاعرة المندوسية الطائرة الصيت الخطيبة المعروفة مسيز لقد دعا الاسلام قبل ثلاثة عشر قرنا إلى المساواة والاخوة وأسس أول جمهورية كان القانون الأعلى رائدها والغني والفقير فيها سواء ولا أشك مطلقاً أنه سيأتي يوم يبتلع فيه الاسلام جميع الأديان

٥٠ وقال الفيلسوف مونتيه رفع محمد قدر العلم إلى أعظم الدرجات وأعلى المراتب وجعله من أول واجبات المسلم

هذا غيض من فيض لا ينضب معينه والايجاز يغني عن الاسهاب والشمس لا تحتاج إلى دليل وحسبنا ما سجله التاريخ من الآراء الناضجة بروح الانصاف لأكبر فلاسفة الشرق والغرب عن حقيقة الدين الاسلامي الذي رفع مناط العقل من عبادة الأصنام إلى عبادة الرحمن وأطلق حرية التفكر وحول الجمود إلى حركة

والجهل إلى العلم وأتحف العالم بشريعة غراء لا تتحول في مناهجها عن المحجة البيضاء

وكما يوجد في أوربا علماء أعلام يستخرجون الحقائق التاريخية والدينية من معادنها بضمير حيّ مجرد عن الميل والزيغ نرى رجالا منهم ينظرون شزراً لكل ما يخالف البيئة التي ديبوا ودرجوا فيها يختلقون المساوىء التي لا وجود لها إلا في مخيلتهم الموبوءة وهؤلاء لايؤبه لهم ولا يقام لكلامهم وزنا ونرى غيرهم من الغربيين المعتدلين الفوا الكتب والاسفار عن حياة النبي العظيم تتضمن الاكبار والاعجاب بتعاليمه وأعماله وأخلاقه وبما أسدى للانسانية من الهداية منها كتاب محمد «لأميل درمنغهم» ومدنيات الشرق «لغروسه» ومحمد والقرآن «لمونتيه» والسيرة النبوية «لدينه الافرنسي» والعالم الاسلامي «لماكس تايرهوت» ورواية محمد «لفولتير» وغيرهم كثير من المؤرخين وفطاحل العلماء

والحق لا يعدم أنصاراً فحمي الله رجالا انار بصيرتهم العلم الصحيح فساروا على نوره وهداه فلم يضلوا عن طريق الصواب فمنطقهم سليم وتفكيرهم مستقيم وعقولهم ناضجة وأقلامهم نظيفة نبذوا التعصب والمواربة وحكموا الوجدان الذي لا يخالطه كدورة ولا اعوجاج فكانوا من حماة الحق والحق رائدهم

﴿ مهد الدين الاسلامي ﴾

مهد الدين الاسلامي ومحل قبول الدعوة لأول مرة بلاد العرب وجوارها وتنويراً للاذهان لا بد لنا من كلمة موجزة عن شبة جزير العرب ذات التاريخ المجيد وما هي إلا شبه جزيرة لم تتم احاطتها بالماء رسم خريطتها مستطيل غير متوازي الاضلاع شماله فلسطين وبادية الشام وشرقه الحيرة ودجلة والفرات وخليج فارس وجنوبه المحيط الهندي وخليج عدن وغربا البحر الأحمر فهو حصين بالبحر من الغرب والجنوب وحصين بالصحراء وخليج فارس من الشرق وهذه المناعة مع ترامي أطرافه عصمته في القرون الماضية من الغزو الاستعماري والغزو الديني وذلك قبل اختراع القنبلة الذرية والطائرة النفاثة وغير ذلك من الاختراعات المدمرة التي سرعتها تسبق الصوت فويل للانسان من أخيه الانسان

ليست هذه الحدود مساكن العرب فحسب فقد كانت لهم مساكن مجاورة لأوطانهم ولكن شبه الجزيرة أم أوطانهم وتنقسم إلى خمسة أقسام « تهامة ونجد والحجاز والعروض واليمن » فاما تهامة ويقال لها الغور على شاطىء البحر الأحمر ممتدة عرضاً إلى سلسلة جبال السراة - وأما الحجاز فهو يمتد من خليج العقبة إلى اليمن وسمي حجازاً لأنه سلسلة جبال تفصل تهامة وهي الأرض المنخفضة على طول شاطىء البحر الأحمر عن نجد وهي الأرض المرتفعة شرقاً وفيه مكة المكرمة والمدينة المنورة فالأولى هي التي ولد فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم والثانية دار هجرته وفيها ضريحه المطهر - وأما نجد وهو الجزء المرتفع الذي يمتد من جبال الحجاز ويسير شرقاً إلى صحراء البحرين وهو قطر فسيح فيه صحارى وجبال وأراض صالحة للزراعة ويقال أنه أصح بلاد العرب هواء

وأما العروض فيشمل اليمامة والبحرين وهو واقع في قلب الجزيرة بين نجد واليمن وقيل أنها بلدطسم وجديس ومنها خرج مسيلمة الكذاب وسميت العروض لاعتراضها بينهما وفيه الحساء والقطيف وغيرهما وفيه ينابيع النفط الغزيرة التي تجري بالانابيب إلى شاطىء البحر المتوسط في جبل عامل جنوب صيدا وله مستودعات مخازن على مصب نهر الزهراني لأجل شحنه إلى أوربا بالبواخر بصورة دائمة بلا انقطاع

وأما اليمن وهو الواقع جنوب الحجاز وقد عرفت هذه الزاوية الغربية الجنوبية بالخصب والغنى .. وتعرف باليمن السعيدة وأشهر مدنها العاصمة صنعاء وبقربها قصر غمدان وفرضتها على البحر مدينة الحديدة مرفأ تجاري وفي الجنوب الشرقي مدينة مأرب مسكن سبا وسميت اليمن لوقوعها عن يمين الكعبة المكرمة

مساحة جزيرة العرب « ٣١٥٦٥٨٥ » ثلاثة ملايين ومائة وستة وخمسين الف وخمسمائة وخمسة وثمانين كيلومتر مربع وعدد نفوسها خمس عشرة مليونا وفيها كثير من الأشجار المثمرة كالنخيل والرمان واللوز والمشمش والتفاح والليمون والتين والموز والنارجيل والبن وشجر اللبان والحناء والزنجبيل والتمر الهندي والنبلة والخزامى والورد والنرجس والبنفسج وغير ذلك من الحنطة والشعير

وفيها من المعادن الحديد والنحاس وحجر الجزع واللولوء والنفط في الحسا والقطيف والبحرين والكويت على الخليج الفارسي

علومهم لم يكن للعرب في بداوتهم قبل الاسلام من العلوم الا ما يحتاجون اليه في حياتهم الفطرية فقد عرفوا الطب والبيطرة ولهم معرفة بعلم النجوم ومهابّ الرياح والانساب وبعض أخبار الامم الغابرة ولهم القدح المعلّى بالفروسية والقيافة والكهانة والعرافة فالقيافة والكهانة كان يقوم بها أفراد منهم والأولى لم تزل في القبائل العربية غريزة لا تخونهم واليوم أصبحت في اوربا علماً يدرسونه رجال الشرطة والثانية الكهانة فقد تعاطاها وعمل بها كثير منهم واشهرهم سطيح وشق وعبد المسيح

لغتهم اللغة العربية وهي احدى اللغات السامية ويقال أنها أصبر اللغات على طوارق الحدثان لم يؤثر الدهر في جوهرها لا لفظا ولا تركيباً لانها غنية بمفرداتها ومرادفاتها وبينها وبين شقيقاتها السريانية والعبرية والكلدانية مشابهات كثيرة مع أنها اغزر مادة وألطف وقعاً على الاسماع وقد تعددت اللهجات بين القبائل العربية ولكن الاصطلاحات في لغة قريش هزمت جميع الاصطلاحات اللفظية وسادت لسهولتها وغناها وبعد نزول القرآن توحّدت كما توحدت القلوب بنبوّة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وآله وسلم

قال العلامة مرسلوس في كتابه « رحلة إلى الشرق » مجلد اول قال اللغة العربية هي الاغنى والأفصح والاكثر واللطف وقعاً بين سائر لغات الارض بتراكيب أفعالها تتبع طيران الفكر وتصوّره بدقة وبانغام مقاطعها الصوتيه تقلد صراخ الحيوانات ورقرقة المياه الهاربة وعجيج الرياح وقصف الرعد

الكتابة كانت عند العرب بالحرف المسند وهو خط أهل اليمن وكتبوا في شمالي الجزيرة بالخط النبطي لعلاقته بالخط الآرامي الذي يكتبون به في سوريا ثم تحول في العهد الاسلامي إلى الخط الكوفي ثم استمر في الرقي والتحسين حتى بلغ الغاية القصوى

أسواق العرب كان لهم أسواق على مدار السنة تحت اسماء ومواقع كثيرة

وأقدمها وأهمها سوق عُكاظ التي اقيمت قبل القرن السادس الميلادي على مقربة من الطائف من أعمال مكة معرضاً يجتمع فيه الناس من جميع الأقطار العربية تشترك به ملوكهم بالعطاء والتشجيع للنوابغ والقبائل على اختلاف ميولها الدينية والسياسية تتسابق فيه لاظهار نوابغهـــا من الخطباء والشعراء فصارت هذه السوق بطبيعة الحال موسماً للادب واللغة يتناشدون ويتفاخرون ويتعارفون ويتحاجون ويبيعون ويبتاعون ويتبادلون سلعهم ومتاجرهم وفيها أنشد أصحاب المعلقات معلقاتهم المعروفة وعرف لهم اندية غير الاسواق ومجتمعات يحتفلون فيها بالتناشد والتباحث والتناظر وتبادل الآراء منها نادي قريش ودار الندوة بجوار الكعبة وغيرهما من الاماكن

قرطاجنة

قرطاجنة أو قرطاجة مدينة فينيقية اسستها اليسا اخت بيغماليون احد ملوك صور في شمالي افريقية سنة ٨٨٤ قبل المسيح وتقدمت في قليـــل من الزمن في مدنيتها وحضارتها واصبحت عاصمة لهذه الدولة الشرقية الوارثة الوحيدة لعظمة صور وصيدا وشرقي البحر المتوسط واستولت على مستعمرات الفينيقيين في اوربا وأفريقيا وغيرها من الجزر القريبة والنائية وأصبحت دولة قوية انجبت ابطالا عنوان التاريخ القديم أمثال هاميلكار وولده هنيبال القرطجني الذي دك حصون الرومان واجتاز جبـــال الألب وقهرهم وغزاهم في بلادهم ومزق جيوشهم واستمرت الحرب بين روما وقرطاجنة بل بين الغرب والشرق إلى سنة ١٤٧ ق.م وبسقوط قرطاجنة الجبارة بيد الرومان بعد القضاء على البطل العظيم هنيبال الذي كان اسمه يلقي الرعب في قلوبهم خلالهم الجو وحلمت روما بالسيادة العالمية وحوّل رجالها انظارهم نحو الشرق

وزحفوا باساطيلهم وجيوشهم وقضوا على الامارات القائمة شرقي البحر المتوسط ودخلوا انطاكيه عاصمة المملكة السلوقية التي كانت بين حجري الرحى الفرس يناوؤنها من الشرق والرومان من الغرب وقدم لهم امراء سوريا الطاعة وأعظمهم الملك العربي الحارث الثالث النبطي الذي اعطوه امتيازات خاصة ليقف في وجه

الدولة الفارسية البارثيه وذلك سنة ٦٤ قبل المسيح وفي هذا العام ابتدأ احتكاك الدولة الرومانية بالدولة الفارسية وهما الدولتان العظيمتان اللتان كانتا تتنازعان السلطة على العالم والعداوة بينهما موروثة فالرومان انتقلت اليهم من اليونانيين والفرس البارثيين انتقلت اليهم من الدولة الكيانية الفارسية ثم تسلمتها الدولة الساسانية الفارسية واشتعلت نيران الحرب بينهما والدماء تذهب هدراً ضحية لمطامعهما التي لاحدّ لها وبقيت المكافحة متصلة الحلقات سبعماية سنة فلم تبق ولم تذر وكانت الحرب بينهما سجـــالا والنفوس تتطاير هباء تشكو لخالقها الظلم والطغيان من هاتين الدولتين

ولما اشتد البغي من هاتين الدولتين على عباد الله يسوقونهم للموت في ساحة الحرب كالعجماوات تأييداً لسلطان ملوكهم وتثبيتاً لعروشهم ضجّت الخلائق إلى خالقها من الجور حيث التوى القصد وتاهوا في بيداء الضلالة وانصرف العالم عن عبادة الله إلى عبادة المتسلطين والاوثان وتقديس النيران واستشرى الداء وعم البلاء وغرق الضعيف بتأثير القوي وكاد العالم يفنى في لجّة من النار والجهل وكان العرب كغيرهم يتنافسون في القتل والقتال والبغي والعدوان يضرمون نار الحرب لهفوة بادرة أو غلطة نادرة يتفـــاخرون بالغزو والبطولة وقوة الباس عاكفون على المحرمات كالفجور والسفاح ووئد البنات وعبادة الأصنام وكان ملوكهم من اللخميين متضامنين مع الدولة الفارسيـة وملوكهم من الغسانيين متضامنين مع الدولة الرومانية وكانا الدولتين العربيتين آلة صماء بيد الامبراطوريتين الفارسية والرومانية يدفعونهما لغزو بعضها بعضاً ليجعلوا بأسهما بينهما

وفي هـذه الفترة انقسم اليهود على أنفسهم بين قرآئين وسامريين وربانيين وانقسم المسيحيون فرقاً متعددة وترك البراهمة والزردشت والمجوس اقوال حكمائهم وذهبوا مذاهب شتى فانحطت المدارك ووهنت العقول وفشى الظـلم والجور وتناكرت الامم ولم يبق لوحـدة الدين والاجتماع والسياسة من اثر وأصبح العالم فوضى

ولما كان لكل سبب مسببات والله سبحانه وتعالى يمهل ولا يهمل لذلك قضت

حكمة الله بأن تكون ولادة محمد بن عبد الله خاتم النبيين رحمة لخلقه ولطفاً بعباده مقدمة نتيجتها اصلاح العالم وانقاذه من الظلم الذي تتخبط به حفظاً للنوع الذي كاد يتلاشى ولم تكن ولادته خير مجن تتقي به الانسانية تباريح الجور والظلم فحسب بل حمى تلجأ اليه في الملمات وقائداً يقودها لخير الحياتين وقد ادى رسالته على الوجه الأكمل وحجب الدماء ورفع منار التوحيد وقمع عقابيل الجهل وعنت الوجوه للحي القيوم ووقى العالم من شرور مدلهمة فجزاه الله خير ما جزى نبياً عن امته

قريش وهاشم

سادة العرب قبيلة قريش وخيرهم بنو هاشم لايباريهم أحد في الشرف والمجد منهم الشريف الفذ الكريم المعطاء والسيد البعيد الغور والتقي المتحرز مطاعيم مطاعين لا يبلغ غايتهم خيار الناس لهم السبق في كل حلبة

اما عقائلهم فهن خيرة العقائل لا قول فيهن لقائل الا بالاكبار والاحترام عفيفات طاهرات فائقات متبتلات ولم يكن يباريهن نساء من غيرهن والحكمة في مناعة هذا البيت الكبير الذي لا يطاول ولادة محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ومنه واليه اختاره الله من الاصلاب الطاهرة والأرحام المطهرة نبياً ورسولا للعالمين « يا ايها الرسول انا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً »

وقد در الكميت الاسدي حيث يقول

« بني هاشم رهط النبي فانني بهم ولهم ارضى مراراً واغضب »
« خفضت لهم مني جناحي مودة إلى كنف عطفاه أهلٌ ومرحب »
« بأي كتاب أو بأية سنة يُرى حبهم ذنباً عليّ ويكتب »

ولد سنة ٥٧٠ م النبي محمد بن عبد الله العربي الهاشمي واختاره الله اليه سنة ٦٣٢ م ولد في الثاني عشر من شهر ربيع الأول وقيل في السابع عشر منه عام الفيل قبل الهجرة بثلاثة وخمسين سنة الموافق لليوم التاسع أو الثالث عشر من شهر نيسان سنة ٥٧٠ من ميلاد سيدنا عيسى عليه السلام واختاره الله للرفيق

الأعلى في الثـــاني عشر من ربيع الأول الذي هو تتمة عشر سنين للهجرة سنة ٦٣٢ ميلاديه

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهد بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان وينتهي نسبه إلى اسماعيل ابن ابراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

وامه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب فتجتمع معه في جده المذكور، هذا هو نسبه لابويه أجمع على صحته المؤرخون والعلماء اختاره الله من أشرف البيوت محتداً من سلالة جعل الله النبوة والرسالة فيها ولم يشرك في مجدها الطارف والتليد أحداً لقوله تعالى «إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرّية بعضها من بعض والله سميع عليم» فالنبوة في آل ابراهيم من جيل إلى جيل في ذريته إلى سيدنا محمد بن عبد الله من سلالة اسماعيل عليهما السلام وكانت ولادته صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة مباركة في مكة المكرمة في شعب أبي طالب اخرج الله الناس فيها من الظلمات إلى النور ومن الجهل إلى العلم وفيها نكست أعلام الضلالة وارتفعت أعلام الهدى وانتصر الحق على الباطل وخفقت أعلام الايمان وتقلصت عبادة الاصنام بإشراق نور الاسلام

«ليلة المولد الذي كان للد ين سرور بيومه وازدهاء»

في هذه الليلة أراد الله أن يخرج للعالم خيرة خلقه من أشرف بيت من بيوتات الأمة العربية تفضلا منه ورحمة بها لكي يقلب أوضاعها ويبدل طباعها ويوحد قبائلها ويجمع شتاتها بعد الفرقة ويهذبها بعد الجهالة ولد صلوات الله عليه بشراً سويا كاملا خلقاً وخلقا في جبلته وهيئته تكمن مواهب الأنبياء مجتمعة غير متفرقة في شخصيته المقـــدسة فنمي وترعرع خاتماً للانبياء والمرسلين وتكاملت فيه النبوة والرسالة فكان يوم ميلاده فاتحة عهد جديد ليس للامة العربية فحسب بل للبرية عامة وقد ذرأه الله يتيما من أبيه فكان سرور جده عبد المطلب به عظيما منذ بزغت شمس نوره على وجه البسيطة متيمناً بطلعته المباركة وسماه محمداً فقال له أكابر

عشيرته لم يسبق لهذا الاسم مسمى في أجدادنا الماضين فقال لهم سميته بهذا الاسم لكي يحمده في السماء الحق وفي الارض الخلق وأنا مأمور بذلك فيكون بين ولادته وبين ميلاد المسيح عليها السلام ٥٧١ سنة وبين المسيح وموسى عليهما السلام ١٧١٦ سنة وبين موسى وابراهيم عليهما السلام ٥١٤ سنة وبين ابراهيم والطوفان ١٠٨١ سنة وبين الطوفان وآدم عليه السلام ٢٢٤٢ سنة وبين ولادة محمد وآدم عليهما السلام ٦١٥٥ سنة هذا ما أجمع عليه المؤرخون

وقد كفل محمداً صلى الله عليه وآله وسلم جده عبد المطلب واحتضنته أمه وكان يحبه جده حباً جما لاعتقاده أنه سيكون له شأنا عظيما للبشائر التي كانت تترى عليه من الأحبار والكهان وجدد عزيمته وشدد عقيدته به ملك اليمن سيف بن ذي يزن حينما زاره في قصر غمدان في عاصمة ملكه صنعاء مهنئاً له بطرد المغيرين من الأحباش على مملكته وبدلوا عزها ذلا وهنائها شقاء وأوصاه به خيراً وأسر إليه ما يكون له من السمو والعلو وما يتجلى عليه من الفيض السماوي وتمنى لو يدركه وطلب منه أن يقرأه السلام

ولم تكن ظئره غير حليمة السعدية التي أرضعته في بادية بني سعد وهي عادة درج عليها العرب من الحضر يلتمسون المراضع لمواليدهم من البوادي ليستاف الرضيع الهواء الطلق والماء العذب وهما أس الصحة والنمو قالت حليمة لما جئت به إلى منازل قومي ولا أعلم أرضاً من أراضي الله أجدب منها وبيمن طلعته تحول الجدب خصباً والكلأ نمواً والعيش رغداً ولما فطمته تكلم فقال الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً ولم أكن أسمع بمثل هذا الكلام وقدمت به على أمه في مكة وأنا أحرص شيء على مكثه عندنا أنا وقومي لما نرى من بركته وكلمت أمه وقلت لها لو تركتيه عندنا حتى يغلظ ويقوى فاني أخشى عليه وباء مكة وحرها ووقفت استعطفها حتى ردته معي فكنا من أسعد الناس به

إن الله أودع في هذا الطفل سراً من أسراره لأمر يريده عز شأنه وجل ثناؤه لانجاز عمل عظيم وكانت الدنيا يومئذ في إحاجة ماسة إلى رسالة إلاهية تنقذ اهلها من ضلال يتيهون في بيدائه المقفرة والحوادث الكونية تلح لايجاد مصلح يهذب النفوس

ويرأب الصدع ويرفع كابوس الظلم عن وجه الأرض وحقائق التاريخ تكاد تنطق مبشرة بان محمداً بن عبد الله هو صاحب تلك الرسالة الظاهرة آثارها عليه في طفولته وفتوته و كهولته وفي جميع أدوار حياته وبعد الشهادة الناطقة من حوادث الكون وقرائن الاحوال لاقول لقائل

(موت آمنة بنت وهب)

وعن عبد الله بن عباس قال لما بلغ رسول الله السنة السادسة خرجت به أمه لزيارة أخواله بني النجار في يثرب ومعه حاضنته أم أيمن قالت فلما نظروا اليه كهنة اليهود الذين يختلفون إلى يثرب قالوا هذا نبي هذه الأمة وهذه دار هجرته فوعيت كلامهم وجعلت احترس عليه بعين ساهرة وحينما قضى هو ووالدته وطراً من زيارة الأرض الموعودة به رجعنا الى مكة ولم يكد الطفل يبعد عن يثرب إلى الأبواء فاجأ الموت والدته وأصبح يتيما من الأبوين وقد توفيت والنبي عند رأسها ينظر اليها والدمع يترقرق سحاً وتسكابا من كريمتيه فنظرت اليه بلهفة ثم قالت كل حي ميت وكل جديد بال وكل شيء فان وأنا ميتة وذكري باق وقد خلفت خيراً وولدت طهراً ولفظت النفس الأخير هذه آمنة تلكم المرأة الكاملة في خلقها وخلقها ورجاحة عقلها وفصاحتها وبلاغتها فانتقالها من الدار الفانية للدار الباقية صدمة قوية لولدها صلى الله عليه وآله وسلم وهو في دور الطفولة ووقوفه على رأسها وهي في دور الاحتضار تستنزف الدمع دماً من القلب وأصبح بعدها محروماً من حدب الأب وحنان الأم ولكن الله جل شأنه ارأف على اليتيم من أمه وأبيه فقد رعاه بعنايته واجتباه لرسالته وبقي في كفالة جده عبد المطلب الذي كان يحبه كثيراً ويفديه بنفسه و كثيراً ما حدث جلساءه بان لهذا الغلام لشأنا عظيما وهو مع صغر سنه له هيبة أعاظم الرجال وقد رفعه جده وأقعده في مجلسه العام دون أعمامه في ظلال الكعبة وتوفي جده عن عشر وماءة سنة وله من العمر سبع سنين وذلك سنة ٥٧٧ م

(كفالة ابو طالب لابن أخيه)

فكفله بعد جده عمه أبو طالب وكان سيداً كريما وشهما عظيما وله منزلة سامية

في قريش ولمكانته في نفوس قومه دعوه بيضة البلد تعظيما له ومع أنه أقل مالامن قريش عامة ومن إخوته خاصة فقدعرف بنبله وكرمه وجاههوكان كابيه حزماً وعزماً وقوة وأثراً في قبائل العرب تسيطر على نفسه نزعة دينية حادة ورثها عن أبيه شيبة الحمد

بين مر الغداة وكر العشي كان محمد بن عبد الله الطفل اليتيم يزداد نمواً ويزداد وجهه إشراقاً والقرشيون من قومه ينظرون اليه نظرة إعجاب وإكبار تطيب لهم مجالسته وينصتون لحديثه العذب ومنطقه الصحيح ويقتبسون من معاشرته أدبا وأخلاقاً وكمالاويتوسمون به الخير والسمو والسيادة الى أبعد غاية ويبالغون في احترامه مع أنه لا يحترم أوثانهم ولا يشاركهم في أعيادهم واجتماعاتهم الدينية ولا يقرهم على نظامهم الاجتماعي وكلما تعاقبت السنون ارتفع شأنه بينهم وزادت ثقتهم به حتى جعلوه مرجعاً يرجعون اليه فيما اشكل عليهم واعضل من الامور الجسام ويحل بثاقب فكره ماعمي عليهم من الأمور ويصلح ما شجر بينهم وما اعتل من شؤونهم ولا يرون غضاضة بالرجوع اليه مع صغر سنه ولقد لقبوه بالأمين بعد ما كانوا يدعونه يتيم أبوطالب لأن نفوسهم سكنت اليه معترفة بصدقه وأمانته

وأخرج ابن عساكر عن جلهمة بن عرفطة قال قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش يا أبا طالب اقحط الوادي وأجدب العيال فهلم فاستسق فخرج ابو طالب ومعه غلام كانه شمس تجلت عنها سحابة وحوله اغيلمة فأخذه أبو طالب والصق ظهره للكعبة ولاذ الغلام باصبعه نحو السماء وما في السماء قزعة وأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق واغدودق وانفجر الوادي وأخصب النادي والبادي فسألت عن الغلام فقيل لي هذا محمد بن عبد الله وفيه يقول ابو طالب وهو ينظر الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم نظرة الحب والحنان

وأبيض يستسقي الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل

إن خروج أبي طالب بالنبي في صغره وهو لم يبلغ الحلم للاستسقاء من الجدب والجفاف يدل على أنه يعلم ما لا يعلمه غيره ويعتقد بالسر الذي أودعه الله في ابن اخيه وأن له مقاماً محموداً عند ربه مجيباً لدعوته ولا مرية بان هذا الاعتقاد كان

الهاشميون يتوارثونه كابراً عن كابر الى ان انتهى الى ابي طالب الذي نال شرف القيام بخدمة هذا النبي الكريم

رحلته الى الشام مع عمه

بينما أبو طالب يتأهب للسفر الى الشام في تجارة له تقدم اليه ابن اخيه ليصحبه معه فأبى خوفاً عليه من وعثاء السفر في الصحراء تحت الشمس المحرقة والاعاصير الهوجاء وهو طري العود في الثانية عشر من عمره ثم تغلب عليه الحنو الرحمي لأنه كان يعطف عليه ويقدمه على أولاده وتيمناً بطلعته استصحبه معه في هذه الرحلة الشاقة يسرح نظره في فضاء الله الواسع في الصحراء المقفرة الخالية من جحر الضبع وافحوص القطاة حتى إذا ادلهم الليل بدياجيره شاهد النجوم الزاهرة تتألق في سماء الصحراء فتنعكس أنوارها على الرمال المترامية الاطراف وشاهد وادي القرى ورأى مدين وآثار الأمم الغابرة وفي بصرى متع نظره بحدائقها وقصورها ورآه الراهب بحيرى فعرفه من أول وهلة وكان يتفرس في شمائله وينظر في كتاب معه ثم تقدم اليه وقال هذا سيد العالمين ثم توقف قليلا وخاطب نفسه بنفسه هذا هو النبي الموعود الذي دلت عليه كتبنا ثم انفتل إلى عمه وأمر اليه أن يرده إلى مكة خوفاً عليه من اليهود والروم وقد رأى صلى الله عليه وسلم ما حوله وسمع ما قاله الراهب ولم تفتنه بصرى وحضارتها وثروتها ولم ياخذ الأمور إلا على حقيقتها وماضيها وحاضرها ونهايتها معرضاً عن ظواهرها البراقة تغمره نفحة روحية مع صغر سنه تمهد له الوصول إلى معارج القدس لتبليغ رسالته

وبعد الرجوع إلى مكة كان محمد ألزم إلى عمه من ظله يذهب معه للنوادي والمجتمعات ويجلس مع شيوخ القرشيين وهم يتحدثون عن تجارتهم وأسفارهم وحلهم وترحالهم ويسمع أقوالهم في تدبير شؤونهم العامة والخاصة ويصغى لكلامهم وهو يفكر في الكون ومكونه فاذا جاءت الأشهر الحرم خرج مع عمه إلى الأسواق الموسمية عكاظ ومجنة وذي المجاز حيث تجتمع العرب للمفاخرة والمناظرة ينظر إلى مجتمعاتهم وأحاديثهم وإنشادهم وبلاغتهم وفصاحتهم ويستمع لما يعرضونه من

القصائد الممتعة والخطب الرنانة المشتملة على مفاخرهم وشجاعتهم ومفاخرهم وكرمهم وأنسابهم فيعجب بما يثير الاعجاب ويطوي كشحاً عن غيره

حرب الفجار

وحضر مع اعمامه حرب الفجار التي قامت بين قريش وهوازن وقد طال امرها أربع سنوات وكان يجمع السهام ويدفعها إلى اعمامه ولم يضرب فيها بسيف ولم يرم فيها بسهم ولم يتخلف عن حلف الفضول التي تظافرت فيه قريش على نصرة المظلوم على ظالمه وكان عليه الصلاة والسلام بمنأى عن عادات المكيين التي يزاولونها من الادمان على الشراب والتسري والميسر واللهو وغير ذلك

ولم يستنكف عن رعاية غنم أهله وغير أهله كاخوانه من الأنبياء والرعاة الذين اهتدوا إلى وحدانية الله في اعتزالهم الناس في الجبال والسهوب يلتمسون الكلأ والمرعى لاغنامهم وطالما هبط واديا وصعد جبلا مفكراً في الخلق وخالقهم وفي اختلاف الليل والنهار تحت القبة الزرقاء باحثاً متأملا في قدرة الله وعظمته منصرفاً عن مغريات مكة معرضا عن هذه المهازل التي لا تمتزج كدورتها مع نفسه الصافية استزرى هذه العقول المعقولة بالشرك والالحاد فعكفت على الشهوات الحيوانية فركست في الغي والضلال بيد أنه لم يرع الغنم للثراء وهو الزاهد في حطام العاجلة لا يبتغي من العيش إلا ما يسد الرمق لقد حرص على شظف العيش وآثر اللذة النفسية والاستمتاع بالكون ومراقبة حركته ونظامه على نعيم الدنيا الزائل

رحلته الثانية الى الشام

كانت خديجة بنت خويلد ذات شرف ومال وتجارة واسعة وقد علم أبو طالب أنها تجهز قافلة إلى الشام بتجارتها فنادى أبو طالب محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وقال يا ابن أخي اننا في عام كالح وهذه السيدة خديجة تحتاج إلى شاب أمين يذهب بتجارتها فهل تريد أن تذهب بهذه المهمة وأرجو لك الخير فقال له إني كما تحب يا عم فذهب أبو طالب وكلم خديجة بالامر وأن يكون الأجر مضاعفاً عن غيره فقالت حباً وكرامة فرجع وأخبر ابن أخيه قائلا هذا رزق ساقه الله اليك وخرج

صلوات الله عليه مع ميسرة مولى خديجة وتوغلت القافلة في طريق الصحراء إلى الشام في الطريق التي مر بها في دور الطفولة مع عمه ابي طالب مجدداً العهد بزيارة الأماكن الأثرية بوادي القرى وديار ثمود فلما بلغ بصرى جاءه راهب نسطوري ورحب به وأحسن مكالمته وكتب حليته وأوصافه وهو جالس تحت شجرة هناك فقال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبي مرسل وقد تمكن بحسن أخلاقه ويمن غرته أن باع وابتاع وحصل على أرباح طائلة للسيدة خديجة وأتاها ببضاعة من صنع الشام تدر عليها خيراً كثيراً وانقاد اليه ميسرة معجباً بكماله وخلاله ولطفه واحسانه

(زواجه من السيدة خديجة)

وعندما بلغت القافلة مر الظهران قال ميسرة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم الرجاء يا سيدي أن تذهب الى سيدتي خديجة بالخبر اليقين عما أعطاها الله من الرزق الوفير على يديك فانطلق ودخل مكة قبل وصول القافلة فاستقبلته السيدة خديجة مسرورة مستبشرة وأخبرها بما أفاء الله عليها من الخيرات وما ستناله من الربح الجزيل بما جاءها به من صناعة الشام وروى لها ميسرة عن جمال نفسه وعلو همته وطيب عنصره وأسر اليها ما شاهده من عناية الله به فاكبرته وشغفت به حباً وودت أن تتزوج منه وهي في الأربعين من سنها وهو في الخامسة والعشرين من عمره وكانت بعيدة النظر سديدة الرأي معروفة بالحكمة والتعقل وتحدثت إلى صديقتها نفيسة بنت منية بما عزمت عليه فذهبت نفيسة الى النبي تستطلع رأيه وقالت له ما لك لا تتزوج فاعتذر لها فقالت له إن الجمال والشرف في متناول يدك فقال وأين قالت السيدة خديجة فتوقف قليلا عن الجواب لأن أشراف قريش من ذوي الجاه والمال ردت طلبهم فاعادت عليه الحديث فاعلن لها قبوله وذهب إلى عمه أبي طالب وأخبره بالأمر ودعا أعمامه في الساعة التي حددتها خديجة ليجدوا اهلها عندها وحضر أبو طالب والحمزة والعباس ورؤساء مضر وخطب أبو طالب وقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع اسماعيل وضئضىء معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتاً محجوجاً وحرماً آمناً وجعلنا الحكام على الناس

ثم أن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن برجل الا رجح به فان كان بالمال قل فان المال ظل زائل وأمر حائل ومحمد من عرفتم قرابته وقد خطب خديجة بنت خويلد وبذل لها من الصداق ما عاجله وآجله من مالي كذا وهو بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل فزوجه إياها عمها مهاجر بن أسد لأن خويلد مات قبل حرب الفجار وكان الصداق « اثنتي عشر اوقية ذهباً ونشاً » والأوقية أربعون درهما والنش نصف أوقية

هذا أبو طالب لقد لمس السمو في أخلاقه واللطف في شمائله منذ الصغر ورأى المهابة ساطعة من محياه في الكبر فلا عجب في بذله نفسه وماله فداءه لأنه كان يفضله على أولاده ويحبه حباً جما ولما بعثه الله بالرسالة وقف في وجه قومه الأشداء وحماه من الأعداء وهذه السيدة خديجة الغنية بمالها وجمالها ذات الحول والطول بين قومها لم تر عاراً في خطبتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم له بنفسها واختيارها له زوجاً لها دون غيره وقد أضافت لمجدها مجداً مؤثلا وعزاً خالداً فكان أبو طالب وخديجة فرسا رهان في نصرته ووقايته فهل كانت هذه المفادات منهما بايعاز من آبائها الأولين أو بالهام من رب العالمين

أما السيدة خديجة فقد كانت تدعى قبل الاسلام بالطاهرة لأنها من أعظم سريات العرب وعقائلها ثروة ونبلا وكمالا لقد تزوجها النبي لا طمعاً في مالها وجاهها لأن الزهد والقناعة خلتان غريزتان في نفسه فانتقاله إلى بيتها ليبدأ صفحة جديدة من صفحات الحياة لم تبدل خطته الأولى في العهد الجديد بل زاده حباً بالعزلة والانفراد واشتدت رغبته بالخلوة والابتعاد وآيات فضله ظاهرة لا يحجبها شيء عن الناس ولذلك عرف بالصادق الأمين عند قومه لصدقه وأمانته فقد تزوجها في مقتبل العمر وسيما جميلا عظيما في أخلاقه وشرف بيته ومحتده وهو في الخامسة والعشرين من عمره لم يعرف الحب والطيش ونزوات الشباب وقد اكبرت فيه زوجه هذه الخلال الصادرة عن طهارة وعفاف فوقع في قلبها موقعاً عظيما من الحب والاحترام وتفرست في ذاته وصفاته السمو والعلو ولم تكل اليه تدبير شؤونها وأعمالها الكثيرة وسامحته ليتفرغ إلى خلوته وتفكيره

رجوع القرشيين لحكمه

وفي السنة الخامسة والثلاثين من مولده تصدعت جدران الكعبة وعزمت قريش على تجديد بنائها وجعلوا ما ينفق عليها حلالا طاهراً وكان الأشراف والزعماء ينقلون الحجارة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينقل الحجارة معهم وجاؤا باحجار الجرانيت الزرقاء من الجبال المجاورة وبدأو بالبناء ولما ارتفع إلى قامة الرجل أرادوا وضع الحجر الاسود المقدس مكانه من الجدار الشرقي احتدم الخلاف بين القرشيين وكل قبيل منهم يودّ أن يكون له الشرف والفخر في رفع الحجر إلى موضعه واستبدلت كل قبيلة بايثار نفسها على غيرها وامتدت جذور الفتنة وكادت الحرب الاهلية تنشب بينهم لولا أن تداركها أبو امية بن المغيرة المخزومي وهو الكبير بالسن والقدر وقال لهم اجعلوا الحكم بينكم أول من يدخل من باب الصفا فانتظروا وهم في حيرة وذهول وإذا أول من دخل محمد بن عبدالله فلما رأوه تهللت وجوههم وقالوا هذا الأمين الذي يحكم بالعدل ورغبوا إليه الفصل في أمرهم فبسط ردائه ووضع الحجر الأسود فيه بيده ثم قال لهم ليأخذ كل كبير قبيل منكم بطرف من أطراف هذا الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا ومذحاذى الحجر موضعه من البناء تناوله النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووضعه في مكانه بيده الشريفة وانحسم الخلاف

هذا الحادث يحملنا على الاعتقاد بان جبابرة القرشيين وشيوخهم مع ما هم عليه من الجاه والسلطان والقوة ومع شدة مناظرتهم بعضهم بعضاً لم يستنكفوا عن الرجوع اليه في مهام أمورهم ولم ينظروا إلى صغر سنه بعد أن جربوه وعرفوه بالحاكم العدل والناصح الأمين .

حياته في غار حراء

كان بين العرب رجال من مفكريهم يؤثرون الوحدة كل عام في خلوات مخصوصة في الأودية والجبال يتقربون بها إلى اوثانهم القائمة حول الكعبة بالدعاء يرجون منها الخير ويعتزلون عن الناس عامة حتى عن اقرب الناس اليهم ويسمون هذا الانقطاع التحنث وقد وجد النبي صلى الله عليه وآله وسلم التحنث خير وسيلة

للوحدة والتفكير للوصول إلى الحقيقة فكان في شهر رمضان من كل عام يقيم في غار حراء شمالي مكة بعيداً عن الناس يتجافى مباهج الحياة الزائلة ويلتمس من خالق الكون الهداية لأسرار الحياة الباقية مفكراً في بدائع الكون الذي يسير بانتظام في جميع كواكبه السماوية وعوالمه الارضية وفيما يتصل بالوجود ووحدة الوجود فتسمو نفسه إلى العلاء ويتألم ضميره لقومه التائهين في مهمه من الضلال يعبدون اصناماً من صنع أيديهم لاتجري فيها الحياة ولا تسمع ولا تبصر ولا تضر ولا تنفع وما هي الا جماد كعقولهم الجامدة المتحجرة فاذا تصرم رمضان رجع إلى بيته وزوجته وروى بعض العلماء انه كان يتعبد في غار حراء على شريعة ابراهيم الخليل عليه السلام وبقي مثابراً على التحنث في غار حراء عند حلول شهر رمضان من كل عام يقوم الليل ويصوم النهار إلى أن فاجأه الحق بالالهام الالهي على رأس الاربعين من عمره سنة ٦١٠ ميلادية وهو السن الذي تتكامل فيه القوى الطبيعية في الانسان ويتم النضوج العقلي والنبي صلى الله عليه وآله وسلم نال شرف الرسالة والنبوة في هـــذا السن ملبياً النداء صادعاً بالأمر واول ما بدأ الوحي بالرؤيا الصادقة التي كانت تظهر مثل فلق الصبح فاشتدت رغبته في الخلوة وطالما خولته الصعود بعقله الصافي إلى ملكوت الله الواسع والتفكير في عظمة الله القدير

اول الوحي والبعثة

وبينما النبي يتعبد في غار حراء الليالي ذات العدد انبلج فجر الايمان وتجلى عليه النور من سماء القدرة ونزل الروح الأمين جبريل بامر الله الجليل في ليلة مباركة مبلغاً ارادة الله اليه باختياره للنبوة والرسالة للقيـام باصلاح العالم وقال له اقرأ فقال له النبي صـلى الله عليه وآله وسلم ما أنا بقارىء. فقال له اقرأ « بسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » فعندها تجرّد عن المادة ولم يقرأ الآية الكريمة فحسب ولكنه قرأ الكون دالا على خالقه ووحدة العالم دالة على وحدة صانعه فانكشف له كل شيء من أسرار النبوة وتصور في قلبه عظمة العزّة الالهيـــة فكان لها رهبة وروعة وجلال في نفسه التي انتقلت من عالم الحس إلى عالم الروح فبردت اطرافه

ورجف جسمه

ومكث قليلا حتى سكن روعه ورجع ودخل على خديجة وقلبه مفعم بنعمة الله وهو ينتفض انتفاضة السعفة في الريح العاصف فنظرت اليه نظرة حنو وإكبار وهو يقول زملوني فزملته وأخبرها الخبر قائلا لقد جعلني ربي موضع عنايته وأكرمني برسالته وأخاف أن أكون قصرت تجاه رسول ربي

وأرجو تفضلا منه ورحمة التوفق لتأدية هذه الرسالة فأشرق وجهها سروراً وقالت له إن عيني ساهرة عليك أبشر واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة والله لايخزيك أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحتمل الكل وتقري الضيف وتعين على الحق فنظر اليها نظرة شكر ورأى أنه بحاجة إلى النوم فنام نوماً هادئاً وذهبت خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان من متنصرة العرب قرأ الكتب القديمة وبلغ من العمر عتيا فلما قصت عليه حديث محمد وما رأى وما سمع أطرق طويلا ثم قال والذي نفس ورقة بيده لقد جاءه الناموس الاكبر الذي كان يأتي موسى الكليم ولا ريب انه نبي هذه الأمة ورجعت خديجة جذلة مسرورة فوجدته نائماً فقعدت إلى جانبه تنظر اليه وإذا به يهتز وقد بلل العرق جبينه وجلس يسمع إلى ما أوحي اليه « يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر والرجز فاهجر ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر » فتقدمت اليه بكل رفق وعطف لكي يعود إلى فراشه ليأخذ نصيبه من الراحة فقال لها يا خديجة وأنى لي بذلك وقد أمرني الله أن ادعو الناس كافة إلى عبادته وحده فهل تصادف رسالتي أذن واعية تدحض الشرك وتوطد دعائم التوحيد واني ارجو من الله القوي العزيز أن يكلأني بعونه ويمدني بروح منه لهداية خلقه الى معرفته فجعلت خديجة ببلاغتها وزلاقة لسانها تشجعه وتذلل له الصعاب وأخبرته بما تنبأ ورقة بن نوفل فقال لها لست في شك مما أكرمني الله به وعادت بها اذاكرتها إلى عهد تحنثه في غار حراء وكيف رجع بعد مبعثه في حيرة وارتباك وطلبت اليه متى جاء الملك أن يخبرها ومذ علمت بمجيئه اجلسته على فخذها اليسرى ثم على فخذها اليمنى ثم في حجرها وهو ما يزال يراه فحسرت عن رأسها ونزعت خمارها

فاذا هو لا يراه فلم يبق عندها ريب أنه ملك كريم

ولقي النبي (ص) ورقة بن نوفل في فناء الكعبة فسأل النبي عما أخبرته به خديجة فقال له نعم ثم استطلع منه أموراً أخرى فانصت لحديثه مفكراً وأطال ثم قال والذي نفسي بيده انك نبي هذه الأمة ولقد جاءك الناموس الأكبر الذي جاء الأنبياء قبلك يا ليتني أكون فيه جذعا يا ليتني أكون حيا حين يخرجك قومك فقال له النبي (ص) أمخرجي هم فقال نعم لم يأت رجل قط بما جئت به إلا أوذي وان يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً وبعدها لم تطل حياته وتوفي

فالنبي جاءه الوحي بالأمر القاطع أن يدعو قومه خاصة والأمم عامة للدين الاسلامي دين الفطرة الهادي للسعادتين الدينية والدنيوية وتبين أن نبوته صلوات الله عليه تقدمت على رسالته ففي أول نزول الوحي سورة اقرأ نبوته وفي سورة المدثر رسالته بالنذارة والتشريع والبشارة

(فتور الوحي)

ولعل فتور الوحي لحكمة لا يعلمها الا علام الغيوب ولم يتفق المؤرخون عليها وقال بعضهم شهراً وقال الآخرون أربعين يوما ليميز الخبيث من الطيب من قومه فالمشركون ارجفوا بالاكاذيب بان محمداً قلاه ربه والمؤمنون ثبتوا على ايمانهم وما هي إلا اياما معدودات رحمة من الله ولطفاً بعبده ورسوله ليستروح بعد الحرمان وبعد الانقطاع عن الناس في غار حراء وليخفف عن كاهله عناء التعب والسهر حيث بذل وسعه واجتهد في عبادة ربه قائما ليله صائما نهاره وفي هذه الفترة اشتد هيامه وبرح به الشوق الى لذة مكالمة الروح الأمين سفير رب العالمين

وظهرت عليه امارات الحزن لا خوفا من الحرمان بعد الاحسان ولا حذراً من القطيعة بعد الاتصال لأن ثقته بالله عظيمة ولكنه الحنين الى محل أنسه وجلوة قدسه ولم يعبأ بما يتقولون به المشركون وقولهم بافواههم ولا بشماتة ام جميل زوجة عمه ابي لهب واذا بالوحي ينزل عليه بقوله تعالى « والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى وللآخرة خير لك من الأولى ولسوف يعطيك ربك فترضى ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى فأما اليتيم فلا تقهر وأما

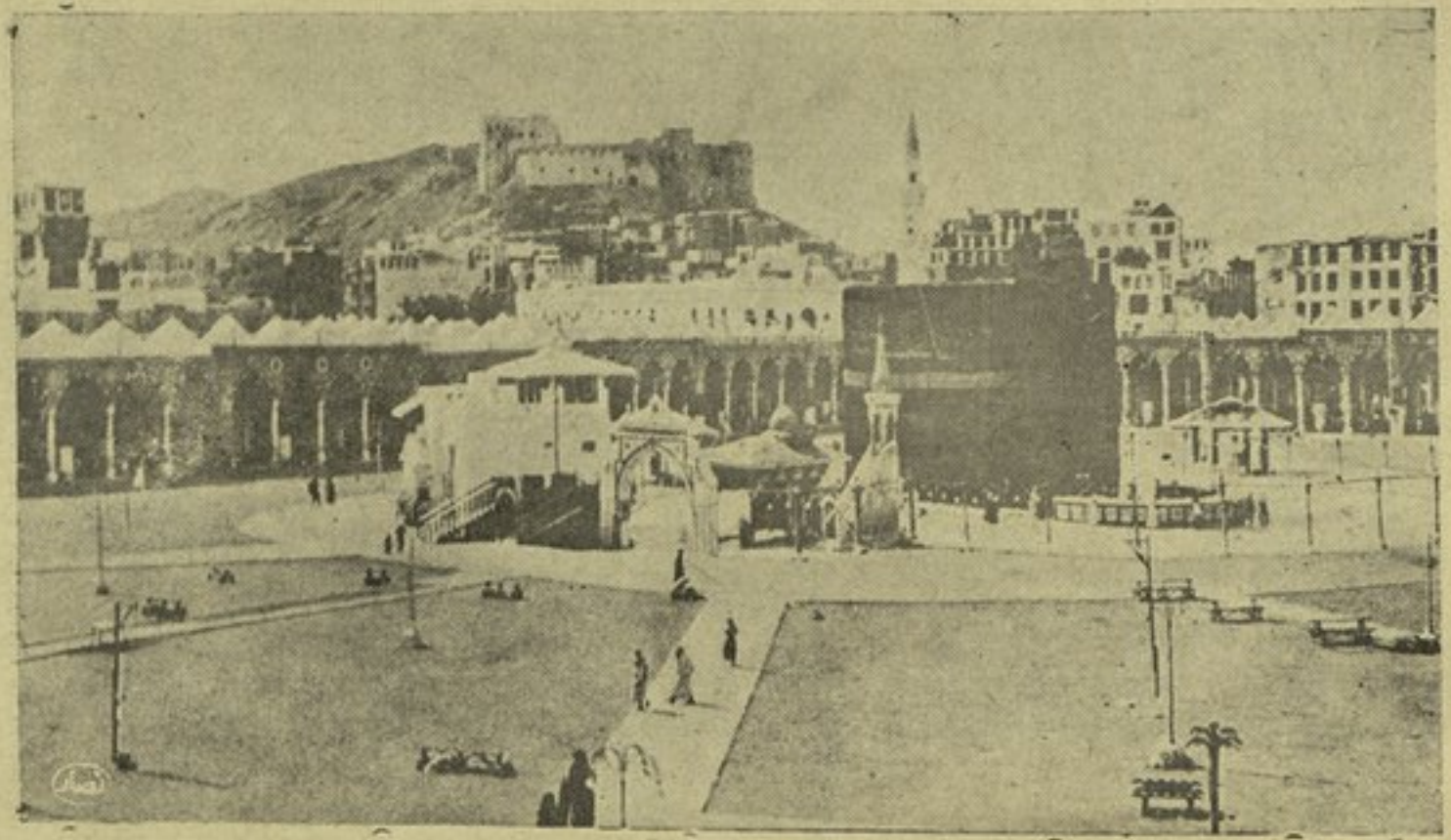

منظر عام للكعبة الشريفة وتروها قائمة إلى اليمين وتبدوا في الصورة مقامات أخرى وهي من اليسار إلى اليمين زمزم باب السلام مقام ابراهيم

السائل فلا تنهر وأما بنعمة ربك فحدث ، وبنزول الروح الأمين بهذه الآيات الباهرات تهلل وجهه وطابت نفسه وكبت اعداءه بتكذيبهم في قولهم قلاه ربه بعد ان غمره باحسانه واجتباه برسالته وطالما بغى (ص) التخلص من الأرض وقيودها لمناجاة رب الأرض والسماء في الليل الأليل حيث الفضاء فسيح للاستماع بالانس الروحاني لتلقي آيات الذكر الحكيم في حظيرة القدس فتتفتح أمامه مغاليق ما كان ومايكون من عظمة الله القادر وعلمه الفياض الذي لا نهاية له لينشط لأداء رسالته على الوجه الاكمل وتتالت الآيات بنزول جبريل عليه حيث كانت الدعوة سراً بينه وبين أقرب الناس اليه من اهله

(الصلاة)

وعلم الله نبيه الصلاة وأول من صلى معه زوجه خديجة أم المؤمنين وابن عمه علي بن ابي طالب باجماع المسلمين وجاء في الجزء الثاني من تاريخ أبي جعفر بن جرير الطبري صفحة «١١» قال بعث النبي (ص) يوم الاثنين وصلى علي معه يوم الثلاثاء وذكر الامام الحافظ ابن القيم الجوزية في الجزء الثاني من كتابه زاد المعاد بان علياً ابن ابي طالب أول الناس إسلاماً وبقي الاسلام محصوراً في بيت النبي فيه وفي زوجه وابن عمه

وأخرج ابن اسحاق ان ابا طالب قال لولده علياً أي بني ما هذا الذي أنت عليه قال يا أبت آمنت برسول الله وصدقت ما جاء به وصليت معه واتبعته قال له يا بني انه لم يدعك إلا الى خير فالزمه

ثم اسلم زيد بن حارثة وأبو بكر بن ابي قحافة ثم اسلم عثمان بن عفان والزبير ابن العوام وطلحة بن عبد الله وبلال وعمار وأبواه وأبا ذر الغفاري وعبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وغيرهم من المسلمين الاولين رضي الله عنهم أجمعين

ان إسلام هؤلاء الاشراف الذين رأوا الحق فاتبعوه ورأوا الشرك باطلا فنبذوه لدليل على هداية الله لهم حيث رأوا ما لم يره غيرهم وآمنوا بالله وبرسوله منهم الغني والفقير والأمير والحقير والسيد والعبد إذ لا طمع لهم بمال ولا جاه لأن النبي (ص)

كان خائفاً يترقب من أهله وعشيرته ولا يقدر على دفع الاذى عن نفسه ولاعن من اتبعه من المؤمنين فكانوا بايمانهم هدفاً للاستهزاء والعذاب والاهانة والقتل والتجويع وكلما تفاقم عليهم الأذى ازدادوا تمسكا بعقيدتهم وثباتا في دينهم وثابروا على عبادتهم الى أن محى الله بنور الحق ظلام الباطل والله معهم

(النزول والتنزيل)

القرآن دستور مكرم « لا يأتيه الباطلُ من بين يَديه ولا مِن خَلفهِ تنزيلٌ مِن حكيمٍ حَميد » جمع فأوعى « ما فَرّطنا في الكتاب من شيء » وهو أجل من أن يعرف بهر العرب بفصاحته وبلاغته وإعجازه فهو رائد الكتاب والشعراء والخطباء يتمثلون بآياته ويتفقهون باحكامه ، حفظ كيان اللغة ووطد دعائمها ورفع شأنها فهو الميزان الذي يرجعون اليه اذا اختلفت آراؤهم وتشعبت أهواؤهم لقد محى الأمية بين المسلمين بتهافتهم على قراءته وحفظه قوّم ألسنتهم فاعتدلت سليقتهم ولولاه لاقفرت معالم اللسان العربي واندكت معالمه وعفى أثره أنزله الله من اللوح المحفوظ نجوما على محمد (ص) على رواية حبر الأمة عبد الله بن عباس في اليوم السابع عشر للسنة الاحدى والاربعين من ميلاده وكان من أوله إلى آخره ثلاث وعشرون سنة وأول آية أوحاها الله اليه في غار حراء سورة العلق ولما كان اميا انكشفت له الحجب عن أسرار الوحدانية بوحدة الوجود ورأى أعلام النبوة منتشرة بعد الجحود فهتف قائلا الله اكبر « وقد صرحت الآية الاحدى والخمسين من سورة « حم عسق » بقوله جلت قدرته مخاطباً نبيه (ص) « وَما كانَ لبشر ان يُكلمهُ الله إلا وَحْياً أو مِنْ وَراء حِجاب أو يُرسِلَ رَسولا فَيوحِي بإذنِهِ ما يَشاءُ إنه عليٌ حَكيم »

وقد أجمع المفسرون أن نهاية التنزيل في السنة العاشرة من الهجرة وهي السنة ٦٣ من ميلاده حيث أوحي اليه بآخر آية عام حجة الوداع « اليومَ اكملتُ لكم دِينكم وَأتممتُ عليكم نعمتي ورَضيتُ لكم الإسلامَ ديناً »

فالقرآن الكريم كان نزوله أولا في مكة المكرمة لتثبيت عقيدة المسلمين بالدليل العقلي الذي لا يحتاج إلى برهان وتشتمل آياته على الوعد والوعيد لمن جحد التوحيد وما كان نزوله بالمدينة بعد الهجرة جاء لتشريع الأحكام والعبادات والمعاملات

وقد أثار تنجيم القرآن انتقاد المشركين ونزلت الآية الكريمة تدحض كلامهم وهي قوله تعالى «وَقالَ الذين كفروا لولا أنزِلَ عليهِ القرآنُ جملةً واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً» وآي القرآن المجيد تنقسم إلى قسمين مكي ومدني فالأول مدة إقامته (ص) في مكة وهي اثنا عشر سنة وخمسة أشهر وثلاث عشرة يوما وما نزل فيها من القرآن يقال له مكي والثاني ما بعد الهجرة للمدينة وهي تسع سنوات وتسعة أشهر وتسعة أيام وما نزل فيها من القرآن يقال له مدني فالمدة بين مبتدأ التنزيل ومختتمه ٢٢ سنة وشهران واثنان وعشرون يوما كما ضبطه احد المفسرين والسور المدنية ثلاث وعشرون وقيل ثمان وعشرون سورة وما بقي منها فهو مكي والقرآن عبارة عن مائة واربع عشرة سورة والآيات ستة آلاف ومائتين وست وثلاثون آية فالآيات المدنية نحو ثلث القرآن ويحتوي على قصص الغزوات عبرة وذكرى مع الشرائع الدينية وتفصيلها والشرائع الاجتماعية وتفسيرها وكل ما جاء به القرآن من قصص الأنبياء عن الأمم الخالية والقرون الغابرة عظات بالغات للاعتبار كما جاء في الذكر الحكيم «ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين وأنّ ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم» وذكر العلامة الشيخ بهاء الدين العاملي في كتابه الكشكول ان الكلمات التي اشتمل عليه القرآن «٧٣٤٤٠» والحروف «٧٢٢٣٣٢» حرفاً

— (الشرائع الدينية) —

بعد الاقرار بوحدانية الله الواحد الأحد وبنبوة عبده ورسوله محمد بن عبد الله خاتم النبيين (ص) بالدليل العقلي الذي لا يقبل الشك وبعد الاعتراف بكل ما جاء به هذا النبي الصادق الأمين من عند ربه بانه حق

نبدأ بالشرائع الدينية والاجتماعية

— (الصلاة) — صلة بين العبد وربه يجب عليه أداؤها باوقاتها بايمان وإخلاص متوجها بقلبه الى الله مستعيناً لهدايته الى الصراط المستقيم ويتحقق التقديس لله بالركوع والسجود والمثابرة على الصلوات الخمس يومياً كما أمر الله ورسوله بشرطها وشروطها «أقِمِ الصلاةَ طرفي النهار وزُلَفاً مِنَ الليلِ ان الحسنات يُذهِبنَ السيئات

ذلك ذكرى للذاكرين » وحث في كثير من الآيات على الصلاة وشرع الجمعة في هذا اليوم الذي اختاره في هذه الآية « يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون » وشرع صلاة الخوف وغيرها من الآيات المفاجئة وقد فرض الله الصلاة على عباده تنزيها عن الكبر وهي عمود الدين ان قبلت قبل ما سواها وان ردت رد ما سواها

—(الصوم)—

شرع في دار الهجرة وميز فيه شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن على النبي (ص) والصوم رياضة روحية تطهر النفس وتكبح جماح الشهوات ويحصل بها المساواة التامة بين المالك والمملوك والسيد والمملوك أمام الله عز وجل « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضاً او على سفر فعدة من ايام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوّع خيراً فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون » والصوم مع الاخلاص وصلة الارحام ينمي العدد ويزيد في الاعمار وقد قال الرسول (ص) صوموا تصحوا واجمع الاطباء ان الصوم مفيد للصحة وفرض الله عقيب الصوم صدقة الفطر وجعل قبول الصوم بذلها لاهلها المستحقين

—(فريضة الحج)—

شرع الله الحج للاخاء الانساني والتعارف والتعاون بين حجاج بيت الله الحرام بعد أداء الفريضة امتثالا لامر الله عز وجل « ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا » فاجتماع المؤمنين في صعيد واحد وهو المكان الذي انبثق منه النور النبوي في جوار البيت الحرام خاشعين مستجيبين لدعوة الله يؤدون شعائر دينهم ويعطفون على بعضهم بعضا ويرتبطون باقوى روابط الايمان الذي لا تنفصم عراه

—(الزكاة)—

الزكاة فريضة من فرائض الدين الاسلامي لدفع غائلة الفقر عن العجزة والمحتاجين من مال إخوانهم الاغنياء إجابة لقوله في الذكر الحكيم « وأقيموا الصلاة واتوا

الزكاة وأطيعوا الله ورسوله لعلكم ترحمون » وقرنها بالصلاة التي هي أس العبادات وقد فصل شروطها وتقسيمها على مستحقيها في سورة الأنفال والتوبة وفرضها الدفع غائلة الفقر بلا ضرر ولا ضرار ولها فوائد جمة مادية ومعنوية مشروحة في كتب الفقه والحديث وآي الزكاة والصدقات في كتاب الله زهاء الخمسين وآي الصلاة لا تبلغ الثلاثين فيا ليت اهل الثراء من المسلمين يحافظون على هذا النظام الالهي فتتضاعف ثروتهم وتربح تجارتهم فالدواء الناجع لانقاذ الانسانية من الشيوعية والفقر هو اخراج الزكاة لانها ركن من اركان الاسلام بعد التوحيد وجاءت آية الخمس في سورة الأنفال مفصلة حكمها لاهلها وكيفية انفاقها

ولو ساعد الغني الفقير ببعض مافرضه الله في ما له من الحقوق لانقذه من الفقر وقد جاء في الاثر « حصنوا اموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وهذه الحقوق فرضها الله لتزيد في ماله

(الجهاد)

شرع بالمدينة لردعادية الناصبين العداوة لله ولرسوله وللمؤمنين مصداقا للآية الكريمة « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير » وجعل الايمان وسيلة للنصر بالجهاد لا بكثرة العدد في هذه الآية « وان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا » فالايمان الصادق يدفع المؤمن للمفاداة ومنه تنبعث القوة ولا عبرة بالعدد

ويروى عن النبي (ص) انه قال « توشك الامم ان تداعى عليكم كما تداعى الاكلة الى قصعتها » فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل انتم كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل

(الشرائع الاجتماعية)

شرع الله القصاص والحدود رحمة منه بعباده كما جاء في هذه الآية « ولكم في القصاص حياة يا أولي الالباب » هذه الآية حكمة بالغة للقصاص والتأديب جمعت

فأوعت وجاء أيضاً « ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل » دحضا للفتن وعزة لولي المقتول وذلا لذوي القاتل

(الربا)

نهى عن الربا نهيا مؤكداً واحل البيع وحث على القرض « احل الله البيع وحرم الربا » لان اباحة الربا يترتب عليها فساد كبير وجشع واحتكار وحرمان والمرابي قلبه متحجر همه جمع المال والمستدين مخبول لاحتياجه وبالربا يضيع ثواب القرض الذي شرعه الله لتوطيد دعائم التعاون بين الناس والاية القرآنية تؤيد ذلك « إن تقرضوا الله قرضاً حسنا يضاعفه لكم »

(التعامل)

اوضح الله كيفية التعامل وما يتعلق به من الوفاء لاحتياج الانسان الى اخيه الانسان ووضع لذلك احكاما كلية وقواعد شاملة لدرء المفاسد وجلب المنافع بصورة تحفظ الحقوق بتسجيلها والاستشهاد على الدين خوفا من النسيان والجحود وأمرنا بالوفاء بالعقود بقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » وقال جل جلاله « ولا تسأموا ان تكتبوه صغيراً او كبيراً الى اجله ذلكم اقسط عند الله »

(المواريث)

فصل المواريث وجعل للمرأة نصيبها بعد ان كانت العرب لا تورث النساء ونهى عن الاستهتار باموال اليتامى وامرنا بحفظها لكي لا تكون أكلة لكل آكل كما نطق بذلك الذكر الحكيم « والذين يأكلون اموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا »

(الزواج والطلاق)

شرع الله الزواج وحرم التزوج بنساء مشركات وتزويج المشركين وأباح للمسلم ان يتزوج الكتابية وأباح التزوج باكثر من امرأة مع العدل واذا حصل

الخوف من عدم العدل فواحدة وجاء في القرآن الشريف « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم الا تعدلوا فواحدة » فالشرط الثاني قيداً للاول ودحضا للتعدد الذي ينشأ عنه التحاسد والتباغض والغيرة وأمر بحسن المعاشرة لكي لا تنفصم عرى الزوجية مع إعطاء المهر للزوجة وشدد في الطلاق لقوله عز وجل « الطلاق مرتان فامساك بمعروف او تسريح باحسان » واذا حصل التنافر بين الزوجين يكون العمل بالآية الكريمة « وإن خفتم شقاقاً بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها » للسعي في الوئام لان الطلاق نكبة لهما معاً وإذا استحكم النزاع بينهما ولا يمكن الاتفاق ففراق وبعد ذلك الرجوع للآية الكريمة « وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته »

(الامانة)

حث سبحانه وتعالى على تأدية الامانة تطهيراً للنفوس من وضر الخيانة بقوله « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها

(الشرك)

نهى عن الشرك المردي قال عز اسمه بتوحيده «ماتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون»

(الحرية)

إن الله جعل الناس احراراً في حياتهم الدنيوية وعقائدهم الدينية لقوله جل وعلا « فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال « ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر اولئك هم المفلحون »

(البر بالوالدين)

البر بالوالدين واجب عقلا وعرفا لا سيما في سن الكبر وقد بين هذا الواجب في الآيتين الكريمتين « وإن جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلي » ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما

كما ربياني صغيرا »

=(الزينة والطيبات)=

الزينة والطيبات أباحهما الله مع الاقتصاد وعدم الاسراف بالخروج عن المألوف عادة فقد أشار الى ذلك بالكتاب العزيز « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين» وقال « قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون »

الاعتبار

الاعتبار بالامم الغابرة كما جاء في هذه الآيات « فهل ينظرون الي سنة الاولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا » وقال « أو لم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » وقال « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين »

الاستئذان

من الآداب الاجتماعية الاستئذان وقد نبه اليها في كتابه العزيز « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون »

التحية

وحث على التحية تفضلا منه تعالى ليرشدنا الى التحبب للناس ويجزل لنا الاجر فقال « واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها »

تبذل النساء

نهى النساء عن التبذل تكريما لهن لكي لا يبدين زينتهن لغير محارمهن للقضاء على جرثومة الفساد إلا ما ظهر منها وهو الوجه والكفين والقدمين

الصفح والعفو

أمر بالصفح والعفو والترفع عن الانتقام بقوله جل شأنه « خذ العفو وامر

بالعرف واعرض عن الجاهلين » وقال « ادفع بالتي هي احسن السيئة نحن اعلم بما يصفون »

الثواب

بين لنا تبارك اسماؤه بان لكل عمل ثوابا فالدين الاسلامي دين التسامح للمسلمين ولغير المسلمين وهاتين الآيتين تدلان على ذلك « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » وقال « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

الصلح والعدل

لقد كشف الله لنا حقيقة العدل في الدين الاسلامي وغايته الاصلاح واقامة قسطاس العدل كما جاء في هذه الآية « وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الاخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله فان فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان الله يحب المقسطين »

المناظرة

فصّل الله لنا آداب المناظرة مع غير المسلمين لكي لا تتصدع الالفة ولا تنفصم عرى الاتحاد عملا بما جاء في كتاب الله « ولا تجادلوا اهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنّا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون

الديمقراطية الاسلامية

أول ما يقدس الواجب والحق ويفرض على كل إنسان ان لا يتعدى حدوده وقد وضع لكل نفس حارس عليها من ضميرها فلم يكن الدين الاسلامي في حقيقته غير حكم للنفس بقانون النفس فان أذنبت كان عقابها في احساسها وان احسنت كان شكرها من الاحساس نفسه ولا فرق في الحقوق والواجبات بين الملك والسوقة والرجل والمرأة والحر والعبد كلهم سواء يحاسبون على اعمالهم « ولا تزر

وازرة وزر أخرى » لانه دين الفطرة سمح سهل لم يخالف المعقول ولم يكلف النفوس فوق وسعها فالمدنية الغربية اقتبست من نوره نوراً أرشدها الى مختلف العلوم والفنون من معاهد بغداد والشام ومصر ومن جامعات الاندلس واست حضارة ملكت بها ناصية الماء والهواء

ولا يوجد أمة في تاريخ الانسانية قامت على الدين معتمدة على العلم غير الامة الاسلامية فركود ريحها لكي تتحفز للنهوض ليس ببعيد والعلم لا وطن له

قال بعض فلاسفة الغربيين « ان شعوب الارض لم تر فاتحا قط بلغ من الحلم هذا المبلغ يريد فاتحي الاسلام ولا دينا بلغ بلطفه ولينه هـذا الحد يريد الدين الاسلامي » فاذا كان هذا الدين جامعا للطريقة المثلى للحياتين في العصور الخالية ففي هذا العصر هو العلاج الناجع للشيوعية قبل ان تولد الشيوعية وفيه فكرة الاشتراكية المعتدلة قبل خلق هذه الفكرة ومن مبادئه الحرية والاخاء والمساوات وان دينا جمع هذه التعاليم السامية وهو خاتم الأديان السماوية فلا عجب اذا واكب الانسانية الى النهاية وكان علاجها لكل ما يتجدد فيها من الادواء اما الانحلال الذي طرأ على المسلمين في حياتهم الاجتماعية والسياسية وما اصابهم من الوهن والضعف يرجع كله الى عدم اعتمادهم على كتابهم وسنة نبيهم وخير دواء لاعادة مجدهم وحضارتهم وحصولهم على خير الدنيا والآخرة هو الرجوع الى الله والعمل باحكام الدين اقتداء بالسلف الصالح « ان الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

وانذر عشيرتك الاقربين

منذ بعث النبي (ص) وهو مثابراً على تاييد دين الله يدعو الناس سراً للاقرار بالشهادتين وقومه في طغيانهم يعمهون سادرين في غيهم عاكفين على أوثانهم يؤدي فريضة الصلاة هو ومن كان معه من المؤمنين مستخفياً في شعاب مكة خوفا من القرشيين وظل على هذا الحال ثلاث سنوات يعبد الله والاسلام يزداد انتشاراً بين المكيين تحت طي الخفاء ونزل في هذه المدة من الوحي الالهي على النبي (ص) ما زادهم ايمانا وتسليما وثباتا على دينهم ثم امره الله بالدعوة جهاراً وان يصدع بالامر

كما جاء بالكتاب المجيد « وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك فقل إني بريء مما تعملون » فدعا النبي (ص) عشيرته الى طعام في بيته ليدعوهم الى الله فلما امتلأت الدار ببني هاشم وبني عبد المطلب وغيرهم من رجال امرته أشار الى علي بن ابي طالب وقال له هلم طعامك فجاء به وتقدم الجميع للطعام وهو عبارة عن ثريدة لا تكاد تكفي رجـــلا واحداً مثلها فتقدموا وأصابوا منها جميعاً ولم تنقص وأخذهم العجب لان بطونهم لا تطلب المزيد ثم قال له اسقهم فطاف عليهم باناء هي ري احدهم فشربوا منه جميعا ولم ينقص منه شيئا وبعدها دعاهم رسول الله للاقرار بالشهادتين فانتفض ابو لهب قائما وقال أتأتينا بقالة منك يا ابن عبد الله وتزعم ان ربك اوحى اليك ثم تحسب اننا مصدقوك فلم يعبأ بكلامه النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه انه صورة طبق الاصل عن زوجه ام جميل بنت حرب بن امية وتكلم ثانيا بصوت هادىء ورنان ما اعلم رجلا من العرب اتى قومه بافضل مما جئتكم به لقد جئتكم بخير الدنيا والآخرة فعندها صاح ابو لهب بقوله والله لا تقدر تغلبنا على ديننا وترك مقعده بعد استنفار قومه للانصراف فاقبل النبي اليهم باسطا ذراعيه لهم يهيب بهم للقيام بنصرته وتصديق دعوته قائلا ان ربي أمرني ان ادعـوكم اليه فايكم يؤآزرني عـــلى هذا الامر فاعرضوا عنه وهموا بتركه

فاجابه عمه ابو طالب ما احب الينا معاونتك واشد تصديقنا لحديثك وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون وأنا احدهم غير أني اسرعهم الى ما تحب فامض الى ما امرت به

ثم استأنف النبي كلامه قائلا من يؤآزرني على هذا الامر وان يكون أخي ووصيي وخليفتي فلم يجبه منهم أحد عندئذ لم يعد في طاقة علي السكوت وكان احدثهم سنا واحمشهم ساقا فقام يهتف امام الرسول والقوم ينظرون اليه يارسول الله لا يحزننك اعنات القوم فعليهم ضلالتهم انا عونك انا حرب على من حاربت فابتسم بنو هاشم وقهقه بعضهم وجعل نظرهم يتنقل بين ابي طالب وولده علي وانصرفوا مستهزئين

ان اعراضهم عنه ومقاطعة ابي لهب له لم يوهن عزمه ولم تهي همته ولكنه اغض

على القذى وكظم الغيظ وتجرع الغصة وصعد الصفا يوما ونادى يا معشر قريش فقالت قريش محمد يهتف على الصفا لماذا واقبلوا عليه يسألونه ما يريد فقال لهم لو اخبرتكم ان خيلا في سفح هذا الجبل اكنتم تصدقوني قالوا نعم انت عندنا غير متهم وما جربنا عليك كذبا قط قال فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد يابني عبد المطلب يا بني عبد مناف يا بني زهرة يا بني تيم يا بني مخزوم يا بني اسد ان الله امرني ان أنذر عشيرتي الاقربين واني لا املك لكم من الدنيا منفعة ولا من الآخرة نصيبا الا ان تقولوا لا إله إلا الله فنهض ابو لهب وقال له تباً لك سائر هذا اليوم جمعتنا لهذا فارتج على النبي ولم يجبه ونظر اليه ثم جاءه الوحي من اللطيف الخبير بقوله جلت عظمته « تبت يدا أبي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد » هكذا اوردها البخاري في الصحيح ويروى عن اسماء بنت ابي بكر قالت لما نزلت هذه السورة اقبلت العوراء ام جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر وهي تقول « محمدا بينا ودينه قلينا وأمره عصينا » والنبي (ص) جالس في المسجد ومعه ابو بكر فلما رآها ابو بكر قال يا رسول الله قد اقبلت وأنا اخاف ان تراك قال رسول الله لن تراني وقرأ قرآنا فاعتصم به كما قال « واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا » فوقفت على ابي بكر ولم تر رسول الله فقالت يا ابا بكر اخبرت ان صاحبك هجاني فقال لا ورب البيت ما هجاك فولت وهي تقول « قريش تعلم اني بنت سيدها »

لم يقف غضب ابي لهب وزوجه ام جميل ولا خصومة قريش دون انتشار الدعوة الى الاسلام في مكة والنبي (ص) انتقل بعد دعوة عشيرته الاقربين الى الناس جميعا غير مبال باعراضهم عنه لانه على يقين بان الله سيؤيده على اصلاح قومه والناس اجمعين ان لم يكن عاجلا فآجلا لأن لكل شيء نهاية ولكل شر زوال ولكل ضيق فرج ولكل هم مخرج والصبر قدوة والثبات نجاح والله سبحانه وتعالى بالمرصاد والعاقبة للمتقين ولم يطل الامر كثيرا على اقبال الناس جماعات جماعات للدخول بالدين الاسلامي والتصديق لما جاء به من الحق باخلاص وإذعان رغبة لا رهبة

لنيل السعادة الابدية والحق احق ان يتبع لانه يطلب الهداية للذين يناصبونه العداء لتحريرهم بوحدانية الله من ربقة الوثنية بيد ان عناية الله به كفيلة بانتصاره على المشركين أضف الى ذلك شخصيته الفذة ودماثة اخلاقه وما عرف به من الصدق في القول والعمل والثبات والكرم والزهد وقوة الارادة كلها صفات متضافرة على نجاح دعوته

خطر ملموس

اجتمع ابو لهب وابو جهل وابو سفيان وغيرهم من اشراف القرشيين حيث بدأوا يشعرون بان دعوة النبي (ص) اصبحت من الخطر الملموس الذي لا يحسن السكوت عليه ليس على اصنامهم فحسب بل على اقتصادياتهم وعلى مكانتهم الاجتماعية بين العرب فالأصنام مورد رزق لهم يحجون اليها من جميع الاقطار ويبذلون ما عز وهان في سبيل زيارتها وبسقوطها تسقط هيبتهم فيفشلون فشلا ذريعاً ولا تكون لهم هذه المكانة المحترمة بين القبائل فتداولوا بالأمر وقرروا على محاربته وتكذيبه والاستهزاء به وأوعزوا الى شعرائهم بهجائه وثلبه واختلاق المساوىء للحط من شأنه وتولى هذا السباب الكاذب عمرو بن العاص وابو سفيان ابن الحارث وعبدالله بن الزبعرى ومذ علم المسلمون وقفت طائفة منهم يقرضون الشعر للرد عليهم مع ان النبي (ص) لم يكن بحاجة إلى مناظرتهم لبراءته من كل عيب وأكاذيبهم التي زوروها ظاهر فسادها فلم تجدهم فتيلا فاغروا احد سفهائهم على قتله والخنق اخذ منهم كل مأخذ كانهم أصيبوا بداء السعار فكان منزله يرجم بالحجارة واتباعه من المؤمنين يعذبون بالوان من العذاب بلا هوادة وهو صابر محتسب يتحمل الأذى ليفيئوا الى رشدهم ويتطهرون من دنس الشرك

لقد امعن جبابرة قريش في الاذى والظلم انتصاراً لاصنامهم وأصروا على المقاومة بدافع الحقد والحسد والغيرة خوفاً على سلطانهم من الزوال لأن الاسلام من تعاليمه المساواة بالحقوق والواجبات بين الرئيس والمرؤوس « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلم يرق لهم ذلك اقتداء بالامم الماضية الذين كفروا برسالة أنبيائهم فحاربوهم وآذوهم واضطهدوهم وكان عاقبة امرهم خسرا

الجهر بالدعوة

بعد ان جاهرهم بالدعوة احتدمت قريش غيظا وتمادت في الغي ولجت في الطغيان وتردت بالجهالة فكان سفهائهم يرمون النبي (ص) بالحجارة والأقذار وآل الامر بابي جهل ان يلقي عليه وهو في صلاته رحم شاة مذبوحة ضحية للأوثان فيتحمل هذا الاعتداء الفظيع ولم ينتصر لنفسه وذهب الى ابنته فاطمة سلام الله عليها لتعيد له طهارته وتغسل ما لحق به من الدرن اضف الى ذلك ما كان المسلمون يسمعون من لغو القول الجارح وهجر الكلام القبيح حيثما ذهبوا ويقابلونهم بالتهديد والوعيد على مرأى من الرسول الذي يحثهم على الصبر والثبات ضارعاً الى الله كما امره « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن » فاتبع صلى الله عليه وآله وسلم في نشر دعوته الحكمة والصفح والموعظة واثقا بوعد الله له صابرا محتسبا ممتثلا الأمر الالهي الموحى به اليه « واصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل »

وكان المسلمون من غير الموالي يضربون ضربا مبرحا ويسومونهم انواعا من العذاب ولم يزهدهم ذلك إلا استمساكا بدينهم وحرصاً على ايمانهم حتى ان خباب ابن الارث كانت مولاته تحمي له الحديد بالنار وتضعه على كتفه وظهره ليكفر بدين التوحيد فتراه اشد صلابة واقوى ايمانا وعذبت امرأة حتى ماتت ولم ترجع عن ايمانها وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمار بن ياسر وابويه وهم يقاسون العذاب صبراً آل ياسر فموعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت وهكذا كان المشركون يعاملون اهل التوحيد

ولما كان الناس يتنفسون بعقولهم كما يتنفسون برئاتهم ولا بد أن يكون هناك دورة فكرية كما يتعين ان يكون دورة هوائية فالانسان لا يستنكر شيئا بقدر ما يستنكر رأي شخص يعارضه في اعتقاده فمن دواعي الفخر للمسلمين الاولين دفاعهم عن عقيدتهم ومبدأهم بكل ما أوتوا من قوة وصبر وجلد حتى الموت

في هذا الدور المشؤم لم يكن الرسول بنجوة من الأذى ولكنه تحت رعاية

عمه ابو طالب وسهر زوجه السيدة خديجة عليه خوفا من الاغتيال كانوا يتحامونه نوعا لان ابا طالب لا ينفك عن حراسته هو بنفسه بكرة وعشياً ولا يفوته ما يبيتونه له المشركون في مؤتمراتهم فيحتاط للامر ويقف في سبيل نواياهم السيئة عقبة كاداء. واما السيدة خديجة فكانت تبعث العزيمة والنشاط في قلبه الكبير وتجدد قواه وتخفف أذاه وتضمد آثار الجروح التي اجترحتها قريش معه وعندما ادركت قريش قصر باعها عنه بعد استعمالها الشدة واللين وبعد ان علمت ان ابا طالب يحمي ابن اخيه من كيدهم وان بني هاشم يندفعون معه بعصبية القربى ثاروا ولجوا في طغيانهم وتحجرت قلوبهم وغمرهم اليأس وبالغوا في أذى المسلمين قتلا وتعذيبا وتمثيلا وجعلوهم عرضة لسيوفهم وحرابهم لا يتورعون عن سفك دمائهم وارهاقهم ولا درع يقيهم من هذا البلاء غير الصبر والايمان ينتظرون اللطف من الله بهم وعون الرسول في إنقاذهم مما يحيق بهم من الظلم هنالك أشار عليهم النبي (ص) ان يتفرقوا في الارض حتى يجعل الله لهم فرجا مما هم فيه فسألوه أين نذهب فقال اذهبوا الى بلاد الحبشة المسيحية فان فيها ملكا لا يظلم عنده احد وهي ارض صدق لكم

الهجرة الى الحبشة

اذن الرسول اصحابه بالهجرة الى الحبشة سنة خمس من النبوة وهي الهجرة الاولى فهاجر اليها ناس ذوو عدد منهم من هاجر باهله ومنهم من هاجر بنفسه وكانوا إحدى عشر رجلا واربع نسوة واميرهم عثمان بن مظعون تسللوا من مكة لواذا واقاموا في خير جوار من النجاشي لم يوذوا ولم يسمعوا شيئا يكرهونه وبعد ثلاثة أشهر رجعوا الى مكة عند ما علموا ان حمزة بن عبد المطلب المعروف بالشجاعة وقوة البأس والجاه العريض انحاز الى ابن اخيه بعاطفة الرحم والقربى وقاطع القرشيين ومجتمعاتهم وذلك ان الله اراد شيئا هيأ أسبابه وهو ان ابا جهل نال من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشتمه وآذاه ومذ علم حمزة بوقاحة ابوجهل مع ابن اخيه لم يطق صبرا ولاقاه في فناء الكعبة وضربه ضربة منكرة على رأسه فجشه واقتص منه لابن اخيه من الظالم الغشوم وبعد هذا احجمت قريش عن اذى

النبي واصحابه كي لا تثير حربا اهلية تقضي على القبائل القرشية لانه اسلم رجال من مختلف قبائلها وبيوتاتها المحترمة لذلك تنادت للاجماع في دار الندوة للمداولة في هذا الامر وبعد تبادل الآراء تضامنت وجددت عزيمتها واتفقت على انتهاج خطة المقاومه ضد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومن اتبعه من المؤمنين

وهذه الفترة القصيرة كانت الحاجز بين الهجرتين وفي غضون ذلك كان المهاجرون في مكة مطمئنة قلوبهم في جوار النبي في امن ودعة لاعتقادهم ان القرشيين هدأت ثورتهم ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد متابعة عمه حمزة له وهو ذو مكانه مرهوبة بين قومه وفجأة استأنفت قريش العنت والأذى للمسلمين بعد الاجتماع في دار الندوة فعندها غادر المهاجرون مكة وذهب معهم كل من استطاع اللحاق بهم وهي الهجرة الثانية وعدة اصحابها ثلاث وثمانين رجلا وثماني عشرة امرأة ورئيسهم جعفر بن ابي طالب وانضم اليهم الذين اسلموا من جهة اليمن وكلهم جاز الشعيبة من البحر الاحمر الى بلاد الحبشة فتلقاهم النجاشي لقاء حسنا واذن لهم المقام في بلاده آمنين على انفسهم ودينهم وقد آثروا الهجرة والاغتراب ومفارقة الوطن ومشقة السفر على الاقامة بين قوم جمحت بهم الغوايه وتهافتوا على الضلال

حديث الغرانيق

يؤلمني وايم الله ويؤلم كل مؤمن بالله واليوم الآخر ماسطره بعض المستشرقين نقلا عن بعض المؤرخين قولهم بان رجوع المهاجرين الاولين الى مكة مبني على اتفاق عقد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين مشركي قريش على أن لا يتعرضوا له ولأصحابه باذى إذا هو أشاد بذكر أصنامهم مدحاً وثناء وأنه قرأ اول آية من سورة النجم وقال « والنجم إذا هوى » وقال خارجا عن السورة تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترجى أي أصنامهم ولعمري إن مقام صاحب الشريعة الاسلامية صلوات الله عليه أجل وارفع من هذا القول الهراء وحاشاه أن يخرج عن أمر ربه قيد شعرة ورسالته الإلاهية لاتؤثر عليها هذه الأباطيل

السخيفة «يُريدُونَ أن يُطفِئوا نُورَ الله بأفوَاهِهِمْ وَيأبى الله إلا أن يُتِمَّ نُورَهُ ولو كره الكافرون» والذين ذكروا هذه الاسطورة تجاهلوا ما جاء في الذكر الحكيم مخاطباً رسوله الأمين «ولولا أن ثبّتناكَ لقَد كدتَ تركنُ اليهم شيئا قليلا» فالاحتجاج بقصة الغرانيق احتجاج سقيم يتنافى مع سموّ مقام الرسول الكريم عقلاً وشرعاً وعرفاً وقد فند هذه الخرافة العلامة الشيخ محمد عبده المصري وغيره من علمائنا الأعلام فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم مقدس في قوله وعمله مؤيد بروح القدس

وذكر القاضي عياض في الشفاء ان حديث الغرانيق لم يخرجه أحد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند مسلم متصل فقائل يقول ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قرأ في الصلاة والنجم إذا هوى وقال بعدها تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى وقائل آخر قال انه قالها في نادي قومه وآخر قال انه قالها وقد أصابته سنة وآخر قال بل حدث نفسه وسها وهذا كله تهجم قبيح على خاتم الأنبياء والمرسلين لأن الله عصمه من الخطأ والزلل وسياق الآيات لا ينسجم مع كلمة الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فالذم والمدح لا ينتظم في سلك الآيات المتعاقبة مع هذه الكلمة ولا يستسيغه العقل ولا يقول به إلا مخبول لم يتذوق بلاغة القرآن فالتناقض والاضطراب ظاهر ومخالف للتوحيد الذي بني عليه الاسلام وقد رأيت الامام الطبرسي صاحب مجمع البيان في تفسير القرآن وهو من أكابر العلماء والمفسرين تجاهل هذه الخرافة ولم يأت على ذكرها في تفسيره الكبير لا تصريحاً ولا تلميحاً

واني أقسم غير حانث ولا عابث برب الغرانيق السانحات البارحات كانهن الحور في الجنات بان رواية الغرانيق سداها ولحمتها الاختلاق والتلفيق والتمويه فيها ظاهر لا يحتاج الى تمحيص وتحقيق

سفارة قريش الى النجاشي

ان استقرار المسلمين في بلاد الحبشة اقض مضاجع قريش حينما علموا ان النجاشي اكرم وفادتهم وتعهدهم بعنايته وضمن لهم الراحة وطيب الاقامة تحت كنفه

فقر رأيهم على ارسال عمرو بن العاص المعروف بالدهاء وعبد الله بن ربيعة رفيقاً له في هذه السفارة واصحبوهما بالهدايا والتحف الى النجاشي وبطارقته يطلبون منه طرد المسلمين من بلاده ليردوهم الى قومهم وبوصولهما تقدما الى النجاشي والبطارقة بالهدايا ووقف عمرو خطيباً وقال أيها الملك انه قد ضوى الى بلدك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك وجاءوا بدين لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشرافهم ورؤساء قومهم وعشائرهم لتردوهم اليهم فهم اعلى بهم عيناً وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه وكان السفيران اتفقا مع البطارقة ان يعاونوهم عند الملك على ارجاع المسلمين الى قريش ولكن الملك أبى ان يخفر ذمامه قبل ان يسألهم عن حقيقة دينهم وعبادتهم فبعث في طلبهم ليسمع منهم فلما جاؤا قال لهم ما هذا الدين الذي تدينتم به وفارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين احد فتقدم جعفر بن أبي طالب وقال

أيها الملك كنا اهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتي الفواحش ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف حتى بعث الله رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وزهده فدعانا لتوحيد الله وأن لا نشرك به شيئاً ونخلع ما كنا نعبد من الأصنام وأمرنا بصدق الحديث وصلة الأرحام وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن وعن قول الزور وأكل مال اليتيم وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام لله عن المحرمات وأمرنا بالاحسان للمعوزين فآمنا به وصدقناه واتبعناه فعدا علينا قومنا وعذبونا ليفتنونا عن ديننا فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا خرجنا من بينهم إلى بلادك واخترناك على سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك

وقال له النجاشي هل معك شيء تقرأه علينا من مصحف نبيكم فقال له جعفر نعم وتلا عليه سورة مريم « بسم الله الرحمن الرحيم . كهيعص ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ

يعقوب واجعله رب رضيا يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا » ولما انتهى الى ما جاء من ولادة عيسى من هذه الآية بلسان العذراء البتول « وأشارت اليه في المهد قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال اني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت واوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام عليّ يوم وُلدت ويوم اموت ويوم ابعث حيّا ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون

فلما سمع البطارقة هذه الآيات البينات قالوا هذه كلمات صدرت من النبع الذي صدرت منه كلمات سيدنا يسوع وقال النجاشي ان هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة ثم التفت الى ابن العاص ورفيقه عبد الله بن ربيعة وقال لهما انطلقا لا اسلمهما اليكما وخرجا مخذولين ولكنهما لم ييأسا لأن عمراً لا يعدم حيلة للوقيعة بين النجاشي والمسلمين وفي الغد جاءا اليه وقالا له أيها الملك ان هؤلاء الذين آويتهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم واسألهم عما يقولون فيه فتقدم جعفر بن ابي طالب وقال نقول الذي جاء به كتابنا بلسان نبينا هو روح الله ورسوله وكلمته القاها إلى مريم العذراء البتول فقال النجاشي ليس بين دينكم ودينا اكثر من هذا الخط وخط خطاً في الأرض وصرف عمراً وعبدالله ورجعا إلى مكة بخران أذيال الخيبة وبقي المسلمون في ظل النجاشي العادل آمنين

ونقل عن اللورد كرومر العميد البريطاني في مصر انه قال لو اجتمع علماء الشرق والغرب على وصف الدين الاسلامي لما أتوا احسن واخصر واجمع من وصف مهاجري الحبشة له

إن هجرة المسلمين إلى مملكة النجاشي واقامتهم في جواره الى السنة السادسة من الهجرة في دعة وأمن وسلام ولا تربطه بهم اواصر القربى ولا القومية ولا صلة الدين ولا اللون يعتبر درسا قاسيا لقريش لتتعلموا منه كيف يجمى النزيل وكيف يحترم الضيف لا سيما بعد رجوع عمرو بن العاص ورفيقه فاشلين في سفارتهما اليه حيث علم سوء نواياهم وفساد ضمائرهم وقولهم فيهم غير الحق وادرك ان قريشا

ركبت متن الشطط في خطتها الملتوية في اذى المسلمين وتشريدهم عن اوطانهم وهم منهم واليهم

—(اسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما)—

كان حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم خواض غمرات أبي الضيم شجاعاً مقداماً اسلم أول السنة السادسة من النبوة وباسلامه داخل قريش الجزع والخوف وايقنوا أن أصنامهم غمرها الذل والهوان وطغى عليها الاسلام وان مقاومتهم لا تجدي فتيلاً وتوقفوا عن الكيد والأذى للنبي قليلا بعدهذه الصدمة رهبةلارغبة وفي هذه السنة اسلم عمر بن الخطاب وكان في فتوة الرجال بين الثلاثين والخامسة والثلاثين واسع الذرع تخشى بوادره لأنه من اشد قريش اذى للمسلمين حادالطبع سريع الغضب محباً للهو والخمرة ولكنه مفكر بعيد النظر ولما علم ان مهاجري الحبشة في أمن ودعة في بلاد النجاشي شردوا من بلادهم معتصمين بالهجرة لردعادية الظلم عنهم من قومهم وذويهم تألم وادرك ما لا يدركه غيره من قومه من مغزى وشعر في ضميره بالم ووحشة وفي بعض الايام كان النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عند الصفا واصحابه حوله ومن بينهم عمه حمزة وعلي بن ابي طالب وأبو بكر وعمار بن ياسر والزبير بن العوام وعثمان بن عفان فرآه احد المسلمين فهمس في اذن حمزة جاء عمر بن الخطاب فقال له دعه يدخل وهذا سيفي بيدي ان كان يريد بنا سوءاً فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم دعوني انظر اليه اولا واني ارجو ان يهديه الله للاسلام فدخل ولما نظر اليه النبي اعلن اسلامه ونطق بالشهادتين واعتز المسلمون باسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب بقدر ما دخل الذل على المشركين

—(وفود قريش الى ابي طالب)—

ومذ علمت قريش باسلام عمر بعد ما اسلم حمزة جاشت مراجل البغضاء في صدورهم على النبي صلى الله عليه واله وسلم واستثار عليه كمين حقدهم ودفين ضغنهم وأبديهم قاصرة عنه ولا يجرأون على إيصال الاذى اليه فاجتمع صناديدهم

ومفكروهم افراداً وجماعات متألبين الى منزل عمه ابي طالب للمفاوضة معه في شأن ابن اخيه والقلوب منتفخة غضباً وغيظاً وبدخولهم عليه تكلم اكبرهم سناً واذلقهم لسانا وقال له أيها السيد الجليل ان لك ولآبائك الاعظام والاكبار في نفوسنا وطالما جاهدتم وجالدتم لحماية هذا البيت المقدس ورفعتم شأننا بين العرب في جميع الادوار الغابرة أمن العدل يا ابن عبد المطلب ان يغمرنا الذل من حيث اتانا العز وان يحيق بنا الموت الزؤام من بيت عظيم طالما لذنا بفنائه وآوينا إلى ظله اذا ادلهم الخطب وعبس الدهر فاحكم بيننا وبين ابن اخيك الذي خالف سنن آبائه وجاهرنا بالعداوة وعمل على اذلالنا وعاب آلهتنا ليصرفنا عن عبادتها وأتانا بدين جديد يجعل الآلهة إلهاً واحداً وقد صبا له افراد مستضعفون يقولون بقوله ويعملون بعمله يفدونه بارواحهم ولا يبالون بالقتل والتعذيب في سبيل رضاه وبالامس مالأه على دعوته من خيرة القرشيين من كنا نعتمد عليهم في زعازع الايام وضرائها فالقبائل تردد اسمه في السفر والركبان تشدو بذكره في الحضر فهو في صعود مطرد ونحن في هبوط مستمر أما واللات والعزى لئن لم يرجع عما هو عليه لنثيرنها عليك وعليه حربا ضروساً لا تبقي ولا تذر انكون ضحية المس الذي يعرض له بين حين وآخر فتدبر هذا الأمر فالسيل قد بلغ الزبى والحزام الطبيين والنفوس لا تصبر على الضيم

ولعمري ما دعاهم الى الرجوع الى ابي طالب الا عند ما شعروا بعجزهم واحسوا بضعفهم عن مناظرته بالبيان ودحض حجته بالبرهان ومع ما هم عليه من الصلف والكبرياء يتحاشون ان يكلموه هيبة له ورهبة منه وفيهم شيوخ قريش ورجالها المصاليت كان ابا طالب جهل قومهم وتخشاهم تهديدهم وهو السياسي الحاذق البصير الذي حمى ابن اخيه من كيدهم وساعده على تثبيت دعائم دعوته بين ظهرانيهم بحكمة وروية من حيث لا يشعرون وكثيراً ما تذرعوا بالعنت والاستهزاء والظلم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين به فباؤا بالخيبة والحق غلاب

ولقد عظم على أبي طالب فراق قومه بعد مجابهتهم له بالتهديد والوعيد تارة وباللين والتودد تارة أخرى ولم يطب نفساً في خذلان ابن اخيه ولكنه ردهم

بلطف ورفق وبعد انصرافهم قال ابو طالب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم يا ابن اخي ما بال قومك يشكونك فقد جاؤا الي وقالوا كذا وكذا فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق فقال له يا عماه والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على ان أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله او اهلك دونه ثم استعبر باكياً كأنه حسب ان عمه سيخذله ويتقاعس عن نصرته والقيام دونه فعندها قال له ابوطالب يا ابن اخي امض لأمرك وقل ما احببت ولا يداخلك الوجل والخوف فانك على الحق فوالله لا اتقاعد عن نصرتك ولا اخذلك ما دمت حياً وخاطبه بقوله

« والله لن يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفينا »
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة واجهر بذاك وقر منك عيونا »

هنا تجلت عظمة الرسالة المحمدية وانبلج صبح اليقين بالثبات على الحق في ذاته المقدسة عند ما وقف على تهديد قومه وغطرستهم ووعيدهم ومقالتهم بعد ما طلب منه عمه ان يكف عن محاربتهم وان يبقي على نفسه وعليه ويخفف عن كاهله ما لا يطيق حمله ظن ان عمه عازم على القعود عن نصرته فترقرقت الدموع في مقلتيه حيرى فكانت جارحة حادة تقطع نياط قلب ابي طالب وتكلم النبي (ص) بكلمته الخالدة صادعاً بامر ربه ولو وقف العالم بوجهه فالله سبحانه وتعالى ارسله ليس لقومه فحسب بل للعالم كافة فعندها اندفع ابو طالب بقوله يا ابن اخي امض لأمرك ولا تخف من احد والحب والحنو والعطف يهدهد صدره صادقاً عن قومه ناصراً له متجاهلا الصعوبات التي تعترض هذه العزيمة الصادقة

ومذ علمت قريش بما دار بين ابي طالب وابن اخيه وانه شجعه على المضي في امره وانه لا يخذله مشوا اليه ثانية ومعهم عمارة بن الوليد ليغروه به بدلا عن ابن اخيه وكان شابا وسيما جميل المحيا له مكانة اجتماعية بين القرشيين وقالوا له ان هذا الفتى انهد فتى في قريش فخذه ولداً واك عقله واسلم لنا ابن اخيك الذي خالف الدين وفرق جماعة قومه ولنا الحكم به لينال جزاءه فانما هو رجل برجل فاحتدم ابو طالب غضباً وقال لهم لبئس ما تسومونني وتخدعونني ان ما جئتم بـه لا يقبله

الا ضعيف الرأي خامل الذكر اتعطونني ابنكم أغذوه لكم واعطيكم ابني لتقتلوه لا يكون ذلك ابداً وقال

« لقد علموا ان ابننا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الأوائل »
« فاصبح فينا احمد في ارومة يقصر عنها سورة المتطاول »
« حدبت بنفسي نحوه وحميته ودافعت عنه بالذرى والكلاكل »

=(الحصار بالشعب والصحيفة)=

بعد رجوع القرشيين من عند ابي طالب بصفقة المغبون وشاهدوا عزة النبي (ص) في مكة كل يوم باعتصامه في عمه ابي طالب في ازدياد مستمر وعلموا ان كثيراً من القبائل تود الدخول في الدين الاسلامي وبعد ان كان المسلمون يقيمون الصلاة في شعاب مكة خوفاً من اذى قريش اصبحوا يؤدون شعائر دينهم في فناء الكعبة على مرأى منهم ومسمع فانتكثت مراثرهم ورثت حبالهم ورأت ان الاذى للرسول (ص) ولاصحابه لا يعطيهم النتيجة التي يتوخونها ولن يحول الناس عن الاقبال عليه فأتمروا في ما بينهم واجمعوا على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب مقاطعة تامة فلا يكلمونهم ولا يتبايعون معهم ولا يزوجونهم ولا يتزوجون منهم فبلغ ابا طالب ما اجمعوا عليه فجمع عشيرته واخبرهم بما عزموا عليه وزادهم تأكيداً بانهم كتبوا صحيفة بخط بغيض بن عامر وعلقوها في جوف الكعبة هلال محرم سنة سبع من النبوة ومضمونها انهم لا يقبلون صلحاً من بني هاشم حتى يسلموهم الرسول (ص) للقتل فانحاز بنو هاشم وبنو المطلب الى عميدهم ابي طالب فدخلوا معه في شعبه الا ابا لهب بقي مع قريش

لقد سلك القرشيون في طريق مقاطعة الهاشميين سياسة سلبية من حصار وتجويع وحرمان لينالوا ما يصبون اليه وما يبتغونه من الرضوخ لحكمهم ليحملوهم على القعود عن نصرة النبي والانفكاك عنه وخذلانه لان قلوبهم قست واكبادهم غلظت وتولى ابو جهل وعقبة بن ابي معيط والعاص بن وائل السهمي قطع الطريق على كل من يريد برهم وصلتهم وعلى كل من يميرهم وضيقوا عليهم الخناق حتى

جهدوا ولم ينقطعوا عن أذى المسلمين وتعذيبهم يرجون من وراء ذلك الوصول الى النبي (ص) باعتزال اهله عنه وحينئذ لا يبقى لدعوته خطر على آلهتهم وكان لا يصل اليهم شيء الا سراً ولم تأل قريش جهداً في بث العيون والارصاد على النبي لاغتياله بالشعب ولكن ابو طالب خوفاً من غدرهم كان في ظلام الغسق يأتي بابنه علي ويأمره ان يضطجع في فراش الرسول ويأتي النبي فينام الى جانب فراشه فيحرسه بنفسه والنبي (ص) لم يهن ولم يحزن ولم يزده عنت قريش الا اعتصاماً بالله ولم يزد اهله والمؤمنين به الا ذوداً عنه واقراراً بمبادئه ولم يحل تضييق قريش دون انتشار دعوته حتى سار الدين الاسلامي مسير الشمس في جزيرة العرب بعد ان كان نوره لا يتجاوز مكة وشعابها وأقاموا على حصارهم بالشعب سنتين وقيل ثلاث سنوات ذاقوا بها الأمرين

(رفع الحصار عن النبي والهاشميين)

فلما كان على رأس ثلاث سنين اتفق رجال من قريش قد ولدتهم نساء من الهاشميين علموا انهم قطعوا الرحم واستخفوا بالحق وضيعوا صلة القربى ولم يستنكروا الباطل واجمع امرهم من ليلتهم على نقض ما تعاهدوا عليه من الغدر والظلم والبراءة واطلع الله رسوله على ما آلت اليه صحيفتهم التي مكروا فيها برسول الله (ص) بان الارضة لحست كل ما كان فيها من عهود ومواثيق وجور وظلم وبغي وقطيعة ولم يبق مما كتبوه فيها غير اسماء الله تعالى فذكر النبي ذلك إلى عمه ابي طالب فقال ابو طالب لا والثواقب ما كذبني ابن اخي وانطلق من الشعب بعصابة من بني عبد المطلب حتى اتى المسجد وهو حافل بالجماهير من قريش فلما رأوهم انكروا خروجهم من الحصار وظنوا انهم جاؤا نزولا على حكمهم ليعطوهم الرسول بما نالهم من الضعف والحرمان والعناء فأتوا اليهم مستطلعين السبب فتكلم ابو طالب وقال يا معشر قريش قد حدث بينكم امور تجهلونها اتيتكم اذكرها لكم فاتونا بصحيفتكم التي تعاهدتم عليها فلعله ان يكون بيننا وبينكم صلح ولم يقل لهم عما اخبره به ابن اخيه عنها خوفاً ان ينظروا بالصحيفة قبل ان ياتوا بها

فذهبوا وأتوا بصفيحتهم معجبين لا يشكون بان الرسول مدفوع لهم الساعة ووضعوها بينهم وخاطبوا اباطالب بلهجة الواعظ قد آن لكم أن ترجعوا وتقبلوا على امر يجمع قومكم فانه قطعه بيننا رجل واحد جاء لتصديع الوحدة وتفريق العشيرة وانتهاك عظمة الآلهة

فقال ابو طالب لقد جئتكم لاعطيكم امراً فيه نصف ابن اخي اخبرني فلم يكذبني وحاشاه بان الله بريء من هذه الصحيفة التي هي بين ايديكم ومحا كل ما اتفقتم عليه من غدركم وقطيعتكم اياانا ولم يترك غير اسمه عزوجل فينبغي ان تفضوا ختمها أمام هذا الملأ من قريش فان كان كما قال ابن اخي فأفيقوا من غفلتكم وانظروا في اموركم فوالله لا نسلمنه ولا نترك نصرته حتى نفنى عن آخرنا وان كان قوله باطلا معاذ الله دفعناه اليكم فقتلتم واستحييتم قالوا رضينا بالذي تقول ففتحوا الصحيفة فوجدوا ما قاله الصادق الأمين حقاً فلما عاينوها كما اخبرهم ابو طالب نكصوا على اعقابهم وقالوا ما هذا الا سحر من صاحبكم وركبوا في ضلالهم يعمهون وركبوا رأسهم في العمه والسفه والشدة على الرسول ومن تبعه فعندها غضب ابو طالب وقال لهم ويحكم الم تعلموا ان محمداً هو الصادق المصدق وقد اخبرني ان ربه امره بصلة الارحام وان يعبده لا يشرك به شيئاً معه غيره وقال

« الا بلغا عني على ذات بيننا لؤياً وخصا من لوي بني كعب »
الم تعلموا انا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب »

ثم تكلم اولئك النفر الذين جاؤا مع ابي طالب وفاجأوا قريشاً بقولهم ان الكذب والسحر اولى به غيرنا وان اجتماعكم على قطيعتنا اقرب الى الجبت والسحر من امرنا ولولا اتفاقكم على الاثم والعدوان لم تفسد صحيفتكم التي طمس الله ما فيها من المواطئة والمؤامرة علينا افنحن السحرة الفجرة ام انتم ثم ظاهرهم النفر من قريش الذين ولدتهم نساء من بني هاشم منهم المطعم بن عدي بن نوفل وابو البختري وزمعة بن الاسود وهشام بن عمرو وقالوا نحن براء من هذه الصحيفة فقال ابو جهل هذا امر دبر بليل وفي هذا الاجتماع انفرط عقدهم وظهر مكرهم وافسد الله صحيفتهم وخرج رسول الله من الحصار مؤيداً منصوراً بصدقه صادعا

برسالته وكان نقض الصحيفة سنة ستة عشر من النبوة

اجـــل ان مهمة النبي (ص) شاقة ولو كانت سهلة لفقدت رسالته معجزتها الكبرى وهو انتصارها على كل ما وضع في طريقها من عقبات ولو قال فصدقوه من اول وهلة لما ارتفع الاسلام منيراً في سماء الهداية يروي الناس من معينه الفياض يتسابقون للري من حياضه افواجا افواجا الى يوم الدين لان كفاح قريش وغير قريش لم يزده الا انتشاراً وعلواً وهذا برهان جلي على صدق رسالة الرسول (ص) وخروجه منتصراً دليل على تأييد الله له فقد حطم الاصنام وقبح عبادتها وانتصر على مقاومتهم ومؤامراتهم وصبر على ظلمهم واستهزائهم به واعز الله كلمة الاسلام ونجاه من مكرهم « ولا يحيقُ المكرُ السيء الا باهله » وكثيراً ما وقف في اسواق العرب الموسمية حيث تجتمع شعراؤهم وخطباؤهم ورؤساؤهم وفرسانهم داعياً الى الله صادعاً بامر ربه يدعوهم لعبادة الله وتوحيده وترك ما هو دونه تنزيهاً للعقل البشري عن السجود والعبادة لغيره تعالى الذي لا شريك له قائلا ايها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا وتنجحوا وتنالوا خير الدنيا والآخرة

(الدعاية)

ولما قرب موسم الحج وجاءت العرب من كل حدب وصوب من آفاق الجزيرة لزيارة الكعبة حسب عادتهم في كل عام اجمعت قريش على الوقوف موقفا سلبيا في وجه النبي (ص) بكلام يزورونه لمعاكسته في الدعوة الى التوحيد ويصورونه بذلاقة لسانهم بصور شتى منفرة منه لكي لا يكون لكلامه اثر ايجابي في نفوس الوفود واجتمعوا فرادى وجماعات للاتفاق على ما يقولونه عنه وينسبونه اليه لكي لا تختلف اقوالهم فلا يقام لمشافهتهم وزن وتتمكن هيبة النبي (ص) في نفوس الجماهير المتألبة فقال احدهم ينبغي ان نقول محمد كاهن فقال الوليد بن المغيرة وهو الداهية المجرب المعروف ببعد النظر وسرعة الخاطر لقـــد اخطأتم الحفرة ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان وسمعنا زمزمتهم وسجعهم فقال الآخر نقول مجنون فقال ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وبلوناه وعرفناه فقال الآخر نقول شاعر

فقال ما هو بشاعر لقد رأينا الشعر كله رجزه وهجزه ومقبوضه ومبسوطه فقال الآخر نقول ساجر فقال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم ما هو بنفثهم وعقدهم قالوا له فما تقول انت قال اقول ان لقوله حلاوة وان اصله لغدق وان فرعه لجناة ما أنتم قائلون من هذا شيئاً الا عرف لا يقبله عاقل وان اقرب القول فيه ان تقولوا انه جاء بقول جذاب بليغ كالسحر يفرق بين المرء وابيه واخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته فعندها تفرقت قريش منطلقة في ضلالها تحذر الوفود من سماع قوله والاصغاء الى كلامه وفصاحة بيانه حتى لا يصيب جزيرة العرب ما اصاب مكة انقاء من فتنة تصلى نارها بين العرب جمعاء.

بمثل هذه الضروب العقيمة وامثالها من الدعاية الكاذبة حاربت قريش الرسول ترجو ان تبلغ من ورائها أكثر مما يبلغ الأذى حيث استعصت عليها الحيل وعميت عن طريق الرشاد فخبطت خبط عشواء في ليلة ظلماء وتاهت في تيه عمايتها فضلت سبيل الهداية وتجاهلت ان النبي (ص) مؤيد بدعوته على رغم المعاندين والباطل لا يصرع الحق لان الحق وجود والباطل عدم والعدم ظل زائل

وقدم عليه وهو بمكة عشرون رجلا من المسيحيين حينما بلغهم خبره فجلسوا اليه واستمعوا له وآمنوا به وصدقوه ومذ علمت بهم قريش خرجت اليهم ناقمة وشتمتهم وقالت لهم خيبتم من ركب ما اسرع ما تركتم دينكم ووفد عليه كثير من عبدة الاصنام وكثير من اليهود وعند ما يقابلونه ويسمعون من الدرر الغوالي التي يلقيها عليهم مدعومة بالبراهين القاطعة يؤمنون به ويعودون الى اوطانهم مملوءة قلوبهم إيمانا واسلاما بما أتاهم الله من فضله

(الايمان)

الايمان عقيدة راسخة في اعماق القلب لا تزيدها المحن والخطوب الا رسوخاً وثباتا والبعض من المؤرخين يبنون تتبعاتهم على المادة ويجردون الانسان من الخير والهداية ويجعلون خيانة بعض تلاميذ المسيح مقياساً لنظريتهم كما جاء في العهد الجديد بان بعضهم رأوا من خوارق العادات من معجزاته التي لا ينكرها جاحد وينبغي ان تزيدهم ايمانا به وبدون ان يمسهم سوء بسببه سلموه للظلمة

لقاء دراهم معدودات لا تسمن ولا تغني من جوع وانكروه ثلاث مرات قبل ان ينقضي الهزيع الاول من الليل ولم يوبخهم ضميرهم على هـــذا العمل الفظيع لسيدهم العظيم عليه السلام

وينقض هذه النظرية ما سطره التاريخ بين دفتيه للمسلمين الاولين من الثبات على مبادئهم المثلى ومفاداتهم حينما كانت تنقض عليهم عواصف الاضطهاد والانتقام وتطحنهم الشدائد من مشركي قريش وكلما يشتد عليهم الظلم والجور يزدادون ايمانا وتصلباً في عقيدتهم ولم تفتنهم المظالم التي وقعت عليهم ولم تصرفهم فوادح الخطوب التي نزلت بهم عن دينهم فهل كان هؤلاء المسلمون ماديين وهم يعذبون لاجل ايمانهم كعمار بن ياسر وابويه وخباب بن الأرت وبلال وغيرهم الذين ذاقوا العذاب الوانا كالحرق بالنار والتجويع والقتل الذريع والصلب في حمارة الصيف المحرقة تحت الشمس في وقت الظهيرة = كلا فالتوحيد وحد بينهم والف القلوب ونظم الصفوف لعلمهم ان عبادة الأصنام ظل زائل وما خلا الله كل شيء باطل والتاريخ حافل بمواكب الأمم على اختلاف الاجواء والبيئات من متحضرة ومستوحشة يرشدنا الى ان الانسان يؤثر الموت والخراب ويختار الدمار في سبيل عقيدته

اما المهاجرون الى بلاد الحبشة هربا من الظلم حرصاً على دينهم واستمساكا بعقيدتهم كجعفر بن ابي طالب وعثمان بن مظعون ومن كان معهم من الرجال والنساء كانوا في مكة اهل عزة ومنعة ورخاء اغنياء في قومهم وقبائلهم تحملوا بتاريخ الهجرة ثلاث عشرة سنة ونيف الى بلاد لم يعرفوها ووجوه لم يألفوها قاسوا فيها ضروبا من آلام الوحشة والفقر والحنين لاوطانهم ولم يكن لديهم مال يستعينون به في دار هجرتهم الطويلة ولكنهم أغنياء بايمانهم مفعمة قلوبهم بحب الله ورسوله الأمين

=(الشرود والذهول)=

لما رأت قريش دعوة النبي (ص) تنتشر بسرعة البرق ومقاومتهم لها عنتاً وطغيانا فكر أشد الناس عداوة وأشد قريش خصومة للاسلام وتناجوا سراً فيما بينهم وبين انفسهم هذا دين محمد تتلقفه العرب وتدخل فيه طواعية واختياراً والذين

يدخلون فيه لا يخرجون منه ومحمد فقير بجاهه وماله فما هو الداعي لهذا الاخلاص والمفاداة هل يدعو الى دين صحيح وهل هو نبي مرسل وبين الشك واليقين خرج أبو سفيان وابو جهل ومعهما الاخنس بن شريق في ليلة ليلاء يتجسسون على النبي (ص) في منزله وتسوروا الجدار خلسة لينظروا ما يصنع تحت غسق الدجى فتواري كل واحد منهم في زاوية وجلس بحيث يسمع ويرى والنبي (ص) قائم في محرابه يعبد الله راكعاً ساجداً يرتل آيات الذكر الحكيم في سكون الليل وظلمته يناجي ربه ويطلب الهداية لقومه الى التوحيد وعند ما شق عمود الصبح او كاد خرجوا وتواصوا بالكتمان وان لا يعودوا لمثلها ثانية خوفاً من قومهم كي لا يرفض عقدهم وتتفرق كلمتهم وينتصر النبي عليهم ثم انهم اعادوا الكرة في الليلة الثانية والليلة الثالثة ثلاث ليال متواليات يسمعون ويشاهدون عبادة النبي وتهجده ضارعاً خاضعاً لله يردد الآيات القدسية ثم ينكفؤن واليأس يملأ قلوبهم والضعف يغمرهم من هيبته والرعب يجز في نفوسهم والخوف يساورهم من قومهم وتحالفوا ان لا يعودوا لمثل هذه المجازفة التي لم يستفيدوا منها الا الوهن والرهبة والوجوم

سفارة عتبة بن ربيعة

لقد جنحت قريش للمسالمة وقررت ارسال عتبة بن ربيعة للنبي (ص) يكلمه ويمنيه ويعرض عليه المال والملك والسلطان ويلزمه بالحجة القاطعة ليكف عن الدعوة وهذا عتبة بن ربيعة من دهاة قريش جيد الرأي واسع الحيلة متكلما فتقدم الى مقابلته يحفزه النجاح في سفارته فقال له يا ابن اخي انت منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان الاسمى في النسب والجاه وقد اتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت احلامهم وعبت آلهتهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني اعرض عليك اموراً لعلك تقبل مني بعضها يا ابن اخي إن كنت تطلب الشرف فحسبك شرفك ونحن نسودك علينا وان كنت تريد الملك ملكناك علينا وأنت اهل للسيادة والملك وان كنت تريد مالا بذلنا لك اموالنا فاذا رجعت عن عزمك ينحسم الداء ويندمل الكلم ووقف عن الكلام فقال له النبي (ص) أفرغت يا ابا الوليد؟ قال نعم قال فاستمع مني ثم اخذ يتلو عليه « بسم الله الرحمن

الرحيم «حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فاعرض اكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون» ويتابع قراءة السورة الى أن ينتهي لآية السجدة منها فيسجد

عندئذ يذهب عتبة إلى قومه مأخوذاً بما سمع من كلام الله واستولى عليه الصمت وتغير لونه ولم ينبس ببنت شفة يسير على غير هدى فيراه ابو جهل مقبلا عليهم فيقول لهم لقد جاءكم ابو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به فهبوا اليه وقالوا ما وراءك يا ابا الوليد فقال إني سمعت كلاما لم اسمع مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالرجز ولا الكهانة خلب لبي وسلب عقلي ولا استطيع معارضته ولا تفسيره فاطيعوني يا معشر قريش وخلوا هذا الرجل وما هو فيه فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ فقالوا لقد سحرك يا ابا الوليد بقوة بيانه وبلاغة لسانه فقال لهم هذا رأيي أنا فاصنعوا ما بدا لكم

وتكررت السفارات من قريش إلى النبي (ص) تتلو بعضها بعضا تتضمن في مبناها ومعناها وعداً خلابا ووعيداً مهلكا والنبي يقول حسبي الله ونعم الوكيل ما جئتكم اطلب مالا ولا شرفا ولا ملكا ولكن الله ارسلني رسولا ابلغكم رسالات ربي وقد أنزل علي كتابا وأمرني ان اكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغت رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم الحسن في الدنيا والآخرة وان ابيتم فالله الحاكم بيني وبينكم وهو خير الحاكمين

—(العزة لله ولرسوله)—

ألم يأن لقريش الاقلاع عن هذا الجمود وان تفيء وترعوي وترجع إلى الحق وقد ظهر الصبح لذي عينين ولماذا توارت وراء جدار من الحقد وبعثت سفراءها وسفهاءها للنبي (ص) بوعود ووعيد وهو لا طمع له بوعودهم ولا يخاف من وعيدهم كأن الشقاء حالفهم فصرفهم عن الرشد وصدهم عن الانابة يتربصون به وبمن اتبعه

له حافظ وناصر ولا يحيق المكر السيء إلا باهله

(ابو جهل والاراشي)

ابتاع ابو جهل بن هشام من رجل يدعى الاراشي « بكسر الهمزة ينسب الى اراشة بطن من خثعم » ابلا وغنما ومطله بدفع اثمانها وبالنظر لمكانته الاجتماعية بين قومه ويوصف بالجبروت وخبث الطوية لم يتقدم احد لمساعدته على استيفاء حقه منه وقد عيل صبره وتسرب اليأس الى قلبه فسار في طريقه تائه الفكر لا يدري ما يصنع فصادف رجالا من قريش يعرفون بأن غريمه ابو جهل فارادوا ان يسخروا منه فقالوا له إذهب إلى محمد بن عبد الله فلا ينصفك من غريمك غيره وهم يعلمون شدة عداوة ابي جهل للنبي (ص) فاسرع والأمل يتردد في صدره وشكا اليه ظلامته وكيف حبس عليه ماله وغلبه على حقه لانه غريب ولا من يحميه منه واخبره ان نفراً من قريش اشاروا عليّ ان أأتي اليك يرحمك الله لانك تنصر الحق وتاخذ للضعيف من القوي فأومأ الرسول الى الرجل فتبعه الى منزل ابي جهل وضرب الباب فقال من الطارق قال محمد فلما سمع خرج كالمفكول متغير اللون يرتجف هلعاً ورعباً فقال له النبي (ص) اعط هذا الرجل حقه فقال سمعاً وطاعة لا تبرح قبل ان اعطيه حقه وقد فعل وذهب الاراشي مسروراً ومعه الدراهم فرآه الذين سخروا منه فقالوا له ما فعلت فقال لهم ان هذا الرجل محمد بن عبد الله نصير المظلومين ولا يرهب الظالمين وقد عطف علي وذهب الى بيت ابي جهل ولما طرق الباب وسمع باسمه خرج اليه وقد امره ان يدفع لي حقي فبادر مسرعا واتى بالمال صاغراً وبعد ان قبضت منه مالي رجع الى منزله فدهشوا من كلامه وجاءوا الى ابي جهل وهم في ذهول وقالوا له ويحك ماصنعت قال لهم والله لو لم افعل ما أمرني به لهلكت فقد شعرت لما كلمني كأن يد أقد امسكت بحلقي وشدت عليه فكان كما سمعتم ولم استطع له ردا

(الحسد لا يرحم صاحبه)

ذهب الاخنس بن شريق الى ابي جهل ناصحاً وهو كالمأخوذ وقال له يا ابا الحكم ذهبت انا وانت وأبو سفيان الى منزل محمد بن عبد الله ثلاث ليال متواليات

نتجسس عليه بدون ان يشعر لعلنا نرى منه شيئاً نوآخذه عليه وقد وجدناه في محرابه يعبد ربه واستمعنا اليه وهو يتلو كلاما لم نسمع مثله قط فما رأيك فيما رأيناه وما سمعناه منه في فحمة الليل وحنادسه في هاتيك الليالي الثلاث فاجابه ما سمعت وما رأيت يا ابن شريق لقد تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف اطعموا فاطعمنا واعطوا فاعطينا حتى إذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذا لقد تجرعت الغصة وشرقت بالريق والله لا نؤمن به ولا نصدقه ولا نقول بقوله ونكون تبعاً لبني هاشم

لقد تخاذلت قريش وتواكلت وتنافست والتنافس ضرب بينهم وبين الحق حجابا ولم يتابعوا النبي (ص) لأن امية بن ابي الصلت والوليد بن المغيرة وعمرو بن عمير الثقفي كانوا يمنون انفسهم بالنبوة ويعتقدون انها لا تعدو احدهم حيث سمعوا من الاحبار والرهبان والكهان بأن النبي الذي يصلح العالم يكون قرشيا فلما اختار الله محمداً (ص) وشرفه بالرسالة كاد الحسد يقضي عليهم حتى قاله الوليد بن المغيرة اينزل الوحي على محمد بن عبد الله واترك انا كبير قريش وسيدها ويترك عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف ونحن عظيما القريتين والى كلمته هذه الاشارة في كتاب الله « وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا »

هذا الاخنس بن شريق الذي رافق ابا سفيان وابا جهل في التجسس على النبي (ص) ثلاث ليال متواليات ورأوا منه سمات النبوة في تبتله وعبادته وتلاوته وزهده محتجباً بالليل وظلمته يناجي ربه بعيداً عن اعين الناس لاريب ان نفوسهم سكنت اليه ولم تعلن ايمانها لأن الحسد وحب الرياسة ختلتان ختمت على قلوبهم فطوحت بهم في تيه الجهالة فكانوا من الخاسرين وقد جرفت دعوة الرسول عظيمي القريتين الوليد بن المغيرة وعمرو بن عمير الثقفي اللذين تأكل الحسد قلبيهما وذهبا كالغثاء البالي في مساقط السيل كما جاء في الذكر الحكيم « وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء قليلا ما تتذكرون »

الفصل الثاني

—(من الجحود والاستهزاء الى السنة الاولى للهجرة الى المدينة)—

قال العلامة زيني دحلان صاحب السيرة النبوية ان العاص بن الوائل السهمي كان يقول عز محمد نفسه وعز اصحابه وعدهم بالحياة بعد الموت والله ما يهلكنا الا الدهر وقد لج هذا المشرك الجاحد في غلوائه وامعن في اساءته حيث ابتاع من خباب بن الارت اسيافاً وكان خباب حداداً يعمل السيوف بمكة ولما جاءه يتقاضى ثمنها منه قال له يا خباب اليس صاحبك محمد الذي انت على دينه يقول ان في الجنة ما ابتغى اهلها من ذهب وفضة واثواب وخدم وولد قال خباب بلى قال فانظرني إلى يوم القيامة حتى ارجع إلى تلك الدار اقضيك حقك هناك والله لا تكون انت وصاحبك ابر عند الله ولا اعظم حظاً مني وقيل ان العاص قال له لا اعطيك حقك حتى تكفر بمحمد فقال له خباب والله لا اكفر بمحمد حتى يميتك الله ثم يبعثك قال له ذرني حتى اموت وابعث فسوف اوتى مالا وولدا فاعطيك فانزل الله على نبيه قوله عز وجل « افرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا أطلعَ الغَيْبَ ام اتخذَ عِندَ الرحمن عهداً كلا سنكتبُ ما يقول ونمد له من العذاب مداونرثه ما يقول ويأتينا فرداً »

كان النبي (ص) يمشي ويسير خلفه الحكم بن ابي العاص وهو يخلج في انفه وفمه يسخر بالنبي وطالما وعظه فلم يتعظ وزجره فلم ينزجر فالتفت اليه وقال له كن كذلك فكان واستمر يخلج بانفه وفمه بعد أن مكث شهراً مغشياً عليه ولم يفارقه الاختلاج حتى مات وقيل انه اسلم يوم الفتح و كان في اسلامه شيء وتابر على مجالسة المنافقين اعداء الله ورسوله ونقل اخباره اليهم ونفاه النبي (ص) إلى الطائف وتجسس على النبي من باب بيته وهو عند بعض نسائه بالمدينة فخرج اليه « بمدرى » وهي كالمسلة وقال من عذيرى من الوزغة لو ادركته لفقأت عينه ولعنه وما ولد وبقي في منفاه بالطائف الى خلافة ابن اخيه عثمان فرده الى المدينة

وممن تاه في ضلالته ومضى في عمايته الأسود بن عبديغوث وهو ابن خال النبي

(ص) كان إذا رأى المسلمين قال لاصحابه استهزاء بهم قد جاءكم ملوك الأرض الذين يرثون كسرى وقيصر لتفشفهم ورثاثة ثيابهم وخشونة عيشهم

إن هؤلاء الطغام المشركين الثلاثة العاص بن وائل السهمي والحكم بن العاص والاسود بن عبد يغوث تألفت قلوبهم على الموبقات المهلكات الشرك بالله والعداوة لرسول الله والجهل المطبق أعمى الله بصيرتهم وتمادوا في غيهم وازدادوا غلواً في كفرهم وتقمصوا ثوب الوحشية وتجردوا من الانسانية وخرجوا على الآداب الاجتماعية باستهزائهم بالرسول الأعظم وثلبهم وتجنيهم عليه وعلى من اتبعه من المسلمين انتصاراً لآلهتهم التي ينحتونها بايديهم « فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور »

﴿عبس وتولى﴾

وروي عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ان عبس وتولى نزلت في رجل من بني امية كان جالساً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وجاء ابن ام مكتوم فلما رآه تقذّر منه وجمع نفسه وعبس واعرض بوجهه عنه وقال السيد المرتضى علم الهدى ليس في ظاهر الآية دلالة على توجهها إلى النبي بل هو خبر محض لم يصرح بالمخبر عنه وفيها ما يدل على أن المعني بها غيره لأن العبوس ليس من صفات النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع الاعداء المباينين فضلاً عن المؤمنين المسترشدين ثم الوصف بانه يتصدى للأغنياء ويتلهى عن الفقراء لا يشبه اخلاقه الكريمة بعد قوله له العزّة والعظمة مخاطباً إياه « وانك لعلى خلق عظيم » فالظاهر أن عبس وتولى المراد به غيره

جزى الله الرسول خير الجزاء فقد نقل العالم من حضيض الذل إلى افق السعادة وهو القائل بعثتُ لأتمم مكارم الاخلاق فالعبوس ليس من سجاياه لأن الله أدبه فاحسن تأديبه وقدجاء في التنزيل « ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك » وجاء اعتراض الشريف المرتضى في محله وفي سورة عبس وتولى تنبيه صريح للاخذ باوفر نصيب من مكارم الاخلاق والاناة ورحابة الصدر مع جميع الناس لاسيا الذين يطلبون الهداية والاسترشاد. لقد حمل صلى الله عليه وآله وسلم

التعب والنصب ولاقى الألاقي من قومه لاقامة نهج العدل بين الناس على قدم المساواة بدون استثناء لقوله لا فضل لعربي على اعجمي إلا بالتقوى ولا ميزة لغني على فقير إلا بالعمل الصالح لقد جاء بشريعة سمحاء وحضارة راسخة تضاءلت أمامها شرائع الرومان وحضارة الفرس وانتصر على اعداء الدولة الاسلامية وذهبوا كامس الغابر ومحق الله ذكرهم وجعلهم احدوثة سائرة ولم يبق لاصنامهم واوثانهم من اثر ومات المنافقون والمشاغبون على شركهم كابي جهل واضرابه ومن على شاكلتهم ممن آذوا النبي وأصحابه الميامين ولم تغن عنهم مقاومتهم شيئا « فإلى الله مرجعهم ثم ينبئهم بما كانوا يعملون »

اليس من خطل الرأي لنشئنا المتعلم النابه الاعجاب بزيد الخطيب وعمرو الكاتب وفلان المفكر تاركين جهاد فخر الكائنات النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جمع وحدة العرب على التوحيد بعد الشرك وصرفهم عن عبادة الاوثان وكون منهم امة أيقظت العالم من سبات عميق ونفخ في الامم روح الحضارة والمدنية واقام للسماء دنيا في الارض واسس للأرض دنيا في السماء

(عام الحزن)

ولما اتت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم تسع واربعون سنة وثمانية اشهر واحد عشر يوماً وعمه ابو طالب نيّف على الثمانين عاما اشتكى وبلغ قريش انه موف على ختام حياته خشيت من عواقب مايكون بينها وبين ابن اخيه واصحابه المغاوير فمشى اشرافهم إلى ابي طالب منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وابو جهل وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب وغيرهم ولم تكن عيادتهم له إلا ليوصي ابن اخيه محمداً صلى عليه وآله وسلم ان يكف عنهم ولا يعيب آلهتهم فقالوا له يا ابا طالب أنت كبيرنا وسيدنا وقد حضرك ما انت فيه ونخوفنا عليك وتعلم ما بيننا وبين ابن اخيك فادعه وانصحه ان يكف عنا حتى نكف عنه وليدعنا ودينا حتى ندعه ودينه وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقوم عند عمه فقال له يا ابن اخي هؤلاء أشراف قومك وسراتهم وقداجتمعوا ليعطوك ويأخذوا منك فقال صلوات الله عليه على ان يقولوا لا اله إلا الله ويتركوا ما يعبدون من دونه ثم نظر إلى عمه

كانه يسأله رأيه فقال له : يا ابن اخي والله ما سألتهم أمراً كبيراً لا يقدرون عليه فعندها تفاوضوا فيما بينهم وقالوا ما هذا الرجل بمعطيكم شيئاً مما تريدون وانصرفوا يتسكعون في باطلهم والحقد يجز في صدورهم

وفاة

ونقل هشام بن السائب عن ابيه قال لما حضرت ابا طالب الوفاة جمع اليه وجوه قومه واوصاهم بقوله يا معشر قريش انتم صفوة الله في خلقه إلى أن قال واني اوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما اوصيكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وانكره اللسان مخافة الشنئان وايم الله كأني انظر الى صعاليك العرب وأهل الوبر والاطراف والمستضعفين بين الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا امره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذنابا ودورهم خرابا وضعفاؤها اربابا وإذا أعظمهم عليه احوجهم اليه وأبعدهم عنه احظاهم عنده قد محضته العرب ودادها واصفت له فؤادها واعطته قيادها يا معشر قريش كونوا له ولاة وحزبه حماة والله لا يسلك أحد سبيله إلا رشد ولا يأخذ برأيه احد إلا سعد ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه المزاهز ولدفعت عنه الدواهي

وجاء في حديث مقاتل أن ابا طالب جمع اليه بني هاشم واحلافهم واوصاهم بنصرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قائلاً انه كان يقول اخبرنا بذلك آباؤنا وعلماؤنا وهو الصادق الأمين فاجيبوا دعوته واجتمعوا على نصرته ورامواعدوه من وراء حوزته فانه الشرف الباقي لكم على الدهر

وفي سنة ٦١٩ ميلادية توفي ابو طالب وعمره خمسة وثمانون سنة ، سنة عشرة من النبوة ودفن بالحجون وقد قام بكفالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمره ثمان سنين الى أن توفي زهاء اثنين واربعين سنة أحسن قيام وكل هذه المدة الطويلة والنبي تحت رعايته وكفالته واحاطته وصيانته قاوم قريش ووقف في وجهها نصرة لدعوته وزوجه من السيدة خديجة بنت خويلد ودفع عنه الاذى وحدب عليه صغيراً وحماه كبيراً من مردة قريش وطواغيتها واتحدت قريش ضده ولم يبال

باتحادهم ولا بقاطعتهم ولا بمكرهم حباً بابن اخيه رعاه بعين ساهره قبل النبوة وبعدها ولم يشأ أن يتركه للقضاء والقدر بعد وفاته بل اراد أن يضطجع في رقدته الأخيرة قرير العين أميناً عليه من الأعداء فدعا أشراف قريش اليه وهو في آخر أيام حياته مرشداً لمتابعته ومشايعته ليكونوا من حزبه ويبيّن لهم مزاياه بافصح عبارة وواضح مقالة وحذرهم من مخالفته ورغبهم في نصرته كي لايكونوا اذنابا ودورهم خراباً. نظر ابو طالب للرسول صلى الله عليه وآله وسلم نظرة المربي الخبير العارف بالحقائق فانكشف له الغطاء وبرح الخفاء فاستخرج النتائج ناصعة لقوم يعقلون ومن شعره يحثُ الهاشميين على نصرته

« اوصي بنصر النبي الخير مشهده ... علياً ابني وعم الخير عبـــاسا »
« وحمزة الاسد المخشي صولته ... وجعفراً ان تذودا دونه الناسا »
« وهاشماً كلها اوصي بنصرته ... ان يأخذوا دون حرب القوم امراسا »
« كونوا فدى لكم نفسي وما ولدت ... من دون احمد يوم الروع اتراسا »

وقد اجمع أهل بيت النبي واجماعهم حجة على ايمان ابي طالب ويؤيد ذلك ما رواه ابن عمران أن أبا بكر رضي الله عنه جاء بابيه ابي قحافة يوم فتح مكة الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسلم فقـــال النبي الا تركت الشيخ نأتيه وكان أعمى فقال ابو بكر اردت ان يؤجره الله تعالى والذي بعثك بالحق نبياً لانا كنت في اسلام ابي طالب اشد فرحاً مني باسلام ابي التمس بذلك قرة عينك فقال النبي صدقت

(وفاة ام المؤمنين خديجة)

وكما عظمت المصيبة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بوفاة عمه ابي طالب فقد تضاعفت بفقده السيدة خديجة توفيت بعد عمه بشهرين وكان عمرها اذ ذاك خمساً وستين سنة خديجة الصديقة الطاهرة العظيمة في قومها الكبيرة في نفسها وكلها واخلاقها التي احاطته بسياج مكين من الأذى وضربت حوله نطاقاً لحمايته من الاعداء واولته من برها وقوة ايمانها وطهارة قلبها ما جعله يردد اسمها مدة حياته وطالما عاتبته السيدة عائشة شدة وفائه لها بعد وفاتها بقولها له هل كانت إلا

عجوزاً عوضك الله خيراً منها فقال لها لا والله ما ابدلني الله خيراً منها آمنت بي اذ كفر الناس وصدقتني اذ كذبني الناس وواستني بمالها اذ حرمني الناس ورزقني منها الولد دون غيرها من النساء اني لاحب حبيبها والوفاء من الايمان

وكما يوجد في الرجال عباقرة عظام كذلك في النساء عظيمات سجل لهن التاريخ من الاعمال الشريفة في خدمة الانسانية ما تعجز الايام عن محو اثره وازالة خبره وهذه السيدة خديجة بقوة آرائها ونضوج عقلها كانت وزيرة صدق للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقد واسته بمالها وعطفت عليه بكليتها وشجعته في تأدية رسالته وساهمت في تأييد الدين حتى أصبحت سيدة نساء العالمين واستحقت التحية من رب العالمين رضي الله عنها الى يوم الدين . لامشاحة بأن وفاة عمه ابي طالب وزوجته خديجة فاجعتان اليمتان في حياته وصدمة قوية لها اثرها في نفسه بين اعداء قلوبهم كالحجارة التي يعبدونها وهو صلى الله عليه وآله وسلم الصابر المحتسب الذي لا يتسرب الوهن الى قلبه ولا لواذع الهموم الى صدره وهو الموحى اليه بلسان القدرة « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام » وبعد أن فقد النصيرين خلا الجو لأعدائه الذين يتربصون به الدوائر وينتظرون هذه الفرصة ليغتنموها للنيل منه فضيقوا عليه المذاهب وتعمدوه باشد انواع الاذى والهوان فلا بدع اذا رأينا الامام الطبري في المجلد الاول من تاريخه يقول لما مات ابو طالب ناصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذاب عنه اغتنم المشركون الفرصة للفتك به واجتمعوا في دار الندوة للمؤامرة بشأنه واتفقوا على قتله وعلى أن يلي ذلك عدة بطون من قريش ليضيع دمه وليمتنع على بني هاشم طلب قاتله ويرضون بالعقل « الدية » وهذا رأي ابي جهل ووافقه القوم على ذلك وقد وصلوا من اذاه بعد ابي طالب ما لم يصلوا اليه في حياته ففي أحد الأيام اعترضه أحد سفهائهم ورمى على رأسه تراباً فلم يلتفت اليه ودخل بيته والتراب على رأسه فقامت اليه ابنته الزهراء عليها السلام وغسلت التراب وهي تبكي

يا بضعة الرسول كفكفي الدمع المتون ولا تثيري الشجون فالمجاهد في سبيل الحق بأمر ربه لاجل اصلاح العالم لا يعتريه فتورٌ ولا خور ولا تقف في سبيله العقبة الكاداء ولا سفاهة السفهاء لأن الله معه فكل دمعة تسيل من محاجرك تثير

كوامن الاحزان على والدتك الطاهرة ام المؤمنين فقيدة بيتكم العظيم ولذلك خاطبها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعيناه تهملان بالدموع اي بنية لا تحزني ان الله مانع اباك وطالما قال والله ما نالت مني قريش شيئا اكرهه حتى مات عمي ابو طالب

-(الخروج الى الطائف)-

ومذ أمن قومه ان لا نصير له بعد وفاة ابي طالب استخرجوا اضغان حقدهم وكمين صدورهم وفاجأوه بانواع الأذى بكرة وعشيا بصورة متصلة ليلاً ونهاراً ولما تفاقم الأمر واستشرى الداء أخذ يفكر بالهجرة لأن تجارب سنوات عشر دلته أن دعوته في مكة يوشك ان تذهب صرخة في واد وقد ذهب الى الطائف وحل في قبيلة ثقيف ومعه زيد بن حارثة وجعل يدعوهم إلى نصرته والمنعة من قومه راجياً لهم الهداية للاسلام ودعا أولا الرؤساء منهم واهل النفوذ وهم عبد يالبل ومسعود وحبيب ابناء عمرو بن عمير وغيرهم من امثالهم وبلغهم وارشدهم لتوحيد الله الواحد الاحد وترك ما هو دونه وحثهم على حمايته من قومه الظالمين فقال له احدهم بكل تزق ووقاحة مارد يمرط ثياب الكعبة إن كان الله ارسلك وقال الآخر بكل خشونة ما وجد الله من يرسله غيرك وقال ثالثهم وقد انتفخ كبراً وإعجابا والله لا اكلمك ابداً إن كنت رسولا كما تقول لأنت اعظم خطراً من ان ارد عليك وإن كنت تكذب على الله فما ينبغي ان اكلمك فاقام بين ظهرانيهم شهراً يدعوهم الى الله ولم ير منهم مجيباً واصروا على شركهم واغروا عبيدهم وسفهاءهم يسبونه ويرمونه بالحجارة حتى اختضبت نعلاه بالدماء وإذا ازلقته الحجارة قعد إلى الأرض فيأخذون بعضديه ويقيمونه وإذا مشى رجموه وهم يضحكون وزيد بن حارثة يحول بينهم وبينه ويفديه بنفسه وقد شج في رأسه شجاجاً بلا شفقة ولا رحمة .

هؤلاء اهل الطائف من ثقيف لا يختلفون عن اهل مكة في عبادتهم للجماد فهم صورة طبق الأصل نبذوا التوحيد وأصروا على الشرك بالله . وفد النبي «ص» ليهديهم للحق ويطلب نصرتهم على مشركي قريش فقابلوه بالشدة والعنف

والأذى وخرجوا على العادات العربية في إكرام الضيف والنزيل واغروا عبيدهم بثلبه وطرده واستعملوا معه من العنت ما يشق عليه تحمله

ومر بطريقه بعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما في حائط لهما فلما رأيا ما لقي من سفهاء الثقفيين وعبيدهم تحركت له رحمهما ولم يقفا دونه ولكنهما بعثا له مع غلامهما عداس النصراني قطف عنب وضعه بين يديه ولما وضع يده في العنب قال بسم الله واكل فنظر عداس في وجهه وقال هذا كلام لا يقوله اهل هذه البلدة فقال له النبي صلوات الله عليه من أي البلاد انت قال انا نصراني من نينوى فقال له انت من قرية العبد الصالح يونس بن متى قال نعم وما يدريك به قال ذاك اخي وهو نبي مثلي وقرأ عليه بعض الآيات وارشده وهداه واسلم على يديه ويرجوع عداس قال له عتبة ويلك يا عداس هل صبأت فقال له يا سيدي لا اعلم رجلا على وجه الأرض خيراً منه وشمائله تدل عليه واخبرني بامر لا يعلمه إلا نبي مرسل

ثم ان النبي «ص» خلا بنفسه مفكراً في حلم الله على قوم يعبدون ما لا يضرهم ولا ينفعهم وفاضت اشجانه وانبعث يدعو ربه بالدعاء المأثور « اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني إلى بعيد يتجهمني او إلى عدو ملكته امري إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والآخرة من ان تنزل بي غضبك أو تحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك

بعد هذا الاضطهاد الممقوت والظلم الفادح لم تفتر همته ولم تن عزيمته ولم يهن ولم يتقاعس عن اداء رسالته وقد توجه يدعو القبائل في منازلها واتى قبيلة بني حنيفة وبني عامر بن صعصعة وقبيلة كندة وقبيلة كلب ودعى إلى الله وارشد ووعظ ليفيئوا إلى التوحيد فلم ير منهم إلا الاعراض عنه لأن قريشاً التبت عليه القبائل وسدت عليه الطرق والمنافذ وتواطأت معهم عليه واغرتهم به ولا عجب فالمنافع المادية والاجتماعية والاقتصادية واتحاد المصالح تبعث على التكتل للسير على نهج واحد وبما ان احجام القبائل عن متابعته ونصرته يرجع الى عوامل سياسية

واقتصادية تربطهم بقريش في جميع مناحي حياتهم وبما ان مكة عاصمة البلاد العربية سياسياً ودينيا ولهم اصنام متعددة ولكل صنم مـــنها موسم مخصوص في ميعاد مخصوص من كل سنة ولهم منافع مادية مشتركة وعند اجتماعهم في سوق عكاظ يحجون في الطائف لزيارة اللات صنم كبير تعبده قبيلة ثقيف بعـــد سوق عكاظ وسدنته من ثقيف ولهم مورد منه لا يستهان به فلو ان ثقيفاً تابعت النبي «ص» تنحل بينها وبين قريش الروابط الاجتماعية والاقتصادية وإذا غضبت عليها قريش يتفكك بينهما الاتحاد السياسي وتخسر ماديا واجتماعيا وهكذا بقية القبائل الوثنية بالنسبة إلى قريش وهذه نقطة الخلاف بين النبي «ص» وقريش لأنهم يعبدون الأصنام ولهم مكانتهم الاجتماعية ورئاستهم الدينية وهم سدنة الكعبة في مكة المقدسة وتتميز اصنامهم عن جميع الأصنام لأن اكثرها مصنوع من الحديد والنحاس مجاورة للكعبة يقصدونها من تخوم جزيرة العرب واطرافها للتبرك بها ويقدمون لها ما عز وهان تدر عليهم العسجد واللجين واللـــبن والعسل فاذا قبلوا دعوة النبي (ص) واعترفوا بالوحدانية وتعاليمه الالهية احدث ذلك زلزالا يهدم نظاماً اجتماعياً كفل لهم العلاء والعيش برخاء وتنسخ الأوضاع القديمة والعادات السقيمة فالاسلام معناه التسليم للواحد الأحد الذي لا شريك له فلا يسوغ لأبي جهل ومن عـلى شاكلته من الجبابرة الطغاة ظلم اعرابي خشعمي وهضم حقوقه ولا يبيح للاغنياء استغلال الفقراء بفاحش الربا والمكاييل المطففة والموازين المنقوصة ويأبى الله ورسوله ان يتصرف الأسياد بالنساء والعبيد تصرفهم بالبهائم والعجماوات والله سبحانه وتعالى بالمرصاد وقد جاء بالذكر الحكيم « ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا »

لقد حمل النبي «ص» حملاً من قومه المشركين لايقدر على القيام باعبائه غيره وهم ما بين ضليل ومفتون وحاسد وحاقد ومعرض ومستهتر وغرار وخداع وكلما دعاهم الى الله يوعزون بصبيانهم وسفهائهم ليحصبوه بالمدر ويقذفوه بالحجر ويسخروا به مستهزئين ويؤذوه متعجرفين ويصدوا عنه مستكبرين يتمرغون في حمأة من الجهالة كما جاء في القرآن المجيد « لقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم

يحسبون انهم يحسنون صنعا »

هذا جزاء النبي المبعوث « ص » الذي جاء ليطهرهم من الرجس وينقذهم من الجهل وينور بصيرتهم بضياء التوحيد ويصعد بهم إلى مراقي الفلاح وينسخ من قلوبهم درن الوثنية ولكن الصادق الأمين رسول رب العالمين لا تزيده المحن والاحداث إلا عزة وعلواً وإباء وقوة في الشكيمة وصلابة في الرأي وثباتا على الحق بتبليغ رسالته لهداية عباد الله الضالين وكلما تجدد منهم العنت والاذى تجدد منه الرجوع الى الله ليريهم الحق حقاً والباطل باطلا ولكنهم استأسدوا عليه بعد وفاة عمه ابي طالب وزوجه خديجة فقد كانا شوكة في اعينهم ودرعاً ومجناً وقد توالت عليه الشدائد فصهرته صهراً وصقلته صقلا فاعتصم بالله فازدادت نفسه صفاء وتحول الضعف قوة ولم يبال بالشغب والنصب وتساوى لديه في رضاء ربه الشدة والرخاء والراحة والعناء

رجوع النبي الى مكة

بعد ان علم ان القبائل وقريشاً تجمعهما المصلحة المشتركة وبعد أن رأى من ثقيف تلك المعاملة القاسية رجع إلى مكة خائفاً يترقب من قومه ولم يقدر على الدخول الى مكة لأن سفهاء قريش استقبلوه بالأذى ولكن احد الاشراف وهو المطعم ابن عدي اجاره من كيدهم وجاء إلى المسجد هو وبنوه وبنو اخيه بالسلاح الكامل فقال له ابو جهل أمجير لمحمد او متابع له فقال له بل مجير قال قد اجرنا من اجرت ثم دخل النبي « ص » فصلى في فناء الكعبة وقريش تنظر اليه شزراً

لم يكن خروج النبي « ص » من مكة الى الطائف إلا لالقاء الحجة على قريش وثقيف معاً فالاولى تمادت في غيها ولم تخفف من غلوائها وجمحت في غوايتها ولم تردع سفهاءها . والثانية ذهب اليها الى الطائف مخلصاً لها النصح لتفيء إلى امر الله وتوحيده وعبادته دون غيره وطلب منها حماية دعوته من قومه الساخرين في عمايتهم فصعرت خدها عتوا واستكبارا وردته اقبح رد مخالفة سجايا العرب الطبيعية في حماية النزيل وحفظ الجوار هازئة بدعوته عاملة على رجمه بالحجارة وطرده وأذاه وهذا منتهى اللؤم وكلتاهما قريش وثقيف متفقتان في المبدأ والغاية حتى انه لم يتمكن

من دخول مكة موطنه وموطن آبائه وعشيرته الا بجوار سيد من ساداتها بعد استقبالهم له بما يستفز الحليم فهل بعد هذا امعان في الظلم وشكاسة في الاخلاق اكثر من ذلك ولم ينتقم من اعمالهم ومن هنا يتضح لنا ان جو النبوة غير جونا ونفوس الانبياء غير نفوسنا لاتصالها بخالقها لا يساورها الهلع والجزع تتذرع بالصبر للقيام بتبليغ الرسالة والله يفعل ما يشاء

(الاسراء والمعراج)

الاسراء مصدر أسرى به اي جعله يسري والسرى هو السير ليلا والمعراج من العروج وهو الصعود وجاء ذكر الاسراء في القرآن الشريف « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا » واختلف المتكلمون هل كان بالروح والجسم معاً او بالروح فقط وجمهور المسلمين يعتقدون أن الاسراء بالجسم والروح والاسراء لو كان في الرؤيا ما كان هناك موجب لجحده من المشركين وما الذي يستبعد من اطلاع أي انسان على ما في الأرض والسماء في رؤيا يراها ودافع عن هذا الرأي محمد بن جرير الطبري في تفسيره وكذلك محمد بن احمد القسطلاني في كتابه المواهب اللدنية وتفردت السيدة عائشة بالقول كان الاسراء بروحه وجسمه بقي مكانه اما المعراج فلم يرد ذكره صريحاً في القرآن ولكن تضافرت به الأخبار ورواه جماعة من الصحابة واخرجته كتب الصحاح المعتبرة وأيده العلامة الثقة الطبرسي في كتابه مجمع البيان في تفسير القرآن عن الامام ابي عبد الله الصادق عن آبائه عليهم السلام ان الاسراء والمعراج كانا بالجسم والروح ليلة سبع وعشرين خلت من رجب وذلك قبل الهجرة بسنة واحدة سنة ٦٢١ ميلادية واختلفوا في موضع الاسراء فقيل كان نائما في المسجد فاسرى به منه وقيل كان نائما في بيت ابنة عمه ام هاني بنت ابي طالب ونقل عنها انها قالت ان رسول الله نام عندي تلك الليلة فصلى العشاء الآخرة ونام ونمنا فلما بدت تباشير الفجر اهبنا وصلى الصبح وصلينا معه ثم قال يا ام هاني لقد صليت معكم العشاء الآخرة ثم جئت بيت المقدس وصليت به ثم صليت معكم الغداة الآن كما ترين فقالت

له يا نبي الله لا تحدث بها الناس فيكذبوك فقال لاحدثن به وكانت ام هاني مؤمنة قوية الايمان من مؤآزريه وانصاره ولهـذا لم يخامرها شك في صدق ما رأى ولم يداخلها ريب في صحة ما روى وخافت عليه من الكبد والتكذيب وأخذت بطرف ردائه وقالت اني أذكرك الله يا ابن عمي ان تأتي قوما يكذبون رسالتك وينكرون مقالتك فقال لها لا تخافي ان الله معي وخرج «ص»

بقعة طيبة من بقاع الله شمال البيت الحرام في مكة وفي المزيع الأول كان «الرسول «ص» يميل بوجهه على البيت الحرام من دار ابنة عمه ام هاني والى جانبه ابن عمه علي بن ابي طالب ووجهته الكعبة المشرفة ومعه علي يطوفان معاً ثم يصلي صلاة العشاء اماماً وعلي مأموماً وبعد الصلاة يجلسان في حجر اسماعيل والنبي «ص» يصف عظمة الله وما اعد لأهل الايمان من النعيم وما يقاسيه اهل الشرك في العذاب المهين وعلي مطرق كله مسامع تمثل بحديث الرسول وبعد هجعة من الليل اضطجع سيد الأنام عليه الصلاة والسلام واضطجع علي بالقرب منه وبقي النبي بين اليقظة والمنام وفي اثناء ذلك حانت لحظة التجلي فلقد تأذن الله في هذه الليلة المباركة بالاسراء فاسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى وأراه في طريقه عبر الدنيا واطلعه على آياته الكبرى وكشف له الحجب وعلمه ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيما ولما نزل في بيت المقدس نزل في كرامة الله ثم زاده كرامة ورفعة فاصعده في الأفق الأعلى واجازه السماوات العلى حتى بلغ سدرة المنتهى ثم قدمه في حظيرة القدس الأسنى فتقدم في جلوة الحق يحدوه حاد من وحي ربه ونور قلبه وأراه الجنة والنار ومن فيها واسمعه صريف القلم في لوح القدر ثم نظر فاذا هو امام عرش ربه الكريم فخشع رسول الله (ص) خشوع القانتين فاوحى اليه الله ما اوحى وفي هذه الجلوة القدسية شرعت الصلاة لانها إلى الله صلة وقربى ومناجاة فمن اتجه الى ربه في صلاته خاشعاً منيباً فقد وجد الله حاضراً قريباً وصدر رسول الله متوجاً بهداه ثم عاد إلى مكانه في حجر اسماعيل وعلي قائم فاهبه للصلاة واخبره بكرامة الله له في الاسراء والمعراج فقال صدقت يا نبي الله وامتلأ قلبه سروراً وصلى معه صلاة الفجر ولا مراء بان هذا الاسراء آية من آيات الله

ولعلها آية الآيات في الارض وفي السماوات وقديماً تجلى الله على انبيائه ورسله فأراهم العجائب وعلمهم الكتاب والحكمة والهمهم الحق والاصابة ولكن لم يبلغ احد منهم مبلغ رسوله خاتم النبيين من النجلة والتكريم والتشريف والتعظيم

وبينما النبي (ص) جالس جاء ابو جهل كالمستهزء وقال هل نلت هذه الليلة شيئاً فقال له نعم أسري بي هذه الليلة الى بيت المقدس قال ثم اصبحت بين ظهرانينا قال نعم فهجس في نفس ابي جهل الخبيثة انه إذا اعلن الخبر ربما يجحده النبي مع اعتقاده انه لا يجحد ولا يكذب وقال له أتخبر قومك بذلك قال نعم فصاح ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فجاءوا واقبل عليهم النبي (ص) يحدثهم فكانوا بين مصدق ومكذب وقال جمهورهم ان العير لنطرد شهراً مدبرة من مكة وشهراً مقبلة من الشام فكيف يكون ذلك على بعد المسافة بين البلدين وطول الشقة بين المسجدين وقد أخذتهم الحيرة وطلبوا منه البرهان وقالوا له صف لنا المسجد الأقصى فوصف لهم قالوا فاخبرنا عن عيرنا فقال لهم مررت على عير بني فلان بالروحاء وقد اضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه واخذت قدحاً منهم فيه ماء فشربته فسلوهم عما اخبرتكم ومررت ايضاً على عيركم بالتنعيم يقدمها جمل اورق عليه غرارتان مخيطتان تطلع عليكم اليوم من طلوع الشمس فعندها خرجوا الى الثنية وجلسوا ينتظرون طلوع الشمس ليكذبوه فقال قائل منهم هذه الشمس قد طلعت وقال الآخر هذه العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما اخبركم محمد الصادق الأمين

فالأدلة والشواهد دلت على صدقه ورأى ما رأى هو هو عينا لا خيالا ولا حلما فكان هذا حدثا في تاريخ الاسلام له جليل أثره وعظيم خطره « فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون »

فالاسراء يتضمن سيراً أرضياً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وسيراً سماويا من المسجد الاقصى الى السماوات العلى والسير الارضي تحقق بالبراهين القاطعة الملموسة التي لا يمكن انكارها وقد شاهده الأعداء الألداء وصدقوا به والسير السماوي احتفال قدسي بينه وبين ربه يدل على مقامه المحمود عند الله

عز وجل فالتصديق بالسير الاول المبني على المشاهدة والعيان يبعث على التصديق بالسير الثاني بيد ان الذي نظم الثوابت والسيارات في السماوات وجعلها تدور باحكام بديع لا تتعداه في سيرها بحيث تقطع المسافات بسرعة واتقان يقف عندها العقل حسيرا دون ادراكها فالناظر اليها سابحة في بحار انوارها تختلف في ابعادها كاختلافها في بهائها وضيائها لا يسعه إلا التصديق والاعتقاد بان بارئها لا يعجزه الاسراء برسوله وأمينه على وحيه إلى السماء ولا يعسر عليه نقله من قطر الى قطر باقرب من وميض البرق لحكمة يعلمها تكريما وتعظيما لصفيه ونبيه «ص»

وبومئذ لم تكن قريش وأهل مكة تتسع عقولهم لمثل هذه الحقائق والمرء عدو ما جهل لجمودهم على النظر الى المادة جاحدين الاسراء كجحودهم الرسالة من قبل ولم يدركوا ما انعم الله على النبي من القوة الروحية والايمان الثابت وما أعطاه من السلطان على النفس وما وهبه من العلم وما أعد له من الفضل والجزاء مما يخوله الاسراء على متن الهواء والعروج الى السماء ذات البروج والله على كل شيء قدير

(المصاهرة)

لقد تعمدت قريش مقاطعته واعرضت عنه وتجاهلته وجعلته في عزلة تامة وضيقت عليه كثيراً ففكر وهو وحيد بين قومه الجاحدين على أن يتزوج من سودة بنت زمعة ذات التقى والصلاح وهي ارملة احد المسلمين الذين هاجروا الى الحبشة ومات عنها زوجها فتزوجها بعد وفاة زوجه خديجة أم المؤمنين ثم مكن أواصر القربى بينه وبين ابي بكر (رض) فخطب اليه ابنته عائشة وهي في التاسعة من عمرها فعقد عليها ولم يبن بها إلا بعد الهجرة الى المدينة وهي في السنة الحادية عشر وقد كان لها المقام الأول بين نسائه «ص»

لقد قرن بالصواب تدبيره وأحكم رأيه واعماله لا تخلو من حكمة والحكمة لا تصدر إلا عنه لان زواجه من سودة بنت زمعة في هذا الدور من حياته لينسخ عادة جاهلية لا تتفق مع تعاليم الدين الاسلامي فقد كانوا لا يتزوجون المرأة التي مات عنها زوجها انفة واستكبارا ثم خطب السيدة عائشة وهي صغيرة السن

توطيداً لما بينه وبين أبيها من الصداقة والمصاهرة بين العائلات لها الأثر البعيد في تثبيت أواصر القربى والتعاون المتين في هـذه الفترة تفاقم الامر وتحركت كوامن البغضاء وتأججت نـــيران الحقد للانتقام واستشرى الداء في صدور القرشيين على المسلمين وحلفائهم وتفننوا في ايصال الأذى اليهم آناء الليل واطراف النهار والنبي «ص» رابط الجأش يقابل اساءتهم باحسانه وضغينتهم بعفوه قائلا اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون ومع ذلك لم يزدادوا إلا صلفاً وانتقاماً واستعصى الشر في قلوب غلف تغلغلت العداوة في سويدائها فانصرف عنهم الى القبائـــل المجاورة يدعوهم الى دين الله القويم لعله يجد عندهم الحماية والمنعة ولكنهم لم يقابلوه الا بالاعراض والعبوس قائلين له لو كنت نبياً لأجابك قومك وآمنوا بك وبعد ان دعاهم ووعظهم وارشدهم فلم يرمنهم سميعا رجع الى مكة مثابراً على الدعوة الى الحق ولم يابه لسفاهة السفهاء الجاحدين يطلب من الله الهداية لقومه وفي الحلق شجى وفي العين قذى ينتظر النصر الذي وعده به ربه صابراً محتسبا

﴿ تباشير النصر والظفر ﴾

وما النصر الا من عند الله. يثرب المدينة المنورة ذات ماء ونخيل وقدهيأت لها العناية الالهية حظاً جعلها بلداً مقدسا روحيا وسياسياً فأصبحت مهبط الوحي والتنزيل تهفو القلوب اليها للاقتباس من النور المحمدي الذي انبثق منه الاسلام والايمان ومنها تعبدت طرق الهداية للاعتراف بوحدانية الله الواحد الأحد وفيها تقوضت دعائم الأصنام من جزيرة العرب ومحا الله ظلمات الشرك واهله بنور الوحدانية تؤمها الناس أفواجاً أفواجاً لزيارة روضة هذا النبي العظيم وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وأصحابه الى يوم الدين

تقع المدينة المنورة في قلب الجزيرة العربية في القطر الحجازي ترتفع عن سطح البحر بنحو ٩١٦ متراً وهي على ٢٩ درجة و ٥٥ دقيقة شرقاً وعلى عرض ٢٤ درجة و ١٥ دقيقة من شمال خط الاستواء. وكان للنبي علاقة زوجية في يثرب وقد زارها وهو طفل مع امه وأخواله فيها قبر ابيه وبعد رجوعها توفيت والدته بالأبواء قرية اقرب إلى يثرب من مكة وفيها ذوو قرباه بنو النجار أخوال جده عبد المطلب وكان أهل

يثرب كغيرهم يعبدون الأصنام ويجاورن فيها اليهود الذين لهم السيادة على اهلها من الاوس والخزرج والعداوة مستحكمة بين هاتين القبيلتين والمسيحيون الذين هم في حوران والبلقاء على تخوم الحجاز يكرهون اليهود لاعتقادهم أنهم صلبوا السيد المسيح عليه السلام وحينما أغاروا عليهم في الحجاز ليقتلوهم عاونهم على قتال اليهود قبيلتا الاوس والخزرج فقتل من اليهود في هذه الغارة عدد غير قليل ورجع المسيحيون بعد هذه الغارة يفاخرون بانتصارهم على أعدائهم اليهود وانصرف الاوس والخزرج تتهلل وجوههم فرحاً وبشراً لانكسار شوكة اليهود الذين تساووا معهم بالقوة وتضاعفت عداوة اليهود لمواطنيهم الذين عاونوا أعداءهم عليهم وادركوا عجزهم عن مقاومتهم مجتمعين فلجأوا إلى سياسة التفريق بينهم ففصلوا الاوس عن الخزرج ولقحوا الفتنة بينهما وأمن اليهود بانقسامهم وطالما افتخر اليهود عليهم أنهم أهل كتاب سماوي وكثيراً ما أنذروهم بانه بعث نبي او سيبعث من ذرية نبي الله اسماعيل يحمي اليهود ويقضي على عبدة الأوثان

من هذا الحادث نعلم بان المسيحيين الأولين وملوكهم من الدولة الرومانية الشرقية لم ينتصروا على ملوك فارس حتى جلوهم عن بيت المقدس إلا بتعلقهم باهداب الدين وما غزوا يهود الحجاز في عقردارهم إلا بهذا الحماس الديني الذي يجيش في صدورهم وقد هب العرب يومئذ لمعاونتهم على قتال اليهود واليهود شعب انطوى على نفسه منذ مئات من السنين لم يختلط بالشعوب المقيم بين ظهرانيها ولا يريد الخير إلا لبني قومه وقد تمكن هذا الشعب الممقوت من جميع شعوب العالم ان يغري دولتين مسيحيتين عظيمتين على مساعدته ومعاونته على تاسيس دولة يهودية في فلسطين مهد المسيحية بالرغم عن أهلها العرب وهاتان الدولتان هما الولايات المتحدة الاميركية وبريطانية العظمى وقد طردوا العرب من مسلمين ومسيحيين وأجلوهم عن اوطانهم التي احتلتها اليهود وأصبحت الناصرة وبيت المقدس والأماكن المقدسة فيها موطناً لنعال اليهود فيالليت شعري هل ضرب المسيحيون والمسلمون عرض الحائط بتعاليم المسيح ومحمد عليهما السلام حتى أباحا لشذاذ الآفاق العبث بمقدساتهم الدينية فالبدار البدار لطرد هذه الحشرات السامة

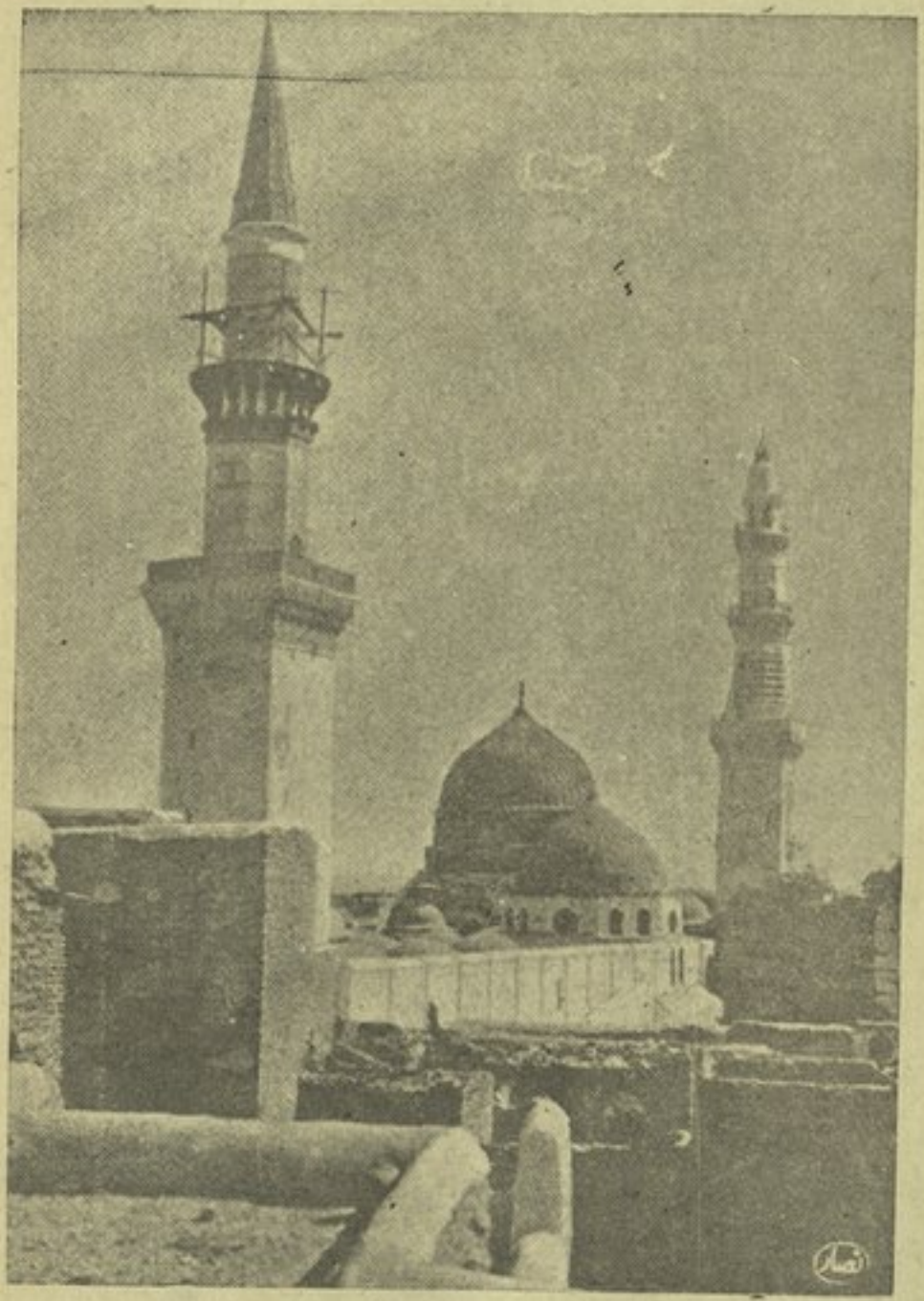

الضريح النبوي في المدينة المنورة . تحت القبة الوسطى وهي خضراء

عن ارض هذا الوطن المقدس كما جاء بالذكر الحكيم « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم وإن تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لايكونوا أمثالكم »

(بيعة العقبة ومفاجأتها)

ولما كان اليهود شعباً متعاضداً مقتصداً يبني قوته على المادة يعرف بالحزم والمكر والكتمان ينزع الى الحيلة إذا احرجه الأمر وفتقت لهم الحيلة على إيقاع الفتنة والخلاف بين قبيلتي الأوس والخزرج بوسائلهما التي يستعملونها لذلك اتفقت قبيلة بني قريظة والنضير اليهودية مع قبيلة الاوس الوثنية وتحالفت قبيلة بني قينقاع اليهودية وقبيلة الخزرج العربية الوثنية وغايتهم من هذا الاتفاق والتحالف القضاء على القبيلتين العربيتين لتعود لهما السيادة على يثرب كالأول وقد اضرما نيران العداوة بينهما ونشبت الحرب بين الأوس والخزرج واقتتلا قتالا شديداً انتصرت فيه الخزرج على الأوس أولا ولكن رئيسهم حضير ابو أسيد اهاب بهم بعد الفرار فكروا على الخزرج فهزموهم هزيمة منكرة وتلاشت قوة الفريقين الغالب والمغلوب لشدة ما وقع من الخسائر الفادحة بالارواح والاموال وتسمى هذه الوقعة بيوم بعاث الذي رجعت فيه السيادة لليهود في يثرب على الاوس والخزرج وكانت هذه الوقعة قبيل هجرة النبي «ص» بنحو خمس سنين وبعد انتصار الأوس على الخزرج اغتنم الأوس هذه الفرصة لاستئصال الخزرج بصورة عامة فناداهم ابو قيس ابن الاسلت تربت ايديكم تجاوزتم الحدود كفوا عنهم « فجوارهم خير لكم من جوار الثعالب » أي اليهود وقد نبغ في يثرب بعد حرب بعاث رجال من العرب أباة الضيم أدركوا أن اليهود مع قلة عددهم يتلاعبون بمقدراتهم ويعبثون بهم باذكاء نيران الفتن حتى جعلوا بأسهم بينهم ليستقلوا بالسيادة عليهم فأمضهم الأمر ولم يطيقوا صبراً على هذا الحال فرفعوا قناع الجهل عن وجوههم بكل اباء وشمم ولم يعترفوا برياستهم عليهم وقد جاء في صحيح البخاري عن السيدة عائشة كان يوم بعاث يوماً قدمه الله لرسوله (ص) لدخولهم في الاسلام وفي سنة ٦٢٠ ميلادية

أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه وانجاز ما وعده لرسوله، خرج كعادته في الموسم يدعو الله فبينما هو عند العقبة لقي رهطاً من الخزرج اراد الله هدايتهم وقد

توسم فيهم الخير قال لهم من أنتم قالوا له نحن نفر من الخزرج قال لهم أنتم من موالي اليهود قالوا نعم فدعاهم الى الله بفصاحته وبلاغته وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم بعض الآيات من الذكر الحكيم فدهشوا ونظر بعضهم إلى بعض معجبين وقالوا والله هذا هو النبي الذي تواعدكم به اليهود فلا يسبقونكم اليه ثم علموا سيرته واحواله من أعدائه فرأوه عظيما في قوله وعمله كاملا في خلقه وخلقه واعتقدوا انه ضالتهم المنشودة للحياتين وظهرت على وجوههم امارات السرور وشرح الله صدورهم للاسلام وأجابوا دعوته وأسلموا وأخبروه عما يقاسونه من آلام العداوة والبغضاء فيما بينهم وبين مواطنيهم من قبيلة الاوس وقالوا عسى الله ان يجمعنا بك ويجمعنا عليك في عز ومنعة وهؤلاء الرهط ستة نفر وفي رواية اثنا عشر نفراً من أهل يثرب وقد بايعوه بيعة العقبة الأولى ورجعوا إلى قومهم وذكروا اسلامهم ووصفوا النبي بما شاهدوه من الكمال المطلق في شمائله وجماله وجلاله فارتاحت لذكره نفوسهم وهفت اليه قلوبهم ودار اسمه في احاديثهم وسمرهم في كل بيت خزرجي أو أوسي بكل تعظيم ووقار

وروى بعض المؤرخين أنه ذهب معهم الى يثرب مصعب بن عمير ليفقههم في الدين بامر النبي (ص) وان الاسلام ازداد انتشاراً في يثرب واقبلوا على التوحيد ونبذوا الشرك ونور الله قلوبهم بنور الايمان واطمانت له نفوسهم وعندما عاد مصعب ابن عمير الى مكة قص على النبي (ص) اخبارهم وانهم يتنافسون بالدين وينشرونه بين قومهم

—(البيعة الكبرى)—

ولما استدار العام قدم من يثرب على النبي سبعون رجلا وامرأتان للمبايعة ولدى مقابلتهم له عليه الصلاة والسلام رأى الحماس يتجلى في وجوههم وعرف قوة ايمانهم بالتوحيد واندفاعهم في سبيل الحق وأرادوا مبايعته وطلب منهم ان لا تكون البيعة حلفا فاجابوه الى ذلك وواعدهم ان يكون الاجتماع في غسق الليل عند العقبة في ايام التشريق وفي المزيع الثاني من الليل جاؤا مستخفين وتسلقوا العقبة جميعهم ومعهم المرأتان وقدم النبي (ص) ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو

بعيد ما يعبده القرشيون وقد ظن ان ابن اخيه يعقد اتفاقاً مع اليثربيين وهذا الاتفاق اذا حصل سيكون مقدمة لحرب ضروس تقضي على الهاشميين بدافع العصبية واراد ايضا أن يستوثق من اليثربيين مدى قوة اخلاصهم الى ابن أخيه فخاطبهم بقوله يا معشر الخزرج ان ابن أخي له المقام الاول ليس بين الهاشميين فحسب بل بين القرشيين اجمع ونذود عنه بالأرواح إذا اعصوصب الأمر وقد عزم أن يكون رفيقاً لكم فهل أنتم وافون له ومانعوه ممن خالفه وممن ينصبون له الحبائل وممن كايده ومكر به فيها ونعمت، وإذا كانت العهود لا يمكنكم حفظها ورعايتها فدعوه يضبط أمره بحكمته

فقال اليثربيون تكلم يا رسول الله فخذ لربك ولنفسك ماشئت فاجابهم صلوات الله عليه بعد ان استفتح ببعض الآيات من القرآن الشريف ثم وعظهم وأرشدهم وقال لهم أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وابناءكم « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر ذنوبكم » فوقف البراء بن معرور سيد قومه ومد يده إلى النبي «ص» فقال بايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً عن كابر فاعترض أبو الهيثم بن التيهان قائلا يا رسول الله ان بيننا وبين اليهود عهوداً نحن قاطعوها فهل عسيت ان بايعناك ثم أظهرك الله ان ترجع إلى قومك وتدعنا فتبسم وقال الدم الدم والهدم الهدم وأنتم مني وأنا منكم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم ضمن دائرة الحق

وقال عبد الله بن رواحة يا نبي الله اشترط لربك ولنفسك قال أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم قالوا إذا فعلنا ذلك فما لنا قال الجنة قالوا جميعاً ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل وهم القوم بالبيعة فاعترضهم العباس وأعاد عليهم كلامه الاول وحثهم على الوفاء له وبه حصلتم على الدنيا والآخرة فاجابوه إننا عاهدناه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف ونحن فداء له فما لنا يا رسول الله ان وفينا لك فقال النبي «ص» لكم الجنة وبسط يده فبايعوه وكانت البيعة هذه قولهم

« بايعنا على السمع والطاعة في عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وان نقول الحق أينما كنا لا نخاف في الله لومة لائم »

ويلوح لي أن البيعة الاولى التي قام بها ستة نفر في وضح النهار حدثاً جديداً في تعزيز راية الايمان والتوحيدعبدت الطريق للبيعة الثانية في عتمة الليل الدامس التي عقدها اليثربيون للنبي «ص» وما هما إلا انطلاقة النصر المؤزر للدين الحنيف ليس في يثرب فحسب بل في اجواء الجزيرة العربية والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئاً هيأ أسبابه فقد تهيأت الأسباب يوم بعاث بانبعاث اليثربيين من استنامتهم لاعدائهم اليهود فقد رفعوا كابوس الجهل عن كواهلهم المتعبة بتفكيرهم الصحيح والانصراف عن عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن « فطرة الله التي فَطَرَ الناس عليها» بالصورة الرائعة التي ظهرت على وجوه اليثربيين عندما عقدوا البيعة تتجلى بالبشر والسرور وهم يقولون يارسول الله آمنا بك وكل مـــا هو الحق كل الحق لانقبل ولا نستقيل

وبما ان البيعة عقدت في ليلة ظلماء سراً تحت طي الكتمان لا يعلم بها غير الله ولكن قريشاً علمت قبل طلوع الصبح مما أجمع عليه النبي(ص) من الانصار فراعها الأمر وسمع الأنصار صوتا يصيح بقريش دونكم ومحمد والصباء معه اجتمعوا عـلى حربكم فعندهـا تقدم العباس بن عبادة للنبي بعد ان سمع صوت المتجسس عليهم وقال والله الذي بعثك بالحق لنميلن على أهـــل منى بأسيافنا فقال النبي (ص) لاتعجل لم نؤمر بـذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم وخرج المشركون يطلبون الأنصار فلم يظفروا الا بسعد بن عبادة وهو زعيم قبيلة الخزرج فأرجعوه إلى مكة وعذبوه ثم أجاره مطعم بن عـــدي و الحارث بن أمية لأنه كان يجير من يخرج بتجارتها إلى الشام حينما يمر بالمدينة وهذه البيعة فتحت عهداً جديداً للدولة الاسلامية وخرجت من الحصار بين جبال مكة وشعابها من واد غير ذي زرع إلى بلد خصب طيبة تخرج من كل الثمرات واتسع المجال امامها وأشرفت عـلى مشارف الشام وسواد العراق وبهذه المرحلة الجميلة تتحقق الآمال فلا عجب إذا رأينا قريشاً بعد هذه البيعة اصيبت بالصميم واستولى عليها الذعر واعتقدت بأن الاسلام انتصر على الأوثان وأصبحت في تجارتها إلى الشام تحت رحمة المسلمين فهبت تعقد الاجتماعات في دار الندوة للمداولة ذاهلة متحيرة وقد اغلق عليها الأمر وابهم ولم تهتد إلى رأي

حـــاسم ثم قررت مراقبة النبي(ص) مراقبة فعالة واستعمال الشدة على من اتبعه من المسلـــين

والنبي (ص) كان يعلم سوء نواياهم وما تخفي صدورهم من الحقد عليه وعلى من اتبعه من المؤمنين ولا يفوته ما يجري في دار الندوة من المؤتمرات ولكنه يطبق اموره عـلى الحكمة وسداد الرأي وأوعز الى المسلمين بالهجرة إلى المدينة فرادى ووحدانا مستعينا بالله واستمرت الهجرة واستمرت قريش عـلى طغيانها بالوقوف سداً منيعاً للحيلولة بينهم وبين الخروج من مكة وضربت عليهم حصاراً دقيقاً وبثت العيون يتجسسون عليهم وضيقوا المسالك بالأذى وسلب الاموال والاضطهاد كل ذلك لم يثن عزيمتهم عن الهجرة ليخلصوا بدينهم وليكونوا احراراً في دنياهم

وأحست قريش أن الاسلام بدأ يتغلغل في جزيرة العرب مـــن يثرب وان المسلمين المهاجرين في المدينة في أمان الله ورعايته وكل يوم يزداد عـددهم فوجلت واستوبلت عاقبة أمرها وتعددت اجتماعاتها وتشعبت مذاهبها بالقضاء على النبي وعلى دعوته وأخيراً أجمعوا عـلى قتله كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم(وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خـير الماكرين) وقد اطلقت قريش قذائف هجماتها العنيفة على المتخلفين مـن المسلمين بمكة وأثارت عليهم الغوغاء والسفلة من الاشرار وكان صراعا بين الحق والباطل بين الشرك والتوحيد من أعجب ما شهد التاريخ في الاحقاب الغابرة

-(الهجرة الى المدينة سنة ٦٢٢ م)-

بعد اتفاق قريش على الفتك بالنبي في ليلة عينوها لمباشرة عملهم الفظيع وتنفيذه قال قائلهم لم يكن بعد ابي طالب من ناصر لمحمد ينصره فاجمعوا على أن يأتوا من كل قبيلة بغلام نهد فيضربوه باسيافهم ضربة رجل واحد فلا يكون لبني هاشم قوة بمعاداة جميع القبائل ومذ اتصل بالنبي (ص) ما بيتت قريش له بخافة هجرته إلى المدينة حيث تقوى شوكته وتهب ريحه وقـد احاطوه بالجواسيس كما أحاط نفسه بالكتمان ولم يعلم احد بما عزم عليه ينتظر الوحي الآلهي الذي كان في ليلة التنفيذ يأمره أن لا يبيت على فراشه وبالخروج من مكة وأن يأمر علياً بن ابي طالب ان

يتسجى برده الحضرمي الأخضر على فراشه وأمره ان يتخلف بعده بمكة ليؤدي عنه الودائع التي عنده للناس فنام علي مغتبطاً فلما كان الليل اجتمعوا على باب النبي «ص» يرصدونه حتى ينام لكي يثبوا عليه وقد ضربوا حول البيت نطاقاً لاينفصم وخرج في هدأة من الليل وقد اخذ الله على أبصارهم فلم يره أحد ونثر على رؤوسهم ترابا كان في يده وهو يتلو قوله تعالى « يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على اكثرهم فهم لا يؤمنون انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون »

ثم انصرف إلى حيث أراد واتاهم آت ممن لم يكن معهم وقال ما تنتظرون ها هنا قالوا محمداً فقال قد خيبكم الله قد والله خرج محمد عليكم ثم ما ترك منكم رجلا إلا وضع على رأسه ترابا وانطلق لما يشاء افما ترون ما بكم فوضع كل فتى منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب فقالوا حقاً ما هذا التراب ثم هجموا على فراش النبي (ص) فرأوا علياً في برد رسول الله آمن في سربه لم يتسرب الخوف إلى قلبه الكبير ولم يداخله الجزع من سيوفهم المرهفة ورماحهم المثقفة وهل يساور النفس المطمئنة الخوف وهي لم تسجد لصنم قط

كلا هنا تمثل الفداء في أروع مظاهره والوفاء في أبهى صوره والصبر في اكمل معانيه والجهاد في أعظم غاياتـــه والايثار في انبل مواضعه وجاء في احياء العلوم للامام الغزالي بان هذه الآية نزلت في علي (ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله رؤوف بالعباد) ولما رأت قريش علياً في فراش الرسول قالوا له أين ابن عمك قال قلتم له اخرج عنا فخرج عنكم

في هذه الساعة الرهيبة اذن الله لنبيه في الهجرة إلى المدينة وخرج من مكة هلال ربيع الأول مستصحبا ابا بكر وقد جاء في الذكر الحكيم (الاتنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا) حتى لحق بغار ثور وابو بكر معه وهو جبل في أسفل مكة ونظر (ص) إلى البيت الحرام حين خروجه وقال إنك لأحب ارض الله إلي وإنك لأحب

ارض الله إلى الله ولولا ان اهلك اخرجوني منك ما خرجت واقاما بالغار ثلاثة أيام وقريش تجد في طلبه وبعثت القافة أثره في كل وجهة وجعلت مائة ناقة لمن رده اليهم واثبت الله على باب الغار شجرة ام غيلان ونسجت العنكبوت على وجه الغار واقبلت حمامتان وحشيتان باضتا في اسفل الثقب تحت الشجرة التي في اسفل الغار وجاء فتيان قريش باسيافهم وعصيهم يبحثون حتى وصلوا الى الغار وقال احدهم ادخلوا الغار فلما سمع ابوبكر تصبب عرقا وامسك انفاسه خوفاً من دخولهم والنبي مشغول بالصلاة والدعاء فقال امية بن خلف لاصحابه ان على باب الغار عنكبوتا اقدم من ميلاد محمد وقال آخر لو دخل محمد لتكسر البيض وتفسخ نسج العنكبوت وكلما امعن رسول الله بالدعاء والصلاة يزداد ابو بكر خوفاً ويقترب من النبي «ص» ويلصق نفسه به فيهمس النبي في أذنه لا تحزن ان الله معنا ومذ سمع ابو بكر تناديهم للرجوع من حيث أتوا ازداد إيمانا بالله ورسوله وهتف النبي (ص) الحمد لله والله اكبر

لقد شمخت قريش بانفها وتجاوزت حدودها وتقدمت بشبانها وكهولها للقضاء على الاسلام في مهده الذي ولد فيه انتصاراً لآلهتها المتعددة التي لا تغني عنها شيئاً ولم تتورع عن حصار الرسول في بيته تعد عليه انفاسه في عتمة الليل الى طلوع الفجر عازمة بعامل الجهل على قتله تقربا لاصنامها وما علمت أنه بعين الله منجز ماوعده من النصر المبين المطلق وقد اخذ الله على أبصارهم وبصائرهم وخرج من بينهم وهم لا يشعرون وتابروا على ضلالهم يتحرونه في شعاب مكة وجبالها وكهوفها ووقفوا على باب الغار الذي توارى فيه وصاحبه تحرسه من كيدهم حشرة من العنكبوت بنسيجها وشجرة باغصانها وحمامة بفراخها فانكفؤا بذهول واخفاق لا يدرون ما يصنعون

لقد نسج العنكبوت الواهي وباضت الحمامتان الوحشيتان وتدلت أغصان الشجرة الدانة على باب الغار هذه المخلوقات الثلاث لم تكن موجودة ولا تجانس بينها وقد اتفقت بعد دخول صاحب الغار اليه على حمايته من الأعداء وتقابل الضعف وجهاً لوجه مع القوى الجبارة فانتصر الضعف على كل أغلب جبار وهنا تجلت المعجزة

سافرة وخـــالدة إلى يوم الدين

وجاء في المجلد الأول من تاريخ الطبري ان علياً بن أبي طالب وهند بن هالة ربيب رسول الله (ص) وأخا السيدة فاطمة من أمها انطلقا في الليلة الثانية إلى الغار فأمر النبي هنداً أن يبتاع له ولصاحبه راحلتين فقال أبو بكر قد أعددت لي ولك يارسول الله راحلتين فقال صلوات الله عليه لا آخذهما أو أحدهما إلا بثمنهما فقال هي لك بذلك وامر علياً أن يبتاع رواحل للفواطم ولمن ازمع الهجرة من بني هاشم وأمره بحفظ ذمته واداء أمانته

وبعد أن مكث النبي (ص) ثلاث ليال في غار ثور استأجر عبد الله بن اريقط دليلا وهو مشرك فأتاهما براحلتيهما وانطلق معهما هو وعامر بن فهيرة على طريق البحر في غرة ربيع الأول وعند ما سمع سراقة بن مالك بان قريشاً جعلت لمن يرد النبي مـائة ناقة فطمع في رده أو قتله ليأخذ جعل قريش فساق فرسه فكبابه ثم زجره وسار به سيراً حثيثاً فكبا به حتى كاد أن يقضى عليه ثم استأنف المسير حتى بلغ عسفان فأدرك النبي ووقف ولم يجسر عـلى ما جاء لأجله وخاف عاقبة الأمر ووعظه النبي «ص» فأناب ثم تاب ورجع نادماً على سوء عمله وخبث نيته

لقد قاسى النبي في رحلته هذه المضنية ما لا يقدر عليه غيره في الصحاري الجافة تحت الشمس المحرقة عناء وتعباً يجتاز آكاماً ووهاداً لا يجد فيها ما يتقي شواظ الحر ولا معقلا يحتمي به من مفاجأة اعدائه ولكن ثقته بالله كانت له مجناً من كل محذور والدليل معه ينحرف يمنة ويسرة عن الطريق تضليلا لقريش ولما بلغ الحرار وثنية المرة قرب بدر حول طريقه إلى العرج ثم إلى الأجرد وهبطوا وادي العقيق ولكنه أمر «ص» أن يكون النزول أولا في قباء قرية عمرو بن عوف فبلغها ظهر يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت مـن ربيع الأول سنة ٦٢٢ ميلادية والتاريخ الهجري ينبغي أن يكون ابتداؤه اول هذا الشهر ولكن الاسلام وأهله لم يغيروا ما اعتاده العرب في امورهم الدنيوية لأن أول السنة القمرية عندهم شهر المحرم فبقي القديم على قدمه واتفق المجلسي في البحار والطبري في تاريخه بان النبي «ص» خرج من غار ثور متوجهاً إلى المدينة في شهر ربيع الأول يوم الاثنين ودخلها يوم الاثنين

وفي هجرته أصبح حراً في دعوته والمسلمون احراراً في عبادتهم

وأقام علي بن أبي طالب ثلاثة أيام في مكة بعد النبي وصاحبه الى أن ادى ما أمره باداته وعمل بما اوصاه به ولحق بالنبي (ص) والمشركون يتعقبونه ليوقعوا به ولكنه كان حذراً فلم يجرؤا على مجابهته وقد لاقى الآلاقي في الطريق والمشقة والتعب والجهد ودخل معه المدينة يوم الاثنين

فالنبي (ص) أقام بين قومه ثلاث عشرة سنة بعد النبوة يدعوهم إلى الله ولا يجيبونه إلا بالأذى والاعراض وهجر القول وحمل منهم ما تنوء به الرواسي وبعد المؤامرة على قتله أذن الله له بالهجرة فهاجر كاخوانه من الانبياء الذين هاجروا قبله عن أوطانهم ولو لم تكن الهجرة لما انتشر الاسلام وما هي إلا بعث جديد للحق الذي جاء به وانتصار على باطل القرشيين وقد غيرت مجرى التاريخ الذي أصاخ السمع لصوته القوي وسطر في صحائفه ما شاء وشيد حضارة الاسلام على انقاض حضارة الفرس والرومان فكل نبي تعالى شأنه بمزايا خاصة امتاز بها بين قومه الانبياء «ص» فقد تحلى بكل الكمالات وتم له ما نقص في غيره فكان رسولا حكيما وهاديا للحق وإماماً في التشريع وسياسياً بعيد النظر واجتماعياً وقائداً في الحرب

بدء الاسلام يسطع نوره في يثرب قبل وصول النبي (ص) اليها فالجو مناسب والدين الاسلامي سمح سهل في العبادة والآداب والمسلمون يبثون بين اخوانهم اليثربيين تعاليم الدين المبين ويذكرون لهم ما جمع الله في شخص صاحب الرسالة من الكمال المطلق في جماله وجلاله ومكارم اخلاقه فيدخلون في الدين مؤمنين افواجاً افواجا واليثربيون على اختلاف نحلهم لا فرق بين من أسلم وبين من لم يسلم يتوقون الى رؤيته لينهلوا من رحيق حكمته والدليل على شدة تعلق اليثربيين بذاته الطاهرة ما جاء في السيرة بان سعد بن زرارة ومصعب بن عمير وهما من اشراف اليثربيين جلسا في حائط من حوائط بني ظفر واجتمع اليهما رجال ممن أسلم حديثاً فبلغ خبرهما سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وكانا لهما السيادة على قومهما فقال سعد لأسيد اذهب إلى هذين الرجلين اللذين اتيا دارنا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما

فذهب اليهما أسيد ليزجرهما فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت أمراً قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أسيد انصفت وركز حربته وجلس اليهما وسمع الى مصعب وانقلب مسلماً وعاد الى سعد موحداً فغاظ ذلك سعدا وانطلق هو الى الرجلين فكان أمره كامر صاحبه وبلغ به الحماس الى الدين الجديد الذي هداه الله اليه انه ذهب إلى قومه وقال يابني عبد الاشهل كيف تعلمون أمري فيكم قالوا له سيدنا وأوصلنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة فقال لهم ان كلام نسائكم ورجالكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله فاسلم بنو عبد الاشهل رجالا ونساء

بعد بيعة العقبة الاولى حل في يثرب الصفاء بعد الجفاء وبعد البيعة الثانية خيم السلام وتبخرت جراثيم الاحقاد من الصدور في الهواء وتبدل الخصام بالوئام فكأنه لم يكن هناك لا أوس ولا خزرج وتعزز مركزهم بين العرب وتضاعفت قوتهم المعنوية واحسوا أنهم بعثوا خلقاً جديداً

ومذ علم المسلمون بخروج النبي «ص» من مكة مهاجراً اليهم طابت نفوسهم وتهللت وجوههم بشراً وسروراً وشاركهم بافراحهم غير المسلمين وكانوا جميعهم يخرجون كل يوم إلى الضواحي يستطلعون طلوع النور المحمدي ليستضيئوا بنوره وهداه في الحياتين

الفصل الثالث

من السنة الاولى من الهجرة الى آخر السنة الثالثة

(المدينة المنورة)

نزل النبي (ص) حال موافاته المدينة بقباء على سعد بن خيثمة واقام يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وسار يوم الجمعة واتته الانصار والوفود وامارات السرور تنطق بها شمائلهم حياً حياً يسأله كل فريق النزول عليه ويتعلقون بزمام راحلته فيقول لهم خلوا عنها فانها مأمورة حتى ادركته الصلاة في بني سالم فصلى بهم يوم الجمعة وكانت أول جمعة صليت في الاسلام ثم استوى على ناقته فسارت لا تعرج

على شيء حتى أنت موضع مسجده فبركت ثم سارت غير بعيد ثم عادت الى مبركها واطمأنت والنبي (ص) يراعي مكارم الله منه وتوفيقه له وعنايته به فنزل عنها وسار إلى منزل أبي ايوب الانصاري فاقام في منزله شهراً حتى ابتنى المسجد بعد ابتياعه الموضع ومن هذا المسجد الصغير تسامت الادارة الاسلامية وتعالت رويداً رويداً وطغت على الجزيرة العربية ودانت لسطوتها الامم وفي هذا المسجد تبدلت مكانة الانصار وغمرتهم العزة بعد الذل واشتد سرورهم واظهروا التأسف على ما فاتهم من نصرته وقال شاعرهم هرمة بن انس

« ثوى في قريش بضع عشرة حجة ... يذكر لا يلقى صديقا مؤآنيا »
« ويعرض في اهل المواسم نفسه ... فلم ير من يوفي ولم ير داعيا »
« فلما أتانا اظهر الله دينه ... واصبح مسروراً بطيبة راضيا »

ومذ حل النبي (ص) في يثرب والوفود متصلة لزيارته والترحيب بقدومه ويكررون النظر الى رجل وقف في وجه القرشيين الذين هم اعظم قبائل العرب نفوذاً داخل الجزيرة العربية وخارجها لامتيازهم بشرف المحتد والجاه والكرم والقوة والشجاعة والثروة وقد سفه احلامهم وعاب آلهتهم ليصرفهم عن عبادة الاوثان التي صنعوها بايديهم الى عبادة الصانع الخلاق الواحد الأحد الذي بيده مقاليد كل شيء

وطالما سمع اليثربيون من اعدائه الثناء عليه في صدقه ووفائه وامانته ونزاهته واخلاقه وزهده وتقواه فكانوا من أول وهلة ينظرون اليه نظرة انتقاد يستعرضون هيئته وقيافته وشمائله وحركاته وسكناته وكلامه فدهشوا حيث صدق الخبر الخبر وانقلبوا من مجلسه وقد شغفهم حباً وتبدل انتقادهم له اكباراً واعظاماً ثم خفقت قلوبهم خفقانا متواصلا وهم يفكرون في سياسة يثرب الملتوية وهل يقوّم اعوجاجها بحكمته ويلين صعابها بمكارم اخلاقه وهيبته ويعالج جمع هذه الاحزاب التي تختلف في المبدأ والغاية ما بين مسلم متحمس ويهودي متعصب ووثني جامد اضف الى ذلك ما بينهم من العداوة المتأصلة وهناك عناصر الشر تكمن في كل ناحية من وراء هذه الأحزاب لتنفث سمومها وتقطع الطريق على كل تقارب صحيح

ولكن النبي «ص» كان يفكر في حل هذه الأزمة المستحكمة والمشاكل المستعصية بين هذه الاحزاب المتنافرة بحكمة وروية لأنه يعلم هذه المقدمات وما تنطوي عليه نفوس القوم بيد أن كل راع مسؤول عن رعيته ولا يناسب أن تطغى المشاكل الداخلية على المصلحة العامة وهو المصلح الأعظم للناس كافة فلا يعجزه وحدة يثرب على التعاون والتفاهم وإزالة مابينهم من الاحقاد والعداوات والعنعنات القديمة ولاريب بأن العلاقات بين اليثربيين اجتازت أدواراً خطيرة بين جفاء وغلظة وقتال ذهبت فيه الارواح جزافاً والاموال هباء ضحية الجهل المستحكم في نفوسهم المتمردة وشعر النبي «ص» بان الحروب طحنتهم أو كادت وانهم يميلون إلى حياة من السكينة تنسخ مايضمرونه من الحزازات الغابرة على اسس متينة راهنة توطد أواصر التفاهم والاخوة بينهم ولذلك عاهدوه على الوفاء له وعاهدهم على النصح لهم وفواتح اعماله جمع وحدة يثرب على اختلاف احزابهم ونحلهم ومذاهبهم مستعيناً بالله لتوحيد كلمتهم على الحق وقد جعل حرية العبادة دعامة اساسية وعماداً حيوياً للأفراد والجماعات وقيدها بشروط مخصوصة ووجه سياسته خير وجهة لتطهير قلبهم من الاحقاد ليكونوا كتلة متراصة على من سواهم وبعد أن جمعهم وألف بينهم وعزز هذا التقارب المتين الصادق بدخول اليهود مع مواطنيهم بهذا الاتفاق صوناً لعروة الوحدة من الانفصال لانهم أحسنوا استقباله كغيرهم من المسلمين والمشركين وتظاهروا بالافراح والتفوا حوله معجبين بسمو أخلاقه وكماله وفصاحته وبلاغته وقد قابلهم صلوات الله عليه بالمثل وعطف عليهم وعاملهم بالحسنى واعطاهم كلما يبتغونه من حرية الرأي وحرية المعتقد واسدى اليهم من المعروف ما حملهم ان يجعلوه قبلة انظارهم ومحط آمالهم وكانوا يمنون انفسهم بان يكون لهم المقام الاول والمنزلة الرفيعة والحظوة عنده لأنهم موحدون ويحميهم من المسيحيين الذين يجاورونهم ويغزونهم من شمالي الحجاز

والنبي «ص» في موطنه الجديد لم يكن همه الا خدمة الانسانية ورفع شأن العرب وهدايتهم للوحدانية ليكونوا احراراً في عبادتهم محترما العقائد غير الوثنية فالمسلم والمسيحي واليهودي سواسية احرار فيمايعتقدونه لأن حرية الرأي والتفكير

تهدي الى الحق والحق احق ان يتبع « لا اكراه في الدين » ولأجل تثبيت العهد الذي أسسه بينهم على الحب والوئام بعد أن نزع ما في قلوبهم من غل ومحا كل ماخلفته الحوادث من عقابيل العداوة دعا اهل المدينة على اختلاف عقائدهم الدينية والسياسية وكتب لهم صحيفة تحالف بينهم على الصفاء والتعاون وحدد فيها الحقوق المتبادلة بين الجميع والمساواة في الواجبات ونصرة المظلوم وردع الظالم والانتصار للحق وكل حدث او خلاف بين اهل هذه الصحيفة فان مرده الى الله والى محمد رسول الله «ص» وقد وقع عليها رؤساء الأوس والخزرج ورؤساء اليهود من بني النضير وبني قريظة وبني قينقاع وحلفائهم وجميع الأحزاب والقبائل وبيمن غرته وصدق عزيمته وحد الصفوف ونزع ماخلفته الاحقاب الماضية من التباعد والتباغض ووضع الحجر الاساسي في كيان الدولة الاسلامية لان العبادات المتباينة لم تحل دون تحقيق الوحدة الاجتماعية واصبحت المدينة امنع من عقاب الجو في هذا الاتحاد الانساني الذي لا تؤثر فيه العواصف ولا تنال منه الاحداث

لقد اتى النبي «ص» بامر ربه مجاورا لقوم متشاكسين متدابرين لا يعلم عاداتهم لاختلافهم في عبادتهم وعقائدهم وهم ما بين مسلم ويهودي ومشرك وجاهلي وكل منهم يتميز غيظا وينظر شزراً ويبغي شزرة مهلكة لخصمه فانبرى صلوات الله عليه لاستئصال جراثيم الداء من قلوب عشعش فيها العداء وقضى على الحشرات التي تعيش على حاشية المجتمع بتحريض فئة على فئة وقوم على قوم

وحال دون اتحادهم مع أعدائه اهل مكة الذين يتربصون به الدوائر وينتظرون الفرص السانحة للقضاء عليه وعلى من اتبعه من المؤمنين وأظهر من حصافة الرأي والحكمة وحسن التدبير ما جعلهم يفدونه بارواحهم وبعد ان كانت مدينتهم بؤرة فساد حولها بسياسته المثلى وقوة عزيمته الثابتة الى روضة غناء يفوح منها عبير الحب والاخاء وازدهرت بالاخلاص والوفاء

(المؤاخاة)

«أعجب اليهود بمبادىء هذا النبي العربي «ص» الذي جمع ما تفرق وألف ما تشتت واستجمع له الامر بسمو اخلاقه واعتدال سياسته لا بدع إذا تسابقوا

لسماع الآيات البينات من كلامه الجامع لجوامع الكلم ثم زاد الاقبال عليه من اليهود وغيرهم من اهل المدينة وجوارها وكان يستند الى نخلة يخطب فيهم قائلا لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ومن استطاع ان يقي وجهه من النار ولو بشقة تمر فليفعل ومن لم يجد فبكلمة طيبة فان بها تجزى الحسنة بعشرات امثالها ثم يحثهم على الصدق في القول والعمل واسداء المعروف للقريب والبعيد ولم يكتف بما قامى من العناء في توحيد كلمة هذه الاحزاب والاقوام لتثبيت دعائم المودة الصادقة ليتناسوا ما بينهم من الثارات والذحول وقد عزم ان يتعهد جذورها بالسقاية لتنمو وتتكاثف اغصانها تمهيداً لتأدية رسالته وقد أمرهم بالتعاون في جميع شؤونهم والتقارب والتزاور بين الأسر والعائلات القريبة والبعيدة في النسب والوطن وبدأ (ص) بتنظيم المسلمين والمؤآخاة بينهم في الله بالسر والعلانية فكان أبوبكر وعمر أخوين وعمه حمزة وزيد بن حارثة أخوين وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف أخوين والزبير بن العوام وعبدالله بن مسعود أخوين وكان (ص) هو وعلي بن أبي طالب أخوين وقال ياعلي أما ترضى ان أكون أخاك قال بلى يارسول الله قال انت اخي في الدنيا والآخرة وتآخى اكثر المهاجرين والأنصار على اساس متين في سبيل الله وعلى ملة الرسول الصادق الأمين والسياسي الحكيم والمجاهد لنصرة الحق وازهاق الشرك وسكن المسلمون الى دينهم وجعلوا يقيمون فرائضه بلا خوف ولا وجل وغمر المدينة نفحة من الاخلاص جمعت القلوب على محبته «ص»

وعندما ازداد عدد المسلمين امر النبي «ص» فصنع له منبر من ثلاث درجات كان يقوم على درجته الأولى خطيباً ويجلس على درجته الثانية قائلا اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا واتقوه حق تقاته واصدقوا الله صالح ماتقولون وتحابوا بروح الله بينكم ان الله يغضب ان ينكث عهده وكان يحرض الناس على عمل الخير للانسانية جمعاء ويحذرهم عواقب الغدر ويحثهم على الصفح والاحسان ويشخص لهم الايثار والمفادات في سبيل الحق ويدعوهم الى مكارم الاخلاق وكان يمقت الكبر ويكره كل متكبر واذا دخل إلى مجلس فيه أصحابه يجلس حيث انتهى به

المجلس ويقول لا تطروني كما اطرت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام إنما انا عبد الله ورسوله لم يأبه بالتوهات ولم يشبع من طعام قط ولم يطعم غير خبز الشعير يومين متواليين والسويق طعام اكلته الكبرى « السويق هو الدقيق الناعم من الحنطة والشعير » والتمر طعام سائر يومه وفراشه ادما حشوه ليف وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع وتحت يده اطايب الرزق الـــذي كان يتناوله بعض الاحيان وزهده باللباس كزهده بالطعام وطالما لبس من احسن النسيج لباساً فخما في ظروف خاصة

فلا عجب إذا تمثلت في شخصه المثل العليا في قوة الارادة وكبح جماح النفس وزهده طبيعي في الحياة

والدين الاسلامي لم يمنع الانسان ان يأخذ نصيبه من الحياتين يتلذذ في الدنيا لرفاهيته ويعبد الله لآخرته مصداقاً لقوله تعالى« وابتغ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة وَلا تَنسَ نصيبكَ مِنَ الدنيا وأحسنْ كما احسنَ اللهُ إليكَ »

لقد تمكنت شوكة الاسلام وتوطدت دعائمه والنبي «ص» جاهد في اصلاح احوال البشريين في جميع نواحي حياتهم في اثناء ذلك جاءه الوحي الالهي باقامة الحدود وفرضت الزكاة وفرض الصيام وشرع الاذان والاقامة ووضع العدل الى جانب الرحمة والعفو الى جانب العدل وتنبهت العقول وتوسعت الصدور لتعاليم الدين المبين الذي جعل الاخاء الانساني دعامة في بناء الحضارة الأسلامية في الحاضر والمستقبل والنبي «ص» القدوة الحسنة بقوله (لا يكمل ايمان المرء حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه)

وروى امير المؤمنين علي بن ابي طالب انه سئل رسول الله عن سنته فقال «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والفقر فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة

هذه سيرته تنبيء عما منحه الله من قوة السلطان على كبح جماح النفس لبلوغ

الغاية من الكمال المطلق الذي اسبغه الباري على أولي العزم من اخوانه الأنبياء من قبله تعطينا صورة يتمثل فيها الاكبار والاعظام لذاته المقدسة في جميع ادوار حياته في تبتله وعبادته لله وجهاده لهداية خلقه لوحدانية الله وصبره على الأذى والعنت من قومه في طاعة الله وبره بالفقراء والبائسين لوجه الله صلى الله عليه وآله وسلم ما ضاء البدر وتفاوح الزهر

(انتقاض اليهود)

ولكن اليهود بالرغم من حسن المعاملة التي عاملهم بها النبي ساءهم اقبال الناس على الدخول في الدين الاسلامي ورأوا سرعة انتشاره واعتقدوا بانه كلما زاد عدد اهله ازداد قوة ومنعة وبدأوا يفكرون في موقفهم واخفقوا فيما كانوا يظنون بان النبي «ص» سينضم اليهم كما فكروا قبل هجرته لتكون لهم السيادة والرئاسة معاً في المدينة وبائناء ذلك اتصل حبر من احبارهم اسمه عبدالله بن سلام بالنبي واطلع على حقيقة الدين الاسلامي ورأى الحق ابلج في عين بصيرته وعلم ان شريعة النبي العربي نسخت الشرائع السابقة فاسلم مستبصرا هو واهل بيته وبعد ما اعلن إيمانه جاء يدعو قومه اليهود للاسلام فتضاعف الحسد والحنق في صدورهم وعزموا على نكث العهد واتفقوا ان يكيدوا للنبي «ص» وتآمروا مع مشركي الاوس والخزرج على الثورة ضد المسلمين واشعلوا نيران الفتنة وقام احدهم شاس بن قيس يستنفر قومه ويحيك شباك الفساد بين اليثربيين فلم يصادف اذنا صاغية ولم يقدر على فصم الوحدة التي تأسست على العدل والرحمة فانصرف الى الوقيعة بين المهاجرين فاعرضوا عنه وطردوه لأنهم ادركوا ما يرمي اليه

(الاشتراكية في الاسلام)

هاجر المسلمون من مكة الى المدينة حقناً لدمائهم مغلوبين على امرهم من ظلم جبابرة قريش فكانوا اعظم المؤمنين ثباتا على الحق واشدهم جرأة واصبرهم على الاذى فنالوا في الدنيا ما يبتغون وفي الآخرة ما يرجون وقد علم النبي «ص» بما نالهم من المشقة والعناء في هجرتهم من اوطانهم إلى بلد لم يألفوا اهواءه ولم يستسيغوا ماءه فانتابتهم اعراض الحمى وهاجمتهم الفاقة لأن اكثرهم لم يستطع

نقل امواله معه من مكة حيث اغتصبها قريش تشفياً منهم فقال النبي ضارعاً اللهم طيب لنا المدينة كما طيبت لنا مكة وبارك لنا في مدها وصاعها فاستجاب الله دعاءه وأخبرهم أن الأموال عادية وسيكون لكم من الأموال اضعاف ما تركتم وأشار إلى الأنصار بمواساتهم فصدعوا بالواجب وشاطروهم املاكهم واحسنوا وفادتهم ولكن النفوس الأبية تتألم في ضميرها ولو كانت المساعدة عن طيب نفس وسخاء ولما كان المكيون لهم قدم راسخة في التجارة فانصرف ابو بكر وعبد الرحمان بن عوف وغيرهما للتجارة وعمل جماعة منهم بالزراعة وهم علي بن ابي طالب وحمزة بن عبد المطلب وأبو ذر وعمار بن ياسر وغيرهم وهكذا جميع المهاجرين وطنوا انفسهم على العمل كي لا يكونوا كلا على غيرهم ووفد جماعة من العرب هداهم الله للاسلام وبما أنهم فقراء فقد أذن لهم النبي (ص) بالنوم في سقيفة المسجد واجرى عليهم شيئاً من مال المهاجرين والانصار وحثهم على العمل والكسب ونهاهم عن الكسل والبطالة

حقاً إن الأنصار افرغوا جهدهم واستنفدوا وسعهم وآثروا المهاجرين على انفسهم امتثالا لأمر ربهم وولاء لنبيهم وبلغوا الغاية في طاعة الله واسوا الاشتراكية الصحيحة التي هي في الدين الاسلامي كالعبادة وعلموا الاجيال التي اتت بعدهم كيف تكون الأريحية وكيف يكون الاخاء ، وكيف تكون المساواة فالقرشيون جحدوا وجود النبي وهو بين اظهرهم فكان اليثربيون احق به واهله وهاجر من هاجر من مكة الى المدينة ونجا من نجا من المسلمين بعد ان أوردتهم قريش موارد الذل والامتهان واغتصبت اموالهم ولم تحذر عاقبة عملها الذي لا ينتج إلا شراً وأصرت على العمه والغواية وتمادت في النكاية والكيد للنبي (ص) واوجفت في غيها وصممت على اغتياله في دار هجرته وارادت ان تغزوه بدافع الصلف والانتقام وهو لا يعبأ بهم ينتظر وعد ربه

﴿ المناوشات بين المسلمين والمشركين ﴾

ولما استقر المهاجرون بالمدينة واشتد ساعدهم تحركت نار البغضاء في صدورهم على القرشيين الذين شردوهم واغتصبوا اموالهم وطلبوا من النبي (ص) ان يأذن

لهم بالوقوف في طريق تجارة قريش التي تمر بالقرب من المدينة الى الشام في الذهاب والاياب وهو يأبى عليهم ذلك وبعد مقامه ثمانية اشهر بيثرب بعث عمه حمزة ابن عبد المطلب في ثلاثين راكبا من المهاجرين دون الانصار الى شاطىء البحر الأحمر حيث لقي ابا جهل بن هشام في ثلاثماية راكب من أهل مكة فوقف بينهم مجدي بن عمرو ومنعهم من المصادمة وكان معتزلا الفريقين ثم بعث سرية تحت قيادة عبيدة بن الحارث في ستين راكبا من المهاجرين فساروا إلى وادي رابغ فلقيهم جمع من قريش يزيد عن ماينين ورئيسهم أبو سفيان بن حرب ولم يحصل بينهم قتال

(غزوة ودان)

وخرج الرسول «ص» بعد اثني عشر شهراً من مقدمه للمدينة الى الابواء الى ان بلغ ودان وهي منازل بني ضمرة فحالفهم ورجع الى المدينة وبعد بضعة وعشرين يوما سار على رأس ماينين من المهاجرين والانصار الى بواط مكان على ساحل البحر البحر الأحمر يقع على طريق قوافل قريش الى الشام يريد قافلة يقودها أمية بن خلف عدتها الفان وخمسماية بعير يحميها ماية محارب ومذ علم انها اتخذت طريقا غير الطريق المعروف رجع عنها

يلوح لي ان النبي (ص) لما علم ان اليهود تناكثوا عهودهم وظهرت بوادر العداوة على صفحات وجوههم وتناسوا عطفه عليهم واحسانه اليهم ترفع عن تأديبهم وتغاضى عنهم ليقلعوا عما هم عليه وحذراً من اتحادهم مع قريش جعل هذه الطلائع والسرايا ارهابا لهم ولقريش معاً لأنه يتحرز من سفك الدماء ، فكانت هذه السرايا والطلائع تذهب وتجيء على الطريق الذي تمر عليه قوافل قريش من المدينة الى ساحل البحر ليعلم المكيون انهم أصبحوا تحت رحمة المسلمين في غدوهم ورواحهم الى الشام فظهورهم بمظهر القوة بين اولئك وهؤلاء يخفف من غلوائهم ويكسر حدة جبروتهم وهذه خطة سياسية لا يجهلها القواد العظام في هذه الأيام

﴿ مهاجريات حوادث السنة الاولى ﴾

إن هجرة النبي «ص» من مكة الى المدينة من اعظم الحوادث التاريخية فقد حقن دماء المسلمين وخلص بهم من الأذى ووطد دعائم العاصمة الاسلامية واختار

لدعوته أرضا خصبة بين قوم من الانصار تجلى لهم الحق فنصروه ورأوا الباطل باطلا فنبذوه وفيها جمع اهلها على الاخاء ونسخ ما كان بينهم من الشحناء فاصبحوا بحكمته إخوانا لا فرق بين مسلم ويهودي ومشرك وعمهم الرخاء وفاض عليهم الزرع والضرع وحصلت بعض المناوشات بين سرية وغزوة إرهابا للاعداء وفيها شرع الاذان وفيها بنى مسجده الشريف وفيها ظهرت إمارات الغدر من اليهود

(السنة الثانية سنة الامر)

في الشهر الثاني من هذا العام كانت غزوة العشيرة ووادع النبي «ص» بني مدلج بن كنانة على ان ينصرهم وينصروه وبعد غزوة العشيرة اغار على سرح المدينة كرز بن جابر الفهري حليف قريش فخرج النبي في طلبه ومعه رهط من المهاجرين والانصار وكان علي بن ابي طالب يحمل لواءه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر رجع ولم يظفر به

(سرية عبد الله بن جحش)

في شهر رجب من هذه السنة بعث الرسول «ص» عبد الله بن جحش الاسدي ومعه جماعة من المهاجرين ودفع له كتابا وامره ان لا ينظر فيه إلا بعد يومين من مسيره ويعمل بما فيه « فالقائد لا مندوحة له عن التكتم في حله وترحاله وغزواته وسراياه لكي لا ينتبه العدو فيحتاط للأمر وهذه عادة درج عليها القواد في القرن العشرين »

وبعد يومين من مسيره فتح عبد الله الكتاب الذي يقول فيه سر حتى تنزل نخلة بين مكة والطائف فترصد قريشاً وتعلم لنا من اخبارهم وترجع الينا فقرأ الكتاب على أصحابه ومضوا جميعا خلا سعد بن ابي وقاص الزهري وعتبة بن غزوان اللذين ذهبا يطلبان بعيراً لهما ضل فصادفتهما قريش واسرتهما وسار عبد الله حتى نزل نخلة وهناك مرت عير لقريش تنقل تجارة يقودها عمرو بن الحضرمي وكان يومئذ آخر شهر رجب فتعرض عبدالله واصحابه إلى العير وذكروا صنيع قريش بهم وعارضه اصحاب العير واحتدم بينهم الخلاف فرمى اصحاب عبد الله عمرو بن

الحضرمي عميد قافلة قريش بسهم فقتله واسر رجلين من القرشيين وجاؤا بالعير والاسيرين الى المدينة فقال لهم الرسول ذهبتم لاستطلاع اخبار قريش وما امرتكم بالقتال في الشهر الحرام وعنفهم اخوانهم من المسلمين بما صنعوا

هذا الحادث لما بلغ القرشيين كادت تتفطر مرائرهم من وقعه واتخذوه ذريعة للتشهير وارسلوا رجالا منهم يطوفون جميع انحاء الجزيرة للمشاغبة واثارة الرأي العام بقولهم ان محمداً واصحابه استحلوا سفك الدماء في الشهر الحرام واخذوا العير واسروا الرجال ودخل معهم اليهود بالامر لاستغلال الموقف واشعال نار الفتنة واشتركوا مع القرشيين بالدعاية الكاذبة واتفقوا معهم على المقاومة وتظاهروا بالخصام وفي هذا نزل الوحي على النبي (ص) بالآية الكريمة «يسألونكَ عَنِ الشهرِ الحَرامِ قِتالٍ فيهِ قُلْ قِتالٌ فِيهِ كبيرٌ وَصدٌّ عَنْ سَبيلِ اللهِ وَكفرٌ بِهِ وَالمسجدِ الحرامِ وَإخراجُ اهلِهِ مِنهُ أكبرُ عِندَ اللهِ وَالفتنةُ أكبرُ مِن القتلِ وَلا يزالونَ يُقاتِلونَكم حَتى يَردّوكم عَنْ دِينكمْ إن استطاعُوا» فالآية جاءت مفسرة لما حوت ضمائرهم من السوء ومايضمرونه من الغل والغش للمسلمين وتعززت الآية الكريمة بما جاء بعدها «وَقاتِلوا في سبيلِ اللهِ الذينَ يُقاتِلونكم ولاتَعتدُوا إن الله لا يُحبّ المعتدينَ» في هاتين الآيتين ظهر الصبح لذي عينين بان الاسلام لا يلجأ الى الحرب إلا مضطراً للدفاع عن العقيدة وعن النفس وعن حرية الرأي ونهى نهياً مؤكداً عن الاعتداء وقطع جهيزة كل خطيب وتسلم النبي «ص» العير من عبد الله بن جحش والأسيرين وطلبت قريش ان تفتديهما فقال لا نفتديكموهما حتى يقدم صاحبانا وقدم سعد وعتبة وأفداهما من الأسيرين

ودار على ألسنة بعض المبشرين من المسيحيين بان دين محمد قام بالسيف ويدعو دينه لاكراه الناس الى الدخول في الاسلام بالسيف وان المسيحية تدعو الى السلام والاخاء وتقت الحرب والقتال ولعمري هذا افتراء محض يدحضه قوله عز وجل في القرآن الشريف «لا إكراهَ في الدّينِ قَد تبين الرشدُ من الغيّ» والدين الاسلامي يقر دين المسيح عليه السلام كما نزل به القرآن ولقد جاء في الانجيل المجيد (ماجئت لالقي سلاماً على الأرض بل سيفاً) وجاء ايضا «باركوا لاعنيكم وأحسنوا لمن

أساء اليكم ، فالحروب التي نشبت بين المسيحيين أنفسهم وبينهم وبين المسلمين وغير المسلمين هل أثيرت بالسيف والسنان للبركة والاحسان أو للسيطرة والطغيان

-(المؤتمر الثلوثي)-

تواترت الأخبار في الحواضر والامصار بان نبياً عربياً بعث في مكة وأن قومه اضطهدوه وأخرجوه من بينهم كما أخرج الاسرائيليون عيسى بن مريم عليه السلام وعندما سمع به نصارى جزيرة العرب تالف وفد منهم وعلى رأس الوفد أحد أساقفتهم ومذ علم بهم اليهود الفوا وفداً منهم ضم خيرة أحبارهم للاشتراك مع المسيحيين وبدخولهم على النبي «ص» كان حوله جماعة من المسلمين واصبح مؤتمراً ثلاثياً من اليهود والنصارى والمسلمين فأما اليهود فكانوا ينكرون بغرور وصلف رسالة عيسى ومحمد ويتجاهلون معرفتها واما النصارى فكانوا يقولون بالتثليث وألوهية المسيح واما المسلمون فكانوا يقولون بوحدانية الله وعاند بعضهم بعضاً ونشبت بينهم حرب كلامية وتقدم المسيحيون واليهود الى النبي «ص» يسألونه عمن يؤمن بهم من الأنبياء والرسل فقال لهم «قولوا آمنا بالله وَما أُنزِلَ إلينا وَما أنزِلَ إلى ابراهيمَ وَاسماعيلَ وَاسحاقَ وَيعقوبَ والاسباطِ وَما أوتيَ موسى وَعيسى وَما اوتيَ النبيونَ مِن رَبهم لا نُفرقُ بَينَ احدٍ مِنهمْ وَنحنُ لهُ مُسلمونَ » وتكلم معهم بمنطقه السليم المقنع بأن خير الطرق للخلاص الرجوع إلى الله وتوحيده وقال لهم إن ماجئت به لا يختلف عما جاء به موسى وعيسى والانبياء السابقون واختلاف الالفاظ والعبارات لا تطمس انوار الحقيقة التي تتجلى بها عظمة الله الواحد الاحد في كل شيء فلم يرجعوا عما وجدوا عليه آباءهم

وهذا المؤتمر جمع بين الدين والسياسة فاليهود اشتركوا فيه للعنت والمشاغبة والمسيحيون جاؤا تحت رياسة الأسقف عن الكنيسة الرومانية يستطلعون حقيقة أمر النبي هل يتجه بسياسته نحو الروم او الفرس ولكنهم تجردوا جانبه ونفوسهم مملوءة اعجابا بكماله وجلاله

غزوة بدر الكبرى

لقد سمع المهاجرون ان ابا سفيان بن حرب مقبل من الشام في عير قريش

الى مكة في تجارة يحرسها ثلاثون رجلا منهم عمرو بن العاص ومخرمة بن نوفل وقوم ما فيها بخمسين الف من الدنانير فأتوا إلى النبي «ص» وقلوبهم تغلي كالمرجل ليثأروا من قريش التي اخرجتهم من ديارهم وسلبتهم اموالهم لعلمهم أن آية الجهاد رخصت لهم الخروج لرد عادية المشركين فقال لهم لا بأس اخرجوا لعل الله ينفلكموها فخف بعضهم وثقل بعضهم لانهم لم يظنوا ان الرسول يلقي حربا وبعث النبي طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد ينتظران خبر العير ومذ علما انها مرت اسرعا بالرجوع ليفضيا اليه بامرها وكان قد خرج باصحابه قبل رجوعهما وذلك لثمان خلون من شهر رمضان وسار ومعه رايتان وحمل اللواء علي بن أبي طالب (ع) وعدة اصحابه الذين خرجوا معه ثلاثمائة رجل من المهاجرين والانصار ولم يكن بينهم غير فارسين احدهما المقداد بن الاسود الكندى والثاني الزبير بن العوام وقيل غيره وكانت الابل سبعين بعيراً يتعاقبون عليها بين الرجل والاثنين والثلاثة والاربعة والنبي كسائر اصحابه فكان بينه وبين علي بن ابي طالب وزيد ابن حارثة بعير وبين أبي بكر وعمر وعبد الرحمان بن عوف بعير وهكذا بقية الاصحاب المجاهدين وانطلق القوم مسرعين لكي لا يفلت منهم ابوسفيان ثم بلغهم ان قريشا خرجت من مكة لتحمي عيرها واموالها

وحينئذ تغير وجه الامر وجمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم اصحابه واستشارهم واخبرهم ما بلغه من أمر قريش فادلى المهاجرون برأيهم ومنهم المقداد بن الاسود وقال يا رسول الله إمض لما امرك الله بـــه فنحن معك لا نقول كما قالت بنو اسرائيل لموسى «إذهب أنت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون» ولكننا نقول اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون فوالذي بعثك بالحق نبيا لو سرت بنا إلى برك الغماد «موضع في اقصى هجر وقيل بالحبشة» لجالدنا من دونه حتى تبلغه فقال له خيراً وقام من الانصار صاحب رايهم سعد بن معاذ فقال له يا رسول الله لقد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطينا عهودنا على ذلك فامض لما امرت به فنحن معك فوالذي بعثك بالحق بشيراً ونذيراً لو استعرضت بنا البحر فخضته لخضناه معك وما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا غداً

انا صُبر في الحرب صدق عند اللقاء لعل الله يريك بنا ما تقر به عينك فدعالهم بالخير

ثم قال لهم سيروا وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني انظر مصارع القوم وعين مصارعهم فما تعدوها وارتحلوا جميعاً حتى كانوا على مقربة من بدر بعث النبي «ص» علياً بن ابي طالب والزبير بن العوام في نفر من اصحابه يتلمسون الخبر وبعد قليل رجعت الطليعة ومعها غلامان عرف منهما ان قريشاً وراء الكثيب بالعدوة القصوى فسألوهما عن عددهم اجابا انهما يجهلان العدد فسألهما النبي «ص» كم ينحرون كل يوم من الابل اجابا يوما تسعا ويوما عشراً فقال النبي «ص» عددهم بين تسعماية والف وعلم من الغلامين ان جميع اشراف قريش خرجوا لحربه إلا ابو لهب وقد نزلوا قريباً من الماء فعندها خاطب النبي « ص » اصحابه وقال لهم هذه مكة قد القت اليكم باشرافها وافلاذ اكبادها والنصر باذن الله لكم اما ابو سفيان لما بلغه أن المسلمين ينتظرون قدومه حول طريقه إلى ساحل البحر حتى صار بعيداً عن بدر ونجا هو والعير وشاعت الأخبار انه عرج على طريق الساحل وفاتهم وان مقاتلة قريش على مقربة منهم فعندها ودّ بعضهم أن يعودوا إلى المدينة ولا يصطدموا مع الجيش الذي جاء من مكة لقتالهم وفيهم نزلت هذه الآية « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » لذلك هب المسلمون جميعاً وقالوا يا رسول الله ، النفير احب الينا من العير

لا غرابة إذا رأينا المسلمين يختارون النفير على العير بقوة ايمانهم الذي غرسه الاسلام في قلوبهم فآثروا الجهاد على الماديات واحرزوا المثل العليا بشجاعتهم وجهادهم في سبيل الله فتسابقوا الى ساحة الوغى يستسهلون الاستشهاد تعزيزاً للدين لم تضعفهم قلة عددهم وكثرة اعدائهم ولم ترهبهم غطرسة القرشيين وجموعهم وقد حبب اليهم النفير تفانيهم في اخلاصهم للرسول الكريم وامتثالا لما جاء في الكتاب العزيز « إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كانهم بنيان مرصوص » ووقف الحق أمام الباطل وجهاً لوجه والتقى الجمعان فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة بآلاء الله

وانتقل بهم النبي «ص» الى أدنى ماء من القوم في بدر وامر ان يبني حوضا على القليب الذي نزلوا به وملأوه ماء وتقدم سعد بن معاذ وأشار ببناء عريش للرسول فوق تل مشرف على المعركة وهي خيمة من جريد ليستظل بها فبنوها حالا وحينما رأى قريشا قد أقبلت بالدروع الساترة والاسلحة الشاكية متجلببة بالكبرياء والعظمة رفع يديه للسماء وقال: اللهم هذه قريش قد اقبلت بخيلائها وفخرها تعاديك وتخالف امرك وتكذب رسولك اللهم انجز وعدك الذي وعدتني به إنك لا تخلف الميعاد ومذ سمع أصحابه دعاءه خشعت قلوبهم وسرت في نفوسهم قوة عظيمة ضاعفت قوتهم وجددت عزيمتهم وازدادوا إيمانا بنصر الله لهم وان ما وعدهم الله حقا بلسان نبيهم الذي لا ينطق عن الهوى

وبعد ما اطمأنت قريش على عيرها واموالها قيل لأبي جهل ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع الناس إلى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابداً حتى ننحر الجزر ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع العرب بمخرجنا وان محمداً لم يصب العير وأنا قد اعضضناه وكانت بدراً يقام بها سوقاً للعرب كل سنة

هذا ابو جهل من طواغيت قريش وجبابرتها عرف النبي (ص) قبل النبوة صادقا أمينا وعرفه بعد النبوة رسولا كريما اصطفاه الله لتبليغ رسالته وهداية خلقه بيد انه انكره وجحده عن علم وتغشى قلبه الشرك وافترست مواهبه مخالب الحسد واعمت بصيرته العداوة الموروثة فكان في وقعة بدر كالباحث عن حتفه بظلفه

وتقدم الاسود بن عبد الأسد المخزومي وهو من أشد الناس عداوة لله ولرسوله وتكلم مع قومه وقال لهم اعاهدكم لأشربن من حوض اصحاب محمد ولأهدمنه أو لأموتن دونه ومشى فخرج اليه حمزة عم النبي ولما التقيا ضربه حمزة فاطن قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض ولكنه تجلد وحبا الى الحوض حتى اقتحم فيه وشرب منه وركله برجله الصحيحة باراً بيمينه فعاجله حمزة بضربة ثانية وقتله هذاء الحوض

لقد كانت بدر المنفذ الذي اجتازه هواء الحياة الى رئة الاسلام وصار امنع

من عقاب الجو وجبهة الأسد وغلبت الفئة القليلة الفئة الكثيرة باذن الله واشتد ساعد المسلمين واصبحوا مثلا عليا وامثالا مرددة سائرة تثير الاعجاب وفرض الله عليهم ان يثبت الواحد لعشرة ولا يفر من الزحف ثم خفف عنهم وأوجب أن يثبت الواحد لاثنين وفي يوم بدر نزلت الآية الكريمة « يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا الفاً من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون. الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا ألفين باذن الله »

(التقاء الجمعين)

ونزل عتبة بن ربيعة واخوه شيبة وابنه الوليد من المشركين فبرز اليهم ثلاثة نفر من الانصار وانتسبوا لهم فقالوا ارجعوا انما نريد الاكفاء من قريش فنظر رسول الله (ص) إلى عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب وكان له يومئذ سبعون سنة وقال له قم يا عبيدة ونظر الى حمزة وقال له قم يا عم ونظر الى علي بن ابي طالب وقال له قم يا علي وكان اصغر القوم فاطلبوا بحقكم فبرز حمزة لعتبة وبرز عبيدة لشيبة وبرز علي للوليد فقتل حمزة عتبة وقتل علي الوليد واختلف بين عبيدة وشيبة ضربتان فاثخن كل منهما صاحبه فكر علي وحمزة على شيبة فقتلاه واحتملا عبيدة وقد قطعت رجله واتيا به الى النبي «ص» فاستعبر وقال يا رسول الله الست شهيداً قال بلى انت أول شهيد من أهل بيتي فقال لو رآني عمي ابو طالب لعلم اني احق بقوله لك في مكة :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وفي رواية ابن ذبيان في صحيح مسلم عن ابي ذر الغفاري ان هذه الآية «هذان خصمان اختصموا بربهم» نزلت فيهم ومات عبيدة بن الحارث وهو أول شهداء بدر رضي الله عنه

فالاسلام في اول ظهوره لم يعتمد الا على الايمان الصادق الذي اوجده الله في قلوب المسلمين الأولين فهداهم بهدايته لاعلاء كلمته فباعوا نفوسهم في ساحة

الجهاد لاعزاز دينه والنبي (ص) لم يعتمد في دعوته على قوة مادية ولا على قنابل ذرية ولا على اساطيل جوية ومائية ولا على العصبية وإنما قامت دعوته التي كانت شاقة على العقيدة موقنا بنصر الله له وكان على رأس المسلمين فئة من الشجعان واهل الرأي مخلصين لله ورسوله افنوا مهجهم في تثبيت قواعد الدين فمنهم من استشهد ومنهم من بقى حياً يناضل المشركين ويرشد الغافلين للتحرر والانطلاق في سبيل العزة وصيانة العقائد حتى ظهر امر الله وانهزم الشرك أمام التوحيد كما يهزم الصبح ظلام الليل

وتزاحف القوم واشتجرت الهيجاء وكشفت الحرب عن ساقها والرسول امرهم ان لا يحملوا عليهم حتى يبدأوهم وأوصاهم اذا اكتنفكم القوم فانضحوهم بالنبل وقال «ص» والذي نفسي بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلا غير مدبر الا ادخله الله الجنة ومذ دارت رحى الحرب تقدم ابو جهل ومعه فارس من فرسان قريش وقد افرغ عليه لامة حربه وامره بالنزول الى المعركة فقابله حمزة وضربه ضربة ازهقت روحه وقال له خذها وانا ابن عبد المطلب وهو يظنه ابو جهل وقدم ابو جهل فارس آخر ليثأر للمقتول فتلقاه علي ولم يمهله ان ارداه قتيلا وقال له خذها وانا ابن عبد المطلب وثار النقع وجعلت هام قريش تطير عن اجسادها والمسلمون يزدادون قوة ويهتفون أحد أحد وقد انهتكت امامهم الحجب فرأوا ما وعدهم الله حقاً ووقف النبي «ص» في حلبة الجلاد واخذ حفنة من الحصباء ورمى بها قريشا وقال شاهت الوجوه سيهزم الجمع ويولون الدبر وقال لأصحابه شدوا عليهم والتقى الجمعان وخاض حمزة وعلي المعركة وتابعوهم ابطال المسلمين ولم يبالوا بكثرة عدد الاعداء وتعززت الشجاعة فيهم واستولى الذهول على المشركين ورجع النبي «ص» ومعه ابو بكر إلى العريش وقد تضاعفت القوة المعنوية بين الموحدين وجاءه رسول ربه بقوله تعالى « إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان » واشتد البلاء على المشركين والسيوف تحصدهم حصد المشيم ولقي معاذ بن عمرو بن الجموح ابا جهل وقريش محيطة به وهم يصيحون

لا يخلص احد الى ابي الحكم بسوء قال معاذ فجعلت اترصده حتى تمكنت منه وحملت عليه وضربته ضربة اطنت قدمه بنصف ساقه وضربني ابنه عكرمة فطرح يدي من عاتقي وبقيت معلقة بجلدة من جسمي فقاتلت ولما زاد الألم منها جعلت عليها رجلي وتمطيت حتى طرحتها وقبل ان معاذ عاش بعدها الى خلافة عثمان ثم مر بابي جهل معوذ بن عفراء فضربه ضربا مبرحاً ثم مر ابن مسعود وقد امر رسول الله ان يلتمس بين القتلى فوجده في آخر رمق قال فوضعت رجلي على عنقه وقلت له هل خزاك الله يا عدو الله فقال له ابو جهل لقد ارتقيت مرتقى صعباً يا رويعي الغنم قلت فاني قاتلك قال ما انت باول عبد قتل سيده وان أشد شيء لقيته اليوم قتلك اياي وضربه ابن مسعود وقطع رأسه وحمله وجاء به الى النبي «ص» فسجد لله شكراً وقال عبد الرحمن بن عوف كان امية بن خلف صديقا لي بمكة فرأيته يوم بدر وقد احجم من الخوف فقال لي من الرجلان منكم احدهما المعلم بريشة نعام في صدره والشاب الذي إلى جانبه قلت الاول حمزة بن عبد المطلب والثاني ابن اخيه علي بن ابي طالب فقال لقد فعلا بنا الافاعيل حيث تحديا رؤساء قريش وزعماءها واستأصلوهم وبينما انا واقف معه وإذا بلال يصيح هذا امية بن خلف رأس الكفر وهو الذي عذب بلالا في مكة وقد حاول عبد الرحمان ان يمنع القتل عنه ويأخذه أسيراً هو وولده وقد قتلا ولم يستطع حمايتهما وتعرض حنظلة بن ابي سفيان الى علي فقتله ودارت الدائرة على المشركين وقتل من قتل وأسر من أسر وانتصر الايمان الصادق على الباطل المكذوب وعلا لواؤه وتضاعف ضياؤه باذن الله ليميز الخبيث من الطيب والمريض من الصحيح لان الايمان الثابت في ذلك اليوم المشهود محى ظلام الشرك بنور التوحيد وكان فاتحة خير زعزع أركان الاصنام وأيد دولة الاسلام وأمر النبي ان لا يقتلوا بني هاشم لانهم خرجوا مع قريش كرها ولأنهم حموه من أعدائه في مكة وأمر أن لا يقتل أبو البختري لأنه كان ممن نقض الصحيفة عندما حاصرت قريش بني هاشم وجيء بالعباس عم النبي أسيراً وبات ليلته ساهراً فقال له أصحابه ما لك لا تنام يا نبي الله قال سمعت تضور العباس في وثاقه فمنع مني النوم فقاموا وحلوا وثاقه والنبي «ص» كما كان يعفو عن المسيئين لم ينس المحسنين اليه ولذلك أمر أن لا يقتلوا بني هاشم لا لأنهم

اهله وعشيرته كلا انما ذكر لهم حمايتهم له في مكة من اعدائه وذكر لغيرهم كل من اسدى له معروفا

وكان عدد قتلى المشركين سبعين قتيلا والاسرى سبعين اسيراً وغنم المسلمون غنائم كثيرة واستشهد منهم ستة من المهاجرين وثمانية من الانصار ونزل الوحي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهذه الآية « ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة » وامر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان تطرح القتلى في القليب ووقف قريباً منهم وقال يا اهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم كذبتموني وصدقني الناس ثم قال يا عتبة يا شيبة يا امية بن خلف يا ابا جهل بن هشام وعدّد اهل القليب من القتلى هل وجدتم ما وعدكم الله حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً فقالوا له اصحابه اتكلم الموتى فقال ما انتم باسمع منهم ولكنهم لا يستطيعون الجواب

وكانت عاتكة بنت عبد المطلب رأت فيما يرى النائم أن رجلا اقبل على بعير له إلى مكة ينادي يا آل غالب اغدوا إلى مصارعكم ثم وافى إلى جبل قبيس فاخذ حجراً فدهدهه من الجبل فما ترك داراً من دور قريش الا اصابته منه فلذة فانتبهت فزعة واخبرت اخيها العباس بما رأت فاخبر العباس عتبة بن ربيعة فقال عتبة هذه مصيبة تحدث في قريش وبلغ ذلك ابا جهل فقال هذه نبيّة ثانية في بني عبد المطلب واللات والعزى لنتنظرن ثلاثة ايام فإن كان ما رأت حقاً والا لنكتبن بيننا كتاباً انه ما من بيت في العرب اكذب رجالا ونساء من بني هاشم وهذه الرؤيا كانت قبل مجيء الرجل الذي أرسله ابو سفيان بثلاثة أيام ودخل مكة منادياً يا آل غالب ادركوا عيركم ان محمداً والصباء من أهل يثرب خرجوا لياخذوه غنيمة باردة فعندها تهيئوا للخروج ولم يبق أحد من عظماء قريش إلا خرج لحماية العير واخرجوا معهم القيان والدفوف وصدقوا بما رأت عاتكة بالامس وثبت الله قدم نبيّه

موقعة بدر قضت على عنجهية القرشيين وفلت عزيمتهم وبددت احلامهم ودفعت ثمناً باهظا لحماقة ابي جهل وابي سفيان وغيرهما من المنهوسين وانقلبت من بدر مهيضة الجناح خيم الذل في مساكنها ففي كل بيت بكاء وعويل وفي كل فلذة من

الحجر التي رأته عاتكة تحطيم وتدمير للشرك واهله والكارثة العظمى وقعت على ابي سفيان وزوجته هند لأنه هو الباغي وهو الذي اثار صقور المسلمين الموتورين وقد قتل ابنه حنظلة واسر ابنه زياد وقتل ابو زوجه عتبة واخوه شيبة وابنه الوليد والكثير من ابطال بني عبد شمس واصهارهم من بني عبد الدار وناحت نساء قريش على قتلاهن وجززن شعورهن ليذكين الحماس في قلوب الرجال وتفردت هند زوج ابي سفيان بالمبالغة بالحزن واحجمت عن البكاء على ابيها وذويها وقالت اذا بكيت يبلغ محمداً واتباعه فيشمتوا بنا لا والله لا ابكي حتى اثأر من محمد وذويه والطيب علي حرام حتى نغزو محمداً ومكثت تحرض الناس على الثار ونذر زوجها ابو سفيان بعد بدر ان لا يغسل رأسه بالماء حتى يغزو محمداً في يثرب

والثابت ان حمزة بن عبد المطلب وعليا بن ابي طالب كانا فرساهان في السبق إلى رؤوس قريش وساداتها وزعمائها كانهما اتفقا يوم بدر ان يحفرا بشبا سيفيهما قبور الاصنام والعرب تقول لكل معركة بطل ولكل يوم فارس والفذان امتازا في هذا اليوم هما اسد الله حمزة وليث بني غالب علي بن ابي طالب فقد ذكر ابن اسحاق قتلى وقعة بدر ممن عرف اسماءهم احدى وخمسين قتيلا وزاد ابن هشام عليهم تسعة عشر مجهولة اسماء قاتليهم قتل حمزة تسعة من ابطال قريش المشهورين وقتل علي بن ابي طالب ذلك الفتى الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين من عمره ستة عشر من صناديدهم بمفرده مبارزة وجها لوجه واشترك معه حمزة في قتل خمسة آخرين في يوم واحد لاريب بان الاخلاص للدين واعتمادهما على الله في نصرة سيد المرسلين جعلها مظهراً للشجاعة ومكن في قلبيهما الايمان فكانا دعامة للمسلمين

وعاد النبي (ص) ومعه اصحابه إلى المدينة مصحوبين بالأسرى وفيهم سهيل بن عمرو وقال عمر بن الخطاب دعني يارسول الله انزع ثنيتي سهيل فلايقوم عليك خطيباً أبداً فقال دعه يا عمر فسيقوم مقاماً تحمده عليه وكان مقامه بعد وفاة النبي في مكة مقاماً محموداً ثم اوصى اصحابه بالاسرى خيراً فكان كل واحد منهم يؤثر اسيره بطعامه وقسم النفل الذي افاء الله على المسلمين بينهم بالسواء بعد ان افترز الخمس وخص

به بني هاشم واربعة اخماسها للغانمين امتثالا لأمر الله « واعلموا انما غنمتم من شيء فأن لله خمسه ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير » وعندما ارسلت قريش تفتدي الاسرى وكانوا سبعين اسيراً والفداء عن كل اسير اربعة الآف درهم ولا ينقص عن الف وفقراء الأسارى جعل فداء كل واحد منهم ان يعلم القراءة والكتابة إلى عشرة اطفال من صبيان المدينة ومن لم يكن قارئا يخيره بين الرجوع إلى مكة أو الاقامة بالمدينة وله وما اختار

وبينما المسلمون في طريقهم إلى المدينة عرض الاسرى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فامر علياً ع، ان يقتل النضر بن الحارث وعقبة بن ابي معيط لانهما كانا شراً مستطيراً على المسلمين في مكة فقتلهما علي ضربا بالسيف وذهب عبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة إلى المدينة بشيرات بنصر الله للمسلمين فابيضت وجوه المسلمين سروراً واسودت وجوه اليهود رعبا وجزعا

غزوة بدر استثارت كمين الأحقاد وهتكت حجاب الجهل عن عيون القرشيين واعتقدوا في قرارة نفوسهم برب محمد الذي حماه من كيدهم ومكرهم وأدركوا أن عبادتهم للأصنام لا تنفع ولا تدفع وابى عليهم ضلالهم الذي خالطه الحقد والحسد الدخول فيما دخل فيه اعداؤهم وحال بينهم وبين ما يشتهون ساداتهم وكبراؤهم الذين ثابروا على تحريض الناس لاستئناف القتال بالوعد والوعيد واستصرخوا قبائل كنانة وتهامة وما جاورهم من العرب على حرب المسلمين والنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يستصرخ غير الله ولا يطلب المعونة إلا من الله يقابل شدتهم باللين وحقدهم بالصفح يتوسل لله لهدايتهم للتوحيد

(ماجريات حوادث السنة الثانية)

فيها كانت غزوة العشيرة ومبرة نخلة وفيها كان المؤتمر الثلاثي بين أهل الكتب السماوية وفيها غزوة بدر الكبرى وفيها غزوة كرز بن جابر الفهري وفيها بنى بالسيدة عائشة بنت ابي بكر وفيها شرع الله صلاة العيد وزكاة الفطر وفيها تزوج علي بن ابي طالب فاطمة بنت الرسول وفيها توفيت رقية بنت النبي وفيها حولت

القبلة إلى الكعبة في صلاة العصر في مسجد بني سلمة فسمي مسجد القبلتين وفيها فرض صوم رمضان وفيها مات عثمان بن مظعون ودفن بالبقيع وجعل الرسول على رأس قبره حجراً علامة لمرقده

(السنة الثالثة سنة التمحيص)

كل متتبع للسيرة النبوية يعلم ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد الهجرة كان العرب معه على ثلاثة اقسام قسم وادعهم واحسن اليهم وهم طوائف اليهود الثلاثة قريظة والنضير وبني قينقاع وقسم ناصبوه العداء كقريش وحلفائهم وقسم وقف على الحياد ينتظر ما يؤول اليه امره وبعد بدر شعر اليهود والمشركون والمنافقون بالخوف والرهبة لأن عظمة النبي لم تقف على تبليغ الرسالة والدعوة على التوحيد فحسب بل تجاوزت الى أبعد من ذلك ورأوا أنه في أقل من عامين أصبح في منعة وقوة دونها سطوة الملوك وهو الذي خرج من مكة في ليلة ظلماء خائفا يترقب من قومه وغاب عنهم انه نبي مرسل وعده الله بنصره ولو كره الجاحدون

لذلك اجتمعوا للمداولة بالأمر واتفقوا على توحيد الصفوف والمقاومة وعهدوا الى فئة من المشاغبين يعرفون بالمكر لاغتيال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبدأوا يترقبونه وينظمون الأشعار تعريضا به وباصحابه ولم يغب عنه ما يتناجون به من الاثم والعدوان في سرهم ونجواهم وهب المسلمون يقابلونهم بالمثل واحتدم النزاع وأول من جاهر بالعداوة ونقض العهد بنو قينقاع وذهب أحد أعيانهم كعب ابن الاشرف إلى مكة يحرض قريشا على النبي وأصحابه وينشد الاشعار الحماسية يستفزهم للقتال ويبكي اهل القليب ببدر كأنهم أهله وعشيرته ويرجوعه إلى المدينة حول ما نظمه من الشعر تشبيبا بنساء المسلمين وكرياتهن فاغتاظوا منه ونهوه فلم ينته فاعترضه رجل منهم اسمه ابو نائله وقتله وقام بعده رجل اسمه ابو عفك وناصب المسلمين العداء بارساله لهم الاشعار الملوثة بالطعن فيهم تصريحا وتلميحا ويحرض قومه على الخروج لاجل ايقاد نار الفتنة فانبرى له من اصحاب النبي سالم بن عميرة وقتله وجاءت امرأة من العرب إلى سوق اليهود من بني قينقاع ومعها حلية إلى صائغ منهم فجعلوا يتحرشون

بها ويحاولون أن تكشف عن وجهها فلم تفعل فجعلوا يعبثون بها فصاحت ففزع لها رجل من المسلمين فتخاصم مع الصائغ فضربه فقتله فشدت عليه اليهود وقتلوه ومذ علم النبي (ص) بما جرى طلب عقلاء اليهود من بني قينقاع واحبارهم ووعظهم وحذرهم عاقبة البغي لكي ينصحوا بني قومهم بأن لايكونوا حرباً على المسلمين ولهم مالهم وعليهم ماعليهم وأن يحفظوا حق الموادعة والجوار فامتعضوا من كلامه وقابلوه بكل وقاحة بقولهم لايغرنك ياحمد انتصارك يوم بدر على قوم لايعرفون الحرب فأصبت منهم فرصة ولتعلمن في حربك معنا اننا ابناء الهيجاء فلم يعبأ بكلامهم وناشدهم على أن لايثيروا الفتنة وانصرفوا مجاهرين بالعداوة واشتد أذاهم للمسلمين وصاروا يقتلون كل من صادفوه في طريقهم فلم يبق بعد ذلك من سبيل لعدم كبح جماحهم حيث جمعوا جموعهم للنزال

(غزوة بني قينقاع)

وخرج رسول الله (ص) لتأديبهم وحمل اللواء عمه حمزة وبالقرب من منازلهم دعا رؤساءهم فلم يجيبوا وارسل اليهم رسولا ليكفوا عن الحرب والقتال ولا يكونوا الباء على المسلمين فأبوا إلا المناجزة فعندها تصادم الفريقان وتناهدوا في الحرب وماهي إلا بضع ساعات تراجعوا مدحورين وتحصنوا في حصونهم ولم يستسلموا وأصروا على المقاومة فحاصرهم النبي خمسة عشر يوما متوالية ونزلوا بعدها على حكم النبي فعفا عنهم وخيرهم على الاقامة في أوطانهم مسالمين غير مشاغبين فاختاروا الرحيل وفي الغد غادروا المدينة إلى أذرعات من أعمال حوران وتركوا حصونهم وسلاحهم للمسلمين (وعلى نفسها جنت براقش) هذه القبيلة شقت عصا الطاعة وحادت عن جادة الصواب واغترت بالسراب وكفرت بانعم الله حيث تحالفت مع ابن أبيّ رئيس المنافقين ونكثت عهد سيد المرسلين واختارت الجلاء عن الحجاز لاعتقادها أن الهجرة إلى بلاد الشام يجلب لها الرخاء وكان ذلك عند استيلاء الروم على الشام بعد انتصارهم على الفرس وقد علم الروم ان اليهود كانوا جواسيس للفرس على الرومان فاضطهدوهم جميعاً وبني قينقاع لم يلاقوا إلا شراً كبني قومهم وبخروجهم توحدت المدينة إلا من المنافقين

غزوة السويق

كل ما لحق قريش من الذل يوم بدر لم يخفف من حمية الجاهلية في نفس ابي سفيان واضرابه فاستنفرته زوجه هند بنت عتبة والدماء لم تجف والجروح لم تندمل فاستبق الامور قبل أوانها وجهز جيشاً من مائتي راكب وخرج من مكة ليغزو النبي (ص) واصحابه بالمدينة وبوصولهم للعريض على ثلاثة أميال من المدينة خلسة عاثوا فساداً وحرقوا نخلا وقتلوا رجلا من الأنصار وولوا الأدبار فخرج الرسول (ص) في مايتين من المهاجرين والأنصار في طلبهم وامعن أبوسفيان ورجاله بالسير ليلا ونهاراً هاربين وجعلوا يلقون السويق تخفيفاً لأثقالهم وهو عامة زادهم فغنمه المسلمون ونجا أبوسفيان ورجع إلى مكة بعد خمسة أيام وهذه الغزوة غزوة السويق

لم يدر في خلد أبي سفيان أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يدع إلا للحق وأنه مؤيد من عند الله وان القوة لديه موفرة تدعم حقه، ولولا خوفه من هذه القوة ما فر هاربا وهو في ارباض المدينه إلى مكة وحوله مائتي راكب وقد أخذ الرعب من قلبه مكاناً جعله يغذ السير آناء الليل وأطراف النهار ويلتفت خلفه وبعد ما قاسى من الشدة والمحنة دخل مكة واجتمع حوله من زعماء القرشيين جماعة وحدثهم عما سمع وشاهد من قوة المسلمين ومفاداتهم وجرأتهم فقالت له زوجته هند: ما فعلت شيئاً، فقال لها اعزبي عني لقد خاطرت بنفسي وكابدت الصعاب لكي ازيل ما علق من الذل على رؤوس القرشيين بعد بدر فقالت له: كل هذا لا يشفي قلبي إلا قتل من قتلوا الأحبه محمد وعمه حمزة وابن عمه علي فلوى وجهه عنها مخاطباً من حوله قائلا لهم ان طريق التجارة بين مكة والشام أصبح موصداً ما دام محمداً وأصحابه بالمدينة فأجمعوا أمركم بينكم وفكروا في طريق غيره تـأمنون به على تجارتكم المحصورة يكون لكم مخرجاً مما تعانون من الضيق وبعد المداولة قرّ رأيهم على أن يجعلوا طريق العراق منفذاً يسهل لهم رفع الحصار وتجهز صفوان بن امية بالوقت نفسه بتجارة قيمتها ماية الف دينار وسار بها على الطريق الجديدة وبلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خروج هذه القافلة فبعث زيداً ابن حارثة ومعه ماية راكب على طريق العراق فاعترض العير عند « القردة » ماء من مياه نجد فانهزم

الرجال وأصاب المسلمون العير وهو أول غنيمة ذات قيمة ورجع زيد ومن معه بها إلى المدينة فخمسها النبي وقسم الباقي على المسلمين

غزوة غطفان

ما فتئت قريش مصرة على عنادها بعد أن باءت بالاثم والخسران تألب القبائل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشرئبة للنضال لا يقر لها قرار تطالبه بذحول وثارات تحرض هذه القبيلة وتحالف الأخرى وتقتحم المهالك قائلة أماه هلك واما ملك ، وقد اغرت بني ثعلبة ومحارب على قتال المسلمين وزينت إلى زعيمهم دعثور ابن الحارث المحاربي مهاجمة المدينة فخرج في أربعماية وخمسين فارساً من قومه وقبل وصوله خرج النبي باصحابه فتقابلوا في نصف الطريق والنبي صلى الله عليه وآله وسلم يحف به أصحابه كالبدر بين النجوم وقد بهرهم بجلاله وكماله وشاهدوا عزّة المسلمين والحماس المتجلي في وجوههم فصدهم الخوف عن القتال وتفرقوا نادمين في أرض مقفرة تيهاء

وذكر أصحاب السير هذه الحادثة باسم غزوة غطفان ونقلوا إن الرسول استظل تحت شجرة هناك منفرداً عن أصحابه وهو أعزل من السلاح فجاء دعثور رئيس جيش الأعداء يريد الغدر به ولما هم به عزم عليه قائلا من يمنعك مني يا محمد قال يمنعك الله القادر على كل شيء ونظر اليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاحجم من هيبته وأخذته الرجفة وسقط السيف من يده فأخذه النبي وقال له من يمنعك مني وهذا سيفك بيدي فقال دعثور لا أحد فعفى عنه وأخذه بيده وأجلسه إلى جانبه ووعظه وأرشده ودعاه للاسلام فأسلم ودعا قومه فدخلوا فيما دخل به واعترفوا بالوحدانية والرسالة

ومن أولى من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالصفح والعفو وقد اوحي اليه بالآية الكريمة « وَإِنْ تَعفوا وتَصفحوا خَيرٌ لكُمْ » والصفح والاحسان مقدمة للهداية للأعداء ووسيلة تبعث على المودة والاخاء والله سبحانه وتعالى اصطفاه رحمة للعالمين وبروحانية الرسول الكريم استبصر دعثور واسترشد وتاب وأناب وهداه الله للاسلام وطوى كشحاً على اغراء قريش وتحريضها له على سفك الدماء ورجع

هو وقومه مطمئنة قلوبهم بالايمان معترفين بوحدانية الله الكريم المنان نابذين كل عبادة لغير الله

غزوة أحد

أحد جبل على خمسة أميال من المدينة المنورة وهو المكان الذي اصطدم فيه الايمان والشرك والنور والظلمة والعلم والجهل اندفعت قريش بدافع الغرور متعجرفة إلى اقتحام يثرب مدينة الرسول مثيرة حرباً عليه وعلى من اتبعه من المسلمين اذكى الحسد والشنئان ثار الانتقام في قلوب ران عليها الشرك والضلال فتذرعت بالبغي والعدوان وجاءت من مكة بعدتها وعددها للانتقام وأعادة الكرة لتثأر لقتلاها في بدر وتستر هزيمتها بعد غزوة السويق وبعد اخفاقها في تأليب بني ثعلبة ومحارب وبعد أن نكأ المسلمون القرحة في قلوب القرشيين في سرية القردة التي حركت الاضغان القديمة والحديثة في نفوسهم المكلومة وتركت اثراً لا يمحى إلا بالدم وتعمدت اثارة الفتنة فقد ذهب أبو جهل ضحية كفره وبغيه ومات أبو لهب وزوجه ام جميل حزناً وكمداً على أهل القليب في بدر وبقي حلفائهم كأبي سفيان وزوجه هند وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن امية ومن على شاكلتهم ممن اصيب آباؤهم وأبناؤهم واخوانهم يحاولون العثرة ليتعجلونها والفرصة لينتهزونها للوثوب على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه وطالما وقف ابو سفيان قائلا اذكاراً لقتلاهم ببدر يا معشر قريش لا تدعو نساءكم تبكي قتلاكم فإن الدمعة إذا خرجت اذهبت الحزن والعداوة لمحمد

وخرجت قريش من مكة مجهزة بجيش جرار ووراءه النساء يذكين الحماس في قلوب الرجال وعلى رأسهن هند ام معاوية لغزو النبي والمسلمين بالمدينة وقد عقدوا مؤتمراً وقرروا الخطة التي يسيرون عليها والعباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم يبادلهم الرأي ولكنه حريص على اسداء النصح إلى ابن اخيه وعندما ارفض عقد اجتماعهم كتب كتاباً للنبي يخبره بمسيرهم لقتاله وبما اجمعوا عليه ويصف له عدتهم وعددهم ومذ بلغت قريش المدينة واطلقت خيلها وابلها ترعى الزروع ثم نزلت بالسفوح من جبل أحد لذلك ارسل النبي صلى الله عليه وآله

وسلم الحباب بن المنذر بن الجموح عيناً على القوم فجاءه بالخبر كما أخبره العباس بكتابه وجعلت قريش تعيث فساداً وتحاول الدخول إلى المدينة فوضع المسلمون حرساً على عوراتها من الأعداء

ولما كان النبي أساس اعماله الشورى في الأمور الدنيوية امتثالا لقول الله عز وجل «وَشَاوِرْهُمْ في الأمر» فقد جمع أهل الرأي من المسلمين وغير المسلمين لمبادلة الرأي هل يتحصنون بالمدينة حتى إذا أرادت قريش اقتحامها فلا يعجز أهلها ردعهم والتغلب عليهم أو يخرجون اليهم ويقاتلونهم وجها لوجه وقد اجمع أهل الرأي على الخروج وملاقاة الأعداء خارج المدينه فخرجوا بقلوب عامرة بالايمان بعيدة عن الزيغ للذود عن حياض الاسلام ضد الوثنية الهدامة فصلى بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة وأخبرهم أن النصر لهم ما صبروا وأطاعوا وعملوا بما يأمرهم به يوم اللقاء

وخرج الرسول إلى لقاء الأعداء مع الصحابة كما جاء بالذكر الحكيم «واذ غَدَوتَ مِنْ اهلكَ تبوّءُ المؤمنينَ مقاعدَ لِلقتال والله سميعٌ عليم اذ همّت طائفتانِ مِنكم أنْ تَفشلا والله وليّهما وَعلى الله فليتوكلِ المؤمنونَ» ولحق به المسلمون إلى احد وعددهم الفا حتى إذا كان الناس بالشوط اعتزل عنه عبد الله بن ابيّ بن ابي سلول رأس المنافقين مع كتيبته التي هي عبارة عن ثلث القوم معتذراً بعدم قبول رأيه لأنه ممن قالوا بعدم ملاقات قريش خارج المدينة وبقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومعه المؤمنون حقا من اهل بيته واصحابه وانصاره وعددهم سبعمائة محارب في وجه ثلاثة آلاف قرشي من أهل مكة كلهم موتور من يوم بدر وكلهم متحمس لأصنامه والمؤمنون مؤمنون بنصر الله لهم والجنة مرسومة في بصائرهم بما أعد الله فيها للمجاهدين في سبيل الله ومذ بلغ احداً عبأ أصحابه وانصاره ووضع عبدالله بن جبير في خمسين من الرماة على باب الشعب وأوصاهم بالثبات والاطاعة وقال لهم احموا ظهورنا لكي لايأتي العدو من ورائنا فإذا رأيتمونا هزمناهم بإذن الله فلا تبرحوا مكانكم وإذا رأيتموهم هزمونا اياكم أن تتركوا مراكزكم ودفع اللواء الى مصعب بن عمير وفي رواية ان لواء النبي يوم احد كان بحمله امير المؤمنين

علي بن ابي طالب ولم يكن معهم غير ماية دارع ولم يكن عندهم غـــير فرسين احدهما للنبي (ص) والثانية لأبي بردة

أما قريش فقد جعلت خالد بن الوليد في الميمنة وعلى الميسرة عكرمة بن ابي جهل واللواء بيد طلحة بن ابي طلحة وبينهم سبعماية دارع والخيل مايتي فرس والظعن خمسة عشر امرأة ومعهم ابو عامر الراهب الأنصاري الذي خرج مـن المدينة إلى مكة مباعداً الرسول (ص) ومعه خمسة عشر غلاما من الاوس وقـد واعد قريشا انه عند ما يلاقي محمداً في ساحة الحرب لا يتخلف عنه مـن الأوس رجلان وجعلت قريش النساء بين الصفوف يذكين الحماس ويضربن الدفوف فيكن تارة في مقدمة الجيش وتارة في مؤخرته وعلى رأسهن هند زوج ابي سفيان وهن ينشدن الأناشيد المحرضة على القتال ومنها

« ويهاً بـــني عبد الدار ويهاً حمـــاة الادبار »
« ضربا بكل بتار »

ثم يقلن

« نحن بنات طارق نمشي عـــلى النمارق »
« ان تقبلوا نعانق ونفرش الـــنمارق »
« او تـــدبروا نفارق فراق غير وامق »

لا عجب إذا رأينا ابا سفيان قائد جيش المشركين ضيق الأفق يتعالى عن النصح والتوجيه ويتبرم من نقد بريء يزجي الى اعماله الشاذة البس من العار ان يقذف بزوجه هند الى ساحة الكفاح تنشد مع اترابها اناشيد الخلاعة والمجون هل نضب ماء الحياء في وجهه وتحركت عناصر الانتقام في صدره فاظهر مكنون حقده فاضطرب تفكيره ولم يبق للغيرة العربية اثراً في نفسه المريضة

وتحفز الفريقان للنضال فريق الحق والتوحيد يدافع عن عقيدته يهاجمه فريق الباطل ينادي بالثارات بدر ولم ينشب عبد عمرو المعروف بابي عامر الراهب ان تقدم لساحة الوغى ومعه اتباعه من الاحابيش وعبدان اهل مكة ونادى يامعشر الأوس انا ابو عامر فاجابوه عرفناك فلا انعم الله بك عينا يا فاسق فقال لقد أصاب قومي

بعدي شر ثم قاتل قتالا شديداً وخرج حمزة عم النبي «ص» وصاح صيحة النزال يوم احد واندفع كالسيل الى قلب جيش المشركين فمزق جمعهم وصدع قوتهم وتبعه ابن اخيه علي بن ابي طالب فكانا فرسا رهان في المعركة واحجمت فرسان قريش عن ملاقاتهما وحمل الأنصار فأجلوا الاعداء عن مراكزهم وصاح طلحة بن ابي طلحة صاحب لواء المشركين قائلاً يا اصحاب محمد تزعمون ان الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم باسيافنا الى الجنة فهل احد منكم يتجرأ ان يتقدم الي ليعجله سيفي الى الجنة اويعجلني بسيفه إلى النار فبرز اليه علي بن ابي طالب ولم يمهله ان ضربه على رأسه ففلق هامته فلما قتل كبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كبر المسلمون وحمل اللواء اخوه عثمان فابتدره حمزة بضربة من سيفه اخمدت انفاسه وكان بيد الرسول سيف فقال من يأخذ هذا السيف بحقه فقام ابو دجانة سماك بن خَرَشة اخو بني ساعدة وقال وما حقه يا رسول الله فقال ان تضرب بـــه الاعداء حتى ينحني قال انا اؤخذه على هذا الشرط فاخذ السيف وعصب رأسه بعصابة حمراء وجعل يتبختر بين الصفين فقال النبي «ص» انها لمشية يبغضها الله الا في هذا الموقف ومشى يقارع الشجعان حتى انتهى الى نسوة في سفح الجبل وبينهن امرأة مشركة تحمش الناس وصويحباتها معها يضربن بالدفوف خلف الرجال يحرضن على القتال فرفع السيف ليضربها به فولولت فعرف انها هـــند زوج ابو سفيان فرجع عنها مكرما سيف الرسول ان يضرب به امرأة وعناء وكانت كلما رأت العبد وحشي احد عبيد المطعم بن عدي تقول له يا ابا دسمة اشف واستشف وثارت قريش للقتال بجيش في صدورها عداوة موروثة وحقد قديم وثارات بدرية ووقفت في ساحة الجلاد قوتان غير متكافئتين في العدة والعدد والمسلمون هم الفئة القليلة في عددها الكثيرة في معنوياتها تضاءلت في اعينهم قوة قريش وقـــد حسوا عدوهم حساً بسيوفهم لا ترهبهم قوة ولا خوّفهم جمع وقتل حمزة من طواغيتهم ارطاة بن عبد شرحبيل وسباع بن عبد العزى وغيرهما من ابطالهم المعروفين وجعل يهدّ بسيفه من لقيه منهم يستل روحه من بين جنبيه وكان لواء المشركين بيد سعيد بن طلحة فلقي حتفه بيد علي بن ابي طالب فاخذه مسافع بن ابي طلحة فقتله علي ايضا وكان

لا يسقط من يد حامله حتى يتناوله غيره وحمل اللواء عبد اسود اسمه ثواب فقتله أبو دجانه وقيل علي بن ابي طالب وحمل المسلمون على الاعداء حملة اوقعت الرعب في قلوب المشركين وتضعضعت صفوفهم حتى سقط لوائهم فانكشفوا مهزومين لا يلوون على شيء ووقع الصنم الذي جاء به ابو سفيان من مكة مع الجيش من فوق الجمل الذي كان يحمله فتصدعت جوانبه وكانوا يتيامنون به لينصرهم على المسلمين وهربن النساء اللواتي يضربن على الدفوف مصعدات فوق الجبل

اما الابطال الذين جاهدوا في الله حق جهاده ونكلوا بالمشركين حتى حقت عليهم الهزيمة الأول حمزة اسد الله واسد رسوله فكانت الرهبة تسبق سيفه يتلوها الموت والثاني ابن اخيه علي بن ابي طالب فقد قتل ستة من اصحاب اللواء من بني عبد الدار وطالما تهيبوا منازلته واحيانا يصطنعون الحيلة في ساحة الحرب فيكشفون عوراتهم فيلوي وجهه عنهم ترفعاً واستنكارا ويحجم عن جز رقابهم بسيفه ويتلوهما رجال من المهاجرين والأنصار صدقوا ما عاهدوا الله عليه رضي الله عنهم اجمعين

وروى الطبري قال لما قتل علي بن ابي طالب اصحاب الألوية بصر النبي «ص» جماعة من المشركين فقال احمل عليهم يا علي فحمل عليهم وفرق جمعهم وقتل شيبة ابن مالك وغيره من القرشيين وجاء في ارشاد المفيد عن الامام جعفر بن محمد الصادق «ع» قال كان اصحاب اللواء تسعة يتناوبون حمل لواء المشركين فقتلهم علي بن ابي طالب عن آخرهم وحينما قتل اصحاب اللواء انكشف المشركون وولوا الادبار

يستنتج من هذه الحرب الضروس بان النصر حليف اهل الحق المستبصرين فقد جاء المشركون بجيش كثيف يحملون في قلوبهم عدوانا وحقدا لغزو المدينة للقضاء على النبي «ص» وعلى من اتبعه من المسلمين تقربا وزلفى لأصنامهم التي يعبدونها من دون الله ثم ليثأروا لقتلاهم يوم بدر وما علموا انهم وقعوا فريسة لتلك الانفعالات التي يحسون ان مستقبل حياتهم يوشك ان يصير ظلاما ما دام محمد وانصاره بالمدينة وتناسوا ان المجاهدين لهم بالمرصاد وقد هبوا لملاقاتهم في

ساحة الكفاح في هذا اليوم المشهود اظهروا من الشجاعة والمفادات اعمالا سجلها لهم التاريخ بكل فخر وتقدير الى يوم يبعثون وقد نفحهم النبي (ص) بروح منه فرأوا ما وعدهم الله حقا فلم يبالوا بعدها بمقارعة الابطال وملاقات الشجعان وقد قتلوا خيرة رجالهم المغاوير وجندلوا حملة لوائهم وغرسوا الرهبة في صدور الجاحدين وهزموهم باذن الله

ولما كان الانقياد للقائد والطاعة له بكل ما يؤمر به جنوده وينهاهم عنه هما الطريق المعبدة للنصر على الاعداء ومذ وقعت الهزيمة على المشركين خالف الرماة وصية نبيهم الأمين وتركوا مراكزهم وانصرفوا لجمع الحطام والغنائم ففاجأهم العدو وبعد ان جمع فاوله مصداقا لما جاء في كتاب الله (وَلقد صَدَقَكُمُ اللهُ وَعدَه إذْ تحسّونهم بِإذنِه حتى إذَا فَشِلتم وَتنازَعتم فِي الأمرِ وَعصيتمْ مِن بَعدِ ما اراكم ما تحبّونَ مِنكم مَن يُريدُ الدّنيا ومِنكم مَن يُريدُ الآخرةَ ثمّ صرَفكمْ عَنهمْ لِيَبْتَلِيَكمْ وَلقَد عَفى عَنكم واللهُ ذو فَضلٍ عَلى المؤمِنينَ)

وانحط خالد بن الوليد على باب الشعب وهو قائد خيل المشركين عند ما رآه خال من الرماة ومعه مائتي فارس وصاح صيحة ادركت قريش منها انه دار بخيله وراء جيش المسلمين فرجع كل منهزم منهم وعادت النساء تذكين بالناشيدهن نيران الحماس ورأت هند بنت عتبة وحشياً وقالت له اليوم يومك وكانت وعدته بالخير الوفير لينتقم لها من النبي (ص) او من عمه حمزة او من ابن عمه علي فقال لها وحشي اما محمد فلا اقدر عليه وأما علي فقد رأيته يقظاً حذراً مهما تأجج لهب الحرب وقد وفيت لك بالوعد فكمنت الى حمزة فرأيته يهدّ الناس هدّاً اسد الله وسيفه البتار فأخذتني الرهبة منه ولم اقدر على مجابهته فانتظرت حتى مر بي وأنا كامن له فوطأ على طرف مجرى ماء فسقط فاخذت حربتي وهززتها ورميته بها فوقعت في خاصرته وخرجت من ثِنّته فلم اتجرأ على الخروج من الكمين حتى علمت انه مات

وباثناء هزيمة المشركين كان لواؤهم منبوذاً على الثرى فتقدمت عمرة بنت علقمة الكنانية ورفعته بعد السقوط فاجتمع المشركون حوله بعد الهزيمة فلاثوا

به وكروا على المسلمين فاثخنوهم قتلا وضربا وهم متفرقون والقوا ما بيدهم من الغنائم التي تركوا مراكزهم لأجلها وهاجمتهم قريش هجوم المستميت وتمكنت الفوضى من صفوفهم ودارت عليهم الدائرة وقتل مصعب بن عمير ومعه لواء المسلمين قتله ابن قمئة الليثي وهو يظنه النبي (ص) ورجع الى قريش وقال لهم قتلت لكم محمدا ولما قتل مصعب اعطى رسول الله اللواء الى علي والذي فت في عضد المسلمين صوتا مشئوما ذاع صداه قائلا ان محمداً قد قتل فعظم الخطب ووهنت العزائم وكاد الحزن يقضي عليهم الا من عصم الله من الذين ثبتوا معه في مراكزهم ولم يتحولوا عنها امثال علي بن ابي طالب وابو دجانة الانصاري

وتعاقد ثلاثة من المشركين على قتل الرسول وهم عبد الله بن شهاب الزهري وعتبة بن ابي وقاص وابن قمئة فالأول اصابه في جبهته والثاني رماه باربعة احجار فكسر رباعيته اليمنى والثالث جرح وجنته وبرز عبد الرحمن بن ابي بكر وكان في جيش المشركين وطلب المبارزة فاراد ابو بكر ان يبرز اليه فقال له النبي «ص» شم سيفك وامتعنا بك

وذكر العلامة محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد صفحة ٢٩٩ قال: فاما الذين ظنوا ان محمداً قد مات ومن بينهم ابو بكر وعمر فانتحوا الجبل والقوا بايديهم فرآهم انس بن النضر فقال ما يجلسكم قالوا قتل رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه وسمع انس بن النضر نفراً من المسلمين ان النبي قتل فقالوا ليت لنا من يأخذ لنا امانا من ابي سفيان فقال لهم ياقوم ان كان محمداً قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل به نبيكم اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء ثم استقبل القوم فقاتلهم حتى استشهد رحمه الله

وجاء في الكامل لابن الاثير الجزري صفحة ٥٨ ان النبي «ص» بصر يوم أحد جماعة من المشركين فقال احمل عليهم يا علي فحمل عليهم وقتل فيهم وفرقهم ثم نظر جماعة أخرى فقال له احمل عليهم فحمل عليهم وقتل فيهم وفرقهم فقال جبرائيل هذه المواساة يارسول الله فقال رسول الله انه مني وأنا منه فقال جبرائيل وانا منكما قال وسمعوا صوتا يقول (لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا علي)

وقال المفيد في ارشاده بسنده عن ابن مسعود وثبت مع النبي «ص» يوم احد علي وأبو دجانة وسهل بن حنيف يدفعون عنه وكان قد اغمي عليه بما ناله ففتح عينيه وقال ما فعل الناس فقال له علي لم يتمكنوا من الثبات فقال له اكفني هؤلاء فحمل عليهم فكشفهم وحملوا عليه من ناحية اخرى فكر عليهم فكشفهم وابو دجانة وسهل بن حنيف قائمان على رأسه بيد كل منهما سيفه يذب عنه ثم ان كعب ابن مالك اقبل إلى ناحية ابي دجانة فعرف النبي « ص » فصاح يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله وما لبث المسلمون ان عادوا ونهضوا بالنبي نحو الشعب ومعه اصحابه ابو بكر وعمر وعلي والزبير ورهط غيرهم وهو يوم بلاء وتمحيص خلص العدو إلى الرسول «ص» ورمي بالحجارة وكسرت رباعيته وشجّ في وجهه ودخلت حلقتان من حلق المغفر في جبهته ووقع في حفرة حفرها ابو عامر الاوسي ليقع فيها المسلمون وهم لا يعلمون فاخذ بيده علي بن ابي طالب وابو دجانة وعبد الرحمان بن عوف واسند النبي ظهره الى الشعب اذ اقبل ابيّ بن خلف وهو يقول اين محمد لا نجوت ان نجا فاخذ النبي «ص» الحربة من الحرث بن الصمة واستقبله بها وطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مراراً وخدش في عنقه فحقن الدم فمات وهو عائد الى مكة وهو الباغي الوحيد الذي قتل بيده ولما اعتلى الرسول الجبل واصحابه معه اصبح العدو تحت رحمة نبال المسلمين التي أخذت تنصب على الأعداء كالسحاب المنهمر وهم يلوذون ببعضهم بعضاً وفترت حميتهم عندما بلغهم القتل المكذوب وايقنوا ان النبي «ص» لم يمسسه سوء فاغتاظ ابو سفيان وعاد يذكي الحماس في نفوس المشركين على غير جدوى واكتفى بما جنوه المسلمون على انفسهم بمخالفتهم امر الرسول حتى لحقهم ما لحقهم من الأذى واشرف من رأس الجبل يصيح متهللا لصنمه ومعبوده يوم بدر بقوله « اعل هبل يوم بيوم بدر » فجاءه الجواب من ناحية النبي «ص» الله اعلا واجل لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار » ثم استأنف ابو سفيان كلامه موعدكم « بدر العام المقبل » فأمر النبي من يقول له نعم هو موعد بيننا وبينك وتحفز هو وجيشه للرجوع الى مكة فرحا مسروراً بما نال النبي والمسلمون

والذين استشهدوا من المسلمين في أحد سبعين رجلا منهم اربعة من المهاجرين والباقي من الأنصار والذين قتلوا من المشركين ثلاثة وعشرين رجلا وقد انزل الله في ذلك اليوم ستين آية من القرآن الكريم ومنها «وَلا تَهِنُوا ولا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ»

ما أشبه الليلة بالبارحة منذ اربعة عشر قرنا كانت وقعة أحد وفشل فيها المسلمون وهم الأعلون يومئذ وعندما خالفوا امر النبي الصادق الامين «ص» بتركهم مراكزهم وانصرافهم لجمع الغنائم مما تركه العدو المنهزم وكرّ عليهم المشركون فجأة وهم لا يشعرون فنكلوا بهم وحقت عليهم الغلبة بعد ان كانوا هم الغالبون هذه الوقعة اعظم عبرة للعالم الاسلامي الذي لم يترك مراكزه فحسب ولكنه خنع واستسلم للاغيار لقد تمردنا على الدين وعلى شريعة سيد المرسلين ولم نعمل بتعاليمه ولم نهتدي بهدي القرآن والعلاج الوحيد لاعادة المجد الغابر هو الامتثال لامر الرسول الاعظم والعمل بكل ما جاء به في جميع نواحي الحياة لانه قدوتنا في الدارين

-(التمثيل بقتلى المسلمين)-

وذهبت هند زوج ابو سفيان وصويحباتها معها الى مصارع قتلى المسلمين وتقدمت الى الشهيد حمزة عم النبي (ص) وجدعت انفه وآذانه وجعلت لنفسها منها قلائد واقراطا ثم بقرت بطنه وجذبت بين يديها كبده وجعلت تلوكها باسنانها وجاء ابو سفيان وزج رمحه في فمه انتقاما ليشفي قلبه بعد الموت ولعمري هذا غاية المبالغة بالانتقام والمثلة واللؤم صدر عن قلوب وغرة ونفوس سافلة وسفاهة لا حد لها في ميت جليل سيد الشهداء وعم خاتم الانبياء

ولما نظر النبي «ص» الى عمه حمزة الصريع الطريح على هذه الحالة مشوه الجسم والامعاء وهو البطل المغوار حز في نفسه هذا المنظر الفظيع المروع وقال لن أصاب بمثلك ابدا وما وقفت موقفا اغيظ من هذا الموقف وابى النبي ان ينقلوا القتلى من شهداء أحد الى المدينة بل امرهم ان يدفنوهم حيث صرعوا وسجى عمه

حمزة ببرده وصلى عليه ودفنه في مكان مصرعه بين الشهداء وجاء في الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي صفحة ٣٥ انه كبر عليه خمسا وسبعين تكبيرة ورجع الى المدينة ومعه اصحابه من المهاجرين والأنصار فلقيته امرأة من الانصار وقد اصيب زوجها وابوها واخوها وعندما نعوهم لها قالت ما فعل رسول الله قالوا خيرا هو بحمدالله كما تحبين قالت ارونيه حتى انظر اليه فاشير لها اليه فتقدمت وقالت كل مصيبة بعدك صغيرة وكلنا فداءك يا رسول الله

وحينما وضعت الحرب اوزارها ورأت قريش انها غسلت عار بدر بطغيانها والحكمة لله في ذلك اليوم لا يدركها الا النبي «ص» وقد محص الله بها قلوب أوليائه وثبت المؤمنين الصادقين وعزل المنافقين كما جاء بالوحي الالهي «أَحَسِبَ النَّاسُ انْ يَقولوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الذينَ مِنْ قَبلِهِمْ فَلَيَعلَمَنَّ اللهُ الذينَ صَدَقوا وَلَيَعلَمَنَّ الكاذِبينَ) وبعد هذه الوقعة علم المؤمنون كيف يجب الاستسلام لامر الرسول وانه لا ينطق عن الهوى وراح ابو سفيان يتبختر تيهاً وهو مثل بخسرة النصر امام زوجه هند وقد غمرها السرور في استشهاد حمزة يرددان ذكرى تمثيلهما به وهو صريع في ساحة الجهاد وزادهما سروراً انهما سيهاجمان المدينة ثانياً قبل الرجوع الى مكة وكان ابو سفيان يتكلم والخوف يحرك اعصابه فرقا من النبي «ص» ان يعيد عليه الكرة وعلى جيشه الذي فقد القوة المعنوية لذلك أمر النبي علياً بن أبي طالب أن يأتيه بخبر القوم وقال له اذهب في أثرهم فاذا رأيتهم امتطوا الابل وجنبوا الخيل فوجهتهم مكة وان رأيتهم ركبوا الخيل وجنبوا الابل فهم يريدون المدينة فمضى علي في اثرهم على ما به من الجراح وعاد واخبر النبي «ص» بانهم امتطوا الابل وآثار الوهن والذعر ظاهرة على وجوههم يؤمون مكة

غزوة حمراء الاسد

وفي غد يوم أحد اذن مؤذن النبي «ص» للخروج في طلب العدو وان لا يخرج معه إلا من به جراحة من اثر يوم القتال بالامس فأخذوا يداوون جراحاتهم وجاء الوحي بهذه الآية «وَلا تَهِنوا فِي ابْتِغاءِ القَومِ إِنْ تَكونوا تَأْلَمونَ فَإِنَّهُمْ

يألمون كما تألمون ، وخرجوا على ما بهم من الجراحات ولم يتقاعدوا عن الخروج والقوة المعنوية في نفوسهم المؤمنة تحفزهم للسير في ركابه فساروا حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال فاقام بها النبي «ص» ثلاثة ايام وطارت الأخبار بين القبائل بان المسلمين لحقوا القرشيين ولم يوهن عزيمتهم ما اصابهم بالامس وقد مر معبد الخزاعي على حمراء الاسد وجاء الى النبي وقال يا محمد لقد عز علينا غدر قريش باصحابك وكنا نود لكم العافية وكانت قبيلة خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح للمسلمين وسار معبد في طريقه الى مكة حتى لحق ابا سفيان بالروحاء فقال له ماوراءك يا معبد فقال له ان محمداً خرج باصحابه في طلبكم في جمع لم ار مثله قط واجتمع معه من تخلف عنه في يومكم نادمين على تقاعدهم يتحرقون للبطش بكم فقال ويلك ما تقول وها نحن عازمون على اعادة الكرة عليهم لنستأصل محمداً واصحابه ونفرغ منهم فقال له معبد ما اظنك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل واعناق الابل يحملن ابطالا لا يقف في وجوههم جمع يتلمظون كالافاعي لدمائكم صدفوا عن الحياة ولا يخافون الموت فعندها هلع قلب ابو سفيان ووجلت قلوب من معه ورجعوا الى مكة ولقي ابو سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة فقال لهم ابلغوا عني محمدا انا اجمعنا الكرة عليه وعلى اصحابه لنجعلهم عبرة وذكرى وعلى ان احمل لكم ابلكم هذه زبيبا اذا جئتمونا في عكاظ وقد بلغ الركب رسالة ابا سفيان للنبي «ص» في حمراء الاسد فقال حسبنا الله ونعم الوكيل

لم يكن ابو سفيان ذلك الشجاع الذي يخشى باسه ولم يكن ذلك القائد الحكيم الحازم الذي يورد الامور مواردها ولكنه خليق بالحيلة وضنين بالحياة ولماذا ترك أحد وجاء الى الروحاء ألم يكن هربا من اللقاء ولماذا جعل جعيلة الى ركب عبد القيس لتبليغ مقالته للنبي (ص) التي لا قيمة لها ووجهته مكة هاربا مهتبلا الحيلة مغتبطاً بما لم يحلم به بما ضادف من الاذى الذي مني به المسلمون في أحد مقدساً معبوده هبلا يسجد له بين حين وآخر لاعتقاده به أنه منحه النصر وقد آب المسلمون من حمراء الاسد والوجوم ظاهر على وجوههم منقبضة نفوسهم من المنافقين الذين يهمزون ويغمزون عليهم وشعر النبي «ص» بحراجة الموقف في بلد حديث

عهد بالاسلام والعرب ينظرون الى النتائج من المقدمات وينتظرون نهاية المصادمات بينه وبين قريش وبما ان اموره صادرة عن حكمة ربانية يعتقدان العاقبة لخير كما وعده ربه وان الله لا يخلف وعده

-(يوم الرجيع)-

ووفد رهط من قبيلة تجاور هُذيلا الى النبي (ص) وقالوا ان فينا اسلاما فابعث معنا نفر من اصحابك يعلموننا شرائع الاسلام ويقرأوننا القرآن وقد جرت العادة بان يبعث نفراً من اصحابه عند الطلب من يؤدي هذا الواجب الديني لذلك ارسل ستة من اصحابه وبوصولهم الى ماء هذيل بناحية الرجيع غدروا بهم فاستصرخوا هذيلا على الغادرين فكانوا كالمستجير من الرمضاء بالنار وجاء رجال من هذيل وهاجموهم فاعتمد المسلمون الستة على اسيافهم فقتل منهم ثلاثة واخذوا ثلاثة اسرى وفي الطريق تملص احدهم وقاتلهم بسيفه حتى قتل أما الأسيران الآخران فقد باعوهما في مكة وقتلوهما

ما اقبح الغدر من هُذيل والانتقام من قريش فقد خالفا العادات العربية بغدرهما وانتقامهما من اسيرين اعزلين لا يملكان لانفسهما نفعاً ولا ضراً شفت قريش غيظها من النبي «ص» بقتلها غيلة وبغيا ومثلت الجبن والعدوان برجلين بريئين ابتاعتهما للقتل ولما بلغ الخبر للنبي حزن وتألم كثيراً لمصرع هؤلاء الستة انفار وكذلك المسلمون حزنوا وتأثروا من اعمال هؤلاء الغدرة الفجرة واصبحوا في خوف من تكرار هذه الجريمة النكراء فتستخف العرب فيهم ولا شيء اثقل على النفس من الاستخفاف بالهيبة من جانب الاعداء والله لا يصلح عمل المفسدين

-(ماجريات حوادث السنة الثالثة)-

في هذه السنة نقض بنو قينقاع من اليهود العهد وآل امرهم للجلاء عن المدينة وفيها يوم الرجيع الذي تمثل فيه الغدر من هذيل وقريش وفيها كانت غزوة السويق وفيها غزوة غطفان وفيها غزوة أحد المشهورة وفيها سرية بني أسد وفيها تزوج الرسول «ص» من السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ارملة خنيس احد السابقين

للاسلام وفيها تزوج عثمان بن عفان من ام كلثوم بنت النبي (ص) بعد وفاة اختها رقية وفيها تزوج النبي من زينب بنت خزيمة ارملة عبيدة بن الحارث الذي استشهد يوم بدر وفيها حرمت الخمر لما يتأتى لشاربها من الضرر بالعقل والجسم والمال وفيها ولد الحسن السبط بن علي بن ابي طالب عليهما السلام

الفصل الرابع

﴿ من اول السنة الرابعة لغاية السنة السادسة ﴾

السنة الرابعة سنة الترفئة

« سرية بئر معونة » — قدم البراء بن مالك ملاعب الأسنة على النبي (ص) فعرض عليه الاسلام فلم يقبل ان يعلن اسلامه وقال يا محمد لو بعثت رجالا من اصحابك إلى نجد فيدعونهم للتوحيد رجوت ان يستجيبوا لك فلم يجب طلب ابو براء خوفا من الغدر فقال له انا جار لهم وكل من اجيره لايخاف عادية احد عليه لذلك ارسل المنذر بن عمرو اخا بني ساعدة في اربعين رجلا من خيار المسلمين وساروا حتى بلغوا بئر معونة ومن هناك بعثوا حرام بن ملحان الى عامر بن الطفيل في كتاب النبي (ص) فلم ينظر عامر في الكتاب بل قتل الرجل الذي جاء به واستصرخ بني عامر ليقتلوا المسلمين فابوا ان يخفروا ذمة ابو بَرَاء فاستصرخ عامر قبائل اخرى فاجابته وخرجت معه واحاطوا بالمسلمين فلما رأى المسلمون امارات الغدر جردوا سيوفهم وقابلوا هذه الجموع الكثيرة بقلوب مفعمة بالايمان وجاهدوا وكافحوا حتى قتلوا جميعاً ولم ينج منهم غير كعب بن زيد حيث تركه عامر بن الطفيل وهو على آخر رمق وفي نهاية المعركة رجع إلى المدينة

نعم إن حياة النبي « ص » حلقات متصلة من الآلام وكل حلقة منها درس وعبرة لكل مسلم في هذه الحياة الى يوم الدين وما هي بمجموعها إلا سلسلة واحدة من الآمال الجياشة في صدره الشريف شعرت لها الانسانية ولم تصرح بها حتى حان وقتها اذن الله في قطاف ثمرة جهاده ورأت البشرية في شخصه المطهر من الصلابة

والقوة في اداء رسالته وتأييده للحق ما لا تدركه في غيره للوصول الى الغاية النبيلة ولكنه صلوات الله عليه وجد اشد الوجد وحزن اشد الحزن على شهداء بئر معونة وشق على ابي براء اخفار عامر بن الطفيل اياه وما عتم ان ارسل ابنه ربيعة فطعن عامراً بن الطفيل برمحه على غفلة منه انتقاما لابيه وبقي الرسول شهراً كاملا يدعو الله بعد صلاة الفجر لينتقم الله من قتلة بئر معونة وجزع المسلمون لهذه الكارثة التي اصابت اخوانهم المغدورين

﴿ سرية ابي سلمة ﴾

وبعد ايام خلت دعا النبي «ص» ابا سلمة بن عبد الاسد وعقد له لواء سرية يبلغ عددها مائة وخمسين راكباً وأمر ان يدلج ليلا الى طليحة وسلمة ابني خويلد وكانا على رأس بني اسد يريدان المدينة لاعتقادهم ان قوة المسلمين تضعضعت بعد موقعة أحد وذهب كما امره النبي وهاجمهم على حين غرة منهم فنكل بهم وبجموعهم وغنم غنائم كثيرة بعد ان استرجع هيبة المسلمين

﴿ سرية عبد بن انيس ﴾

واتصل بالنبي «ص» ان خالد بن سفيان بن نبيح الهذلي مقيم بنخلة او بعرنة وانه يجمع الناس ليغزوه فدعا اليه عبدالله بن انيس وبعثه يتنطس الاخبار وكان شجاعاً وداهية في تصريف الامور فذهب وفي اثناء الطريق لقي خالداً ومعه سرب من النساء يرتاد لهن منزلا فقال له خالد بمن الرجل فقال له انا رجل من العرب سمعت انك تجمع الجموع لغزو محمد فجئتك لأكون معك من المحاربين فقال له مرحباً بك فسار معه يرسم خطة الهجوم وحينما رآه وحيداً وليس معه غير النسوة حمل عليه بالسيف فقتله ورجع الى المدينة فاخبر الرسول بما فعل وحاولت بنو لحيان من هذيل لتثأر له ثم هدأت

(غزوة بني النضير)

وقد علم النبي (ص) أن المنافقين مع يهود بني النضير يتربصون به الدوائر فذهب اليهم ومعه عشرة رجال من المسلمين ليسبر غورهم ويحذرهم عاقبة الغدر فاستقبلوه

بالاحترام والتعظيم وبعد أن وعظهم على الصدق بالوعد وحفظ العهد طلب منهم المعاونة معه على رد عادية بني عامر فاجابوه بالايجاب لما بينه وبينهم من العهود وبالوقت نفسه كان بينهم وبين بني عامر حلف وعهد ثم خلا بعضهم ببعض وتداولوا بالأمر وقالوا ان محمداً بعد وقعة أحد لم تبق له هاتيك الرهبة بين العرب وهو الآن بين أيدينا وكان صلوات الله عليه جالساً إلى جدار من بيوتهم فانتدبوا أحدهم ليلقي صخرة عليه وعلى أصحابه من اعلى الجدار فعلم بما عزم عليه القوم وخرج من بينهم والرجل واقف والصخرة بيده وعلم ما تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة ورجع مع أصحابه الى المدينة ثم بعث اليهم رجلا يثقون به ليثوبوا إلى رشدهم ويعودوا إلى حظيرة المسالمة ويتجنبوا الغدر ويوفوا بعهدهم وان أبوا إلا نكث العهد والسير على الخطة التي رسمها لهم المنافقون فليخرجوا من المدينة لتوقي الحرب ودفع البلاء عنا وعنهم وقد جعلنا لهم اجلا للجلاء عشرة أيام وهذا الانذار جعلهم في حيرة وذهول وكادوا ان يرجعوا عن غيهم لولا تشجيع عبدالله ابن أبيّ بن ابي سلول لهم وبصفته رأس المنافقين أخذ يعدهم ويمنيهم بالمعاونة على المسلمين كما وعد من قبلهم بني قينقاع وبهذا الوعد تشددت عزائمهم وعزموا على المقاومة ولم يعتبروا بغيرهم

ولما انقضى الأجل المضروب وهي الأيام العشرة لم يسالموا وأصروا على العدوان وأوعز اليهم رئيسهم حيي بن اخطب أن يستعدوا للقتال وقد تولى القيادة هو نفسه وبقيت المناوشات بينهم وبين المسلمين عشرون يوما والرسول صلى الله عليه وآله وسلم يرسل اليهم الرسل ليفيئوا إلى المسالمة ولم يرجعوا عن عنادهم وانتظروا النجدة تأتيهم من عبد الله بن أبيّ على غير جدوى واستولى الرعب عليهم ووقفوا عن القتال فعرض عليهم النبي أن يلجأوا إلى السكينة ولهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم فاختاروا الخروج من الحجاز ورحل منهم جماعة الى خيبر والباقي رحلوا إلى اذرعات من ارض الشام وصالحهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أن يخرجوا ولهم ما حملت الابل من كل شيء ماعدا الذهب والفضة والسلاح واسلم منهم سلام ابن مشكم وهو الذي نهى قومه عن القاء الصخرة على النبي وهو جالس الى جنب

الجدار واسلم ايضا يامين النضيري وقد هدأت الفتن بجلائهم عن يثرب وانقطع حبل الاتصال بينهم وبين المنافقين الذين جعلوهم آلة للمشاغبة وبذلك نزلت الآيات الكريمة « ألم ترَ إلى الذينَ نافقوا يقولونَ لاخوانهمُ الذينَ كفروا من اهل الكتاب لئنْ أُخرِجتم لنخرجنّ معكم ولا نُطيعُ فيكم احداً ابداً ولئن قُوتِلتم لننصرنكم واللهُ يشهدُ إنهم لكاذبون لئن اخرجوا لا يخرجونَ معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نَصروهمْ ليُولنّ الأدبارَ ثمّ لا يُنصرونَ لأنتم أشدّ رهبةً في صُدورهم مِنَ اللهِ ذلكَ بانهمْ قومٌ لا يَفقهونَ » بعد جلاء بني النضير ضرب الأمن رواقه بالمدينة وانشمر المنافقون واطمأن الناس وانصرفوا الى اعمالهم وخير ما غنمه المسلمون الأرض التي كان يملكها بنو النضير وهذه الأرض لم تعتبر اسلاب حرب فكانت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاصة يهبها لمن يشاء وقد قسمها على المهاجرين دون الأنصار واستبقى قسما خصصت غلته للفقراء والمساكين واصبح المهاجرون في غنى عن معونة الأنصار ولم يشترك في القسمة من الأنصار غير أبو دجانة وسهل بن حُنيف لأنهما كانا في حاجة وعوز واغتبط المسلمون بما أصابهم من ارض وسلاح لا يخشون كيداً من المنافقين الذين تولاهم الضعف والوهم بعد رحيل حلفائهم من بني النضير وسكتوا على ما هم عليه من الحقد يتربصون عثرة المسلمين ويبحثون لهم عن عدو مهاجم أو حسود مشاغب

(بدر الآخرة)

لقد حان الاجل المضروب من ابي سفيان بن حرب عند ما قال يوم أحد « يوم ببوم بدر يا محمد والموعد العام المقبل في بدر » وخرجت قريش مع أبي سفيان في الفي رجل حتى نجنة من ناحية الظهران ثم القى الله الرّعب في قلوبهم فبدا لأبي سفيان وود ان يؤجل اللقاء فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي فقال له أبو سفيان قد واعدت محمداً واصحابه اللقاء في بدر الصغرى وهذا عام جدب لا يصلحنا إلا عام نرعى فيه الشجر ونشرب اللبن وقد بدا لي ان لا اخرج اليها وربما يخرج محمد ولا اخرج أنا فيزداد هو واصحابه جرأة فعجل بالسير إلى يثرب وثبطهم ولك عندي عشرة من الابل فأتى نعيم إلى المدينة فرأى الناس يتجهزون الى لقاء ابي سفيان

فقال لهم يا معشر المسلمين بالأمس اتوكم إلى دياركم ولم يفلت منكم إلا شريد وتريدون الخروج اليهم وقد جمعوا لكم جيشا لا قبل لجيش من العرب بمواجهته فأثر كلامه في بعض الناس

ولكن النبي «ص» ابى إلا أن يذهب إلى بـــدر وقال والذي نفسي بيده لأخرجن اليهم ولو بقيت وحدي فالجبان تقاعد والشجاع تأهب للجلاد وحمل اللواء علي بن ابي طالب وفي اثناء ذلك جاءه الوحي بهذه الآية «الذينَ قالَ لهمُ النّاسُ إنّ الناسَ قدْ جَمعوا لكمْ فاخشوهمْ فزادَهمْ إيمانا وقالوا حسبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ» وسار صلوات الله عليه في اصحابه حتى وافوا بدراً وهوماء لبني كنانة وهي موضع سوق لهم في الجاهلية واقام ينتظر اباسفيان وابوسفيان يجد السير الى مكة بعد خروجه الى مجنة ولم يلق الرسول احداً من المشركين وقد وافق السوق وجود اصحاب النبي في بدر ولهم تجارات فباعوا واصابوا الدرهم درهمين وانصرفوا إلى المدينة بعد انتظارهم لقريش ثمانية ايام متتابعة

إن انتصار ابي سفيان في وقعة أحد جرأ العرب على المسلمين وذهب ضحية دعوته شهداء يوم الرجيع وشهداء بئر معونة وحمل يهود بني النضير على التمرد ولكن غزوة بدر الصغرى وإحجام ابي سفيان عـــن اللقاء في الوقت المضروب لوعيده عزز هيبة المسلمين ومحت البقية الباقية للقرشيين من المهابة لنكوصهم عن الوفاء بوعيدهم الموهوم وتلاشت مكانتهم في نفوس العرب وسجلوا على جباههم العار والجبن لعجزهم عن اللقاء يتحينون الفرصة للعام القابل

-(كاتب سر النبي)-

ذكر بعض المؤرخين بان رسائل النبي «ص» كان يكتبها له بالسريانية والعبرية رجل من بني النضير وبعد جلائهم عن المدينة صار كاتب السر زيد بن ثابت لأنه تعلم اللغتين المذكورتين وهذه الرواية تحتاج الى تمحيص لأن الكثير من أصحابه يعرفون القراءة والكتابة ولا يجهلون هاتين اللغتين لمجاورتهم اليهود ومعاملتهم التجارية مع السوريين وليس من المعقول ان يتجاهل اصحابه واهله ويأتي برجل من اليهود ليقوم بهذا الأمر

غزوة ذات الرقاع

بعد ان عادت الرهبة في قلوب المشركين وايقنوا ان الاسلام مؤيد بقوة غير منظورة وهي عناية الله لتثبيت دعائم التوحيد امن المسلمون واقام النبي «ص» بين اصحابه واثقاً بوعد ربه يعمل على تنظيم الأمور العامة وفي هذه الأثناء علم بان النجديين من قبيلة غطفان يجمعون الجموع لغزو المدينة فلم يمهلهم ان خرج في اربعماية من رجاله حتى نزل ذات الرقاع حيث اجتمع بنو ثعلبة وبنو محارب من غطفان فلما رأوه طلع عليهم برجاله الأشاوس مهاجماً مساكنهم وكاد الخوف يقضي عليهم وتفرقوا تاركين وراءهم نساءهم ومتاعهم فنقل المسلمون ما استطاعوا نقله من الغنائم وعادوا ادراجهم وتناوبوا الحراسة خوفا من رجعة العدو عليهم وفي هذه الغزوة نزل جبريل على النبي «ص» بصلاة الخوف ورخصة التيمم بدلا عن الماء فكان جماعة يقفون لاستقبال العدو ويصلي جماعة منهم مع النبي ركعتين وطال انتظارهم للعدو فلم يظهر له أثر وعاد باصحابه الى المدينة وقد استغرقت هذه الغزوة خمسة عشر يوما

حاجريات حوادث السنة الرابعة

فيها ولد الامام الحسين سبط الرسول «ص» وفيها توفيت زوج النبي السيدة زينب بنت خزيمة ام المساكين وفيها غزوة يهود بني النضير وفيها غزوة بدر الآخرة وفيها شرعت صلاة الخوف وفيها نزلت رخصة التيمم بالتراب بدلا عن الماء

السنة الخامسة سنة الزلزال

العرب أباة الضيم حريصون على الأخذ بالثار ولو بعد حين ولم يشذ عن هذه العادة يهود بني قينقاع وبني النضير وان كانوا هم الظالمين ولكنهم لا يقدرون على مجابهة المسلمين بالعداء ولكن لا تعجزهم الحيلة فقد جاءوا البيوت من ابوابها واتفقوا مع قريش وغطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام والعراق لمهاجمة الرسول «ص» في دار هجرته وشجعهم على ذلك بعض قواد اللخميين والغسانيين الذين

تسرب اليهم الخوف على سلطتها أن تنهار حيث ان يهود بني قينقاع وبني النضير يقيمون في اذرعات من اعمال الشام وكانوا يصورون المسلمين بصور شتى من القساوة والهمجية ومع ما بينهم وبين المسيحيين من العداوة الدينية فقد وافقوا على قولهم واعتقدوا ان جزيرة العرب ستتوحد على دين النبي العربي وهناك الطامة الكبرى فانحازوا معهم على توحيد الدعاية بين القبائل العربية ضد الاسلام ولم يشذ عن ذلك قواد اللخميين مع ما بينهم وبين الغسانيين من الحروب المتصلة فالمناذرة ملوك العراق لهم اتصال سياسي بالأكاسرة ملوك فارس والغساسنة ملوك الشام يجمعهم بقياصرة الروم اتحاد سياسي ديني والعداء مستحكم بين الدولتين بتأثير الحروب المتعاقبة بين الأكاسرة والقياصرة وكلهم تجمعهم المصلحة المشتركة

غادر حيي بن اخطب عميد قبيلة بني النضير اذرعات الى مكة ومعه اربعة من رؤساء اليهود للمداولة مع القرشيين لمهاجمة المدينة وكان حيي المذكور فصيح اللسان قوي الحجة وعند ما اجتمع بهم اذكى فيهم نار الحماس واتفقوا على تنفيذ ما جاؤا لأجله وضربوا موعداً للخروج لمهاجمة الرسول «ص» في المدينة وبارحوا مكة لاستفزاز القبائل للقيام معهم ونزلوا على غطفان من قيس عيلان وبني مرة وبني فزارة واشجع وسُليم وسعد وبني اسد وكل من له ثار عند المسلمين يستصرخونهم للانضمام إلى قريش ويقوم فيهم خطيباً حيي بن أخطب يعدهم بالنصر ويعدهم بوفرة الغنائم ويزين لهم مكراً وميناً بان الغلب لوثنيتهم على التوحيد لأنها على الحق خلافاً لاعتقاده وقد جاءت الآية في الكتاب العزيز مشيرة إلى ذلك « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيراً »

(وقعة الاحزاب)

في الموعد المضروب خرجت قريش لحرب النبي «ص» في أربعة آلاف مجند بقودهم ابو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن في بني فزارة والحرث بن عوف في بني مرة ومسعر بن دخيلة في بني اشجع بن اريث

وعمرو بن ود العامري في بني عامر واجتمع هؤلاء وانحاز اليهم بنو سعد واسد وسُليم فصاروا عشرة آلاف مقاتل وساروا قاصدين المدينة تحت إمرة أبي سفيان والقيادة في اثناء الحرب يتداولها زعماء القبائل

واتصل نبأ هذا الجيش الجرار بالمسلمين فهلعت قلوبهم فرقا لأن عددهم لايزيد عن الألف ولا قوة لهم على مناضلة هذه الكتائب المتتابعة وفزعوا إلى النبي «ص» فقال لهم ابشروا ولاتخافوا قالوا يا رسول الله ان العرب اجمعت على قتالنا وزحفت علينا فقال حسبنا الله ونعم الوكيل إن النصر مضمون لنا وقد وعدني ربي ولا يخلف لوعده ثم عقد مجلساً مع أهل الرأي من اصحابه للتشاور بالأمر فاجمعوا على التحصن بالمدينة وكان سلمان الفارسي من رجال الشورى ويعلم من اساليب الدفاع في مثل هذه الظروف ما لم يكن معروفاً في بلاد العرب فاشار في حفر الخندق حول المدينة وتحصين داخلها لتكون النكاية بالعدو ابلغ فالمسلمون يستطيعون الخروج الى حرب المشركين ثم يعودون إلى حصونهم فايد النبي «ص» هذا الرأي

وباشروا حفر الخندق وقاسى المسلمون في حفره عناء شديدا وعمل الرسول فيه تشجيعاً لأصحابه وقد صادفوا في اثناء الحفر صخرة في ارض صلد نالت من الحديد ولم ينل منها الحديد شيئاً فاخبروا النبي «ص» فنزل واخذ المعول من سلمان وضرب به ضربة فلمعت تحت المعول برقة ثم ضرب ثانياً فلمعت برقة أخرى ثم ضرب ضربة ثالثة فكسر الصخرة وبرق منها برقة اضاءما بين لابتي المدينة كالمصباح في جوف بيت مظلم فكبر النبي وكبر المسلمون فقال له سلمان بابي أنت وأمي يارسول الله ما هذا الذي رأيت يلمع تحت المعول وانت تضرب به قال أرأيت ذلك يا سلمان قال نعم قال له إعلم ان ما رأيته اشارة وبشرى الى فتح اليمن والشام والمشرق والمغرب بحول الله تعالى وقد تم حفر الخندق في ستة أيام وتضاعف الجهد في تحصين جدران المنازل ولما كمل حفر الخندق قال الأنصار سلمان منا وقال المهاجرون سلمان منا وقال النبي « ص » سلمان منا أهل البيت واقبلت قريش بالعدة والعديد عازمة على اجتياح المدينة في بعض يوم وعند ما فاجأها الخندق احجمت والغيظ يملأ احشاءها لأن هذا الدفاع لم يكن في بلاد العرب وقد

نزلت قريش واحلافها بمجمع الأسيال ونزلت غطفان ومن تبعها من القبائل بذنب نقمى وخرج النبي «ص» والمسلمون معه وجعلوا ظهورهم إلى سلع والخندق بينهم وبين الأعداء ونصبت له خيمته الحمراء وزعمت قريش لما عجزت عن اجتياز الخندق بان المسلمين جبنوا عن اللقاء فاخترعوا هذا الخندق ليصدهم عنا وكان الفصل شتاء والبرد قارساً والريح عاصفة وايقن ابو سفيان ومن معه من الاحزاب انه لاسبيل لاقتحام يثرب والاقامة امامها طويلا على غير جدوى وشرعوا بالمراماة بالنبل من الجانبين وبقي الحال على هذا المنوال عدة ايام وعندما طلعت الأحزاب قال المؤمنون «هذا ماوعدنا اللهُ وَرَسولهُ وصَدَقَ اللهُ وَرَسُولهُ» وقال المنافقون بالمدينة هذا محمد يحدثكم ويعدكم بالباطل بفتح المشرق والمغرب وانها تفتح لكم ولا تستطيعون مناجزة اعدائكم

وبما ان حيياً بن اخطب هو العامل الأول في اثارة هذه الحرب فخاف ان ينفرط هذا الجمع اذا طال الأمر والوزر يقع على رأسه فعزم ان ينثل آخر سهم في كنانته بتحريض بني قريظة حلفاء المسلمين لينكثوا عهدهم وينضموا إلى الأحزاب ليتسنى له فتح الطريق إلى المدينة لأن الخندق لم يتصل بمنازل بني قريظة اليهود فذهب حيي الى كعب بن اسد سيد قريظة وصاحب عهدهم وعقدهم ومذ علم بقدومه اغلق باب حصنه دونه غير ان حيياً ما زال يخدعه ويمنيه بذلاقة لسانه حتى دخل عليه وقال له يا كعب جئتك بعز الدنيا والآخرة وبحر طام لاينضب جئتك بقريش وسادتها وقادتها وانزلتهم بمجمع الأسيال وجئتك بغطفان وانزلتهم بذنب نَقَمَى وناهيك بغطفان واحلافها وشجاعتهم وقوتهم وثباتهم وقد عاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن اتبعه فقال له كعب ويحك يا حيي اني لم أر من محمد إلا الوفاء ورعاية وصدقاً فألحف الرجس بالطلب وقال له علام الخوف الم يجر في جسمك دم اسرائيل ولكن حيياً مازال يزين له ويفتله في الذروة والغارب حتى اقنعه بنقض العهد وخرج من حياده ودعا كعب رؤساء قومه وبادرهم بقوله الغدر الغدر لقد نقضت عهد محمد وانا بريء منه

وعندما انتهى الخبر الى النبي «ص» اضطرب المسلمون فقال لهم اصبروا ولا

تجزعوا انكم الغالبون وبعث سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة ليعلما خبر بني قريظة لأن خيانتهم تؤثر كثيراً في جهاز الدفاع وتفتح ثغرة للعدو يصعب رتقها ويوصولهم وجدوا قريظة على اخبث ما بلغهم عنها واراد سعد بن معاذ وكان حليف بني قريظة ان يقنعها مخافة ان يحل بها ما حل ببني النضير او ما هو شر منه وقال كعب مَن رسول الله لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد وكاد الفريقان يتشاتمان

ورجع الوفد الى رسول الله «ص» واعلمه بما عليه القوم من نقض العهد ومن الجفاء المستحكم في نفوسهم فعظم البلاء على المسلمين واشتد الكرب وباشرت قريظة بقطع الميرة والمدد عن المدينة وتألفت كتائب المشركين فاتت كتائب سُليم من فوق الوادي وكتائب غطفان من الجنب ورابط ابو سفيان وجيشه على الخندق وفي هذا الوقت الرهيب نزلت هذه الآيات المحكمات « إذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً وَإِذْ يَقُولُ المُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً» لاتثريب على أهل يثرب فيما فاجأهم من الخوف وزلزلت قلوبهم من الهلع ولا لوم على الذين زاغت ابصارهم ولا على الذين بلغت قلوبهم الحناجر فالعدو متحفز للوثوب والموت اقرب اليهم من حبل الوريد من سيوف قريش والأحزاب بعد خيانة بني قريظة والذين في قلوبهم مرض من المنافقين يثبطون عزائم المؤمنين بقولهم « ما وعدكم الله ورسوله إلا غروراً »

وجاء في صحيح البخاري ان فوارس من قريش دفعتهم حمية الجاهلية منهم عمرو بن ود العامري وعكرمة بن ابي جهل وضرار بن الخطاب وهبيرة بن وهب ونوفل بن عبد الله تلبسوا للقتال وخرجوا على خيولهم حتى بلغوا منازل كنانة فقالوا لهم تهيأوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم اقبلوا

ثغنق بهم خيولهم حتى وقفوا على الخندق وقالوا والله ان هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها وتيمموا مكانا ضيقاً من الخندق فضربوا خيولهم واقتحموه فجالت بهم في السبخة بين سلع والخندق وخرج علي بن ابي طالب في نفر من المسلمين حتى اخذ عليهم الثغرة التي اقتحموها واقبلت الفرسان نحوهم وكان عمرو بن ود العامري فارس قريش وقد حضر بدراً ولم يحضر أحدا ولما كان الخندق خرج معلما ليرى مشهده وكان يعد بالف فارس فقتله علي عليه السلام

وذكر ابن اسحاق ان عمرو بن ود العامري نادى هل من مبارز فقام علي وهو مقنع بالحديد وقال انا له يا رسول الله فقال له انه عمرو اجلس ثم نادى عمرو وهو يؤنبهم اين جنتكم التي تزعمون ان من قتل منكم دخلها فقام علي وقال أنا له يا رسول الله فقال انه عمرو اجلس ثم نادى الثالثة وقال

« ولقد بححت من النداء في جمعكم هل من مبارز »
« ان الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز »

فقام علي وقال أنا له يا رسول الله قال له إنه عمرو قال فليكن عمراً فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والبسه درعه ذات الفضول واعطاه سيفه ذات الفقار فلما ولى قال اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله قال ابن اسحاق فمشى اليه وهو يقول

« لا تعجلنّ فقد اتاك بجيب صوتك غير عاجز »
« ذو نية وبصيرة والصدق منجى كل فائز »

لا ريب ان الايمان هو كل شيء في هذه الحياة فلا الأبطال ولا الجيوش السابغة ولا الاساطيل السابحة في الماء والهواء ولا المال الكثير ولا الغازات السامة ولا القنبلة الذرية ولا الطائرات النفاثة ولا كل قوات الأرض تعادل الايمان في قوته لأنه نفحة من نفحات الله وبهذا الايمان الصادق وقف المسلمون في وجه الأحزاب وبهذا الايمان بارزوا فوارسهم المعلمة وقضوا على عنجهيتهم وقد تراجعوا عن المدينة والرعب مسيطر على عقولهم والذل يخيم فوق رؤوسهم

قال ابن اسحاق فقال له عمرو من انت قال انا علي قال ابن عبد مناف قال

انا علي بن ابي طالب بن عبد المطلب قال يا ابن اخي ان في اعمامك من هو اسن منك فاني اكره ان اهريق دمك فقال له علي لكني والله لا اكره ان اهريق دمك فغضب ونزل شاهراً سيفه كانه شعلة نار واقبل نحو علي فاستقبله بدرقته فضربه عمرو فشق الدرقة واثبت السيف فيها واصاب رأسه فشجه وضربه علي على حبل العاتق فسقط وثارت بينهما عجاجة وتعالى صوت علي بالتكبير فقال النبي (ص) قتله علي والذي نفسي بيده واول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب (رض) فرأى علياً يمسح سيفه بدرع عمرو فكبر عمر وكبر المسلمون واقبل علي ورأس عمرو بيده نحو رسول الله ووجهه يتهلل بشراً وسروراً فقال النبي صلوات الله عليه ابشر يا علي فلو وزن عملك اليوم بعمل أمة محمد لرجح عملك بعملهم لأنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا ودخله وهن بقتل عمرو ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا ودخله عزّ وقوة بقتل عمرو وفر اصحاب عمرو منهزمين حتى طفرت خيلهم الخندق وتبادر المسلمون فوجدوا نوفل بن عبد العزى في جوف الخندق فرموه بالحجارة ويقول ابن اسحاق ان علياً طعنه في ترقوته حتى اخرجها من مراقه فمات في مكانه وارسل ابو سفيان يعرض دية جثته مائة من الابل فرفض النبي (ص) قبولها وقال خذوه فانه خبيث الدية

يوم الأحزاب يوم اغرّ محجل اعز الله به الاسلام وخضد شوكة الشرك وهو اليوم الذي تضافرت به قريش وحلفاؤها على استئصال النبي (ص) وعلى كل من آمن به وانضمت القبائل واليهود وجاءت كل قبيلة بخيرة قوادها وجمعوا احابيشهم وخيلهم ومؤنهم وذخائرهم حتى بلغ جمعهم اثني عشر الفاً فيهم عمرو بن ود العامري الذي هو أمة وحده في الشجاعة يوم اللقاء وفيهم خالد بن الوليد القائد المقدام وعمرو بن العاص صاحب الرأي والمكيدة وغيرهم من الابطال المغاوير وتألبت معهم كل جزيرة العرب وكل اليهود المحاربين والناكثين والمنافقين وكل هؤلاء واولئك جمعوا جموعهم على فئة قليلة من المسلمين لا يتجاوز عددهم ألف محارب ولكن ما قيمة العدد والعدد في جانب الحق والحق مؤيد من الله

« ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هـذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله

ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » في هذه الايام العصيبة التي بلغت فيها القلوب الحناجر كان النبي (ص) يعد المسلمين بالنصر والاستعلاء على الأعداء والاستيلاء على ممالكي الاكاسرة والقياصرة ولم يبال باستهزاء الجاحدين وكان كما قال وتمزقت الاحزاب وقذف الله في قلوبهم الرعب بعد مقتل عمرو بن ود العامري ولم تغن عنهم شيئاً شجاعة ابن الوليد ولا دهاء ابن العاص ولا الحقد المتأصل في قلب ابي سفيان لأن إيمان علي بن ابي طالب زعزع جموعهم وفرق احزابهم وبهذا الايمان الثابت استعان على قتل عمرو وبقتله ارفض عقدهم ورجعوا مخذولين متشاكسين

واعظمت الاحزاب نيرانها مبالغة في تخويف المسلمين واضعافاً لروحهم وبدأ المتحمسون من قريظة يتهافتون من منازلهم وحصونهم إلى منازل المدينة القريبة منهم وكانت صفية عمة النبي «ص» مع النساء والذراري في حصن فارع حصن حسان بن ثابت فمر بهم يهودي يتجسس على المسلمين فقالت صفية يا حسان ان هذا اليهودي يطيف بالحصن واني ما آمنه ان يهدي قومه الى موضع الضعف فينا فانزل اليه وخذه اسيراً أو فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد علمت باني لست بصاحب حرب فاخذت عموداً من حديد وقطعت عليه الطريق وحاولت أن تأسره فهاجمها فضربته بالعمود فاصابت منه مقتلا ورجعت وقالت يا حسان انزل اليه فاسلبه قال مالي بسلبه من حاجة

وقال الحافظ قال دعا رسول الله «ص» على الاحزاب فقال اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب اللهم اهزمهم وزلزلهم انك سميع مجيب

وأتى نعيم بن مسعود الاشجعي الى النبي (ص) وقال يا رسول الله اني قد اسلمت ولم يعلم بي قومي فمرني بما شئت فقال له الرسول انما انت رجل واحد فخذل عنا ما استطعت والحرب خدعة فذهب نعيم الى قريظة وكان لها نديما في الجاهلية ويعرفونه صديقاً حميما فقال لهم النصيحة لقد ظاهرتم قريشاً وغطفان على محمد وربما لا يطيقان المقام طويلا فيرتحلان ويخليان ما بينكم وبين محمد فينكل بكم وكانت المعنويات ضعفت في نفوسهم وساورهم الندم على نكث العهد

فصادف كلامه هوى عندهم ونصحهم ان لا يقاتلوا معهم حتى يأخذوا منهم رهناً لكي لا تنسحب قريش وغطفان عنهم وانتحى ناحية قريش واسر اليهم ان قريظة ندمت على نكث عهد محمد وانهم عاملون على استرضائه بان يقدموا له من اشراف قريش رجالا يضرب اعناقهم ونصحهم اذا بعثت قريظة يطلبون منهم رهائن ان لا يبعثوا لهم وهكذا ذهب نعيم الى غطفان وحذرهم كما حذر قريشاً وكانتا في ريبة من قريظة وحقق كلام نعيم ما يظنان وارسلت قريظة تطلب من أبي سفيان الرهائن لتطمئن على مصيرها فلم يبق عند أبي سفيان شك في صدق نعيم واسقط في يده واخذ يفكر بين الاقدام والاحجام وتحدث الى غطفان والحلفاء فرآهم قد فترت عزائمهم واخذ كل فريق منهم يظن السوء بالفريق الآخر وبعث الله ريحاً وعواصف هوجاء في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح ابنيتهم قال حذيفة بن اليمان ذهبت بامر الرسول (ص) لانظر حالهم فدخلت بينهم والريح تفعل فيهم ما تفعل ولا يقر لهم قرار ولا بناء والفشل ظاهر على وجوههم ورأيت عميد الاحزاب ابا سفيان والرعب يملأ قلبه قائلا اخلفتنا قريظة وعلك الخف والحافر ولقينا من زعازع الريح ما ترون فارتحلوا فإني مرتحل وركب راحلته وهي معقولة وحلواعقالها وهو على ظهرها وسمعت غطفان والقبائل ما كان من ابي سفيان فانشمروا راجعين إلى اوطانهم وتحطمت مطامع بني النضير وبني قريظة ومن لف لفهم تحت سنابك خيل المسلمين قال حذيفة لما اخبرت رسول الله «ص» برحيلهم قال نغزوهم ولا يغزوننا بعد الآن وكان كذلك حتى فتح الله على النبي والمسلمين

تألبت الأحزاب واشرأبت اعناقهم الى المدينة لحرب الرسول (ص) واصحابه وزحفوا بجيوشهم الجرارة ولم يدركوا أن الذي جاؤا لحربه هو المصلح الأعظم ارسله الله لتحرير العالم من الجاهلية الحمقاء لا يثنيه عن اداء رسالته جيش ولا يرهبه جمع لقد وقف المشركون وقريش واحلافها واليهود جنبا الى جنب مجمعون على الانتقام وقلوبهم شتى لاختلاف المقاصد والغايات فقريش متحمسة لأصنامها وغطفان وحلفاؤها طلاب غنائم واليهود يثأرون لاوطانهم التي جلوا عنها الى خيبر

واذرعات واصبحوا بين نارين لا يأمنون غارة المسلمين عليهم من الجنوب ولا غارة المسيحيين عليهم من الشمال فاليهود جمعوا الاحزاب وحرضوا قريشاً وغطفان والقبائل وزينوا لهم زوراً ومينا بانهم على شركهم خير من الوحدانية خلافاً لاعتقادهم وضربوا الشرك بالتوحيد وأيها أصيب يعود عليهم بالخير

وقف النبي (ص) حيال الخندق مدافعاً حقناً للدماء ينتظر عناية الله به وفي اثناء ذلك اندفع عمرو بن ود العامري لاجتياز الخندق مع فرسان من قريش مدلا بقوته ثم تقدم إلى ساحة الجلاد بصفته فارس الاحزاب فبرز اليه فارس المسلمين علي بن ابي طالب فلم تكن غير صولة وجولة محا الله بها ظلمة الشرك بنور الاسلام وقتل عمرو وبقتله تلاشت قوتهم ووهنوا واستكانوا وحاربهم الله بجنوده واجهز عليهم بريح صاخبة مزقت وحدتهم وفرقت كلمتهم « وَرَدَّ اللهُ الذِينَ كفرُوا بِغيظهمْ لَمْ يَنالُوا خَيراً وَكفى اللهُ المؤمِنينَ القتالَ وَكانَ اللهُ قوياً عَزيزاً»

(غزوة بني قريظة)

بعد ان نشب الخلاف بين الاحزاب ناكصين ورحلوا عن المدينة مذمومين مدحورين متباغضين رجعت قريظة إلى حصونها خائفة تقرع سن الندم لنكثها عهد النبي «ص» ولمظاهرتها قريشاً والاحزاب بتحريض حيي بن اخطب الذي آوته بحصونها وعملت برأيه وبقيت مصرة على العداء للمسلمين بيد ان المسلمين تشددت عزائمهم بعد الخندق وتضاعفت قوتهم المعنوية واستخفوا بقريش واحزابها لأنهم لم ينالوا منهم منالا وتجسمت الرهبة في قلوب اهل الشرك

وبعد نكث العهود والحلف بالوعود عزم النبي (ص) على تحديد موقفه من اعدائه ليأمن غدرهم وبدأ في بني قريظة الذين نكثوا عهودهم في احرج الاوقات وتعاونوا مع الأعداء وهم في ديارهم اعزاء لم يمسهم سوء وليس لهم عذر فيعتذرون به عن خيانتهم الممقوتة وأذن مؤذن النبي «ص» في الناس من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين صلاة العصر إلا في بني قريظة ودفع اللواء الى علي بن ابي طالب وخف المسلمون وراء علي للجهاد ومذ علمت قريظة بالامر تحصنت في

حصونها وتأهبت للقتال ووقفوا يحرض بعضهم بعضاً على المفاداة ومعهم حيي بن اخطب وهم يتكلمون بحق النبي «ص» ويكذبونه ولما جاء الرسول لقيه علي وطلب اليه الا يدنو من حصون اليهود فسأله ولم اظنك سمعت منهم لي أذى قال نعم ودنا النبي من حصونهم وارسل يعاتبهم على سفاهتهم لعلهم يتوبون عما بدر منهم فرآهم على خيانتهم يتهددون ويتوعدون وبادروا يرمون المسلمين بالنبل ليوهنوهم فقابلوهم بالمثل وضربوا عليهم الحصار وامتد الحصار خمسا وعشرين يوما وهم على عنادهم مصرون يناوشون المسلمين بين اليوم واليوم ولا يخرجون من الأطام حتى بلغ منهم الجهد وعندما ايقنوا ان حصونهم لا تدرأ عنهم الوقوع في ايدي المسلمين استسلموا على ان يختاروا رجلا ينزلون على حكمه فقال لهم النبي «ص» اختاروا من شئتم فاختاروا حليفهم سعد بن معاذ ونزلوا على حكمه ووضعوا سلاحهم في مكان مخصوص واجتمعوا في دار اسامة بن زيد وجاء سعد بن معاذ وهو الذي جاء ناصحاً لهم حينما نقضوا عهد النبي «ص» بصفته حليفهم فقابلوه بالجفاء ولم يتراجعوا عن غيهم وقد حكم عليهم ان تقتل المقاتلة وتقسم الاموال وبعد تنفيذ الحكم جيء بحيي بن اخطب وعليه حلة فاختية فلما نظر الى الرسول قال له والله ما لمت نفسي على عداوتك ولكن من يخذل الله يخذل ثم امر بضرب عنقه لأنه هو الذي اذكى الفتن بين المسلمين واليهود وعفا عن بعضهم وعاملهم بالحسنى ومن اغرب الأمور ان يهود الشام نكل بهم هرقل قيصر الروم بعد جلاء الدولة الفارسية لسوء اعمالهم مع نصارى الشام عند ما كان الظفر للفرس على الروم ومن قديم الزمن فاليهود لا يمتزجون مع مواطنيهم

—(غزوة دومة الجندل)—

بعد غزوة الخندق وبني قريظة خضع القسم الاكبر من بلاد العرب للنبي (ص) وتنفس المسلمون الصعداء بعد الشدة والعناء ودومة الجندل هي واحة ما بين الحجاز والشام تقع في منتصف الطريق بين البحر وخليج فارس ولما بلغه ان قبائل دومة الجندل تغير على القبائل وتسلب المارة وتملكها الغرور وتريد غزو المدينة لذلك خرج النبي «ص» في الف رجل لتأديبهم وعند ما قارب منطقتهم وسمعوا

باسمه اخذهم الرعب وولوا هاربين وتركوا للمسلمين الماشية وبعض الغنائم ولم يقابل هذه القبائل التي جاء لتأديبهم واصلاحهم وفي موقع دومة الجندل جغرافياً يتضح لنا قوة نفوذ الدولة الاسلامية واتساع سلطانها وتعطينا صورة عن مبلغ قوة المسلمين وما كانوا يحملونه من التعب والمشقة لاجل تعزيز دين الله في هذه الصحارى القاحلة والفيافي المتباعدة لا تقعدهم المصاعب عن الجهاد في سبيل الله لأن دومة الجندل تبعد عن المدينة خمس عشرة ليلة

-(حوادث السنة الخامسة)-

فيها كانت الخندق وفيها نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء النبي « ص » ورأى جمهور المسلمين ان يعم الحجاب غيرهن ويسرن بسيرتهن وفيها فرض الحج على كل مستطيع وهو اكبر جامعة تجمع المسلمين في صعيد واحد وامتن رابطة للعالم الاسلامي وفيها غزوة دومة الجندل

-(السنة السادسة)-

سنة الاستئناس في هذه السنة اطمأن المسلمون لأن قريشاً نثلت آخر سهم في كنانتها يوم الخندق ورجعت بصفقة المغبون ولم يبق لأبي سفيان ذلك النفوذ الذي كان يستعين به على حرب النبي «ص» بقريش ووقف العرب من النبي والمسلمين موقف الرهبة والاحترام وشرع النبي بالتنظيم الاجتماعي تنظيما واسع النطاق بعيد المدى لا يشمل جزيرة العرب فحسب ولكنه تنظيم لا حد له يساير الأجيال المقبلة وينير سبل العالم اجمع لأنه مؤسس على الوحي الالهي يرمي إلى سعادة البشر عامة في معاشهم ومعادهم والتنظيم الاسلامي في حاضره ومستقبله وماضيه توسع كثيراً واصبح سجية انطبعت الأمم على تعاليمه ونظمه وكان خليقا به ان يقمع الفوضى والحروب التي طال امدها بين الفرس والروم وهما الدولتان اللتان يتنازعان السلطة العالمية يومئذ والنفوس تذهب هدراً في سبيل مطامعها

-(التبرج)-

عادة موروثة من عادات الجاهلية تبعث على الفساد بين الرجال والنساء وهذا

الاختلاط من بواعث التقاطع والخلاف بين الأفراد والجماعات فكم فتنة اثيرت وكم حرب سعرت بين القبائل واوقدت نارها الغيرة على النساء ولذلك عمل على تقرير الصلات بين الرجل والمرأة لان الوضع الذي كان عليه العرب في جاهليتهم يقرب من الاباحة خلا بعض البيوتات التي حافظت على نسائها من كل ما يعيب وليس نظام الاسرة في ذلك العهد في آسيا واوربا احسن من نظام الاسرة في بلاد العرب فالكل سواسية كما كان الانسان الاول ولم يكن وقتئذ الزنا والسفاح جريمة ولا معرة بحسب العرف والعادة وذكر العلامة محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد صفحة ٣٤٤ عن هند بنت عتبة زوج ابي سفيان على ما كان لأبي سفيان من مكانة وخطر احاديث غرام وهوى لم تغير من مكانتها في قومها ولا بين اهلها ولم تأبَ ان تقول في اشد مواقف الجد والشدة وهي تحث قريشاً حين الحرب يوم أحد

« إن تقبلوا نعانق ونفرش النمارق »
« او تدبروا نفارق فراق غير وامق »

انتهى كلامه

ومن عاداتهم إذا ولدت المرأة ولم يعرف لولدها اب لم تخجل ان تذكر من لامسها من الرجال لكي ينسب مولودها الى ايهم اقرب شبهاً به كما جرى لسمية حين ولدت زياداً ابن ابيه وكما جرى للنابغة بنت عبد الله وغيرهما وفي شريعة الروم يومئذ كانت المرأة كالمتاع المملوك للرجل وله حق التصرف بها كيف ماشاء

وبما ان النبي «ص» قدوة للمسلمين في جميع اقواله وافعاله وهو المثال المطلق في الكمالات والآداب والعادات فقد رأى أنه لا صلاح للهيئة الاجتماعية الا بالتعاون بين الرجل والمرأة لأن الله تعالى قال في القرآن المجيد « وَمِنْ آياتِهِ أَنْ خَلَقَ لكم مِن انفسكم ازواجاً لِتسكنوا اليها وَجعلَ بَينكمْ مودّةً ورَحمةً إن في ذَلِكَ لآياتٍ لِقومٍ يَتفكّرُونَ » ولأن الزواج في الجاهلية وتعدد الزوجات لا حد له والاسرة لا تتكون على الخير وحب الخير الا بالاقلاع عن عادات جاهلية اصبحت مألوفة في ذلك العهد فالدين الاسلامي رفع شأن المرأة بتعاليمه الالهية وجعلها درة مصانة في جميع ادوار حياتها أماً واختا وزوجة لتقوم بواجباتها

التربوية والاجتماعية وتؤدي رسالتها في الحياة لأن الله لم يخلقها آلة صماء ولا ملهاتاً للرجل كما يتوهم بعض المستهترين فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا التنظيم الاجتماعي المحكم اسس نظام الاسرة على أساس متين وأصلح المجتمع ومنع الفساد كما جاء في هذه الآيات المحكمات « والذينَ يُؤذُونَ المؤمنينَ والمؤمناتِ بغيرِ ما اكتسَبوا فقد احتَملوا بُهتاناً وإثماً مُبيناً يا أيها النبي قُل لأزواجكَ وبَناتكَ ونساءِ المؤمنينَ يُدنينَ عليهنَّ مِنْ جلابيبهنَّ ذلكَ أدنى أنْ يُعرفنَ فلا يُؤذينَ وكانَ اللهُ غفوراً رحيماً قُلْ للمؤمنينَ يَغضّوا مِنْ أبصارهمْ ويحفظوا فروجهمْ ذلكَ أزكى لهمْ إنَّ اللهَ خبيرٌ بما يَصنعونَ وقُلْ للمؤمناتِ يَغضضنَ مِنْ أبصارِهنَّ ويحفظنَ فروجهنَّ ولا يُبدينَ زينتهنَّ إلا ما ظهرَ منها وليضربنَ بخمُرِهنَّ على جيوبِهنَّ ولا يُبدينَ زينتهنَّ إلا لبعولتهنَّ أو آبائهنَّ أو آباءِ بُعولتهنَّ أو ابنائهنَّ أو أبناءِ بُعولتهنَّ أو إخوانهنَّ أو بَني إخوانِهنَّ أو بَني أخواتِهنَّ أو نسائِهنَّ أو ما مَلكتْ أيمانُهنَّ أو التابعينَ غيرِ أولي الإربةِ مِن الرِّجالِ أو الطِّفلِ الذينَ لمْ يَظهروا على عَوراتِ النساءِ ولا يَضربنَ بأرجلهنَّ لِيُعلمَ ما يُخفينَ مِنْ زينتهنَّ وتوبُوا إلى اللهِ جميعاً أيها المؤمنونَ لعلكمْ تفلحونَ

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوج السيدة خديجة وهي في الأربعين من عمرها وهو في ربعان الفتوة وشرخ الصبا وقد تخطى الخمسين ولم يتزوج غيرها وكان تعدد الزوجات شائعاً ولا حد له في ذلك العهد واقام معها سبع عشرة سنة قبل بعثه واحدى عشرة سنة بعده ولم يُعرف عنه انه كان ممن تغريهم مفاتن النساء وبعد وفاتها تزوج من نساء ثيبات قبل الهجرة للمدينة ونساء ثيبات وابكار بعد الهجرة لظروف قاهرة اجتماعية وفي مدى ثمان وعشرين سنة لم يشرك مع السيدة خديجة غيرها وبعد ان بنى بأزواجه في بضع سنين وفي آخريات السنة الثامنة للهجرة نزلت هذه الآيات تحدد عدد الزوجات بأربع وكان قبلها لا حدّ له وهي قوله تعالى « فانكحوا ما طابَ لكمْ مِنَ النساءِ مَثنى وثلاثَ ورُباعَ فإنْ خفتمْ ألا تَعدلوا فواحِدَةً أوْ ما مَلكتْ أيمانكمْ » « ولنْ تستطيعُوا أنْ

تعدلوا بَينَ النساء ولوْ حَرَصتمْ فلاَ تميلوا كلّ الميلِ فتذَرُوْها كالمعلّقة »

وروى الامام الطبرسي في تفسيره مجمع البيان ان الامام الصادق عليه السلام قال لا يحل لماء الرجل ان يجري في اكثر من اربعة أرحام من الحرائر فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة اي فتزوجوا واحدة كما جاء في الذكر الحكيم

غزوة بني لحيان

لم يغب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تحريض قريش بعض القبائل على المسلمين لذلك خرج ومعه اصحابه إلى بني لحيان يطلب بقتلى ماء الرجيع الذين غدروا بهم وهم خبيب بن عدي وأصحابه منذ سنتين على انه لم يجهر بقصده ولكن قوماً رأوه فعرف بنو لحيان منهم واخذ السير على منـــازلهم بين أمج وعسفان فوجدهم تمنعوا برؤوس الجبال فتركهم وخرج في مأتي راكب إلى عسفان ارهابا لأهل مكة وارسل فارسين من اصحابه حتى بلغا كراع الغميم ثم رجع إلى المدينة

غزوة ذي قرد

وبعد ايام قلائل اغار عيينة بن حصن الفزاري على لقاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالغابة وفيها رجل من غفار وامرأته فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة واستاقوا اللقاح فرآهم سلمة بن الأكوع الأسلمي فاشرف في ناحية سلع وصرخ واصباحاه ثم ذهب يشتد في أثر القوم وكان راميا مكيناً فصار يرميهم بالنبل ويرتجز

خذها وأنا ابن الاكوع واليوم يوم الرضع

فإذا انعطفت عليه الخيل ولّى هاربا وإذا انصرفت عنه عاد يرميهم بنباله يحاول أن يشغلهم ويؤخرهم ريثما يلحق بهم جند المدينة حتى انتهوا إلى مضيق الثنية وهو يرميهم بالنبل والحجارة ولم يبرح مكانه حتى رأى فوارس المسلمين يتخللون الشجر يقدمهم الأخرم الأسدي والمقداد الكندي وابو قتاده فناوشوهم القتال حتى وصل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ثلة من أصحابه واستنقذوا المرأة واللقـاح وهرب الغزاة وأقام المسلمون بذي قرد يوما وليلة ورجعوا إلى المدينة

غزوة بني المصطلق

المصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو بطن من خزاعة وقائدهم الحرث بن ضرار وقد ساعدوا قريشاً يوم أحد على المسلمين وقد علم النبي أنهم يجمعون الجموع لحربه فخرج اليهم قبل خروجهم اليه ومعه الصيد المغاوير من أصحابه فلقيهم على ماءلهم يقال له المريسيع من ناحية قديد الى الساحل فوقفوا بوجـــه المسلمين في جموعهم وتزاحف الفريقان واقتتلوا قتالا شديداً وصدق المسلمون الحملة فانهزمت خزاعة بجموعها فاصابوهم وحازوا الأموال وسبوا النساء واسروا الرجال واستشهد رجل من المسلمين وقتل عشرة من الأعداء وكان في السبي من نسائهم برّة بنت الحرث سيد بني المصطلق فتزوجها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسماها جويرية ولما تزوجها قال المسلمون هؤلاء اصهار النبي لا ينبغي أسرهم فمنوا على الرجال بالعتق وأرسلوا ما بأيديهم من المال والسبي احتراماً للرسول الأعظم صلى الله عليه واله وسلم قالت السيدة عائشة لقد اعتق بتزويجه اياها مائة أهل بيت من قومها وعشيرتها وما علم امرأة اعظم بركة منها على قومها

وكان لعمر بن الخطاب اجير يقود له فرسه فازدحم بعد الوقعة مع احد رجال الخزرج على الماء فاقتتلا واستنجد اجير عمر (رض) بالمهاجرين واستنجد الخزرجي بالأنصار وسمع عبد الله بن أبي النداء وكان قد خرج مع المنافقين في هذه الغزوة ابتغاء الغنيمة فثار ما في نفسه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المهاجرين من حفيظة وقال لقد كاثرنا المهاجرون في ديارنا اما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الاذل وتحدث رجل إلى الرسول بما قاله ابن أبي وكان عنده عمر بن الخطاب (رض) فغضب عمر وقال مرْ به بلالاً فليقتله فاجابه النبي صلى الله عليه وآله وسلم جواب القائد العارف والحكيم البعيد النظر فكيف يا عمر اذا تحدث الناس وقالوا ان محمداً يقتل أصحابه

فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قائد حرب ومعلماً وحكيما قائم ليل صائم نهار وقاضياً بين خصوم ومفرج هموم لا يشغله شيء عن العمل لهداية خلق الله، فماذا كان حظ النساء منه ولو ان لذات الحس سيطرت عليه وحاشاه لكان الأحجي ان

يختار حسان النساء ولكنه اختار النساء اللواتي مات عنهن أزواجهن حفظاً لهن من التأيم والرجعة إلى الشرك والمصلحة قضت ان يتصل بالعشائر عن طريق المصاهرة لمساعدته على تبليغ رسالته وزواجه من السيدة جويرية فيه من حسن السياسة ما لا يدركه غيره فقد اعتنق أهلها وعشيرتها الاسلام

حديث الافك

خرجت السيدة عائشة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غزوة بني المصطلق وفي أثناء رجوعهم إلى المدينة باتوا في بعض المنازل وقامت حين أذنوا بالرحيل فمشت حتى جاوزت الجيش وقضت حاجتها ورجعت فلمست صدرها فإذا عقد من جزع ظفار قد انقطع فعادت تلتمس عقدها فحبسها ابتغاؤه فرحل الجيش وساروا بهودجها يظنون انها فيه وكانت النساء اذ ذاك خفافاً لم يهبلهن اللحم انما كنا يأكلن العلقة الواحدة من الطعام وجاءت المنزل فلم تجد احداً فتلففت بجلبابها وجلست تنتظر رجوعهم اليها وبعد قليل مرّ صفوان بن المعطل السلمي وكان متأخراً في بعض شؤون المسلمين فرأى سواداً فأقبل حتى وقف عندها فعرفها واسترجع وهو النقي المتحرز وقدم لها البعير فركبت ولم تكلمه وأخذ بزمامه إلى ان بلغ القوم ورجعت الى خدرها طاهرة مطهرة نقية الجيب منزهة من كل عيب

جاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم هادياً مهدياً للناس كافة ونسخ عادات الجاهلية وأمر بالصدق بالقول والعمل والأمانة بالسر والعلانية ونهى عن الحسد والحقد والفجور والخيانة والظلم ولكن بعض المسلمين كدورة نفوسهم لم تصقلها تعاليم الدين الاسلامي من بعض العادات السابقة باغراء رئيس المنافقين عبد الله بن ابي وشاركه بالقول حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش بفرية كاذبة لا يقبلها العقل والوجدان فقد افصحوا زوراً وبهتاناً في حق هذه السيدة الجليلة في نفسها وفي شرفها البعيدة عن الدنس حسداً لها ومينا منهم واستنكر المسلمون هذه الجرأة والوقاحة التي لا تتلاءم مع مقامها الرفيع ومكانتها الاجتماعية وقد برأها الله بالوحي الالهي وضرب كلا منهم ثمانين جلدة وهذه الآية نزلت في حق المفترين « إنَّ الذينَ جاؤا بالافكِ عُصبة مِنكمْ لا تحسبوهُ شراً لكمْ بَلْ هُوَ خيرٌ

لكم لكل امرئ ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا افك مبين » والافك هو اشنع الكذب وافظعه واقبحه واصله قلب الحقائق الصحيحة لاختلاق ما يثير الفتنة التي تعجل العقوبة على مثيرها في العاجلة والآجلة وقد استطاع حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة ان يتوبا إلى الله من افترائها هذا ويرضى عنهما بعد اقامة الحد عليهما عدا ابن أبي رئيس المنافقين

إن حديث الافك أوهن وأوهى من بيت العنكبوت من أن يطول فيه التجريح والتفنيد لأن هذه الوشاية لا تعتمد على قول صحيح ولا على ظن تدعمه القرينة وانما هو قول هراء صادر عن خسة وسوء نية سداها الكذب ولحمتها الاختلاق وروى الامام الطبرسي في تفسيره مجمع البيان عن ابن عباس قال لاتحسبوا غم الافك شراً لكم بل هو خير لكم لان الله تعالى يبرىء عائشة ويأجرها بصبرها واحتسابها ويلزم اصحاب الافك ما استحقوه بالاثم الذي ارتكبوه في امرها

ويقول المستشرق العلامة السير وليم موير ودعم قوله كثير من المستشرقين بان حياة السيدة عائشة قبل هذا الحادث المختلق وبعده يدعونا للقطع ببراءتها وعدم التردد في دحض كل شبهة تحوم حولها لا ريب أن هذه الحادثة عبرة وعظة للمحصنين والمحصنات المسلمين والمسلمات ليكونوا على حذر من الذين يرمون المحصنات بغير ما اقترفوا فالنفوس المريضة نزاعة إلى الشر لغايات دنيوية وهذه الحادثة اعظم زاجر للمسلمين عن التسرع بتصديق مثل هذه الاشاعات الوهمية مصداقا لما جاء في الكتاب العزيز « إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب عظيم »

ابطال التبني

زينب بنت جحش هي بنت أميمة بنت عبدالمطلب عمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ديّنت ودرجت منذ الصغر تحت رعاية النبي عرفها في الصبا والطفولة والشباب وهو الذي خطبها لمولاه زيد بن حارثة وأبى اخوها أن يزوجها من عبد اعتقه النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتبناه لأن العرب لا يزوجون مواليهم وان اعتقوا

فكيف تتزوج سيدة تنسب لقريش وهاشم معجبة بشرفها وجمالها من زيد وهو مولى للرسول ولما اراد الله نسخ هـــذه الفوارق المؤسسة على العصبية عملاً بالآية الكريمة « إنّ أكرَمكمْ عندَ اللهِ اتقاكم » لم يرجعا عن رأيهما أي عبد الله وأخته زينب حتى نزلت هذه الآية « وَما كانَ لِمؤمنٍ وَلا مُؤمنة إذا قضى اللهُ وَرسولهُ أمراً أنْ يَكونَ لهمُ الخيرةُ مِنْ أمرهمْ وَمن يَعصِ اللهَ وَرسولهُ فقد ضَلّ ضَلالاً مُبيناً » بعد نزول هذه الآية لم يكن لهما إلا الاذعان والقبول فقالا رضينا يا رسول الله بما تأمرنا به وبنى زيد بزينب وساق النبي صلى الله عليه وآله وسلم اليها المهر من ماله عن مولاه زيد ولكن أجل هذا الزواج لم يطل أمره لاختلافهما في الحسب والعادات وكثيراً ما كان يرى من كبريائها وفخرها عليه ما جعله يعزف عنها لأن ازدواجهما ومعاشرتهما لم يخففا من عظمتها حتى ضاق ذرعاً فيما يراه منها من الزهو والتيه والاعجاب فاشتكى للنبي ما يلاقيه منها واستأذنه في طلاقها فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أمسِكْ عَليكَ زَوجكَ واتقِ الله » في شكواك منها واحسن معاشرتك لها فرجع زيد وقـــد كبت جماح غيظه منها وسكت على مضض ولكنه ناء عانقه عن احتمال عبء اباها فطلقها وكان الدعي الذي تبناه الرجل يعطى جميع الحقوق التي يعطاها الأبن الحقيقي ويجري عليه حكم النسب والميراث وهذه العادة ثابتة عند العرب لاتتغير والقضاء عليها معلق بارادة الله وقد نسخت بهذه الآية « وَما جَعلَ أدعياءكم أبناءكم ذَلكم قولكمْ بأفواهكمْ واللهُ يَقولُ الحقّ وَهوَ يَهدي السّبيل أدعوهمْ لآبائهم هو اقسط عِندَ اللهِ فَإن لم تعلموا آباءهم فَاخوانكم في الدين وَمواليكم وَليسَ عليكم جُناحٌ فيما أخطأتم بِه ولكن ما تعمدت قُلوبكم وكانَ اللهُ غفوراً رحيما » هذا زيد بن حارثة كان قبل نزول هذه الآية يدعى زيد بن محمد وبنزولها أضيف اسمه لاسم ابيه وأصبح للمدعي الحق ان يتزوج ممن كانت زوجاً لمن ادعاه وللمتبني ان يتزوج ممن كانت زوجاً لمن تبناه وجاء قوله عز وجل مفسراً لذلك .. ما كانَ محمدٌ أبا أحدٍ من رِجالِكم ولكنْ رَسولَ اللهِ وخاتمَ النّبيينَ وكانَ اللهُ بكلّ شيءٍ عليما » وهل باستطاعة احد نقض تقاليد أحقاب خلت بين أقوام استساغوها وعملوا بها أحقاباً وورثوها خلفاً عن

سلف فالإقلاع عنها ليس من الهناة الهينات

والنبي صلى الله عليه واله وسلم وقف بين الإحجام والإقدام في تنفيذ هذا الحكم ينتظر عون الله له وكيف يتزوج من زينب مطلقة مولاه زيد وهو أمر يستهجن ذكره ويستقبح فعله لأنه غير مألوف في نظر الجمهور والأعداء واقفون له بالمرصاد مع العلم بأن للعـــادات سلطانا على النفوس ورسوخاً في الأذهان واستقراراً في المجتمع ودار في خلده ما تتحدث فيه الناس وما يقولونه في نسخ هذه العادة كما جاء بالذكر الحكيم «وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه» لأن بيده مقاليد كل شيء وهو الذي يصرف الأمور بقدرته احباطا لعوائد الجاهلية بقولهم زوراً على غير علم ان النبي تزوج امرأة ابنه فلا تخشاهم فإنهم لا يضلون من سدده الله بالهدى والله احق أن تخشاه لعلمه بعاقبة الأمور

ولما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو القدوة للناس فلم يبال بما يتقوله عبيد العادات ممتثلاً أمر ربه لأن قولهم ليس شيئاً في جانب الخوف من الله وانتصر الحق على الباطل ولم يبق للحقوق المقررة للتبني والادعاء من اثر بتزويجه زينب وقضى على هذه العادة الشاذة وكلام الله هو القول الفصل «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولا» اي نافذا في نسخ عادات جاهلية بأن الأدعياء يعاملون معاملة الأبناء وقد تأيد الحكم الآلهي بعد تنفيذه بالآية الكريمة «ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً»

هذه الاحكام رفعت المعتق الى مكانة الحر الشريف وابطلت حقوق الأدعياء وذهب انتقاد درمنجم ولامنس اليسوعي ومن على شاكلتهما من المستشرقين هباء لانهم خبطوا خبط عشواء في ليلة ظلماء لاعتمادهم على روايات ضعيفة لا قيمة لها واستنباطهم منها ما يروق لهم لما يتوخونه من انتقاد هذا النبي العظيم في زواجه من مطلقة مولاه زيد مما تزينه لهم نزوات مزاجهم بصورة غير بريئة فالنبي صلى الله

عليه وآله وسلم صدع برسالته في التشريع والتبليغ ووضع سنن الاجتماع وحارب الجهل والشرك ورفع لواء التوحيد عملا بالوحي الرباني وكان الله وليه ونصيره

غزوة الحديبية

قبل ست سنوات خلت خرج المهاجرون من مكة هاربين من بلد نيطت عليهم بها التمائم ولاثت بها على رؤوسهم العمائم ولدوا ودبوا ودرجوا في بطحائها وعاشوا تحت سمائها في بلهنية من العيش يستقبلون الكعبة بوجوههم كل يوم ويتمسحون بأركانها مغتبطين حتى ضايقتهم قريش وشددت عليهم لانصرافهم عن عبادة الأصنام الى عبادة الرحمن فخرجوا منها خائفين إلى المدينة المنورة وخلصوا بدينهم في جوار نبيهم «ص» معتصمين من الجور والأذى ولكن الحنين إلى ام القرى يساورهم في كل وقت وقلوبهم تهفو لزيارة المسجد الحرام وهذه قريش صدتهم عن دخوله دون سائر العرب وقد نزلت آيات محكمات في الذكر الحكيم بذلك « يَسألونكَ عَنِ الشَّهرِ الحرَامِ قِتال فِيهِ قُلْ قِتالٌ فيه كبير وصَدّ عن سبيلِ اللهِ وكفرٌ بِهِ والمسجدِ الحرامِ وإخراجُ أهله مِنهُ اكبرُ عندَ اللهِ » ونزل ايضا قوله عز وجل «وما لهم ألا يعذبهم اللهُ وهم يَصدّونَ عن المسجدِ الحرامِ وما كانوا اولياءه ان أولياؤه إلا المتقون ولكنّ أكثرهم لا يعلمون » وساق قريشاً العمه والجهل فمنعت النبي ومن اتبعه من الحج إلى الكعبة لأنهم كفروا بآلهتهم هبل وإساف ونائلة وغيرهم

وفي ذي القعدة من هذه السنة خرج النبي «ص» يريد مكة معتمراً لا يريد حربا ومعه جماعة من المهاجرين والأنصار وغيرهم من العرب وعددهم الف وأربعمائة وساق معه الهدي سبعين بدنة وأحرم بالعمرة ليعلم انه جاء زائراً للبيت الحرام معظماً له فلما بلغ عسفان لقيه بسر بن سفيان الكعبي وقال له ان قريشاً سمعت بمسيرك فاجتمعت بذي طوى يحلفون لا تدخل عليهم مكة ابداً وقد ارسلوا خالداً بن الوليد مع فرسان قريش إلى كراع الغميم لقتالكم فقال الرسول «ص» ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب فان أصابوني

نالوا ما يرغبون وان أظهرني الله عليهم دخلوا في الاسلام وافرين والله لا أزال اجاهدهم على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله ثم سار إلى ثنية المرار على مهبط الحديبية وقال لأصحابه انزلوا فقالوا ما بالوادي ماء فاخرج سهما من كنانته واعطاه إلى ناجية بن عمير سائق البدن فنزل إلى القليب وغرزه في جوفها فجاش الماء بالري حتى ضرب الناس عنه بعطن وبأثناء ذلك جاءهم بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وقال تركت كعب بن لؤي وعامر بن لؤي أعداد ماء الحديبية وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت فقال النبي «ص» انا لم نأت لقتال احد ولكننا جئنا معتمرين فانطلق بديل إلى قريش وأعلمهم بما سمع من النبي فقام عروة بن مسعود الثقفي وقال ان لهذا الرجل عليكم خطة رشد فاقبلوها دعوني آته فقالوا لا بأس فاتاه وكلمه وقال له يا محمد جمعت اوباش الناس ثم جئت لبيضتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت ومعها العود المطافيل قد لبسوا جلد النمر يعاهدون الله انك لا تدخلها عليهم عنوة وكأني بهؤلاء وقد تكنفوا عنك غداً فقال له ابو بكر «رض» امصص بظر اللات انحن ننكشف عنه فقام علي بن ابي طالب وهز حسامه وقال له يا أخا ثقيف الم تعلم اننا الزم له من ظله حتى الموت وقال له النبي «ص» كمقالته لبديل وجعل عروة يرمق اصحاب النبي وهم حوله كأن على رؤوسهم الطير فرجع عروة إلى قومه وقال اي قوم وفدت على كسرى وقيصر والنجاشي فوالله ما رأيت ملكا قط يعظمه اصحابه كما يعظم اصحاب محمد محمداً وحدثهم بما رأى وسمع

وبعث النبي «ص» خريش بن أمية الخزاعي الى قريش ليبلغ عنه فعقروا جمله وأرادوا قتله فمنعته الاحابيش وخلوا سبيله فعندها دعا النبي عمر بن الخطاب «رض» ليرسله إلى مكة فقال يا رسول الله ليس فيها من عدي أحد يمنعني منهم وقد علمت قريش عداوتي لها واخافها على نفسي ولكن عثمان بن عفان أعز بها مني فدعاه النبي وأرسله إلى مكة فلقيه ابان بن سعد بن العاص فاجاره فأتى ابا سفيان وعظماء قريش وبلغهم ما أمره به الرسول «ص» ثم احتبسته قريش عندها وشاع أن عثمان قتل فقال النبي ان صح الخبر لا نبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس للبيعة

فبايعوه بيعة الرضوان تحت الشجرة وبذلك نزلت الآية الكريمة « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا » وتبين بعد ذلك ان عثمان لم يقتل

وارسلت قريش سهيل بن عمرو العامري وهو من الرؤساء المعروفين وقالوا له ائت محمداً وصالحه على ان — يرجع عنا عامنا هذا فوالله لا تتحدث عنا العرب انه دخل مكة عنوة فأتاه سهيل فقال النبي لأصحابه سهل الله امركم ودخل على النبي «ص» وتكلم معه على المصالحة واتفقا على شروطها

الأول أن يرجع الرسول من عامه فلا يدخل مكة وإذا جاء العام القابل دخلها والمسلمون معه فأقاموا ثلاثا ومعهم سلاح الراكب بعد ان تخرج قريش منها

الثاني المهادنة والموادعة بين الفريقين عشر سنين ليأمن الناس ويكف بعضهم عن بعض

الثالث من أتى من قريش من غير اذن وليه الى محمد رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لا يردنه اليه

الرابع من أراد الدخول في عقد محمد وعهده دخل في عهده ومن احب الدخول في عهد قريش دخل فيه

وبعدها دعا النبي «ص» علياً بن ابي طالب ليكتب كتاب الهدنة فأملى عليه بقوله تعالى بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل أمسك لا نعرف هذا أكتب باسمك اللهم فأمره النبي فكتبها ثم قال اكتب هذا ما صالح عليه رسول الله سهيل بن عمرو فقال سهيل امسك لو نعلم انك رسول الله لم نقاتلك ولكن اكتب اسمك واسم ابيك فقال لعلي امح اسم رسول الله فقال علي لا أمحوك ابداً فقال يا علي لتبتلين بمثلها أكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ولما انتهى من كتابة الصحيفة دخلت خزاعة في عهد رسول الله «ص» ودخلت بنو بكر في عهد قريش

بعد عقد الهدنة لم يبق للمسلمين غير الرجوع الى المدينة دون ان يطوفوا بالبيت العتيق وقد قبلوا شروط الصلح على مضض حتى ان عمر بن الخطاب (رض) قال للرسول الست رسول الله قال بلى قال او لسنا المسلمين قال بلى قال

او ليس اعداؤنا المشركين قال بلى قال علام نعطي الدنية في ديننا قال يا عمر انا عبد الله ورسوله لن اخالف امر ربي ولن يضيعني

وليس ثمة شك ان حكمة الله لا يدركها غير الأنبياء والأمور لاتتحقق إرتجالا ولا تنفذ بسرعة والنبي (ص) بعثه الله رحمة للعالمين ومهمته شاقة يواكبها الجلد والاناة وبعد النظر والحلم والتقدير والجرأة وحاشاه من الجبن والخوف والله منجز له ما وعده وفي أثناء رجوع المسلمين إلى المدينة كانوا يتساءلون في حكمة هـذا العهد المجحف بحقوقهم وعجبوا لتشدد سهيل بن عمر وفي شروط كان يتساهل بها النبي «ص» معه مع انه لو امرهم ان يقتحموا مكة لما أحجموا عن اقتحامها ولم تخالجهم ريبة بنصر الله لهم وخلق الانسان عجولا وبينما هم يتحدثون في سر حكمة الله نزل الوحي عليه بسورة الفتح فتلا عليهم قول الله مبشراً نبيه « إنّا فتحنا لكَ فتحاً مُبينا لِيغفِرلكَ اللهُ ماتقدّمَ مِنْ ذنبكَ وَما تأخّر ويتمّ نعمتهُ عَليكَ وَيهديكَ صِراطاً مُستقيما » وبعد نزول هذه الآية ادركوا ما خفي عنهم وأيقنوا ان صلح الحديبية مقدمة لفتح مكة

لا مشاحة بان عهد الحديبية مهّد الطريق لفتح مكة وقد برهنت قريش بعهدها على انتقاض امرها وكسر شوكتها لاعترافها بالنبي « ص» انـــه لها ولم تكن تعترف به واقرت الدين الاسلامي الذي كانت تتجاهله مـن حيث لا تشعر وهذه الهدنة جاءت دعاية للنبي بين القبائل العربية ومهدت للاسلام ليزداد انتشاراً ووقفت قريش حيال النبي (ص) وجهاً لوجه بعد ان كانت تنبذه بيتيم أبي طالب وهذا كله من تأييد الله له وقد ظهرت حكمة النبي وعاقبة عمله وحسن سياسته المثلى في عهد الحديبية حيث وضع حجراً ثابتاً في سياسة الاسلام وانتشاره وهذا هو الفتح المبين

وبعد رجوعهم من الحديبية اقاموا بالمدينة خمس عشرة ليلة امر النبي « ص » بالتجهيز لغزو اليهود في خيبر لأنهم اشد عداوة له من قريش لحرصهم على دينهم خوفاً ان يجرفهم الاسلام بسهولة وليس بالامكان موادعتهم لعدم وفائهم بالوعد ونكثهم للعهد ومؤازرتهم لكل من رأوه حربا على الرسول كما فعلوا يوم الأحزاب مع معاملته لهم بالحسنى

غزوة خيبر

اما خيبر فهي مدينة بين الحجاز والشام ذات مزارع وحصون كثيرة وهي الوطيح والسلالم وناعم والقموص والزبير ونطاة والشق والكتيبة والصعب وبعد صلح الحديبية أمن النبي «ص» من قريش بالجنوب ولم يأمن يهود خيبر في الشمال واصبح يخشى من المنذر الغساني ملك الشام ان يحرك في نفوسهم ثارات قديمة ففاجأهم قبل ان يستمدوا المعونة من غيرهم وأذن مؤذن النبي ان لا يغزو معهم إلا من شهد الحديبية وخرج المسلمون في الف وستماية فارس وراجل وقطعوا الطريق بين المدينة وخيبر في ثلاثة أيام ونزلوا بساحتهم صباحا واهـــل خيبر لايعلمون فلما رأوا الجيش ولوا الأدبار يتصايحون خربت خيبر فقال النبي (ص) « انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين »

لا جرم ان هذه الوقعة من اكبر الوقائع لأن جموع خيبر أقوى طوائف اليهود بأساً وأوفرها مالا واكثرها عدداً وسلاحاً وحصونهم من أمنع الحصون وطالما توقعت قريش النصر لليهود لممارستهم الحروب والغزو واعتقدت بان الدائرة ستدور على المسلمين وقبل نشوب الحرب بادر اليهود لادخال اموالهم وعيالهم في حصن الوطيح والسلالم وادخلوا ذخائرهم في حصن ناعم ودخلت المقاتلة ورجال الحرب حصن نطاة وفرقوا النساء والرجال على بقية الحصون ودخل رئيسهم سلام بن مشكم معهم يحرضهم على القتال والتقى الجمعان حول حصن نطاة واقتتلوا قتالا شديداً وبلغ جرحى المسلمين في هذا اليوم خمسين جريحاً وقتل سلام بن مشكم وتولى مكانه الحارث بن ابي زينب وخرج يناجز المسلمين فدحره بنو الخزرج وضيق المسلمون الحصار على الحصون واليهود ويستميتون بالدفاع لأن هزيمتهم القضاء الأخير عليهم في بلاد العرب وتتابعت الأيام والحرب قائمة عـــلى ساقها وافتتح حصن ناعم وقتل عنده محمود بن سلمة ألقيت عليه رحى مـن اعلى الحصن فقتلته وتلاه حصن القموص حصن بني الحقيق واصاب الرسول «ص» منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن اخطب وكانت عند كنانة بن ابي الحقيق واصطفاها النبي لنفسه ثم افتتح حصن الصعب وهو اكثرها طعاما وودكا وبعدها شددوا الحصار على

حصني السلالم والوطيح وخرج مرحب بطل اليهود فأحجموا عن لقائه فعلم رسول الله «ص» بذلك فقال اما والله لأعطين الراية غداً لرجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كرار غير فرار يأخذها عنوة وكان علي بن ابي طالب تخلف لرمد لحقه فلما قال النبي مقالته هذه تطاولت لها اعناق الناس فجاء علي وهو ارمد فقال له النبي (ص) ما لك فقال رمدت بعدك يا رسول الله فقال له ادن مني فدنا منه ومسح بريقه على عينيه فما اشتكى بعدها وجعاً

« وأتاه الامام ارمد عين فسقاها من ريقه فشفاها »

ثم اعطاه الراية فنهض بها وعليه حلة حمراء فاتى خيبر فأشرف عليه بعض اليهود من احبارهم فقال له من انت فقال له انا علي بن ابي طالب فقال لقومه غلبتم يا معشر اليهود وخرج مرحب من الحصن وعليه مغفر يماني قد ثقبه مثل البيضة على رأسه يمشي الخيلاء ويقول

« قد علمت خيبر اني مرحب شاكي السلاح بطل مجرب »
« إذا الليوث اقبلت تلتهب كان حماي كالحمى لا يقرب »

فأجابه علي بطل المسلمين

« انا الذي سمتني امي حيدره كليث غابات شديد القسوره »
« اكيلكم بالسيف كيل السندره »

وخرج اليهود وحمي وطيس القتال وبارزه مرحب مدلا بقوته فبدره علي بضربة فقدّ الحجفة والمغفر ورأسه حتى وقع على الأرض واخذ المدينة قال ابو رافع مولى رسول الله «ص» خرجنا مع علي بن ابي طالب حين بعثه رسول الله الى خيبر فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فضربه يهودي فطرح ترسه من يده فتناول علي بابا عند الحصن فتترس فيه عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله على يديه ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها الى داخل ابنية الحصن فلقد رأيتني في نفر سبعة انا ثامنهم نجتهد على ان نقلب ذلك الباب فلم نقدر عليه

وروى العلامة محمد حسين هيكل في كتابه حياة محمد صفحة ٣٨٨ لما وقف المسلمون امام حصن ناعم في خيبر بعث الرسول (ص) ابا بكر « رض » براية

الى حصن ناعم كي يفتحه فقاتل ورجع دون ان يفتح الحصن وبعث عمر بن الخطاب «رض» في الغداة فكان حظه كحظ ابي بكر فدعا الرسول اليه علي بن ابي طالب ثم قال له خذ هذه الراية فامض بها حتى يفتح الله عليك ومضى علي بالراية فلما دنا من الحصن خرج اليه اهله فقاتلهم فضربه رجل من اليهود فطرح ترسه من يده فتناول علي بابا كان عند الحصن فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الحصن ثم جعل الباب قنطرة اجتاز المسلمون عليها إلى داخل أبنية الحصن وانما سقط حصن ناعم بعد ان قتل قائده الحارث بن ابي زينب مما يدل على إستماتة اليهود في القتال واستماتة المسلمين في الحصار وفي الهجوم

وبعد ان قتل علي بن ابي طالب مرحبا وفتح الحصن ايقن اليهود بالهلكة واسقط في ايديهم وعجزوا عن الدفاع وغمرهم الخوف وتشددت عزائم المسلمين وبالغوا في استقصاء الأعداء فلجأ اليهود إلى النبي «ص» مستسلمين وسألوه ان يصفح عنهم ويحقن دماءهم وطلبوا الصلح فأجابهم الى طلبهم وصفح عنهم وعاملهم بالحسنى حيث انهم لم يتعمدوا الخيانة ولم ينكثوا العهد كما فعلت قبائل قينقاع والنضير وقريظة وظل يهود خيبر يعملون في الزراعة في اوطانهم ويقدمون كل عام من غلات الارض نصيباً اتفقوا عليه مع النبي «ص»

وبعث إلى اهل فدك للاذعان برسالته فأبوا ووقع الرعب في قلوبهم بعد ما شاهدوا ما جرى على اهل خيبر وصالحوه على نصف اموالهم من غير قتال فكانت خيبر للمسلمين لأنهم قاتلوا لاستخلاصها وفدك للنبي خالصة له وتجهز إلى وادي القرى وتجهز اهلها للقتال ومذ شاهدوا قوة المسلمين اضطروا إلى الصلح وأقرهم على اوطانهم

وأما يهود تيماء فقد تقدموا بدفع الجزية من غير حرب وبذلك دان اليهود لسلطان النبي واصبحوا بأمان الله من الغزاة والطامعين

واهدت زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم الى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شاة بعد وقوع الصلح مع اهل خيبر فجلس واصحابه ليأكلوها وتناول الذراع فلاك منها مضغة فلم يسغها ولفظها وقال لا ريب ان هذا العظم مسموم

ودعا زينب فاعترفت وقالت اني حاقدة لأجل قومي وقلت ان كان ملكا استرحت منه وان كان نبياً فسيخبر واكل معه بشير بن البراء ومات وصفح عنها وقيل انها قتلت في بشير الذي مات بالسم

لقد جنت على نفسها براقش وهذه قبائل اليهود سعت لحتفها بظلفها فلو انها لم تتظاهر بالعداء للنبي «ص» ولم تظاهر اعداءه ولم تنكث عهدها ولم تخلف وعدها معه ووقفت موقف الحياد لكان خيراً لها ولكنها حاربت مع كل محارب وساعدت كل باغ وحاسد واصرت على العدوان فذاقت وبال امرها وتضعضعت دعائمها ووهنت عزائمها

(السفارات النبوية)

من الحوادث السياسية التي كانت تتمخض بها الايام ارسال النبي صلى الله عليه وآله وسلم سفراءه الى ثمانية من الملوك والأمراء يدعوهم إلى التوحيد والتصديق بما جاء به لأنه ارسله إلى الناس كافة وهذا اسطع دليل على ثقته بالله تعالى وهو اول عمل سياسي قام به قبل ان يأمن شر قومه الظالمين وهذه خطوة حاسمة دلت على عقلية مؤمنة بالعصمة والوحي لأن الذين يدعونهم جبابرة الزمن الذي عاش فيه واهل الحول والطول المتحكمين بالكرة الأرضية ومن عليها واعظمهم كسرى ملك فارس وقيصر ملك الروم وبيدهما سياسة العالم ومصاير امه وكانا يقتسمان الأرض والخلاف متصل بينهما والحرب مستمرة سجالا والغلب كان لفارس اولا وبسطت حكمها على سوريا وفلسطين وبيت المقدس ونقلت منه الصليب الكبير إلى عاصمتها ثم دارت الدائرة على الفرس وعادت أعلام بزنطية تخفق على شرقي البحر المتوسط وهاجم هرقل المدائن عاصمة فارس ونذر إن تم له النصر ان يحج الى بيت المقدس ماشياً وقد حالفه النصر وامترجع الصليب ووفى بنذره

ونضع امام القارىء صورة الكتاب الذي حمله دحية بن خليفة الكلبي إلى هرقل ملك بزنطية والروم

بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاني ادعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك

مرتين فان توليت فان عليك اثم الأريسيين « الأريسيين » معناها ان عليه الاثم لصده رعيته عن الدين وختام الخطاب قوله تعالى « يا أهلَ الكتابِ تَعالَوْا إلى كلمةٍ سَواء بيننا وَبَيْنكم ألا نعبدَ إلا اللهَ ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بَعضنا بعضاً أرباباً مِن دُونِ الله فإن تَولَّوْا فقولوا اشهدوا بِانا مسلمون» وكان هرقل راجعاً من حرب ملك فارس ممتلا بخمرة النصر بعد حروب طاحنة بعد أن أجلاهم عن مصر وسوريا وآسيا الصغرى وحل في بيت المقدس وبأثناء ذلك وفد عليه حاكم بصرى يرافقه دحية الكلبي فقدم اليه كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخبره مضمون سفارته فاستقبله بأدب وحفاوة وسأله عن النبي وعن رسالته وأحواله وقال لحاكم بصرى أدع لي من قومه غير الذي جاء بالكتاب نسأله عنه ونستطلع أخباره فجاءوه بأبي سفيان وكان في تجارة له ومعه جماعة من القرشيين فأمر الملك هرقل القرشيين بالجلوس وراء أبي سفيان وأمرهم أن يكذبوه إذا تكلم خلاف الحقيقة فقال أبو سفيان لولا الخوف أن يؤثر عني الكذب في مجلس الملك لكذبت فسأله عن النبي قال فصغرت من شأنه فلم يلتفت إلى قولي ثم قال لي كيف نسبه فيكم قلت أوسطنا نسباً قال هل كان في أهل بيته من يقول مثل قوله قلت لا قال له ملك فيكم سلبتموه إياه قلت لا قال فمن اتبعه منكم قلت الضعفاء والمساكين والأحداث قال هل يحبه من اتبعه ويلزمه أو يفارقه ويقليه قلت ما أتبعه رجل ففارقه قال تتهمونه بالكذب قلت لا قال كيف الحرب بينكم وبينه قلت يدال علينا وندال عليه قال هل يغدر قال أبو سفيان فلم أجد شيئاً أغمز به غيرها قلت لا ولكن نحن في هدنة معه ولا نأمن من غدره قال فلم يلتفت إلي

وقال يا رجل سألتك عن نسبه فزعمت أنه من أوسط الناس نسباً وكذلك الأنبياء وسألتك هل كان في أهل بيته من كان يقول مثل قوله وهو متشبه به فزعمت أنه لا وسألتك هل سلبتموه ملكه فقلت لا وسألتك عن أتباعه فزعمت أنهم من الضعفاء والمساكين والأحداث وكذلك اتباع الرسل وسألتك عمن يتبعه هل يفارقه ويقليه فاعترفت أنهم يحبونه ولا يفارقونه وكذلك حلاوة الايمان

ثابتة وسألتك هل يغدر اجبتني لا ولئن صدقني حدمي ليغلبنّ على ما تحت قدمي هاتين انطلق لشأنك قال فخرجت وانا اضرب احدى يديّ بالأخرى وأقول أي عباد الله لقد علا أمر ابن أبي كبشة وأصبح ملوك الروم يهابونه

ولما عاد هرقل إلى القسطنطينية عاصمة ملكه وصلته رسالة اخرى تلقاها عامله على الشام المنذر بن الحارث الغساني من رسول النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم شجاع بن وهب يدعوه إلى الاسلام ويحذره عواقب المخالفة فبعث بها المنذر مع شجاع إلى هرقل واستأذنه بأن يسير لمحاربة النبي العربي فلم يوافقه هرقل على طلبه وردّ شجاعا كما رد دحية الكلبي بالتحيات والمجاملات ونسي صحة حدسه بأنه ليغلبن على ماتحت قدميه وليس على الشام وبيت المقدس فحسب ولكن على القسطنطينية أيضاً ولو عاش لرأى ما حدس به يقيناً

وكتب إلى كسرى ملك فارس مع عبد الله بن حذافة السّهمي وكتب إلى النجاشي مع عمرو بن اميّة الضّمري وكتب إلى المقوقس ملك مصر مع حاطب بن أبي بلتعة وبكتاب ملكي عُمان إلى عمرو بن العاص السهمي وبكتاب ملكي اليمامة إلى سليط بن عمرو وبكتاب ملك البحرين إلى العلاء بن الحضرمي وبكتاب الحارث الحميري ملك اليمن إلى المهاجر بن أمية المخزومي وذهب هؤلاء جميعاً كلٌّ إلى حيث أرسله النبي صلى عليه وآله وسلم

ويلوح لي ان نفسه المطهرة تضيئها شعلة من الالهام اوحت اليه ارسال الرسل إلى الامبراطوريتين العظيمتين فارس وبزنطية وإلى الملوك والأمراء في القارات الثلاث آسيا واوربا وافريقيا يدعوهم للرجوع إلى الله وحـده ولم يرهبه ضخامة جيوشهم الجرارة ولم يوهن عزيمته حقد اعدائه القرشيين الناقمين عليه وهو مؤيد بعون الله له يعمل على بعث حياة فتية روحية يدين بها العالم ليصرفه عن عبادة المادة لتحرير العقول من الضلال بالناس الهداية للحق الذي جاء به من عند ربه لبلوغ الانسان غاية ما يستطيع من السمو والتطور بين الكائنات الحية سنة الله في خلقه

ورجع عبد الله بن حذافة السهمي من سفارته إلى فارس فكان جواب كسرى عندما قرأ الكتاب استشاط غيظا ومزقه وكتب إلى عـامله في اليمن باذان

الفارسي أن يبعث إلى الحجاز من يتحقق خبر محمد ويأتيه بالخبر اليقين وفي هذه الأثناء ثار عليه ابنه سيروس وقتله وقد أرسل باذان رسله للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فأخبرهم بقتل مليكهم وطلب اليهم ان يكونوا رسله إلى باذان يدعونه إلى الاسلام وكان أهل اليمن قد عرفوا ما حل بفارس من هزائم وعلموا بانتصارات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورجع رسل باذان اليه وأبلغوه رسالة النبي فأسلم وبقي عاملا له على اليمن

أما جواب المقوقس عظيم القبط اشتمل على رقة ولطف وصدق ولم تأخذه العزة بالاثم كما فعل كسرى ولم يجامل مجاملة بالقول فقط كما أجاب هرقل ولكنه كتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه يعتقد انه سيظهر نبي بالشام وانه استقبل رسوله بكل اكرام وبعث معه بهدية جاريتين وبغلة بيضاء وحمار ومقدار من المال أما الجاريتان فماريه التي اصطفاها النبي لنفسه وهي التي ولدت له ابراهيم، وسيرين التي أهديت إلى حسان بن ثابت وقبل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الهدية

وأجاب النجاشي جوابا حسناً كأخلاقه الطيبة التي عامل بها المسلمين أحسن معاملة وقيل أنه أسلم وقد أثار المستشرقون الشك حول اسلامه على أن الرسول بعث له كتابا آخر يطلب اليه رد المسلمين الذين اقاموا بالحبشة إلى المدينة وقدجهز لهم النجاشي سفينتين حملتاهم إلى الحجاز وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب الذي استقبله الرسول بقوله لا أدري بايهما أشد سروراً بقدومك باجعفر ام بفتح خيبر

وأما امراء العرب فقد رد امير عمان رداً غير مستحسن ورد أمير البحرين رداً حسناً واسلم ورد امير اليمامة رداً يشتمل على شرط لإسلامه إذا نصب حاكما فلعنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما يطمع له فلم يلبث بعد ذلك إلا عاماً ثم مات

كل متتبع للسيرة النبوية يعلم أن قريشاً أرغمت على صلح الحديبية وأن المنافقين في المدينة يترقبون حاسداً أو محاربا وحاقداً على النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكي ينضموا اليه وقبل أن يوطد اموره بين قومه وعشيرته أرسل الرسل إلى الملوك والأمراء يدعوهم للدين الاسلامي وهذه السياسة تكشف لنا عما يخامر قلبه من الثقة بالله العلي العظيم وهؤلاء الرسل عادوا بما حملوا اليه من رسالات في اكثرها

رقة ولين وفي بعضها غلظة ونفور ومما يبعث على السرور ان هذه الممالك التي أرسل اليها رُسله لم يمض عليها ثلاثون سنة حتى فتحها المسلمون وتدين أهلها بالاسلام ولا عجب فإن العالم كان غارقاً في خضم زاخر من الفتن تتقاذفه المحن فجاءت الرسالة المحمدية في اوانها فتلقفتها العقول بالقبول لسهولة تعاليمها وقضت على الظلم والظلمة وجعلت التفكير حراً ودفعت الانسان إلى اعلى مراتب الانسانية

—(مهاجرات حوادث السنة السادسة)—

في هذا العام شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم التنظيم الاجتماعي بأمر ربه وانقذ المرأة من السقوط ورفع منزلتها وجعل لها حقوقاً في الهيئة الاجتماعية مؤسسة على الفضيلة وكانت بعض الغزوات وفيها صلح الحديبية ثم غزوة خيبر ومراسلته للملوك والأمراء وفيها فرض الحجاب الشرعي على المرأة المسلمة وفيها حديث الافك التي جاءت فيه آية البراءة وفيها ابطال عادة التبني التي كانت في الجاهلية وفيها تزوج من مطلقة مولاه زيد بن حارثه وفيها تزوج من جويرية بنت الحارث من بني المصطلق وفيها قدم جعفر بن أبي طالب ومن كان معه من مهاجري الحبشة

الفصل الخامس

—(السنة السابعة)—

من أول السنة السابعة لغاية السنة التاسعة

السنة السابعة سنة الاستغلاب مضى على المسلمين سبع سنوات محذور عليهم دخول مكة لوقوف قريش حائلا بينهم وبين زيارة البيت المعمور الذي جعله الله مثابة للناس وامناً ومع ما هم عليه من العز والمنعة فى حمي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فالحنين إلى الكعبة المكرمـــة في حنايا ضلوعهم شأن كل مسلم قديماً وحديثاً لا سيما المهاجرين منهم الذين أخرجوا من ديارهم وأوطانهم ظلماً في سبيل الحق بين هارب وطريد ليخلصوا بدينهم من جبابرة قريش وكذلك الأنصار فقد

شملهم الحرمان كالمهاجرين وعاملوهم معاملة الأعداء لنصرهم للنبي وحمايتهم له من كيدهم ومفاداتهم دونه

(عمرة القضاء)

وحينما استدار العام بعد صلح الحديبية استبشر المسلمون لقرب موسم الحج الذي ينتظرونه بفارغ الصبر وحيث ابيح لهم الدخول إلى مكة اذن مؤذن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الناس للتأهب إلى عمرة القضاء وذلك في ذي القعدة من السنة السابعة للهجرة فلبى المسلمون النداء بقلوب مستبشرة ووجوه تطفح سروراً وسار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ألفين من أصحابه ورجاله وكل منهم سيفه في غمده تنفيذاً لعهد الحديبية وخوفاً من غدر القرشيين جهز النبي (ص) محمد بن مسلمة ومعه مائة فارس وامرهم أن يرابطوا في وادٍ هناك على أهبة الاستعداد ولا يدخلوا مكة

وساق المسلمون الهدي معهم ستون ناقة يتقدمهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ناقته القصواء وأفئدتهم تكاد تطفر أمامهم شوقاً لذلك الوادي المقدس الذي كان مهبط الوحي والتنزيل ليدخلوا محلقين رؤوسهم ومقصرين كما وعدهم الرسول الصادق الأمين لا يخافون ضيماً ولا يخشون عدواً حتى نزلوا بمرّ الظهران علمت قريش بقدومهم فاستولى الذعر والخوف على المكيين وأرسلوا ثلة من فتيانهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا يامحمد ما عرفت بالغدر صغيراً ولا كبيراً ولم تزل على العهد الذي عاهدناك عليه فقال لهم وانا كـــذلك وأخبرهم انه لا يريد قتالهم وأنه جاء معتمراً فرجعوا إلى قومهم بالرسالة التي تحمل أمناً وسلاماً فعندها خرجوا من مكة وتسلقوا الجبال وضربوا الخيام ووقفوا على جبل أبي قبيس وحراء ينظرون عن كثب إلى يتيم أبي طالب والمستضعفين من أصحابه كما كانوا ينبذونهم وراءهم وهم داخلون الى البيت الحرام بخضوع وخشوع تجللهم مهابة الايمان وكان دخولهم من شمالي مكة والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كالبدر بين النجوم وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته القصواء وجماهير المسلمين من خلفهم يتضرعون الى الله بصوت واحد لبيك اللهم لبيك فخيل الى قريش بأن الجبال

والآكام والأحجار تنطق معهم بالتلبيـة واعتقد اكثر المشركين بان أصنامهم شاركت بالتلبية فاندفعوا عن غير قصد رافعين أصواتهم لبيك اللهم لبيك ومذ شاهدت قريش مكانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجلله الوقار وتغمره الهيبـة وأصحابه حوله امتلأت قلوبهم احتراماً وعلموا بأن المسلمين في عزة ومنعة ورخاء ليس كما يتحدثون عنهم في مجتمعاتهم بأنهم في جهد وفاقـة لان آثار النعمة ظاهرة عليهم واراد عبد الله بن رواحة بدافع الإيمان الذي يجيش به صدره في هذا اليوم التاريخي العظيم ان يصيح صيحة يوهن بها قريشا فنهاه عمر بن الخطاب (رض) بامر النبي بأن يقول لا اله إلا الله وحده نصر عبده وانجز وعده واعزّ جنده وخذل الأحزاب وحده فنادى بها ابن رواحة بأعلى صوته ورددها المسلمون فتجـاوبت بالصدى جبال مكة ووجلت قلوب المكيين وصعد بلال وأذن بالناس وصلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين حيال البيت الحرام يؤدون فروضهم الدينية منيبين إلى الله يتجلى الايمان في وجوههم ويعين قويهم ضعيفهم ويبر غنيهم فقيرهم وقريش وأهل مكة ينظرون اليهم من أعالي الجبال يخالونهم امرابا من الملائكة « لا يَعصُونَ اللهَ ما امَرَهُم ويَفعلونَ ما يُؤمَرُونَ »

وبعد اقامتهم ثلاثة أيام المفروضة بالعهد جاء سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وقالا للنبي قد انقضى الأجل فيجب الخروج وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عازماً ان يتزوج ميمونة بنت الحارث اخت أم الفضل زوج عمه العباس في مكة فقال لهما ما عليكم لو تزوجت عندكم وحضرتم وأصبتم من طعامنا فأجابا لا حاجة لنا بذلك ونطلب منكم الخروج حسب منطوق العهد

وهذا ما كانوا يتوجسون منه ويحذرونه لأن مجيئه إلى مكة ترك اثراً من الاكبار والاحترام في نفوس أهل مكة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وتمكنت هيبته في قلوبهم وغمرتهم الرهبة من المسلمين واحس القرشيون بأن المكيين ظهر لهم ان محمداً الهادي للحق سيأه سيا الأنبياء وان محبته حلت في سويداء قلوبهم وانه ليس كما كانوا يصورونه لهم لذلك قالوا له لا حاجة لنا في طعامك وطلب منه سهيل بن عمرو ورفيقه الخروج فنزل على رأيهما تنفيـذاً للعهد وكان يود أن

يجتمعوا حوله ويأكلون من طعامه ويشربوا رحيق البلاغة من كلامه ولعلهم ذكروا أخلاقه وعطفه قبل هجرته إلى المدينة عندما كانت تضمه في مكة المسامر فإذا اغرق السمار في عبثهم تباعد عنهم وإذا عكفوا على خمرهم يأنف منهم استكباراً وإذا فشا فيهم الخنا ينفر منهم تعففاً وإذا بغى قويهم على ضعيفهم يأخذ بناصر الضعيف تكرماً صادفاً عن جهالات قريش واربابها المنحوتة من الحجارة الصماء إلى رب الأرض والسماء

وحفظاً للعهد خرج من مكة والمسلمون معه إلى المدينة وأقبلت طلائع النصر باقبال العرب على الاسلام ونتيجة عمرة القضاء تقدم خالد بن الوليد فارس القرشيين يوم أحد وأعلن اسلامه فدعاه ابو سفيان وقال له بلغني أنك اسلمت فقال نعم كما بلغك ففضب وقال وحق اللات والعزى متى علمت ما تقوله حقاً ابداً بك قبل محمد قال له انه لحقٌ لا يحتاج إلى برهان فاحتدم ابو سفيان غيظا وتجادلا وحال بينهما عكرمة بن ابي جهل ثم اسلم بعده عمرو بن العاص وعثمان بن طلحة حارس الكعبة وغيرهم

(حاجريات حوادث السنة السابعة)

فيها قويت شوكة الاسلام واشتدت عزيمة المسلمين على تأديب كل من يريد بهم سوءاً وفيها عمرة القضاء وفيها تزوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم ميمونة بنت الحارث وفيها أسلم جماعة من القرشيين وفيها نزلت الآيات في تحريم الخمر وقيل حرمت في السنة الرابعة وأجمع المؤرخون ان التحريم كان عام الحديبية فقد نزلت الآية الأولى « يَسألونكَ عَنِ الخمرِ وَالميسرِ قُلْ فيهما إثمٌ كبيرٌ ومنافعُ للناسِ وإثمهما أكبرُ مِنْ نفعهما فلم يمتنع المسلمون عن شربها فتلتها الآية الثانية « يَا أيها الذينَ آمنوا لا تقربُوا الصلاةَ وَأنتمْ سُكارى حتى تَعلموا ما تقولونَ » ثم جاءت الآية الثالثة « يَا أيها الذينَ آمنوا إنما الخمرُ وَالميسرُ والأنصابُ وَالأزلامُ رِجسٌ مِنْ عملِ الشيطانِ فاجتنبوهُ لعلكمْ تفلحونَ »

(السنة الثامنة)

سنة الاستواء لقد ظهر الذل والخوف على قريش بعد دخول النبي صلى الله عليه

وآله وسلم إلى مكة في عمرة القضاء تجلله العظمة والمهابة والوقار وأيقنت العرب أن الاسلام طغى على الشرك والوثنية وإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين وبعد رجوعه إلى المدينة طار ذكره في الآفاق وتحدثت باسمه الركبان وسرى سريان الكهرباء في اسلاكها وتجاوز تخوم الجزيرة العربية إلى الشام واليمن وما جاورهما وظفر المسلمون ببني الليث وبني مرّة ممن كانوا يكيدون لهم ثم أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر رجلا إلى ذات الطلح على حدود الشام يدعون للاسلام فغدرت بهم القبائل وقتلوهم عن آخرهم

وكان بنو غسان ملوك الشام يُعرفون بالنجدة والغيرة والكرم ولهم أيام غر محجلة في تاريخ العرب وطالما تبارى الشعراء بمدحهم كالنابغة الذبياني وحسان بن ثابت وغيرهما ومع ان الروم لهم عليهم شبه حماية فقـــد كانوا يعملون بالخفاء ليتملصوا منهم لمشاركتهم لهم في ملكهم ويترقبون كغيرهم من العرب ظهور نبي عربي يحرر العرب ويجمع كلمتهم ويهديهم سواء السبيل ويقضي على ما هم عليه من الانقسام السياسي الذي جعل بأسهم بينهم بتحريض الاكاسرة والقياصرة حتى تعددت المعارك بين الغساسنة والمناذرة « وما حرب يوم حليمة بسر » ولكنهم لما ظهر النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم وجلت قلوبهم واظهروا له العـداء ولم يؤمنوا به واستأذنوا قيصر الروم بمحاربته فأبى عليهم

وعند ما رجع هرقل ملك الروم من بيت المقدس إلى حمص ارسل النبي(ص) الحرث بن عمير الازدي بكتاب له وقد لاقاه في مؤتة من اعمال الشام شرحبيل بن عمرو الغساني عامل هرقل في جنوب الشام فسأله اين تريد ولعلك من رسل محمد قال نعم فأوثقه ربطا وضرب عنقه ولم يقتل للنبي صلى الله عليـه وآله وسلم رسول غيره والقتل لحاملي الرسائل مخالف للعادات المألوفة بين الأمم والرسول لا يضام ولعله خاف على سلطتهم من الزوال بتحريض القرشيين الذين كانوا يرتادون مشارف الشام في تجارتهم لأنهم كانوا يصورون النبي بصورة بغيضة تشفيا لعداوتهم له أو ان شرحبيل اندفع لقتل الحرث بالعصبية الدينية لأنهم من منتصرة العرب وبعد قتلهم لرسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسبوا للأمر عاقبته فأغرى شرحبيل

ثيدور اخا قيصر الروم على حرب المسلمين فجاءوا بمائة الف محارب من الروم ومثلها من العرب المحكومين لبني غسان مثل لخم وجذام وغيرهم واستعدوا للكفاح

(المسيحية والاسلام)

لبث شعري ماذا دعاهم لمقاومة الدين الاسلامي المتحد مع الدين المسيحي بالمبدأ والغاية وكلاهما يعترف بقوة غير منظورة خالقة لهذا الكون يشعر بها الانسان حينما ينظر في تكوينه فالظواهر النفسية والاجتماعية ترجع إلى مصدر واحد وهي الكتب السماوية المقدسة وآثار الأنبياء والرسل وكلها ترجع إلى الله ولكن الخصومة في حقيقة الأمر ليست بين المسيحية والاسلام بل هي اعم من ذلك فهي بين القديم والجديد بين السكون والحركة بين الجمود والتطور وفي كل الأدوار التاريخية للسياسة ضلع في اثارة الأحقاد وزرع بذور البغضاء فلم يكد الاسلام ينتشر في الشرق والغرب ويظفر بالنفوذ والسلطان حتى انقسم العالم بينه وبين النصرانية فتمكن الاسلام في الشرق واستأثرت المسيحية بالغرب ونشب التنافس السياسي المشوب بالتعصب الديني وكان لأهل الدينين حروب تشيب لهولها الأطفال ونحمد الله بأن عصرنا هذا في القرن العشرين الميلادي تعارفت فيه الأمم بعد تناكرها وتقاربت بعد تباعدها كتقارب الأبعاد النائية والصحارى الشاسعة وسرعة الانتقال من صقع إلى صقع أو من قارة إلى قارة في بضع ساعات بقوة البخار في الماء والهواء فقد أدرك المسلمون والمسيحيون بأن الدين للديان وهذا الغشاء الكثيف الذي حجب النور عن العيون تقلص ظله بنور العلم ورفع سلطة أصحاب العروش الذين كانوا يثيرون الحروب باسم الشرق والغرب وتارة باسم الدين وتارة باسم اللون والجنس وقد أدرك الانسان بان كل انسان اخوه ولم يبق من اثر التعصب القديم وإذا ظهر شيء من هذا الجهل المركب لمطامع دنيوية فيكون من الشواذ الذي لا وزن له

(موقعة مؤتة)

ولما بلغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قتل رسوله بيد الطاغية شرحبيل الغساني وانه جهز جيشاً لحرب المسلمين لم يطق صبراً على هذا العدو وان الصارخ

والظلم الفادح وجهز جيشاً مؤلفا من ثلاثة الآف مقاتل تحت قيادة زيد بن حارثه لتأديب شرحبيل وقيل ان ارسال هذه القوة لتأديب الذين غدروا باصحاب ذات الطلح وسواء كان السبب هو قتل رسول النبي صلى الله عليه وآله وسلم أم قتل رجاله الخمسة عشر في ذات الطلح فإنه اوصاهم ان أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب وان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس وقال لهم انكم ستجدون رجالا حبسوا انفسهم بالصوامع فلا تتعرضوا لهم بسوء ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا تقطعوا شجرا ولا تهدموا بناء وخرج معهم خالد بن الوليد متطوعاً وبوصول الجيش إلى معان من ارض الشام وهم لا يعلمون القوة التي تقف في وجههم ومذ علم القواد الثلاثة بكثرة الجيوش المجهزة لقتالهم اجمعوا امرهم بينهم وقالوا انكتب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونخبره بعدد جيش العدو ليمدنا بالرجال فوقف عبد الله بن رواحة وقال يا قوم انكم تطلبون الشهادة ولسنا نقاتل بعدد ولا قوة ولا كثرة وانما نقاتل بهذا الدين الذي اكرمنا الله به وشجعهم على المضي وامتدت النخوة للجيش كله

يا للحمية ثلاثة الآف رجل قطعوا من الحجاز الى الشام تسعماية كيلو متر تحت الشمس المحرقة والبرد القارس لم يحفلوا بالتعب والنصب افرغوا القلوب على الدروع لا يبالون أنزلوا على الموت أو نزل عليهم الموت تحفزهم نفحة من الايمان الثابت لملاقاة مائتي الف من الروم معتصمين بقوله تعالى « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ »

وعند اللقاء تقدم زيد بن حارثة يحمل راية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وشق طريقه بين الأعداء لا يبالي بكثرة عددهم لاعتقاده ان الموت حياة في سبيل الله وبقي شاهراً سيفه يجندل كل من وقف أمامه حتى تكاثرت عليه الروم فمزقته برماحها فتناول الراية جعفر بن ابي طالب وارث الشجاعة كابراً عن كابر وهو يومئذ في الثالثة والثلاثين من عمره قوي الساعد قوي الايمان وسيم الطلعة فبرز في ساحة الحرب كالطود الراسخ يفتك بالأعداء حتى إذا احتاطوا بفرسه طفر عنها وعقرها وانطلق بين القوم يضربهم بسيفه وكانت الراية بيمينه فقطعت فتناولها

بشماله فقطعت فاحتضنها بعضديه حتى قتل فأخذها عبدالله بن رواحه وتقدم كالليث الحادر وقاتل حتى قتل فاشتد الأمر على المسلمين وكاب عليهم العدو وتقدم قطبة بن قتاده وقتل مالك بن رافلة قائد العرب في جيش الروم واطبقت عليهم قبيلة لتثأر له فتلاشت قوة المسلمين أمام هذه الجموع الزاخرة

وجاء الخبر إلى النبي صـــلى الله عليه وآله وسلم من ساعته بالوحي من ربه فصعد المنبر وأمر فنودي بالصلاة جامعة فاجتمع الناس فقال ألا اخبركم عن جيشكم الغازي وجاء في تاريخ اليعقوبي في الجزء الثاني صفحة ٤٩ قال فرفع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كل خفض وخفض له كل رفع حتى رأى مصارعهم وقال رأيت سرير جعفر المقدم فقلت يا جبريل اني قدمت زيداً فقال ان الله قدم جعفر لقرابتك ه ثم نعاهم رسول الله فقال عند لقاء جيوش الأعداء التي تفوقهم بالعدد والعدة زيد شهيداً واستغفر له ثم أخذ الراية جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيداً واستغفر له ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة وقاتل حتى قتل شهيداً واستغفر له

ولما استشهد ابن رواحة أخذ الراية ثابت بن ارقم الأنصاري وقال يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم قالوا رضينا بك قال ما أنا بفاعل فاصطلحوا على خالد ابن الوليد فاخذ الراية وجمع المسلمين بعـــد أن تضعضت قوتهم المعنوية فضم صفوفهم ووقف مدافعاً العدو الى الليل واحكم خطته ليثبط الأعداء عن مهاجمة المسلمين فوزع عدداً من الجيش في خط طويل مستقيم وأوصاهم أن يرفعوا أصواتهم بالتكبير ففعلوا فكان لأصواتهم صدى في الفضاء كهزيم الرعد أدخل الرعب في روع العدو وظن أن المدد جاءهم من المدينة فتقاعس جيش الروم عن مهاجمة المسلمين لأنهم شاهدوا بالأمس روح الشجاعة تجلت في هجومهم ودفاعهم في ساحة الجلاد فانسحب خالد بانتظام مسروراً لعدم مجازفته بالجيش وكر راجعاً للمدينة بعد معركة لم ينتصر فيها المسلمون ولم ينتصر عدوهم عليهم وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ويقولون يا فرار فررتم في سبيل الله فيقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله وظل المسلمون لا يغفرون لهم انسحابهم وعودهم

لا لوم ولا تثريب في رجوع الجيش وانسحابه لعدم التكافؤ وهو لا يحسب إلا شرذمة صغيرة أمام فيالق الرومان التي تزيد بعددها عن المايتي ألف والقائد الماهر الذي يصون دماء جنوده في مثل هذا الموقف الحرج فانكفاء الجيش بشرف وانتظام يدل على حنكة ودربة في فنون الحرب لقائده الذي وضع الأمور في نصابها

وقد حزن المسلمون كثيراً لمقتل الأبطال الثلاثة جعفر وزيد وعبد الله وذهب النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزل ابن عمه جعفر والدمع يترقرق في عينيه ونعاه لزوجته واولاده والمشهور ان جثمان جعفر نقل إلى المدينة ودفن فيها تقديراً لجهاده في تثبيت دعائم الاسلام من أول البعثة حتى استشهد رحمه الله

— (غزوة ذات السلاسل) —

بعد موقعة مؤتة تلتها غزوة ذات السلاسل وانتصر المسلمون في هذه الغزوة نصراً مؤزراً وعادت لهم هيبتهم ولا عجب فالحرب سجال ودخل في الاسلام بعد غزوة ذات السلاسل عباس بن مرداس رئيس قبيلة بني سُليم وجماعة من اشجع وغطفان الذين كانوا حلفاء يهود خيبر ودخل أيضاً جماعة من فزارة وعبس وذبيان وفي هذه الأثناء اضطربت أحوال الدولة البيزنطية وبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم سراياه ليسكن بها القبائل التي تميل إلى الثورة وهو في غير حاجة إلى عناء من هذه الناحية لوفرة الوفود التي ترد عليه تعلن طاعتها واذعانها

— (فتح مكة المكرمة) —

اعتقد القرشيون بعد موقعة مؤتة بأن المسلمين تقطعت أوصالهم وركد ريحهم ولا تقوم لهم قائمة بعدها وايقنوا أن الروم لا بد أن تستأصلهم وتقضي عليهم وعادوا يتحدثون بأن عهد الحديبية الذي عقدوه مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم أصبح لغوا لا قيمة له وتعاهدوا على نكث العهود ونقض الشروط وفي عهد الحديبية دخلت قبيلة خزاعة في عهد النبي ودخلت قبيلة بكر في عهد قريش وبين القبيلتين ثارات وأحقاد وذحول فرأى ابن الدّيل ان ربح قريش عصفت والفرصة

سنحت لهم ليثأروا من خزاعة وصور الوهم إلى بكر وقريش بان المسلمين لاحول لهم ولا قوة فاندفعوا على غير هدى بتحريض عكرمة بن ابي جهل واضرابه للفتك في خزاعة وأمدوهم بالسلاح والدواب فخرج معاوية بن نوفل الديلي بمن تبعه من بكر على ماء الوتير حيث منازل خزاعة وقاتل معه رجال من قريش منهم صفوان ابن امية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو فقتلوا في خزاعة حتى انحازت إلى الحرم لتحمي نفسها من العدوان الذي هو نقض للعهد الذي بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقريش وخرج عمرو بن سالم الخزاعي حتى قدم الى المدينة وقال أمام النبي يشكوا اليه نكث العهد

« ان قريشاً اخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا »

« وهم اذل واقل عددا هم بيتونا بالهجير هجدا »

فقال له الرسول صلوات الله عليه وَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ لقد نصرت يا عمرو وهذه ليست أول جناية جنوها على أنفسهم ثم اتى بعد عمرو بديل بن ورقاء في نفر من خزاعة إلى المدينة ودخلوا على النبي واخبروه بما فعلت قريش فقال يا لبيكم ثم انصرفوا راجعين الى مكة وقد علم ان قريشاً نقضت عهدها وقتلت الأبرياء من خزاعة ولم تراع جانب الحق فقد أصبح القعود عن فتح مكة يجرأها على أعظم مما فعلت

ولكن قريشاً بعد نكث العهد وتحريضها على خزاعة أوجست خيفة وأدركت أنها تهورت فسارعت للاجتماع بدار الندوة لمبادلة الرأي بعد أن تنسموا الأخبار وعلموا ان قوة المسلمين تضاعفت وان رجوعهم من موقعة مؤتة شدّد عزيمتهم بعد اصطدامهم بجيوش الروم بثلاثة آلاف مقاتل يقابلهم مايتين الف بالسلاح والعتاد وهذا الذي شجعهم على المغامرة في ميادين الحروب وظهر لقريش ان الذين القوهم في هذه الورطة الخطرة وقذفوا بهم في هذه الفتنة التي لا مخرج لهم منها هم عكرمة ابن أبي جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو ولا يدرون كيف يدرأون عنهم هذه المفوة التي أقضت مضاجعهم واعترفوا نادمين بان نقض عهد الحديبية صدر عن جهل بالعواقب وقرروا ارسال أبي سفيان بن حرب إلى المدينة لرتق هذا الفتق وليثبت عهد الحديبية ويزيده من سنتين الى عشر سنوات

فسار ابو سفيان إلى المدينة في هذه السفارة تحمله راحلته والحقد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحمله في قلبه حتى بلغ عسفان فلقيه بديل الخزاعي فظن به سوءاً وقال له يا بديل من أين أقبلت قال من خزاعة في بطن هذا الوادي قال ما أتيت محمداً قال لا ولكنه عرف من بعر راحلة بديل انه جاء من المدينة ثم استأنف السير حتى دخل المدينة ويمم بيت ابنته ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأراد أن يجلس على فراش الرسول فطوته عنه فقال لها أرغبت بي عني ام بي عنه فقالت هو فراش رسول الله وأنت مشرك بالله نجس لا أحب أن تجلس عليه فقال لها لقد أصابك بعدي شر فقالت بل هداني الله للاسلام وخرج من عندها غضبانا وأتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكلمه بالأمر الذي جاء من أجله فأعرض عنه ولم يعبأ به فأتى أبا بكر ليكلم له النبي فأبى فأتى عمر بن الخطاب فكلمه فأغلظ له بالقول وصده فدخل على علي بن أبي طالب فعرض عليه ما جاء به واستشفعه للرسول فانبأه برفق وقال له لا يستطيع أحد أن يكلم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أمر إذا هو اعتزمه واستشفع السيدة فاطمة بنت النبي عليها السلام ان يجير ابنها الحسن بين الناس فقالت له ما يجير أحد على رسول الله فاستشار علياً فقال لا أعلم شيئاً يغني عنك ولكنك سيد كنانة فقم وأجر بين الناس والحق بارضك وما أظن ذلك مغنياً عنك شيئاً ولكني لا اجد لك غيره فذهب إلى المسجد وهنالك رفع صوته انه أجار بين الناس وركب راحلته منقلباً إلى مكة واليأس يجز في نفسه والألم يجول في صدره بما لقي من جفاء ابنته له ومن الذين كانوا يحترمونه قبل الهجرة وبوصوله اخبر قريشاً بما جرى له واخبرهم بما أشار به عليه علي بن أبي طالب وان محمداً لم يجز جواره فقالوا ويحك ان علياً عبث بك لأنه صلب في دينه لا يداهن ولا يلين

ولما عزم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على غزو مكة كتب حاطب بن أبي بلتعة مع سارة مولاة أبي لهب إلى قريش يخبرهم بخبر رسول الله فنزل جبريل فأخبره بما فعل حاطب فوجه بعلي بن أبي طالب والزبير بن العوام وقد تنكبت الطريق فلحقاها فوجد الكتاب قد أخفته في شعرها وأتيا به إلى رسول الله

ودعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم حاطبا يسأله ما حمله على ذلك فقال يا رسول اني مؤمن بالله ورسوله ولكن ليس لي عشيرة في مكة فصانعتهم فقال عمر بن الخطاب (رض) دعني يا رسول الله أضرب عنقه فقال لا تعجل فإنه من أهل بدر وكان لحاطب ولد واهل بمكة وتجهز النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأمر الناس بالخروج معه إلى مكة وقال اللهم أعم أخبارنا عن قريش وبعث إلى القبائل فجاء الرؤساء منهم فامرّ إلى خزاعي بن عبد أن يلقاه بمزينة بالروحاء والى عبد الله بن مالك أن يلقاه بغفار بالسقيا وإلى قدامة بن عامة أن يلقاه ببني سليم بقديد وإلى الصعب بن جثامة أن يلقاه ببني ليث بالكديد

وخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة بعد صلاة العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان وقيل لعشر مضين من رمضان وفتح مكة لعشر بقين منه وتحرك الجيش من المدينة قاصداً مكة لتطهير البيت الحرام الذي جعله الله مثابة للناس وامناً واغذّ في السير وكلما تقدم انضم اليه من سائر القبائل جماهير تطفح قلوبهم بالايمان والنبي صلى الله عليه وآله وسلم تفكيره منصرف لدخول البيت الحرام من غير ان يهريق قطرة دم واحدة وبلغ الظهران اومر الظهران وقد كملت عدة الجيش عشرة الآف ولم تعلم قريش من أمره شيئاً وعميت عنها الأخبار ومنذ رجوع أبي سفيان من المدينة والاجتماع متصل بدار الندوة يضربون أخماساً باسداس والجدل مستمر بينهم كيف يصنعون إذا هاجمهم محمد أما العباس بن عبد المطلب فقد تركهم في الجدل والمداولة وانسل من مكة في أهله حتى لقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الجحفة وقيل بذي الحليفة مهاجراً وخرج أيضاً مهاجراً أبو سفيان ابن الحرث بن عبد المطلب ومعه عبد الله بن امية حتى اتصلا بجيش المسلمين واستأذنا على النبي فلم يأذن لهما وكلمته بشأنهما السيدة ام سلمة وقالت له الأول ابن عمك والثاني ابن عمتك فقال لها لا حاجة لي بهما فقد لقيت منهما أنواعاً من الأذى في مكة وبلغ أبو سفيان بن الحرث ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقال والله ليأذنن لنا أو لآخذن بيد ابني هذا ثم لنذهبن في الأرض حتى نموت عطشا فرقّ لهما ودخلا عليه وأسلما

أما العباس فرأى جيش المسلمين وعدده وقوته فارتاع ومع انه أسلم وقلبه مملوء اسلاماً فقد كان يفكر في مكة وأهلها وما يكون مصيرهم إذا داهمهم هذا الجيش العظيم الذي لا قبل لهم به ولا يستطيعون الوقوف في وجهه والنبي صلى الله عليه وآله وسلم علم ما يفكر به عمه العباس وما يدور في خلده فقال له ياعم إن الله بعثني لهداية خلقه فكن على يقين اني لا أحب اهراق الدماء ثم استأذنه العباس أن يكون سفيراً بينه وبين قريش لكي ينصحهم ويظهر لهم ما خفي عنهم من أمر النبي وما زانه الله به من العلم والحلم والصفح والفضيلة ومكارم الأخلاق وهو مؤيد بقوة ربه التي لا تغلب وقوة جيشه التي ترهبه بلاد العرب ولعلهم يطلبون الأمان فتفتح له مكة من غير سفك دماء وجلس العباس على بغلة الرسول الشهباء وخرج حتى بلغ الأراك لعله يجد ذاهباً إلى مكة ليخبر قريشاً بمكانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيأتونه ويستأمنونه ولكن قريشاً غمرها الذل منذ نزل المسلمون مر الظهران لذلك ارسلت أبا سفيان بن حرب وبديل بن ورقاء الخزاعي وحكيم بن حزام يتجسسون الأخبار فظفرت بهم جنود المسلمين وأول من لقي أبا سفيان بن حرب وصاحبيه العباس بن عبد المطلب وعرف العباس صوت أبي سفيان فناداه وقال له ويحك يا أبا سفيان هذا رسول الله في المسلمين اتاكم في عشرة الآف فارس واصباح قريش إذا دخل مكة عنوة قال أبو سفيان ما الحيلة ماتأمرني به قال تركب معي فاستأمن لك رسول الله فأركبه العباس في عجز البغلة ورد صاحبيه إلى مكة وسار به سيراً حثيثاً ليستأمن له من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فرآهما عمر بن الخطاب وسبقهما إلى خيمة الرسول وأخبره بقدوم أبي سفيان مع عمه العباس وقال يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقال العباس اني قد أجرته فقال يا عم اذهب به إلى رحلك فإذا أصبحت فأتني به فذهب وفي الصباح غدا به على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له النبي ويحك يا أبا سفيان الم يأنِ لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله فقال له بأبي وامي ما أحلمك واوصلك واكرمك والله لقد ظننت ان لو كان مع الله اله غيره لا غني شيئاً عني ثم قال له ويحك ياأبا سفيان الم يأنِ لك أن تعلم إني رسول الله فقال بأبي وامي ما احلمك وأكرمك

واوصلك أما والله هذه فإن في النفس شيئاً منها فدخل العباس قائلا يا ابا سفيان ينبغي ان تسلم وتشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك ابقاء على حياتك وحرصاً على آخرتك ودنياك فاضطرب وتلعثم وتردد وتململ وقال شهدت أن لا إله الا الله وأن محمداً رسول الله فابتهج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقال العباس يا رسول الله أن أبا سفيان رجل يحب الفخر والاسلام لايزال غريباً في قلبه وعبادة الأصنام راسخة في حنايا ضلوعه والعداوة لك ولدينك القويم متأصلة لا ينسخها الا الاحسان اليه فاجعل له شيئاً فقال النبي من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد الحرام فهو آمن

أي عفو أعظم من هذا العفو وأي صفح أعظم من هذا الصفح هذا أبو سفيان بن حرب عدو الله ورسوله الذي بذل جهده لوأد الدين الاسلامي في مهده وادمى قلب الرسول وحرّض قريشاً في موقعة بدر الكبرى والصغرى والّب بني مخزوم وبني سهم عليه وعلى بني هاشم وجمع الجموع يوم احد وحزّب الأحزاب يوم الخندق وغزاه في دار هجرته ثم يمكنه الله منه فيجازيه بالغفران ويهب له الحياة والجاه ان هذه الأريحية وكرم الأخلاق لا تصدر الا عنه وعن اخوانه من الأنبياء اولي العزم

قال العباس وخرجت بابي سفيان فحبسته عند خطم الجبل فمرت به القبائل تتلو بعضها بعضاً حتى مر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحوله المهاجرين والأنصار فقال لي يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت له ويحك انها النبوة ثم قلت له إلحق بقومك فحذرهم وانذرهم فذهب حتى اتى مكة وصاح في المسجد يا معشر قريش هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به أسلموا تسلموا فأقبلت اليه امرأته هند أم معاوية فاخذت بلحيته وقالت يا آل غالب اقتلوا هذا الشيخ الأحمق قبح من طليعة قوم فقال لها ارسلي لحيتي اقسم ان لم تسلمي لتضربن عنقك ادخلي بيتك فقد تجاوزت حدك

ان خروج العباس مهاجراً إلى المدينة وملاقاته النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجحفة وهو في طريقه إلى مكة غازيا مسألة فيها نظر وخروجه من دار الندوة التي هي مجلس الشورى للقرشيين وتركه اياهم في حيرة وذهول وخوف ثم خروج

أبو سفيان وبديل بن ورقاء الخزاعي من مكة لاستطلاع الأخبار مع ما بين ابي سفيان وبديل من الخلاف كل هذه المفاجئات تبعث على التفكير بالأمر هل حصل ذلك بالمصادفة او هو امر دبر بليل ولا ريب بان أبا سفيان عندما ذهب إلى المدينة سفيراً لقريش لتمديدعهد الحديبية ثم اخفق في سفارته وشاهد عزة المسلمين وقوتهم اعتقد أن مكة لا تقوى على صد أهل الايمان والتوحيد والفتح كائن لا محالة وإذا أخذت عنوة فالعدل يقضي بقتله لذلك رمى نفسه في حضن العباس ليجيره ويكون له شفيعاً عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتفقا على الخطة التي قاما بتنفيذها خارج مكة بدون ان تشعر قريش والظاهر أن أباسفيان عمل على ارضاء بديل الخزاعي وصحبه معه خوفاً منه أن يضع العراقيل فيما اتفق عليه العباس وابوسفيان وقد طبقا الخطة بحذافيرها وحصل أبو سفيان على العفو والفخر العظيم الذي لم ينله غيره من زعماء القرشيين واشرافهم لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من دخل بيت أبي سفيان فهو آمن

وسار النبي في الجيش حتى بلغ إلى ذي طوىً استوقف الكتائب ضارعاً لله القدير الذي قيّض له فتح ام القرى ومهبط الوحي والتنزيل سلماً بدون اراقة دم ثم قسم الجيش أربع فرق وأمرهم أن لايقاتلوا إلا إذا أكرهوا اكراهاً وجعل سعد بن عبادة على المدينة وامره أن يدخل مكة من جانبها الغربي وجعل الزبير ابن العوام على الجناح الأيسر وأمره أن يدخل مكة من شمالها وجعل خالدآبن الوليد على الجناح الأيمن وامره أن يدخل من أسفل مكة وأوعز إلى أبي عبيدة بن الجراح بان يكون مع المهاجرين ليدخلوا مكة من أعلاها وسمع رجل من المهاجرين سعد بن عبادة يقول اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة فأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لعلي بن ابي طالب ادركه وخذ الراية منه وكن انت الذي تدخل بها

ودخل الجيش بالأمن والأمان إلا فرقة خالد بن الوليد فقد وقف في وجهها عكرمة بن ابي جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو وقد اجتمع معهم الأحابيش وبنوبكر وبنوالحرث بن عبدمناة وناضلوا كتيبة خالد وقتلوا ثلاثة قتلى

من جيش المسلمين وقتل ثلاثة عشر من المشركين ثم انهزموا أمام كتيبة خالد وقد اسف النبي صلى الله عليه وآله وسلم لوقوع هذه المصادمة التي كان لا يريدها وحينما انهزم المشركون وقف في وجوه المسلمين نساء مشركات يلطمن وجوه الخيل بالخُمُر وقد نشرن شعورهن فرآهن النبي وكان قريباً منه ابو بكر «رض» فتبسم وقال يا أبا بكر اتل علي ما قاله حسّان في مثل هذه المواقف فقال

« كان جيادنا مُتمطرات يُلطمهن بالخُمر النساء »

ونزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبالة جبل هند باعلى مكة وهناك ضربت له قبة على مقربة من قبري عمه ابي طالب وزوجه السيدة خديجة ودخل فيها للراحة وقلبه ولسانه يرددان الشكر لله تعالى لعنايته به في رجوعه إلى وطنه عزيزاً منصوراً بعد الطرد والتشريد ونظر إلى جبال مكة وشعابها وإلى جبل حِراء حيث كان يتعبد ويتحنث في أول نزول الوحي عليه وبدخول الجيش إلى مكة امتطى ناقته القصواء حتى بلغ الكعبة وعلى رأسه عمامة سوداء فوقف على باب الكعبة وقال لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الأحزاب وحده وطاف بالبيت سبعاً واستلم الحجر الأسود ودعا عثمان بن طلحة ففتح الكعبة واجتمع الناس بالمسجد فخطب فيهم ووعظهم وأرشدهم لوحدانية الله القدير وتلا عليهم هذه الآية «يَا أيها النّاسُ إنا خَلقناكمْ مِنْ ذَكر وَأنثى وَجعلناكمْ شُعوبا وَقبائلَ لِتَعارَفوا إن أكرَمكم عِندَ اللهِ اتقاكمْ إنّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ»

ثم قال يا معشر قريش « ما ترون اني فاعل بكم » قالوا « خيراً أخ كريم وابن اخ كريم قال فاذهبوا فأنتم الطلقاء » لا تثريب عليكم وعفى عنهم

« ما أحسن العفو من القادر لا سيما من غير ذي ناصر »

هذا الكمال المجسم وهذا الحلم الذي لا يواكبه عجز ما هذه النفس التي تعالت وحلقت بصفاتها فوق الأحقاد وتجاهلت الصبر المبرح والأذى والظلم والجور وعطفت على قوم لا يستحقون الرحمة ولكن الأخلاق النبوية بعيدة عن الانتقام لأن هدفه وغايته هدايتهم للتوحيد ونبذ عبادة الأوثان وفي صفحه وعفوه وتجاوزه عما جناه قومه أعظم قدوة يقتدي بها المسلمون للتخلق بأخلاقه والسير على منهاجه

وبدخوله للكعبة أمر بطمس الصور المرسومة على جدران الكعبة للأنبياء

والملائكة ورأى صورة ابراهيم خليل الرحمن وبيده الأزلام يستقسم بها فنظر اليها وقال قاتلهم الله «ما كانَ إبراهيمُ يَهودياً وَلانصرانِياً وَلكنْ كانَ حَنِيفاً مُسلِما وَما كانَ مِنَ المشرِكينَ» وجعل يشير إلى الأصنام بقضيب في يده فلا يشير إلى صنم منها إلا سقط على وجهه

وجاء في السيرة الحلبية قال علي بن ابي طالب دعاني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلا وانطلق إبي لى الكعبة وقال لي اجلس فجلست إلى جانب الجدار وصعد على منكبي وقال انهض فنهضت فلما رأى ضعفي قال اجلس فجلست ثم قال يا علي اصعد على منكبي ففعلت وفي رواية أنه قال له فاني اكرمك ان أعلوك فقال يا علي لا تستطيع حمل النبوة اصعد أنت فصعد علي على كاهله وامره أن يلق صنمهم الأكبر وكان من نحاس فالقاه ولم يبق إلا صنم خزاعة موتداً بأوتاد من حديد فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يا علي عالجه فعالجته وهو يقول ايه ايه «جاءَ الحقّ وَزهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كانَ زَهوقـــاً» فلم أزل اعالجه حتى استمكنت منه فقذفته فتكسر وطهر البيت الحرام من الأصنام

ثم أمر بلالا فأذن فوق الكعبة وصلى النبي اماماً وخضعت قريش للأمر الواقع لكن طائفة منها عدتها اربع نسوة وسبعة عشرة رجلا استثناهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من العفو لجرائم عظمى ارتكبوها ثم اسلم نفر منهم ونفر مات على الشرك وفي غداة يوم الفتح عثرت خزاعة على رجل مشرك من بني هذيل فقتلوه فغضب النبي وقام في الناس خطيباً وقال

إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض لا يحل فيها لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ان يسفك فيها دماً أو يعضد فيها شجراً لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد كان بعدي ولم تحل إلا هـــذه الساعة غضباً على أهلها ثم رجعت كحرمتها بالأمس فليبلغ منكم الشاهد الغائب وودي الرجل الذي قتلته خزاعة وجلس للبيعة واجتمع الناس لبيعته على الاسلام فكان يبايعهم على السمع والطاعة لله ورسوله فيما استطاعوا ولما فرغ الرجال بايع النساء فاتاه منهن ام هاني بنت أبي طالب وهي أول من بايعه من النساء وهي من المؤمنات الطاهرات قبل الهجرة

وروى الزمخشري في كتابه ربيع الابرار ان الحارث بن هشام كان مشركا قوي الشكيمة وقد وقف في وجه علي بن أبي طالب يوم الفتح وعندما شدّ عليه وايقن أنه مقتول لا محالة دخل بيت ام هاني مستجيراً بها خائفاً يترقب الموت فهاجمه علي والسيف في يده فقبضت ام هاني على يد اخيها وهي لا تعرفه لما دججه من السلاح والحديد وقالت له لا أدعك تقتل رجلا استجارني وحدث علي رسول الله بذلك وقال يا نبي الله لما قبضت على يدي لم استطع تحريكها فقال له لو ان أبا طالب ولد الناس جميعاً لكانوا شجعاناً ومن اللاتي بايعنه حبيبة بنت العاص وغيرها من نساء قريش وقال لهن تبايعنني على أن لا تشركن بالله شيئاً ولا تسرقن ولا تزنين ولا تأتين ببهتان تفترينه بين ايديكن وارجلكن ولا تقتلن أولادكن ولا تعصينني في معروف

وأقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم خمسة عشر يوماً بعد الفتح في مكة يفقه أهلهـــا في الدين وينظم امورهم ويصلح شؤونهم ويبعث سراياه للدعوة للاسلام بالحسنى كما امره الله تعالى وكان خالد بن الوليد قد خرج إلى نخلة ليهدم العزى صنم بني شيبان وبعد أن هدمها ذهب إلى جذيمة فلما رأوه اخذوا سلاحهم للقتال فطلب منهم خالد أن يلقوا سلاحهم لأن الناس دخلوا بالاسلام فقال رجل منهم يا بني جذيمة انه خالد والله ما بعد وضع السلاح إلا الأسار وما بعد الاسار إلا القتل وضرب الأعناق لا تضعوا سلاحكم ولا تستسلموا له فقال له قومه اتريد أن تسفك دمائنا إن الناس قد اسلموا ونحن معهم ووضعت الحرب اوزارها وأمن الناس وما زالوا به حتى وضع سلاحه مثلهم وبعدها أمر خالد فغللوا ثم عرضهم على السيف فقتل منهم من قتل

ولما بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم خبرهم رفع يديه إلى السماء وقال اللهم اني أبرأ اليك مما فعل خالد وبعث علياً بن أبي طالب وقال له اخرج إلى هؤلاء القوم وانظر في امرهم واجعل عادات الجاهلية تحت قدميك وخرج ومعه مال اعطاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم اياه ولما بلغ القوم دفع لهم الدية عن الدماء وعما اصيب من المال ثم أعطاهم ما بقي معه أيضاً من الاموال التي أعطاهـا له الرسول

وبعد أن أصلح حالهم ووطد اعتقادهم على الاسلام عاد إلى مكة

واقر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عثمان بن طلحة وابناءه على سدانة الكعبة وجعل سقاية الحاج لعمه العباس ودخل في الاسلام اكثر القرشيين ومنهم ابو قحافة والد ابو بكر الصديق وبقي جماعة على شركهم

أجل إن فتح مكة كان نقطة الانطلاق في تأييد هيبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في قلوب اعدائه القرشيين خاصة والعرب عامـــة وكانت من سبل الهداية للدين الحنيف وبها فتح الله له أبواب النصر وانقاد عنق الدعوة إلى أبعد مدى في الكون يزجي عقابيل الوثنية بقوة التوحيد وهذا الفتح ما هو إلا نغمة من نم الدنيا ولحن من وتر الحيـــاة وتغريدة من طائر الخلد ونسمة من ربوع الفردوس وطد دعائم الدعوة الاسلامية على اسس ثابتة لا تنهار ما بقي الليـل والنهار وهو الحد الفاصل بين الماضي والمستقبل لأن قريشاً مدنة البيت الحرام وقادة العرب فخضوع قريش واعترافها بالوحدانية ودخولها في الاسلام قضى قضاء مبرماً على الوثنية في بلاد العرب وتهذبت الأخلاق بتعاليم الدين المبين وهبت القبائل كأنها نشطت من عقال تتسابق لطلب المجد تحت لواء الحضارة لاثبات وجودها بين الامم مستبصرة في امور دينها ودنياها نادمة على ما فرط منها

-(غزوة حنين)-

اغتبط المسلمون بعد دخولهم مكة بدون إراقة دم وطفقوا يقيمون شعائر دينهم في البيت الحرام آمنين يتدافعون حول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستنيرون بنوره ويلتقطون الدر من كلامه وحكمه وقد علموا ان هوازن تجمع الجموع وتحرض القبائل عليهم خوفاً أن ينالها ما نال قريشا وآنست القوة والمنعة في نفسها وانفت الخضوع للامر الواقع واستولى عليها الغرور مستمسكة بعادات جاهلية واشفقت ان يغزوها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عقر دارها واجمعت على ان تكون مهاجمة لا مدافعة

لذلك جمع مالك بن عوف النضري رجاله وقومه واجتمع اليه ثقيف يقودها

قارب بن الاسود سيد الأحلاف ونصر وجشم من قيس عيلان وساروا ومعهم نساؤهم واموالهم فلما نزلوا اوطاس جمع مالك بن عوف خيار القوم للشورى وفيهم دريد بن الصمة وكان شيخا كبيراً هرماً لا نفع منه في الحرب ولكنه كان شجاعاً مجربا فطلبوا رأيه فقال لهم بأي واد انتم قالوا أوطاس قال نعم مجال الخيل لاحزن ضرس ولا سهل دهس مالي اسمع رغاء الابل ونهاق الحمير وثغاء الشاء وبكاء الصغير قالوا هكذا اراد مالك فالتفت اليه وقال له هذا يوم له مابعده ما حملك على ما صنعت قال له سقت النساء والأطفال ليقاتل كل انسان عن حريمه وماله قال له دريد راعي الضان هل يرد المنهزم ان كانت الك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك فضحت في اهلك ومالك ثم قال ما فعلت كعب وكلاب قالوا لم يشهدها أحد منهم قال غاب الجد والجدّ لو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب وكلاب يا مالك ارفع من معك إلى بلادهم ثم الق القوم على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من ورائك وان كانت عليك احرزت مالك وأهلك فقال له مالك والله لا أفعل برأيك لأنك كبرت وضعف علمك قال دريد هذا يوم لم اشهده ولم يفتني علمه وبعث مالك عيونه ليأتوه بالخبر عن المسلمين فرجعوا والذعر يملأ قلوبهم فقال ما شأنكم قالوا رأينا رجالا بيضا على خيل بلق فوالله ما تماسكنا حتى حل بنا ما ترى

وجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عدة وعديد في اثني عشر الفا من المقاتلين وبينهم أبو سفيان بن حرب وكلدة بن الحنبل وصفوان بن امية وغيرهم وفي مقدمتهم الابل تحمل السلاح والميرة والفرسان على الجياد المطهمة واخذ من صفوان بن امية مائة درع بما يصلحها من السلاح عارية مضمونة فتكوّن من هذه القوة جيش لجب لم تعرف بلاد العرب مثاله من قبل فامتلأت النفوس رعباً منه واعجابا به وافضى بعضهم لبعض ان نغلب لكثرتنا قال جابر فلما استقبلنا وادي حنين وهو واد بين مكة والطائف انحدرنا من مضيق حنين في واد اجوف حطوط ننحدر انحداراً في عماية الصبح وكان القوم قد سبقونا وكمنوا في شعابه ومضايقه وتهيأوا واعدوا والله ما راعنا إلا الكتائب شدت علينا شدة رجل واحد فانشمر الناس

راجعين لا يلوي أحد على أحد والنبل يتساقط علينـــا كالغيث المدرار فدهش المسلمون وانهزموا وانحاز النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات اليمين وهو على بغلته الشهباء وعمه العباس آخذ بلجامها وابن عمه ابو سفيان بن الحارث بجانبه الأيسر وابن عمه علي بن ابي طالب بجانبه الأيمن وهذا اكبر ما يؤثر عن قائد حرب من الثبات يقف هذا الموقف مثالا كاملا لقوة اليقين في اتصاله بالله معتمداً على ربه بالنصر وظهور الأمر في هذا المعترك الهائل لا يتزعزع ناهيك بهذه الشجاعة وما هي إلا آية من آيات النبوة يردد قوله « انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب » ثم ناداهم أيها النـاس هلموا أنا رسول الله انا محمد بن عبد الله ونقل محمد بن قتيبة الدينوري في كتابه المعارف صفحة ٧١ ان الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين بعد هزيمة الناس علي والعباس وابوسفيان بن الحارث وابنه والفضل ابن العباس وايمن بن ام ايمن« وقتل يومئذ » وربيعة بن الحارث واسامة ابن زيد وقال العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم

« نصرنا رسول الله في الحرب سبعة وقد فرّ من قد فرّ منهم وافشعوا »
« وثامننا لاقى الحمام بسيفه بما حسه بالله لا يتوجع »

وتقدم رجل من هوازن على جمل أحمر وبيده راية سوداء فإذا أدرك رجلا من المسلمين طعنه ثم رفع رايته لمن وراءه واتبعوه فلم يمهله علي بن أبي طالب ان حمل عليه فقتله فتناول الراية رجل آخر فارداه قتيلا وحينما انهزم المسلمون قال ابو سفيان بن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر والأزلام معه ونادى كلدة بن الحنبل الابطل السحر اليوم فرد عليه اخوه صفوان اسكت فض الله فاك فوالله لئن يربني رجل من قريش أحب إلى من ان يربني رجل من هوازن وقال شيبة بن عثمان بن ابي طلحة اليوم أدرك ثاري من محمد لأن أباه قتل يوم احد

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعمه العباس ضح بالناس فنادى العباس يا معشر المهاجرين الذين بايعوا تحت الشجرة يامعشر الأنصار الذين آووا ونصروا إن محمداً حي فهلموا وكرر العباس النداء فتجاوبت كل انحـــاء الوادي فأجابوا لبيك لبيك وكروا عنقاً يؤمون الصوت وقد تنفس الصبح فهزم ظلام الليل واجتمع

على رسول الله مائة رجل فاستقبلوا القبائل وصبروا لها وهجمت الأنصار وصاحت يا للخزرج والنبي صلى الله عليه وآله وسلم ينظر تناجز القوم وقد انحدرت هوازن من مكامنها وأصبحت وجهاً لوجه أمام المسلمين حتى إذا رأى الصدام اشتد في ساحة الجلاد ورأى تفوق رجاله على الأعداء نادى حمي الوطيس ان الله لا يخلف رسوله وعده وانكسرت سورة العدو وبعد ان رمى حفنة من الحصى في وجه العدو قائلا شاهت الوجوه وسيوف اهل الايمان تحصدهم حصد الهشيم لاعتقادهم ان النصر حليفهم وقلوبهم عامرة بالايمان لا يبالون بالموت في سبيل الحياة فاستظهروا على المشركين وضيقوا عليهم المسالك فولوا منهزمين بعد أن علموا ان المقاومة تدفع بهم إلى الفناء تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وابناءهم غنيمة للمسلمين وهي اثنان وعشرون الفا من الابل وأربعون الفا من الشاء واربعة آلاف اوقية من الفضة وستة آلاف اسير وقد نقلوا الأسرى والغنائم إلى وادي الجعرانة وواصلوا الجهاد والمطاردة وملاحقة المنهزمين لكي لا يجمعوا فلولهم ويعودوا للكفاح وساروا في أثر هوازن يضربونهم بالسيوف حتى بلغوا اوطاسا ولما هزم الله المشركين قالت امرأة من المسلمين

« غلبت خيل الله خيل اللات وخيله احق بالثبات »

ولم يقدر على الثبات مالك بن عوف وقومه إلا قليلا ولحقوا هوازن ودخل مالك مع ثقيف بالطائف لاجئاً ومعتصما في حصونهم ومرّ رسول الله بامرأة قتيل فقال من قتلها فقالوا خالد بن الوليد فقال لبعضهم اولاك خالداً فقل له ان النبي ينهاك أن تقتل امرأة أو عسيفاً وأعلن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ان من قتل مشركا فله سلبه وادرك ابن الدغنة جملا عليه هودج مكشوف ظن به امرأة طمع في سلبها فأناخ الجمل فإذا شيخ كبير هرم لا يعرفه الفتى هو دريد بن الصمة وسأل دريد ربيعة ما يريد به قال اقتلك قال دريد بئس ما سلحتك امك خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ هكذا كنت اضرب الرجال ثم إذا اتيت امك فاخبرها انك قتلت دريد بن الصمة فرب والله يوم منعت فيه نساءك ولما رجع إلى امه واخبرها ما قال دريد قالت لحرق

الله بدك انما قال ذلك ليذكرنا نعمه علينا فوالله لقد اعتق لك ثلاث أمهات في غداة انا وامي وام ابيك

والفضل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في هذا النصر المؤزر لثباته في المعركة والناس منهزمون يحيط به أفراد من أهله وأصحابه وفي ذلك نزل قوله تعالى «لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم»

لقد كانت هزيمة المسلمين يوم حنين بتخاذلهم واعجابهم بما فتح الله على ايديهم وبما احرزوه من النصر على القرشيين وبما داخلهم من الغرور بكثرة عددهم فلم يحتاطوا للعدو الذي هب من مكمنه وارسل عليهم نباله من حيث لا يشعرون ثم انه اندس بينهم جماعة من المشركين والأعراب ومن كان حديث عهد بالاسلام من طلاب الغنائم فانكفأوا على غير نظام من أول صدمة وعندما رجعوا اليه وأجابوا داعي الله وانضموا إلى الذين ثبتوا مع الرسول صلى عليه وآله وسلم من أهله وأصحابه جاءهم النصر عاجلا وجبر الله قلوبهم بعد صدعها واغتبطوا بما آتاهم الله من فضله

-(غزوة الطائف)-

الطائف بلد ذو زرع واعناب وحصون منيعة واقعة شرقي مكة مشهورة بكثرة فواكهها وجودة ثمارها ولطافة هوائها وعذوبة مائها ترتفع عن سطح البحر ١٩٧١ متراً وفصل الصيف فيها بغاية الاعتدال ودرجة الحرارة لا تزيد عن اثنين وثلاثين درجة في ميزان سنتغراد وأهلها ذوو دراية بحرب الحصار تساعدهم ثروتهم الطائلة على الثبات لأن ثقيفا بعد انهزامها من حنين عادت إلى الطائف ودخلت الحصون واغلقت الأبواب وجمعت فيها من القوت ما يكفي سنة وتهيأت للقتال ودخل معها مالك بن عوف واشراف قومه وكان القتال في الأشهر الحرم

محذوراً وانتهت وقعة حنين في الثلث الأخير من شوال وقبل دخول ذي القعدة سار النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف والمسلمون معه ليدعوا أهلها إلى الاسلام وعسكروا على مقربة منها وعندما شاهدتهم ثقيف من أعلى الحصون استقبلتهم بالنبل فأمر النبي بالانتقال بعيداً عن مرمى النبل إلى موضع مسجد الطائف اليوم وفي جانب هذا المرتفع ضربت خيمتان من جلد احمر لزوجتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهما ام سلمة وزينب وكانتا معه منذ ترك المدينة وشدد الحصار على ثقيف ونصب المنجنيق في هذا الحصار وقد اشار به سلمان الفارسي وهو أول منجنيق رمي به في الاسلام وعندما آذن هلال ذي القعدة وهو من الأشهر الحرم امر الرسول بالرحيل على أن يعود الجيش اليهم بعد انقضاء الأشهر الحرم إذا لم يفيئوا إلى امر الله ومذ بلغوا الجعرانة اقتسموا الغنائم وفصل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الخمس لنفسه ووزع الباقي على اصحابه وعلى المجاهدين وقبل الرحيل من الجعرانة جاء وفد هوازن وقد اسلموا وقالوا يا رسول الله انا اصل وعشيرة وقد اصابنا من البلاء ما تعلمه فمنّ علينا منّ الله عليك فاعطاهم كلما سألوه من الأموال والنساء والأبناء وجاء مالك بن عوف النضري حيث فارق ثقيفا واعلن اسلامه فرد عليه اهله وماله ونفحه مائة من الابل لحسن اسلامه

ثم قسم الخمس واعطاه لأشد الناس عداوة له وهم ابو سفيان بن حرب وولداه يزيد ومعاوية والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ورؤساء القبائل والأشراف ممن تألفت قلوبهم بعد الفتح لكل واحد منهم مائة من الابل فقال له ابو سفيان بابي وامي ما اكرمك في الحرب والسلم حاربتك فنعم المحارب كنت وسالمتك فنعم المسالم كنت هذا غاية الكرم جزاك الله خير الجزاء وكانت بين السبايا امرأة نصف تخطت الكهولة عنف عليها الجند فقالت لهم اعلموا اني اخت نبيكم من الرضاعة وجاءوا بها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فعرفها فإذا هي الشيماء بنت الحارث بن عبد العزى فأدناها وبسط لها رداءه واجلسها عليه وخيرها بين البقاء أو الرجوع إلى قومها فاختارت الرجوع فأكرمها وارجعها مكرمة وهذه كانت اخلاقه وعطفه على كل من له به صلة القرابة والمعرفة أو لكل من اسدى

اليه معروفاً فالوفاء من بعض خصاله وعرفان الجميل من بعض سجاياه صلى الله عليه وآله وسلم

هذا النبي العظيم هو القدوة في التضحية والأريحية كان يجوع ليشبع الناس ويحتمل الضر لينعم الناس ويقدم في التشريع أهله الأقربين لتطمئن الناس وفي هذا اليوم نام جائعاً وأهله جياع وقد اعطى في هذا اليوم نفسه من مغانم حنين مائة ناقة لكل رئيس وزعيم من العرب واعطى فوق ذلك من الخيل المسوّمة والذهب الوفير والخير الكثير مالا حصر له ولم يأخذ إلى بيته شاة أو كفاً من شعير ثم يأبى على بضعته الزهراء خادماً تساعدها في بعض شؤونها حيث نزل عن حقه تأييداً للدين وللمنقطعين من الفقراء والمساكين وقد افنى في الله روحه ونفسه ومعناه وحسه فأصبح لا ينعم إلا بالله ولا يتألم إلا لله والتوحيـــد يفتح الطريق للوصول إلى الله وما هي إلا النبوة تستنير بنور الله وسوف تمر عصور وأجيال وتصطدم الانسانية بالمزعجات والمروعات والظلمات الحالكة التي لا مخرج لها منها إلا بالاستنارة من شعاع تعاليم الدين الاسلامي وهي الضالة المنشودة

(ماجريات حوادث السنة الثامنة)

فيها وقعة مؤتة من اعمال الشام وهي أول مصادمة بين المسلمين والروم ومع التفاوت العظيم بين الجيشين كانا فرسي رهان وفي هذه المعركة أدرك المسلمون أن النصر بالايمان لا بالسيف والسنان وفيها استشهد جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة وفيها دخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مكة وهو أعظم فتح وطد دعائم الاسلام واعز الله به الدين وفيها غزوة حنين والطائف وفيها دخلت قريش بالاسلام وفيها تهافتت القبائل على الكفر بالاصنام والدخول في الايمان

— (السنة التاسعة) —

سنة البراءة بعد فتح مكة وانتصار حنين وحصار الطائف امتلأت قلوب العرب رهبة وهيبة للنبي صلى الله عليه وآلـه وسلم واكبروا دخوله إلى مكة بخضوع وخشوع معظما شعائر الله داعياً اليه لم تبطره عزة الفتح والانتصار عامل اعداءه

بما انطوت عليه نفسه الطاهرة بالصفح والعفو لم يؤاخذهم بجرمهم وجريرتهم لعلمه أن جهلهم دفعهم إلى أذاه لذلك وسعهم حلمه ليهديهم إلى الصراط المستقيم ولو كان ملكا لانتقم منهم ولكن النبوة تفيض رحمة وحناناً وعطفاً واحساناً واعظموا موقفه في حنين وحيداً في ساحة الحرب بين نفر قليل من أهله كالطود الراسخ الذي لا تزعزعه العواصف ولم ترهبه كثرة الأعداء وقد تفرق جيشه فرقاً وهلعاً وجمعه بصبره وشجاعته واذكى فيه روح الحماس حتى كتب الله له النصر ثم شاهدوا انامله تجود كالغيث الدافق على الخلائق عند توزيع الغنائم ولم يدخر لنفسه شيئاً ولم يحفل بحطام الدنيا حتى اعجب به حساده ومناوؤه

—(وفود الامراء والشعراء)—

وانقلب الشعراء الذين كانوا يقولون بلسان قريش من هجر القول إلى الثناء والاطراء وبادر بجير بن زهير إلى اخيه كعب لينظم الدراري قلائد في مدح النبي الهاشمي صلى الله عليه وآله وسلم خاتم الأنبياء معدن العلم والحلم ويأتيه في دار هجرته مصدقاً برسالته فجاءه وانشده قصيدته المشهورة

« بانت سُعادُ فقلبي اليوم متبولُ متيم اثرها لم يُفدَ مكبول »
« انّ الرسولَ لسيف يُستضاء به مهنّد من سيوف الله مسلول »

فعفا عنه وخلع عليه بردته واجازه لحسن اسلامه

وقد جاء وفد طي وعلى رأسهم زيد الخيل ودخلوا بالاسلام ولما تحدث اليه قال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما ذكر لي رجل من العرب وجاءني إلا ورأيته دون ما قيل فيه إلا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما فيه من فضل ثم دعاه زيد الخير لأخلاقه وعلو همته ونأى عنهم عَدي بن حاتم الطائي لشدة عداوته للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ومذ رأى جزيرة العرب تدين بدينه وتخضع لسلطانه لحق بالشام لأنه كان مسيحياً وقيل إنه فر من وجه علي بن ابي طالب حينما ذهب إلى الفلس ليهدم صنم طي فوقفوا يناضلونه ففتك فيهم وهدم الصنم واحرقه ورجع بالأسرى ومن بينهم سفانة بنت حاتم الطائي الكريم المعروف ولما شاهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهرها بكماله وجلاله وقالت يا رسول الله

هلك الوالد وغـــاب الرافد فامتن علي منّ الله عليك فاطلقها من الأسر فقالت شكرتك يدٌ افتقرت بعد غنى ولاملكتك يد استغنت بعد فقر واصاب معروفك مواضعه ولاجعل لك إلى لئيم حاجة ولا سلب الله نعمة كريم الا وجعلك سبباً إلى ردها فأمر بتسريحها وكساها كسوة حسنة وأعطاها نفقتها فذهبت إلى الشام واجتمعت بأخيها واخبرته بما شاهدته ورأته بالمدينة وقصت عليه أخبار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما عاملها به من العطف والأخلاق التي تشف عن سجايا الأنبياء واشارت عليه بالرجوع إلى الحجاز ويتبعه فان كان نبياً فالسابق اليه فضل وان يكن ملكا فانت انت فخرج حتى اتى المدينة ودخل على الرسول مع الناس وجعل ينظر اليه نظرة حكيم حاذق يتتبع حركاته وسكناته ويزن اقواله واعماله ثم اخبره انه عَدِي بن حاتم الطائي فاكرمه واخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله وفي اثناء الطريق دعته عجوز فانية وكلمته في بعض شؤونها طويلا وهو واقف يسمع كلامها ويجيبها باناة ورفق حتى انتهت من حديثها فلما شاهد عدي هذا التواضع والاخلاق العالية قال والله ما هو بملك وبقي اياماً يراقب احواله فرآه يشارك كل ذي الم في المه وكل مصاب في مصابه ويوامي البائسين ويعطف على الفقراء والمعدمين فقال لا ريب انه نبي مرسل واسلم مستبصراً

ثم قدم وفد بني اسد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقالوا اتيناك قبل أن تأتي الينا فنزلت عليه الآية الكريمة « يَمنونَ عَليكَ انْ أسلموا قُلْ لا تَمنوا عليّ إسلامكم بَلِ اللهُ يَمنّ عَليكم أنْ هَداكم لِلايمانِ » وقدم وفد بني تميم مع زعيمهم حاجب بن زرارة واشرافهم معهم وكانوا من اشراف العرب يفاخرون بأحسابهم وانسابهم ومكارمهم وبعد مثولهم بين يديه تضاءل كل شيء في نفوسهم بعد الاسلام واشرق نوره في قلوبهم كشمس الصباح وجعلت القبائل تفد إلى رحابه صلى الله عليه وآله وسلم متتابعة تدين لله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة

— (مولد ابراهيم بن النبي) —

ان افضل الآمال يدركها من اعتصم بالله والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كما اغتبط بنصر الله له في مكة وحنين اغتبط بمولد ولده ابراهيم من مارية القبطية

التي اهداها اليه المقوقس ملك مصر وقد دعاه ابراهيم تيمنا باسم شيخ الأنبياء خليل الرحمن عليه وعلى نبينا افضل التحية والسلام وبولادته أصبحت مارية من امهات المؤمنين بعد أن كانت بمنزلة السراري وكان منزلها بالعالية بين الكروم والنخيل في مكان يقال له اليوم مشربة ام ابراهيم وكما امتلأ قلبه سروراً بالمولود فقد امتلأت نفوس ازواجه غيرة من مارية القبطية وكان صلوات الله عليه يمر ليرى الطفل وليزداد انساً به وهذه الزيارة القصيرة تضاعف الغيرة في حنايا ضلوع ازواج لم يلدن قط وجاء بالطفل يوماً ووجهه يتهلل سروراً به إلى السيدة عائشة لتشاركه في سروره ولترى ما بينهما من الشبه فنظرت إليه وقالت لا ترى بينهما شبهاً وهكذا كان امتعاض زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمولد ابراهيم والغيرة تجاوزت بهن عما ادبهن الله به

لا ريب ان نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم طاهرات مطهرات قانتات عابدات والغيرة بين الضرائر سجية في النفس تذكيها بعض الأسباب الحادثة فتظهر آثارها ويتطاير شررها ثم تخمد سريعاً بالانابة والتوبة والرجوع إلى الله وقد جاءت سورة التحريم مفصلة لما تقدم قال الله وهو أصدق القائلين يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ قَدْ فَرَضَ اللهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ العَلِيمُ الخَبِيرُ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ المُؤْمِنِينَ وَالمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَاراً

وجاء عن ابن عباس قال قلت لعمر بن الخطاب من المرأتان اللتان تظاهرتا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال عائشة وحفصة اورده البخاري في الصحيح وجاء في اكثر التفاسير « فإن الله هو مولاه » الذي يتولى حفظه وحياطته

ونصرته « وجبريل » معين له وناصر يحفظه ثم « وصالح المؤمنين » يعني خيار المؤمنين وقال مجاهد صالح المؤمنين هو علي بن ابي طالب وفي كتاب شواهد التنزيل بالاسناد عن سدير الصيرفي عن الامام ابي جعفر محمد بن علي الباقر لقد عرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في علي مرتين الأولى عندما قال من كنت مولاه فعليٌ مولاه واما الثانية فحيث نزلت هذه الآية فإن الله هو مولاهُ وجبريلُ وَصالحُ المؤمنينَ » أخذ بيد علي فقال أيها الناس هذا صالح المؤمنين

لا يغرب عن البال انه بمولد ابراهيم استحكمت الغيرة بين امهات المؤمنين حملهن على ذلك الرفق الذي كان يعاملهن به وهذه الآية تصرح بذلك « يَا أيها النبي قُلْ لأزواجكَ إن كنتنّ تُردنَ الحياةَ الدّنيا وَزِينتها فتعالينَ أُمتعكنّ وأسرحكنّ سراحاً جميلا وَإن كنتنّ تُردنَ اللهَ وَرَسولهَ وَالدارَ الآخرةَ فإنّ اللهَ أعدّ للمحسناتِ منكنّ أجراً عظيما »

هذا الحادث المنزلي بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وازواجه لم نتعرض لتفصيله وقد أسهب فيه المفسرون والمؤرخون وما هو إلا سحابة صيف تقشعت عن التوبة والعفو والغفران وبومئذ كان صلوات الله عليه منصرف لتنفيذ رسالته وتنظيم الأمور العامة المتشعبة التي زاد خطرها باتساع الفتح وقد عمل على تنفيذها ومنها الحقوق المفروضة على المسلمين من الزكاة والخراج على الذين اصروا على شركهم وأنفذ صلى الله عليه وآله وسلم فريق من أصحابه الأكفاء ليجمعوا الزكاة من القبائل التي دانت بالاسلام من غير أن يتعرضوا الأصول والأموال وقد دفعتها القبائل طيبة بدفعها نفوسهم وجمعوا الخراج أيضاً

— (غزوة تبوك) —

بينما النبي صلى الله عليه وآله وسلم يعمل على تنظيم بلاد العرب بحكمة ودراية اتصل به أن الروم تهيء بالشام جيشاً لغزو الحدود الشمالية من جزيرة العرب فلم ير بداً من مجابهة هذه القوة بمثلها قبل ان تتجاوز الحدود فقرر القيام بنفسه لرد عادية هذا الجيش وذلك ابان فصل الخريف وهناك صعوبات جمة الحر شديد والسير في الصحاري الجافة شاق يحتاج إلى الجلد والاستعداد لنقل الماء والمؤونة فقاوض

أصحابه بالأمر ليأخذوا عدتهم ويتأهبوا ويكونوا على حذر وعقدوا الخناصر على السير بركابه واوعز للقبائل للتهيؤ معه وتقدم سراة المسلمين للمساهمة في تجهيز هذا الجيش لأن التعاون قوة عظيمة وما تعذر عمله على الفرد سهل انجازه على الجماعة وحرضوا الناس على الانضمام اليه ويسمى هذا الجيش جيش العسرة لجمعه وتنظيمه في زمن عسرة وجدب وبلاء لقطع الفيافي القاحلة التي لا تنبت الكلأ ولا ينبع فيها الماء والعدو الذي يقصدونه كثير العدد والمدد قوي المراس مارس الحروب المنهكة وتغلب على جيوش الفرس من امد قريب ومع كل هذه المصاعب الملموسة أقبل المسلمون يلبون داعي الله خفافا وثقالا مدفوعين بايمان ثابت امتثالا لأمر النبي الصادق المصدق صلى الله عليه وآله وسلم لينالوا الشهادة تحت لوائه

وتقاعس الذين دخلوا في الاسلام من عهد قريب يتحلون الأعذار الواهية ليتخلفوا عن الجهاد مصدقاً لقوله عز وجل في سورة التوبة « فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ » وقيل ان الجد بن قيس أحد بني سلمة اتى إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلب أن يتخلف عن القتال لأنه يحب النساء ويخاف الفتنة من نساء الروم إذا ساروا مع الجيش ولا صبر له عنهن فاعرض عنه الرسول وفيه وفي امثاله نزلت هذه الآية « وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ » واقبل اغنياء الصحابة على تجهيز الجيش باموالهم وبعضهم تقدم بنفقة نفسه ونفقة غيره وحمل النبي صلى الله عليه وآله وسلم العبء الثقيل في التجهيز واعتذر لكثير من الذين كرهوا التخلف عن الجهاد ورجعوا والحزن يجز في قلوبهم وهم يبكون كما جاء بالقرآن المجيد « تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ »

وتحرك الجيش تحت قيادة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ويد الله ممدودة اليه في المناسبات الصعبة وهو خير معوان له في كل حين وقد تألف الجيش من ثلاثين الفا من المسلمين وقبل خروجه استخلف على المدينة وعلى اهله علياً بن أبي

طالب ولم يكن تخلف عنه في غزواته كلها فقال اتخلفني على النساء والصبيان يارسول الله قال الا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي ولم يأذن إلى عبد الله بن أبي بن ابي سلول ان يذهب في صحبته لضعف ثقته به وتوغل الجيش في الصحراء هازئا بالحر والقر يتقدمه عشرة آلاف فارس من الذين انعم الله عليهم بالايمان وتخلف الذين في قلوبهم مرض فلما كان في بعض الطريق ضلت ناقة النبي (ص) فقال المنافقون يزعم محمد انه نبي ولا يعلم موضع ناقته فاطلع على ما قالوا فقال لا اعلم الا ما علمني الله اذهبوا إلى الوادي فأتوني بها قد حبستها شجرة بزمامها في الشعب فذهبوا وجاؤه بها وفشى خبر الجيش المظفر الذي لا يرهب الجيوش بين بلاد العرب والشام حتى بلغ الخبر قواد جيش الروم فتولاهم الرعب وحملهم على الانسحاب وتحصنوا في حصونهم خوفا من الاصطدام ولما انتهى المسلمون إلى تبوك وعلموا بانسحاب الروم الى حصونهم الداخلة ضمن حدودهم امرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالكف عن مهاجمتهم داخل بلادهم ووضع حامية على الحدود كي لا يتخطاها أحد واقام المسلمون اياما يرتادون الحدود ويتعرفون على القبائل المقيمين في هاتيك الأصقاع

وكان يوحنا بن رؤبة احد الأمراء المقيمين على الحدود وهو صاحب ايلة فطلبه الرسول فجاء وعلى صدره صليب من ذهب وقدم الطاعة والجزية وصالحه اهل الجرباء واذرح وقدموا الجزية وكتب لهم كتب الأمن وهذه صورة ما كتب إلى يوحنا

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه أمنية من الله ومن محمد رسول الله ليوحنا بن رؤبة ولأهل إيلة سفنهم وسياراتهم في البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من اهل الشام واهل اليمن واهل البحر فمن احدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لا يحل ان يمنعوا ماء يريدونه ولا طريقاً يريدونه من بر او بحر

وايذانا بالموافقة على هذا العهد اهدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى يوحنا ابن رؤبة رداء من نسيج اليمن واحاطه بكل صنوف الرعاية بعد أن حصل الاتفاق

ان تدفع ايلة جزية قدرها ثلاثمائة دينار في كل عام

وبعث خالد بن الوليد في خمسماية فارس إلى اكيدر بن عبد الملك المسيحي في دومة الجندل واسرع خالد بالانقضاض عليها على حين غفلة من اهلها وكان أميرها خارجا مع اخيه في ليلة مقمرة يطاردان بقر الوحش فهاجمها خالد فناضلاه فقتل حسانا واخذ اخاه اكيدر اسيراً وهرب أهلها واستولى خالد على غنائم كثيرة ولحق بالنبي (ص) ولما مثل اكيدر امام الرسول عرض عليه الاسلام فأسلم واصبح فارسا واميراً من أمراء المسلمين وبذلك أمن على الحدود ولم يتعرض الروم إلى جيش المسلمين والمسلمون لم يتحرشوا بجيش الروم الذي وقف مدافعاً بعد أن كان مهاجماً ووقعت الرهبة في قلوب قواده وسكنت فورتهم وبعد ان دخل اهل ايلة في ذمة المسلمين لهم ما لهم وعليهم ما عليهم وبعد ان اسلم اكيدر واهل دومة الجندل اصبحوا مراقبين على الحدود ومعاقل بين العرب والروم ورجع النبي «ص» مظفراً منصوراً الى المدينة وفي أثناء رجوعه تآمر عليه بعض المنافقين الذين يظهرون الاسلام ويكتمون الشقاق والنفاق وقرروا فيما بينهم ان يطرحوه من عقبة في الطريق وقد علم «ص» بمكرهم ولما ارادوا ان يسلكوها معه امرهم أن يأخذوا بطن الوادي واخذ طريق العقبة واما النفر الذين مكروا فاستعدوا وستروا وجوههم ليخفوا جريمتهم وينفذوها ولكنهم أرادوا شيئاً واراد الله خلافه وامر اصحابه ان يسيروا معه فأخذ حذيفة بن اليمان بزمام الناقة ومشى أبو ذر وعمار بين يديه وحاولوا أن يستنفروا ناقته فلم يفلحوا ورموه بالحجارة ولكن الله نجاه من كيدهم « وَلا يحيقُ المكرُ السّيءُ إلا بأهلهِ »

واضطرب الذين تخلفوا عن الناس في غزوة تبوك واكثرهم يشوب معاذيره بالكذب وهو يعلم ما يضمرون فأعرض النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنهم تاركا حسابهم على الله خلا ثلاثة من المخلفين اعترفوا بذنبهم وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن امية هؤلاء أعرض عنهم المسلمون لا يكلمونهم ولا يجالسونهم فأتوا إلى النبي تائبين وأظهروا الندامة على ما فرطوا في جنب الله فعفا عنهم وتاب الله عليهم وفيهم جاء قوله تعالى « لقدْ تابَ اللهُ على النبيّ وَالمهاجرينَ وَالأنصار الذينَ اتبعوهُ في سَاعةِ العسرةِ من بَعدِ مَا كادَ يَزيغُ قلوبُ فَريقٍ منهم ثمّ تَابَ

عليهم إنه بهم رؤوف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم »

غزوة تبوك خاتمة غزواته صلى الله عليه وسلم فقد قطع الصحراء القاحلة بين الحجـــاز والشام التي عجزت عن سلوكها الدول الغابرة والحاضرة وعانى الظمأ والسغب والتعب والنصب في سبيل الله وساق معه جيشاً لجباً أرهب الدول المجاورة ووضع الحامية على الحدود ووقف الجيش الذي يتحفز لغزو الحجاز عند حده وعاد للمدينة باليمن والدعة وعرف المنافقين بمكرهم والمتخلفين بختلهم والنادمين بتوبتهم وكان ما وعده الله حقا بنصر دينه واعلاء كلمته والله لايخلف وعده

—(مسجد الضرار)—

في رجوع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم علم أن جماعة من المنافقين بنوا مسجداً بذي أوان على مسافة ساعة من المدينة وإلى هذا المسجد كانوا يختلفون ليس للعبادة ولكن للتفريق بين المؤمنين والاستهزاء بالمسلمين وقيل ان الذي بعثهم على بنائه الحسد لبني عمرو بن عوف الذين بنوا مسجد قباء وطلب هؤلاء المنافقون ان يفتتح مسجدهم بالصلاة فيه فهم أن يأتيهم فنزلت الآية فيه « أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » فعندها أمر جماعة من أصحابه فانطلقوا اليه وهدموه وبهدمه ارتعدت فرائص المنافقين فخافوا ولم يبق ملجأ يرجعون اليه إلا عبد الله بن أبي بن أبي سلول شيخهم وعظيمهم

—(وفاة عبد الله بن ابي)—

عبدالله بن ابي بن ابي سلول بعد غزوة تبوك لم يعمر غير شهرين ومات وقلبه يغلي حقداً وحسداً ومنذ هاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة لاينفك عن الدس والعدوان للنبي والمسلمين وبقي على ضلاله كل هذه المدة ولم يأذن النبي

لأحد أن يناله بأذى ونقل الزمخشري ان عبد الله بن ابي بعث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ليأتيه في مرضه الذي مات فيه فجاء ودخل عليه وقال له اهلكك حب اليهود فقال له يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لي لالتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جسمه الشريف ويصلي عليه فنزلت الآية الكريمة « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » وبموته انهار ركن المنافقين واستراح المسلمون من شرور كان يثيرها عليهم في كل حين

ان حلمه وصفحه ومعاملته الحسنة إلى ابن أبي رأس المشاغبين وجرثومة الفساد ابلغ مثل من أمثلة الحلم والاناة والإغضاء فقد عاهد وغدر ثم عاهد وغدر واخلص ومكر وعاش ما عاش يكيد للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللمسلمين في سره وعلانيته ويمالىء الأعداء ويتربص الفرص للوثوب عندما يعبس الدهر وكان من الخاسرين في الدنيا والآخرة

—(وفاة ابراهيم ابن الرسول)—

بلغ ابراهيم ثمانية عشر شهراً والنبي صلى الله عليه وآله وسلم مغتبط به والوفود العربية تتزاحم بالمدينة في رحابه يقدمون الطاعة ويعلنون اسلامهم وإذا فرغ من استقبال الوفود وتصريف امور المسلمين يجيء ليشاهد الطفل الذي يزداد له حباً ويأنس بمرآه وكان يحتضنه علي بن أبي طالب ويعجب به لشبهه بأبيه وتجلت عاطفة الحب الابوي بنفس النبي (ص) للطفل وتزداد هذه العاطفة كلما نظر اليه فلاعجب اذا أفعم قلبه الأمل والحب والغبطة والاستبشار به لأنه فقد أولاده الذكور والاناث ولم يبق محط آماله وموطن انسه غير الطاهرة بنت الطاهرة ابنته فاطمة وهذا الطفل الرضيع وفي هذه الأثناء مرض ابراهيم عند والدته مارية في مشربة ام ابراهيم وقامت على تمريضه والدته وخالته سيرين واخته الزهراء ولم يطل به المرض وتوفاه الله وهو في حجر امه فأخذه النبي (ص) ووضعه في حجره والألم ظاهر على قسمات وجهه وقال يا ابراهيم لانغنى عنك من الله شيئاً ثم قال يا ابراهيم لولا انه أمر حق ووعد صدق وان آخرنا سيلحق بأولنا لحزنا عليك أشد مما نحن فيه وبعد أن وجم هنيهة قال « تدمع العين ويحزن القلب ولانقول إلا ما يرضى

الرب وانا يا ابراهيم عليك لمحزونون ، لقد ظهرت في كلمة النبي (ص) لولده ابرهيم عاطفة الحب الأبوي وتأسّى صابراً محتسباً معتصماً بالله واليه مرجع الأمور

فالنبي صلوات الله عليه كان يأمر بهدوء ويطاع بسكينة ولا يفرض رغائبه الدنيوية فرضاً امتثالا لما جاء بالقرآن المجيد « وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » ان غزوة تبوك قطعت جهيزة كل خطيب وأصبح العلم النبوي يتاوج خفاقاً على جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها « وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً » ولم يبق للمنافقين أمل أو رجاء في نجاح مشاغباتهم وتوحدت كلمة العرب تحت لواء التوحيد عن علم واستبصار لأنهم عندما شاهدوا انسحاب جيوش الروم من الحدود إلى حصونهم خوفاً من سيوف المسلمين أيقنوا ان مقاومتهم لا تجديهم نفعاً بعد أن هلك رئيس النفاق بن أبي ومن على شاكلته وقد تاب بعضهم وانابَ واصر بعضهم على ضلاله يتلفع بالمداهنة والكفر والايمان لا يجتمعان

علي بن ابي طالب يبلغ عن الرسول

وفي ذي القعدة سنة تسع من الهجرة النبوية جاء الوحي للنبي (ص) بسورة براءة فأعطاها الرسول إلى ابي بكر ليقرأها على الناس في مكة في موسم الحج ثم اتبعه علي بن ابي طالب راكباً ناقته العضباء فقال له أصحابه بعثت ابابكر يارسول الله فقال لايؤدي عني إلا رجل مني وسار حتى ادرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه وقيل أن أبابكر رجع فقال هل نزل في شيء فقال صلى الله عليه وآله وسلم لا إلا خيراً ولكن لايؤدي عني إلا أنا او رجل مني وقيل إن عليا قرأ براءة على الناس وكان أبو بكر على الموسم وروى عاصم بن حميد عن أبي بصير عن الامام ابي جعفر بن علي الباقر قال خطب علي الناس واخترط سيفه فقال لايطوفن في البيت عريان ولا يحجن للبيت مشرك ومن كانت له مُدّة فهو إلى مُدّته ومن لم يكن له مُدّة فمدته أربعة أشهر وذكر عبد الله الحافظ عن زيد بن نفيع قال سألنا علياً باي شيء بعثت في ذي الحجة قال بعثت بأربعة لايدخل الكعبة إلا نفس مؤمنة ولا يطوف في البيت عريان ولا يجتمع مؤمن وكافر في المسجد الحرام بعد عامه هذا ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده إلى مدته ومن لم يكن له

عهد فأجله أربعة اشهر

وروي أنه قام عند جمرة العقبة وقال أيها الناس إني رسول الله اليكم لا يدخل البيت كافر ولايحج البيت مشرك ولا يطوف في البيت عريان ومن كان له عهد عند رسول الله فله عهده إلى مدته ومن لم يكن له عهد فأجله إلى أربعة أشهر وقرأ عليهم ثلاث عشر آية من أول براءة وقد اختوط سيفه وقرأ عليهم هذه الآيات البينات

بَرَآءَةٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَأَنَّ اللهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ

ويُخزهم وينصُركم عليهم ويَشْفِ صُدُورَ قومٍ مؤمنينَ

إن تحطيم الأصنام في الكعبة يوم فتح مكة لم يمنع المشركين حضور موسم الحج في كل عام بقوة الاستمرار وبقيت العرب مثابرة على حج بيت الله الحرام لا فرق بين مسلم ومشرك فالشمس يسطع نورها على جميع البشر غير ان الكل لا يتقبلون أنوارها على السواء والعهد بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين المشركين ألاّ يُصد عن البيت الحرام أحد ولكن العهود لها آجال وكما طهّرت الكعبة من الأنصاب والأزلام فينبغي تطهيرها من المشركين يؤمونها وقلوبهم وجهتها لغير الله وبحلول موسم الحج نزلت الآية الكريمة تحث على تبليغهم مؤيدة بأمر الله العظيم « إنما المُشركونَ نجسٌ فلا يَقربوا المسجدَ الحرام بعدَ عامِهم هذا » فكان علي ابن ابي طالب المبلغ عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما أمره به من تثبيت العقود والعهود إلى نهاية آجالها وكان ابو بكر على الموسم يدير الشؤون

إن مابعرفه النبي (ص) من أسرار الوجود ساعده على إيجاد التوازن المفقود في نفوس قومه لكي ينظم اساس الدولة المعنوي مع سياسته الرشيدة ولا يصل لهذا الهدف إلا من أحرز مواهب وقوى عظيمة خارقة للعادة وقد أصبح منارة هدى تتزاحم الوفود من نجد وتهامة ومن قبائل الجنوب للانضواء تحت راية الاسلام واصبح الايمان عقيدة ثابتة في قلوب الحجازيين في الحواضر والبوادي لأن شمس المعرفة لا تحجب أنوارها المنعشة عن الجميع

دحض انتقاد

ذهب بعض المستشرقين بان النبي (ص) قامت سياسته في منع المشركين عن الحج في الموسم للكعبة على التعصب المقيد لحرية الرأي ولا يتفق مع التسامح الذي عامل به قومه يوم فتح مكة وفي أكثر المواقف التاريخية

من يثق بنفسه ويعتمد على وعد ربه لا يهمه انتقاد المستشرقين ولا جلبة الغوغاء ولا قرقعة الصاخبين لأن نفسه مطمئنة لما فيها من قوى راسخة وعوامل قوية لقد افنى النبي (ص) عهد شبابه وكهولته ودلف إلى الشيخوخه وهو يدعو إلى الدين القيم بالحجة البالغة والموعظة الحسنة ليقلعوا عن عبادة الأحجار التي ينحتونها

بأيديهم إلى عبادة الواحد القهار فلم يرعووا ولم يفيؤا وكلما آنسوا من أنفسهم قوة لايتورعون عن الانتقام ينقضون عهدهم ويصرون على وثنيتهم المدامة ويبررون تبليغهم بهذه الصورة من الشدة ازدراءهم بالعقل البشري بمحافظتهم على تقاليد وعادات شاذة تخالف العقول السليمة كتعدد الزوجات إلى ما لاحد له ووأد البنات والاباحة والربا الفاحش والغدر وغير ذلك من العادات التي تهدم نظام العائلة وتجعل الانسان أحط من العجماوات والانصاف يقضي بالثورة على الباطل وان مايدعوهم في الشدة والرخاء اليه تنويراً لأذهانهم وهداية لهم لاتعصباً عليهم وليس تقييداً لحرية الرأي بل اطلاقاً له من قيود بالية فالحاكم إذا حكم على القاتل بالقصاص أو بارشاده إلى الطريق السوي فالغاية اصلاحه خدمة للمجتمع ووقايته من شرور متتابعة والدليل على بطلان هذا الانتقاد قيام علي بن أبي طالب بتبليغ ماأمره به الرسول (ص) للمشركين بدون جزر ولا قهر بل بالتذكير والارشاد وقد جاء تبليغه يومئذ بأحسن الثمرات برجوع أكثر المشركين للتوحيد والايمان

(ماجريات حوادث السنة التاسعة)

في هذه السنة توالت وفود العرب على النبي (ص) للدخول في الاسلام يقدمهم بنو طي وبنو اسد وبنو تميم وغيرهم وفيها توفيت السيدة ام كلثوم بنت النبي زوج عثمان بن عفان وفيها غزوة تبوك وهدم مسجد الضرار وفيها نزلت سورة براءة وفيها هلاك رأس المنافقين عبد الله بن ابي ورفيقه ابو عامر الراهب وفيها وفاة ابراهيم ابن النبي

الفصل السادس

من اول السنة العاشرة الى انتقاله للرفيق الاعلى

لغاية ما اخترناه من احاديثه المأثورة

(السنة العاشرة سنة الوداع)

كل تطور يحتاج إلى فترة من الزمن تكبر او تصغر حسب طبيعة الأشياء والطريق السوي الذي سلكه الرسول «ص» وارشدنا اليه هو طريق النجاة للوصول الى الحياة الأبدية لقد تحقق ما كان يقوله لقريش يامعشر قريش والله لا يأتي عليكم غير قليل حتى تعرفوا ما تنكرون وتحبوا ما انتم له كارهون لأن العرب عامة توجهت قلوبها للدين الحنيف مؤمنة بالله العلي العظيم وارتفع الحجاب عن افئدة وان عليها الشرك فادركت الحقائق بارزة ظاهرة وعلمت بان كل ما عدا الله باطل وانتصر التوحيد بانهزام الوثنية وبقي افراد متعنتون يدعون السيادة على غيرهم ويقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم يخافون على عنجهيتهم ان يقضي عليها الاسلام فكتموا غيظهم وسكتوا على مضض

هذا ووفود العرب الى المدينة متصلة لا ينقطع لها مدد للدخول في الاسلام وتقدم وفد ثقيف التي حاصرها المسلمون بالطائف ورجعوا عنها عندما اخبرهم النبي «ص» انها ستأتي طائعة بدون اهراق دم وصدق في قوله وهو الصادق الأمين فقدوفد عروة بن مسعود الثقفي من رؤساء ثقيف على النبي معتذراً عما فرط منه ورجع مسلماً الى قومه وتلاه عبد ياليل ومعه اشراف ثقيف وطلبوا الدخول في الاسلام على ان يدع صنمهم اللات ثلاث سنين لا يهدمها فأبى عليهم ذلك ثم طلبوا ان يبقيها لهم شهراً فكان اباؤه اشد واقوى لان الشرك والتوحيد لا يجتمعان في قلب واحد ثم استأذنوه ان يعفيهم من هدمها ومن تحطيم اصنامهم بأيديهم فاجابهم إلى ذلك والهدم ان كان بايديهم او بايدي غيرهم سيان وبعد أن اسلموا ارسل النبي «ص» رسولا من اصحابه لهدم اللات وتحطيم جميع ماعندهم من

الاصنام وعندما باشر بهدم اللات بكت نساء ثقيف واعلن الحزن وقد هدمت وزال اثرها ولم يبق اثر للاصنام وباسلام اهل الطائف تكامل اسلام الحجاز

ان ثقيفاً لما نزع الله من قرارة نفوسها عبادة الأوثان ثابت الى الحق مصدقة برسالة الرسول «ص» ومع العلم بان الاسلام وعبادة الاوثان لا يتفقان فقد حاولت تأجيل هدم اللات معبودها بطرق شتى فلم تفلح وبعد اليأس طلبت اعفاءها من الهدم بيدها فكان لها ما ارادت وقد صار الهدم بواسطة بعض اصحابه واقام نساء ثقيف مناحة عندما شاهدن هدم صنمهم اللات واظهرن الجزع والبكاء لماذا ولا ريب بان للعادة سلطانا على العقول والعواطف ولله في خلقه شؤون

— (سرية علي بن ابي طالب الى اليمن) —

أرسل النبي «ص» علياً بن ابي طالب الى اليمن في ثلاثمائة فارس وعقد له اللواء بيمينه وعممه بيده وقال له سر بكلاءة الله حتى تنزل بساحتهم وتحل فنائهم فادعهم إلى الاقرار بالشهادتين فان اجابوا فمرهم بالصلاة ولا تبغ منهم غير ذلك ولئن يهدي الله بك رجلا واحداً خير لك مما طلعت عليه الشمس ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك وقال له ايضاً اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من كل منهما فسار حتى انتهى اليهم ولقي جموعهم ودعاهم الى الاسلام فابوا وبادروه بالعداء ورموه واصحابه بالنبال فعندها عبأ كتيبته وحمل عليهم وفرق جموعهم وقتل منهم عشرين رجلا وانهزموا وكف عنهم ثم لحقهم وطفق يفاوض زعماءهم ويرشدهم ببلاغته المشهورة واقواله المأثورة ويبين لهم ما اشتمل عليه الدين الاسلامي من السهولة والتسامح والمساواة والاخاء والعزة والمنعة فاجابه رؤساؤهم ودخلوا بالاسلام مختارين وتبعهم عامة الناس واهتدوا بهديهم وعلمهم القرآن وامرهم بالصلاة وعرضوا عليه الزكاة فتسلمها منهم وأول من اسلم من القبائل قبيلة همدان كلها بيوم واحد ولما بلغ رسول الله (ص) استبشر وخر ساجدا لله ثم رفع رأسه وقال السلام على همدان ثلاث مرات وبعد أن توطدت الأمور قفل راجعاً بمن معه من المسلمين فوافى النبي في مكة في حجة الوداع

وقد دخلت في الاسلام اليمن ومهرة والبحرين واليمامة خلا نفر اخذتهم العزة

بالاثم وغرهم بالله الغرور واستنكفوا عن الدخول بالاسلام ومنهم عامر بن الطفيل الذي جاء مع وفد بني عامر الى المدينة فاسلموا جميعا وشذ عنهم عامر ولم يؤمن بالله وحدثته نفسه انه ند للرسول «ص» وخرج يتوعد ويقول لأملأنها خيلا ورجالا وبلغ النبي «ص» فاعرض عنه وقال اللهم اكفني عامر بن الطفيل وفي طريقه إلى قومه اصابه الطاعون في عنقه ومات على ضلاله ومنهم أربد بن قيس فقد أصر على الشرك وانصرف الى قومه بني عامر وما لبث إلا قليلا حتى انقضت عليه صاعقة فاحرقته

ومن هؤلاء مسيلمة بن حبيب المعروف بمسيلمة الكذاب فقد جاء مع أهل اليمامة ودخل الوفد على النبي «ص» وخلفوا مسيلمة على رحالهم وبعد ان هداهم الله للاسلام وارادوا الرجوع الى بلادهم اكرمهم الرسول واعطاهم وذكروا مسيلمة فاعطاه كواحد منهم وبعد رجوعهم إلى اوطانهم ادعى مسيلمة النبوة وان الله اشركه مع محمد وكان سخيفاً وجعل يسجع الى قومه كلاما يحاول فيه محاكات القرآن كقوله « لقد انعم الله على الجبلي اخرج منها نسمة تسعى من بين صفاق وحشى » واحل المحرمات كالخمر والزنا ونسخ عن قومه الصلاة وانطلق في غيه يدعو الناس لتصديقه

إن هؤلاء الشذاذ بين مغرور وسخيف لا وزن لهم بين العرب لا بل بين قومهم الاقربين وقد عجل الله لهم العذاب في الدنيا وذهبوا ضحية ضلالهم وذاقوا وبال امرهم

واما ملوك حمير فقد بعثوا بكتاب للرسول «ص» يعلنون فيه اسلامهم فاقرهم عليه وارسل اليهم من اصحابه السابقين للاسلام رجالا يفقهونهم في الدين وقد تجاوزت الوفود إلى المدينة السبعين وفداً

واما اهل الكتاب فقد نزلت فيهم هذه الآيات وقيل انها مما بلغه علي بن ابي طالب للناس يوم الحج الاكبر وهي « لتجدنّ اشدّ النّاس عداوةً للذينَ آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدنّ أقربَهم مودّةً للذينَ آمنوا الذينَ قالوا إنا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورُهباناً وأنهم لا يستكبرُونَ » فالنبي «ص» امتثالا لأمر الله اثنى على المسيحيين بانهم اقرب مودة للمؤمنين برسالته من

غيرهم من اليهود والمشركين الذين يتظاهرون بالعداوة لكل من آمن بالله واليوم الآخر ورسالته جاءت مصدقة لمن جاء قبله من الأنبياء عيسى وموسى وابراهم «ع» وجاء في الذكر الحكيم قوله تعالى (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون» هذه الآية حثت على التوحيد ونبذ الشرك ورغبت في اعتناق الدين القويم الذي نسخ الأديان السابقة وقد جاءت وفود من اليهود والنصارى إلى المدينة واسلموا عن هدى وبصيرة وبقي نصارى نجران فكتب اليهم النبي (ص) يدعوهم اليه

(المباهلة)

في يوم مشهود شهد سلمان الفارسي وأبو ذر الغفاري المباهلة في أول شوال من السنة العاشرة في المدينة عند مقبرة البقيع قال ابو الحارث بن علقمة اسقف نجران ادع إلي الساعة شرحبيل وكان هذا خازن أسراره وموضع مشورته فلما جاءه قال له دعوتك الساعة يا شرحبيل لأمر زاغني وافزعني فقد جاءني اليوم كتاب من محمد بن عبد الله يدعوني لدين يسميه الاسلام ويخيرني بين الجزية والحرب ولا اكتمك اني دهشت مما بعد وذعرت مما يتوعد فاقتدح زناد فكرك واشر علي بما عندك فقد ضقت ذرعاً

قال شرحبيل لست يا سيدنا بصاحب رأي في هذا ولو كان أمر من أمور الدنيا لرجوت ان يكون لي فيه نصيب او رأي حازم اقوله على انني علمت ما وعد الله به من النبوة في ذرية اسماعيل فما ادري ان يكون هو ذاك فدعا اليه آخر من أهل نجران ثم ثالثاً فما زادا على ما قال صاحبهما ولذلك أمر بالنواقيس أن تدق وبالمسوح ان تعلق بالصوامع ايذانا بالدعوة كما كانوا يفعلون في مهام الامور في ذلك العهد فاجتمعوا وقام الاسقف واخبرهم بكتاب محمد فتشاوروا فيما بينهم وقلبوا الامور على وجوهها وضربوا أخماساً باسداس وقر الرأي أن يذهب وفد منهم إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحاجونه ويجادلونه وصدر الوفد عن نجران يزعمهم شرحبيل أمين سر الأسقف ثم تبعهم الاسقف نفسه وكان الوفد اربعة عشر رجلا وبوصولهم للمدينة طلبوا الاذن للدخول على الرسول فلما دخلوا قال شرحبيل

الرسول قد علمت أنا نصارى وبسرنا أن تكون نبياً فما تقول في عيسى قال أقول فيه بقول الخلاق العظيم « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ثم أعلمهم أنه قد جاء الفصل في أمر عيسى (ع) من عند الله فان لم يذعنوا فالمباهلة هي حكم الله القاطع فقالوا دعنا نشتور فيما بيننا ثم نقضي اليك برأينا غداة غد

وفي اليوم الثاني أتى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم آخذاً بيد الحسن والحسين تتبعهما السيدة فاطمة وعلي بن أبي طالب بين يديه عليهم السلام فلما رآه شرحبيل رجع إلى الوفد وقال لهم لقد علمتوني بعيد النظر صادق الرأي وقد رأيت نور النبوة ينبثق من شمائل محمد والحق يفيض من قوله وعمله والآن رأيت معه وجوهاً من أهله لو سئل الله بها ان يزيل الجبال لأزالها فالأمر خطير جداً قالوا فما الرأي قال الرأي ان لا تباهله فلا تباهلوا فتهلكوا والصلح معه خير فأحجموا عن المباهلة وشرط عليهم النبي (ص) الفي حلة تؤدى في رجب وصفر على أن يظل كل ما بأيديهم لهم من قليل أو كثير ولهم بعد ذلك جوار الله ورسوله غير مبتلين بظلم ولا ظالم ما اصلحوا ونصحوا فرأوه حكماً عدلا وقولا فصلا ورجعوا إلى قومهم يحمدون

وجاء في الجزء الأول من الكشاف للامام الزمخشري صفحة ١١٨ في تفسير آية المباهلة قال ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما جاءه نصارى نجران وتكلم معهم دعاهم للمباهلة قالوا حتى نرجع وننظر قالوا للعاقب حينما تخالوا وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمد نبياً مرسل لقد جاءكم بالفصل من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبياً قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن وان أبيتم الا الف دينكم والاقامة عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم فأتوا رسول الله وقد غدا محتضناً الحسين آخذ بيد الحسن وفاطمة وعلي خلفه وهو يقول إذا دعوت فأمنوا فقال الأسقف يا معشر النصارى اني لأرى وجوها لو شاء الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله

بها فلا تباهلوا فتهلكوا وقالوا يا أبا القاسم رأينا أن لانباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا فقال لهم إذا ابيتم المباهلة بكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فأبوا قال فاني اناجزكم قالوا ما لنا بحرب العرب طاقة ولكننا نصالحك على أن لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عـــن ديننا على أن نؤدي لك كل عام الـف حلة في صفر والف حلة في رجب وثلاثين درعاً عادية من حديد فصالحهم على ذلك وأعطاهم الأمان

قال الامام الزمخشري ان اقدام النبي صلى الله عليه وآله وسلم على المباهلة أكد في الدلالة على ثقته بنفسه واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تقديم أعزته وأفلاذ كبده وأحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يملك خصمه مع احبّته واعزتـــه هلاك الاستئصال ان تمت المباهـلة وخص الأنبياء والنساء لأنهم اعز الأهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بمهجته وحارب دونهم حتى يقتـل وقدمهم في الذكر على الأنفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بأنهم مقدمون على الأنفس مفدّون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل أهل الكساء عليهم السلام وعلى صحة نبوته صلوات الله عليه

وجاء في الجزء الثاني من صحيح مسلم صفحة ٣٣١ قالت السيدة عائشة خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي بن أبي طالب فأدخله معهم ثم نزلت الآية الكريمة الباهرة « إنما يريدُ اللهُ لِيذهبَ عنكم الرجسَ أهلَ البيتِ ويُطهركم تطهيراً »

« ان يوم التطهـــير يوم عظيم خص بالفضل فيه أهل الكساء »

لا مرآء بأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تقدم بولديه وامهما وابيهما للمباهلة وهم أهل الكساء بوحي ربه وقد جاءت الآية التي نزلت بحقهم مصدقة لذلك لأنهم اقرب الناس اليه وأعزهم عليه ولما لهم من المنزلة عند الله في عبادتهم واخلاصهم لرسوله فالأبناء الحسن والحسين والنساء بضعته فاطمة والأنفس هي نفسه الطاهرة التي هي اشرف النفوس وأعلاها وجعل الله علياً بن أبي طالب في هذه الآية نفس

الرسول تعظيما له وهذا غاية الفضل والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء

اقول عوداً على بدء ان التوحيد الذي بني عليه الاسلام والتثليث التي قامت عليه النصرانيه لم يمنع النبي (ص) من المحافظة على المسيحيين والاحسان اليهم ومعاملتهم بالحسنى وتقريب القلوب بينهم وبين المسلمين وقد زرع بذور الحب والوئام بينهما وكان في سراياه يوعز للقواد ان لا يزعجوا الرهبان في أديرتهم والقساوسة في صوامعهم لأن الله بعثه رحمة للعالمين كافة لا فرق بين اهل الكتاب وغيرهم والقتال فرض للذود والدفاع لا للتشفي والانتقام

حجة الوداع

من الناس من لا يفرق بين فضيلة الثبات على المبدأ ورذيلة التعصب للمبدأ وهذا خلط شائن اذ الثبات على المبدأ قوة إيجابية تنبع من الفكر لتستقر في العاطفة أما التعصب للمبدأ فقوة سلبية تنبع من العاطفة لتستقر في العاطفة والنبي «ص» نال شرف الفضيلة في الثبات على المبدأ لأنه من وحي الله اليه لتأدية رسالته على الوجه الاكمل وقد قام بها احسن قيام واخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور التوحيد وهزم الشرك ليس من مكة فحسب بل من الجزيرة العربية عامة ومضت السنون موفورة بالحوادث الجسام تملي على التاريخ عبر وعظات وما هو إلا سجل ناطق بما حمله نبينا الأعظم «ص» من الجهاد والنصب في خدمة الانسانية واصلاح المجتمع ومع جلالة قدره وعظم شأنه ربض في مسجده كالطود الراسخ والوفود تستظل بظله ما بين مسترفد وسائل ومسترشد لأن التوحيد نشر ظلاله على الجزيرة واجتازها الى تخوم فارس والروم وهو يشتغل بتنظيم امور العرب والمسلمين في معاشهم ومعادهم معبداً لهم الطريق اللاحب في حياتهم الجديدة

وهكذا تدرج «ص» من العشيرة الى الوطن الى القومية الى الدولة العالمية ونفح من روحه قوة ليملكوا بها بلاد الاكاسرة والقياصرة لنشر العدالة فيها والقضاء على كل ظالم عسوف لتأسيس كيان الدولة على التقوى والمساواة بين الناس لا تتعرف على العصبية والعنصرية ووضع لها نظاماً شاملا يستوعب العالم كله ليعيش بسلام وجعل لها نظاماً عادلا يوجب على المرء ان يوزع قواه بين ثمرات الأرض

وانوار السماء قوامه تقوى الله وعبادته

وفي هذه السنة تجهز للحج الأكبر وأمر المؤذنين أن يؤذنوا بأعلى اصواتهم بان النبي يحج في هذا العام فهرعت القبائل تتلو بعضها بعضاً من كل فج عميق وعلى كل ضامر من المدائن والبوادي ومن الجبال والصحاري وضربوا قبابهم حول المدينة حتى تكاملت الجموع خرج رسول الله «ص» في اربع بقين من ذي القعدة ونساءه معه وساق الهدي مائة من الابل وذكر بعض المؤرخين أن هذا الجمع كان اربعة عشر ومائة الف فلما بلغوا ذا الحليفة نزلوا وأقاموا ليلتهم فيها وفي غد بعد زوال الشمس اغتسل النبي «ص» واتى المسجد الذي عند الشجرة وصلى به والمسلمون يقتدون به ثم احرم واحرموا معه ولبس كل ازاره وتحققت المساواة بين المالك والمملوك والامير والصعلوك ونادى صلوات الله عليه ضارعاً لله عز وجل والمسلمون وراءه «لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك ان النعمة والحمد لك والملك لا شريك لك لبيك» وكان النداء يتضاعف وصدى اصوات هذه الجموع يتردد في الجبال والوديان يحمل الروعة والخضوع في القلوب والأسماع

واقبل علي بن ابي طالب عائداً من اليمن بعد ان فتحها الله على يديه إلى مكة ومعه العسكر الذي صحبه وعند ما قارب رسول الله (ص) مكة جاءها علي عن طريق اليمن وتقدم لملاقاة النبي وخلف على الجيش رجلا منهم فادرك النبي «ص» وقد أشرف على مكة فسلم عليه واخبره بما صنع من الاصلاح وبقبض ما قبض من الزكاة فسر بذلك وابتهج بلقائه وقال له بما اهللت يا علي فقال له يا رسول لم تكتب لي باهلالك ولا عرفته فعقدت نيتي بنيتك وقلت اللهم اهلالا كاهلال نبيك وعبدك ورسولك محمد بن عبد الله فقال له أمعك هدي فنفى علي فقال له النبي «ص» أنت شريكي في هديي ومناسكي فقم واحرم وعد الى جيشك لنجتمع في مكة فودعه علي وعاد الى جيشه فوجدهم قد لبسوا الحلل التي جاء بها من اليمن الى بيت مال المسلمين فانكر عملهم وقال للذي استخلفه عليهم ويلك ما دعاك الى اعطائهم الحلل قبل ان نعطيها للنبي (ص) ولم أكن اذنت لك قال سألوني ان يتجملوا بها ثم يردوها فانتزعها من القوم وشدها بالاحمال واضطغنوا عليه فلم يأبه لهم لتجاوزهم على حقوق المسلمين فلما دخلوا مكة كثرت شكاياتهم عليه فامر الرسول مناديا

ينادي في الناس اعقلوا السنتكم عن علي بن ابي طالب فانه خشن في ذات الله لا يداهن في دينه احداً فكف القوم وعلموا مقامه عند الله وعند رسول الله واقام على احرامه متأسياً برسول الله

و كثير من المسلمين خرجوا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير هدي فنزلت عليه الآية الكريمة « وَاتموا الحجَّ والعمرة لِلّهِ » وقال الرسول دخلت العمرة بالحج إلى يوم القيامة ثم قال لو استقبلت من امري ما استدبرته ما سقت الهدي ثم امر مناديه أن ينادي من لم يسق الهدي منكم فليحل وليجعلها عمرة ومن ساق منكم هدياً فليقم على احرامه فأطاع بعض الناس وتردد بعضهم وقال قائلون ان رسول الله يبقى على احرامه اشعث اغبر ونحن نلبس الثياب ونقرب النساء فغضب صلوات الله عليه وقال ما أمركم به فافعلوه ودخل قبته مغضباً فلما بلغ المسلمون قوله حل الألوف من الناس احرامهم وحل النساء احرامهن وحلت ابنته فاطمة عليها السلام احرامها ونساؤه ايضا ولم يبق على احرامه إلا من ساق الهدي معه كما أمرهم

وفي الرابع من ذي الحجة دخل الحجيج الى مكة فأسرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بكل خشوع إلى الكعبة والمسلمون معه يعملون بعمله فتقدم واستلم الحجر وطاف بالبيت سبعا وصلى عند مقام ابراهيم وعاد وقبل الحجر مرة اخرى وخرج إلى ربوة الصفا وسعى بين الصفا والمروة وفي التاسع من ذي الحجة يوم التروية ذهب النبي (ص) إلى منى ثم إلى عرفات والناس معه يسيرون لا تفرقهم عصبيات الجاهلية يلبون لله الواحد الأحد ولا يذكرون الآلهة التي يعبدونها من دون الله وقريش تتابع القوم في صمت وخشوع مذعنة لأمر الرسول لا تصدية ولا مكاء ولا تسمع غير لبيك اللهم لبيك لا شريك لك لبيك وقد احاط المسلمون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم على جبل عرفات يقولون بقوله ويأتمرون بأمره وضربت له قبة بنمرة وهي قرية بشرق عرفات وبعد زوال الشمس امر بناقته القصواء فرحلت وسار إلى بطن الوادي من ارض عرنة وهناك نادى الناس وما يزال على ناقته بصوت جهوري واجتمع الناس واصاخوا للخطبة التي لم يخطب

مثلها في مثل هذا الجمع الحاشد والوصية التي يوصي بها امته في حجة الوداع يوم الحج الأكبر وامر ربيعة بن امية بن خلف فوقف تحت صدر راحلته وكان صيباً فقال له يا ربيعة قل يا أيها الناس ان رسول الله يقول لكم لعلكم لاتلقونني على مثل حالي هذه وعليكم هذا

(خطبة الرسول)

بعد أن حمد الله واثنى عليه قال اوصيكم عبـــاد الله بتقوى الله واحثكم على طاعته أيها الناس هل تدرون اي بلد هذا وهل تدرون أي شهر هذا وهل تدرون أي يوم هذا فقال الناس نعم هذا البلد الحرام والشهر الحرام واليوم الحرام قال فان الله حرم عليكم دماءكم واموالكم كحرمة بلدكم هذا وكحرمة شهركم هـذا وكحرمة يومكم هذا ألا هل بلغت قالوا نعم قـال اللهم اشهد واتقوا الله « ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين » فمن كانت عنده امانة فليؤدها ثم قال الناس في الاسلام سواء الناس طف الصاع لآدم وحوآء لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي إلا بتقوى الله الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قـــال لا تأتوني بانسابكم وأتوني بأعمالكم فأقول للناس هكذا ولكم هكـذا ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قال كل دم كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول دم اضعه دم آدم بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد قال كل رباً كان في الجاهلية موضوع تحت قدمي وأول رباً أضعه رباالعباس بن عبد المطلب ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قال أيها الناس وانما النسيء زِيادةٌ في الكفرِ يُضلّ به الذينَ كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، الا وان الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يومَ خلقَ السماواتِ والارضَ منها اربعة حرُم رجب الذي بين جمادى وشعبان يدعونه رجب مضر وثلاثة متوالية ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قال أوصيكم بالنساء خيراً فانما هنّ عوار عندكم لايملكن لأنفسهن شيئاً وانما أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله ولكم عليهن حق

ولهن عليكم حق كسوتهن ورزقهن ولكم ان لا يوطئن فراشكم احداً ولا يأذنّ في بيوتكم إلا بعلمكم واذنكم فان فعلن شيئاً من ذلك فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد قال فأوصيكم بمن ملكت ايمانكم فاطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون الا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قال المسلم اخو المسلم لا يخونه ولا يغشه ولا يغتابه ولا يحل لدمه ولاشيء من ماله الا بطيب نفسه ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد

ثم قال ان الشيطان قد يئس أن يعبد اليوم ولكن يطاع فيما سوى ذلك من أعمالكم التي تحتقرون فقد رضي به ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قال اعدى الأعداء قاتل غير قاتله وضارب غير ضاربه ومن كفر نعمة مواليه فقد كفر بما انزل الله على محمد ومن انتمى إلى غير ابيه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ألا هل بلغت قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد ثم قال ألا اني انما امرت أن اقاتل الناس حتى يقولوا لااله إلاالله واني رسول الله وإذا قالوها عصموا من دمائهم وأموالهم إلا بحق وحسابهم على الله ألا هل بلغت قالوا نعم قال اللهم اشهد ثم قال لا ترجعوا بعدي كفاراً مضلين يملك بعضكم رقاب بعض اني قد خلفت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا هل بلغت قالوا اللهم نعم قال اللهم اشهد ثم قال انكم مسؤلون فليبلغ الشاهد منكم الغائب

ولم ينزل صلى الله عليه وآله وسلم مكة وقيل له في ذلك لو نزلت بها يارسول الله في بعض منازلك فقال ما كنت أنزل بلداً اخرجت منها

ولما انتهى من خطبته نزل عن ناقته القصواء واقام حتى صلى الظهر والعصر ثم ركبها حتى بلغ الصخرات وترك عرفات في الوقت المفروض وقضى ليله بالمزدلفة وقام في الصباح فنزل في المشعر الحرام وذهب إلى منى والقى في طريقه الجمرات حتى بلغ خيامه نحر ثلاثا وستين ناقة عن كل سنة من سني حياته واحدة ونحر علي بن أبي طالب ما بقي من الهدي المائة التي ساق النبي (ص) من المدينة وبعدها حلق رأسه وأتم حجه وتسمى حجة الوداع وحجة البلاغ وحجة الاسلام وهي ذلك كله « وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ »

-(غدير خم)-

لقد اعتمر النبي (ص) أربع عمر وهي عمرة الحديبية وعمرة القضاء من قابل وعمرة الجعرانة والرابعة مع حجة الوداع وهكذا اتفقت الرواية عن عبد الله بن عباس وعن الامام جعفر الصادق عليه السلام وفي طريقه إلى المدينه قرب الجحفة قبل أن تتفرق الناس في ماء يقال له « غديرخم » لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة خطب (ص) في هذه الجماهير كما جاء في المجلد الثاني من صحيح مسلم صفحة ٣٢٥ قال زيد بن ارقم قام رسول الله يوما فينا خطيبا بماء يدعى خمـــا بين مكة والمدينة فحمد الله واثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال أيها الناس فانما انا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب واني تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب ربي فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به فحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في أهل بيتي ثم اذكركم الله في أهل بيتي ثم اذكركم الله في أهل بيتي فقيل ومن أهل بيته يا زيد اليس نسائه من أهل بيته قال نسائه ليس من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قيل ومن هم قال آل علي

وجاء في الجزء الثاني من السيرة الحلبية ٣٩٥ للعلامة المحقق علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي أن النبي (ص) بعد رجوعه من حجة الوداع ووصل إلى محل بين مكة والمدينة يقال له غديرخم قرب رابغ جمع الصحابة وخطبهم خطبة بين فيها فضل علي بن أبي طالب (ع) وقال الست اولى بكم من أنفسكم ثلاثا ثم يجيبونه نعم بالتصديق والاعتراف ورفع يد علي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه

وروى ابن ماجه قال حدثنا علي بن محمد أنبانا حماد بن سلمه عن علي بن زيد بن جدعان عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال اقبلنا مع رسول الله (ص) في حجة الوداع فنزل في الطريق وامر بالصلاة جامعة وأخذ بيد علي بن ابي طالب وقال الست اولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال الست اولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى قال فهذا ولي من انا مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

وقال ابن كثير الشامي في تاريخه اعتنى بهذا الحديث يعني حديث الغدير ابو

جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ والتفسير فجمع فيه مجلدين أورد فيه طرقه والفاظه وكذلك الحافظ الكبير ابن عساكر وذكر هذا الحديث اليعقوبي في تاريخه وذكره ايضاً القاضي عياض في الشفاء واكثر المؤرخين في تواريخهم

وجاء في مجمع البيان للعلامة الجليل الثقة الامام الشيخ ابو علي الطبرسي في تفسير قوله تعالى « اليومَ اكملتُ لكم دِينكمْ وَاتممتُ عَليكم نِعمتي وَرضيتُ لكمُ الإسلامَ دينا » قال فيه اقوال ثلاث

الأول اكملت لكم فرائضي وحدودي وحلالي وحرامي بتنزيلي ما انزلت وبيان ما بينت فلا زيادة في ذلك ولا نقصان

الثاني اليوم اكملت لكم حجكم وافردتكم في البلد الحرام تحجونه دون المشركين

والثالث المروي عن الزجاج وعن الامامين ابي جعفر وابي عبدالله الصادق انه أنزل بعد ان نصب النبي علياً علماً للأنام يوم غدير خم وهي آخر فريضة انزلها الله تعالى

لقد رسخت في الأذهان عظمة شخصيته «ص» لأنه لم يقصر نظره على المرئيات المنتصبة امامه بعد ان بذل صابة القلب وعرق القربة في تبليغ رسالته وهداية قومه ولا عجب فهو مصدر الحكمة ومطلع النور الالهي كالشمس اشراقاً وجاه لم يستأثر بضيائه قطر دون قطر ولا قوم دون قوم فالعالم كله يهتدي بهديه ويسير بسيرته فكل حسن من جني غرسه وكل حكمة من فيض قدسه وقف «ص» يوم الحج الاكبر صادعاً بامر ربه مبلغاً ومرشداً وواعظاً على مرأى ومسمع من جماهير المسلمين الذين أقبلوا في حجة الوداع ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله ليزدادوا ايمانا على ايمانهم بالقرب من نبيهم الأعظم « ص » وقد سالت بهم الاباطح الوفا الوفا وجماعات جماعات رجالا ونساء ركبانا ومشاة وانضم الى الأربعة عشر ومائة الف الذين جاءوا معه من المدينة حجاج اليمن وتهامة والبحرين وغيرهم وحدد لهم الحدود عملياً وعلمهم مناسك الحج وامرهم بتعظيم شعائر الله لأنها من تقوى القلوب وحلل لهم تعاليم الدين الاسلامي تحليلا يوافق كل زمان ومكان وما هو إلا دين الفطرة والمساواة دين المدنية والحضارة يحمل للنوع البشري ما يحتاجه لسعادة الدارين لم يفرق بين رفيع ووضيع وغني وفقير وحر وعبد فالأمر والنهي والثواب والعقاب والعطاء والمنع والرحمة والغفران بيد الله الرحيم الرحمن

وحث على التمسك بكتاب الله وعترته اهل بيته كي لا يضلوا من بعده ولا يتسرب لجامعتهم الوهن والانحلال ونبه افكارهم للسياسة الدنيوية المعتدلة واطاعة الحاكم العادل الذي تتوافر فيه الشروط المطلوبة وارشدهم للشؤون الاجتماعية بتأدية ما فرضه الله للفقير من مال الغني والصدق بالقول والعمل والعطف من الكبير على الصغير ومبادلة الحب بين الناس والمحافظة على النساء لأنهن ودائع الله عندازواجهن فجزاه الله عن الاسلام واهله والعالم اجمع خير الجزاء.

(الانبياء الكذبة)

وبعد رجوعه «ص» من حجة الوداع إلى المدينة في أمان الله ودعته ظلت الجماهير تتلو بعضها بعضا الى يثرب تتفيأ ظل الاسلام وتعلن طاعتها وتعود إلى أوطانها بسلام بعد أن تتزود من تعاليم الدين المبين وفي أثنائها وثب كل من عيهلة ابن كعب المعروف بالأسود العنسي ومسيلمة بن حبيب باليمامة وطليحة زعيم بني اسد في نجد وكلهم ادعى النبوة لنفسه أما العنسي فكان كاهنا منطيقاً مشعبذا التف حوله جماعة وكل ادعاء اساسه البهتان لا بد ان ينكشف سريعاً بهتانه وقد تفرقوا عند ما علموا أن دعواه كاذبة ثم قتله فيروز الديلمي واما مسيلمة فقد وفد على النبي «ص» مع من اسلم من اهل اليمامة ثم رجع الى بلده وقد رأى من أنوار النبوة وعظمة النبوة ما عشي بصره فابتهر وادعى كذبا وسمي مسيلمة الكذاب و كتب للنبي «ص» كتابا صورته

من مسيلمة رسول الله الى محمدٌ رسول الله أما بعد فان لنا نصف الأرض ولقريش النصف ولكن قريشا قوم لا يعدلون » وبعث الكتاب مع رجلين من قومه فقال لهما النبي أتشهدان أني رسول الله قالا نعم قال أتشهدان أن مسيلمة رسول الله قالا نعم اشرك معك بالرسالة فقال لهما لولا ان الرسول لا يقتل لضربت اعناقكما ثم كتب له جوابا على كتابه « من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب اما بعد « فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين »

وجاءت امرأة إلى مسيلمة وقالت له بارك ولدي فان محمداً بارك على اولاد اصحابه ففلحوا فمسح على رأس ولدها فاصابه القرع

وبعد وفاة النبي «ص» قتل ابو دجانة الأنصاري مسيلمة الكذاب اما طليحة زعيم بني أسد فقد رجع عن ادعائه وتاب الى الله وحسن اسلامه

ان ادعاء هؤلاء الكذبة النبوة بدافع الغرور والجهل يجهلون ان عروش الملوك والمتسلطين تتصاغر عند مقام النبي الهاشمي الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين رسول رب العالمين وادعائهم لم يثر اهتمام النبي «ص» فالتوحيد تأصلت جذوره والايمان ضرب بجرانه في بلاد العرب والأفكار تنبهت لتمحيص الحقائق وكل ادعاء لايقوم على اساس ثابت عاقبته للانهيار وكم من انبياء كذبة ادعوا بعد هؤلاء الثلاثة ولم يستقم لهم أمر ويحق الله الحق ولو كره المبطلون

-(حاجريات السنة العاشرة)-

هذه السنة كانت سنة الوفود وتحطيم ما بقي من الأصنام وفيها دخل الاسلام بعزة ومنعة وفيها رجع علي بن أبي طالب من اليمن منصوراً بعد ان وطد دعائم الاسلام في هاتيك الاقطار الشاسعة وفيها باهل نصارى نجران وفيها حجة الوداع

-(السنة الحادية عشرة)-

بعد حجة الوداع قام «ص» في اكمال تنظيم جزيرة العرب سياسياً واجتماعياً تنظيما واسع النطاق بعيد المدى يستوعب عشرات الملايين بعد ان انبسط سلطان الاسلام في الحواضر والبوادي واجتاز تخومها وانهزم الشرك امام التوحيد وتلاشت العصبية العمياء وعنت الوجوه للحي القيوم فاكمل الدين وأسس الدولة ووضع قواعدها ووجه الأمة خير وجهة للصلاح والمنعة وبعث البعوث من أصحابه للقبائل والقرى والدساكر ليفقهونهم في الدين ويحكمونهم فيما شجر بينهم لأنه أمن من انتقاضهم عليه بعد أن ذاقوا حلاوة الايمان واجتمعوا بعد أن كانوا شيعاً متنافرة لا تألف الاجتماع واصبح كل فرد منهم يحس بحافز داخلي في ضميره يمنعه عن التفريط بتعاليم الدين الجديد وهل يوجد رابطة اقوى من الدين

وقد ظهر على محياه «ص» آثار الجهد والتعب والعناء مما عاناه في حياته خلال عشرين سنة ونيف خلت وما لاقاه من القطيعة والأذى والاضطهاد قبل هجرته وبعدها من المنافقين بالمدينة وما يوم عقبة تبوك ببعيد فقد صمد لجموع قريش

واكتسب من الضعف قوة ومن تألبهم عليه شدة عزم حتى تكسرت نصالهم على صخرة قوته لم تهن له عزيمة في جميع مواقفه المملوءة بالاشواك ولم تفتر له همة ولا فت في عضده كثرة عدوه وقلة انصاره ويزيدنا علماً بثباته في المواقع المشهورة أيام بدر وأحد والاحزاب وحنين وقد أحاط به المشركون احاطة السوار بالمعصم إذا تفرق عنه الجيش خلا نفر من اهله واصحابه يذبون عنه في هذه المعارك الهائلة والأعداء يرمونه بالنبال وهو (ص) كالطود الذي يهزأ بالعواصف الثائرة صمد امام العواصف وعانى في تبليغ رسالته المشقة والعسر فلم تثن الصعاب نشاطه ولم تثبط عزيمته وقد حافظ على رباطة جاشه وسط الملمات لايمانه بالنصر الذي وعده الله به

-(تجهيز جيش اسامة)-

إن توحيد جزيرة العرب على كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة لم يرق للدولة الرومانية التي أصبحت تفكر في الأمر من الناحية السياسية بحكم الجوار فكانت تقدم رجلا وتؤخر أخرى لمهاجمتها قبل أن يشتد ساعدها والخوف يمنعها من التوغل في الصحراء المحرقة والمجازفة في جيشها والنبي «ص» يعلم ما عزمت عليه هذه الدولة العظيمة بعددها وعددها ولذلك امر بتجهيز جيش قوي الى الشام واميره اسامة ابن زيد بن حارثة أقامه مقام ابيه الذي استشهد في وقعة مؤته من ارض فلسطين وعمدة الجيش من أجلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار كابي بكر وعمر وطلحة والزبير وابو عبيدة وغيرهم ومع ان اسامة كان صغير السن لا يعدو العشرين سنة وقد تلقوا امر النبي «ص» بالقبول وامر اسامة ان يوطأ خيله البلقاء والداروم من أرض فلسطين قرب مؤتة حيث قتل ابوه وان ينزل على الأعداء في المزيع الأول من الليل قبل أن يصل خبره اليهم ويعلموا مكانه وان الله سيكتب له النصر

-(مرض النبي)-

بعد ان خرج أسامة بالجيش الى الجرف بالقرب من المدينة مرض رسول الله واستولى على اهله واصحابه الذهول ولم يكن شكا مرضاً في حياته لأن الدين الاسلامي دين صحي يبعث اهله في ممارسة عبادتهم على الوقاية من الأمراض فالوضوء كل يوم خمس مرات والنظافة والرياضة والزهد في الحياة وعدم الشراهة

بالطعام والشراب والامتناع عن المشروبات الروحية وعدم الانغماس في الشهوات كلها أسباب جوهرية وقائية وتعاليم صحية تحفظ الاجسام من الامراض الطارئة والنبي (ص) قدوة كل مسلم لذلك وجلت القلوب ونزل الخبر على الناس نزول الصواعق الخاطفة ووقف أصحابه موقف الحيرة يودون السفر للجهاد وحبهم واخلاصهم لذاته المقدسة يحول دون ما يبتغون بيد ان مخالفة امره إثم عظيم

وعند ما أحس بالمرض اخذ بيد علي بن أبي طالب وتبعه جماعة من المسلمين وتوجه إلى البقيع وقال لمن تبعه اني أمرت بالاستغفار لاهل البقيع فانطلقوا معه حتى وقف بين المقابر وقال السلام عليكم ليهنئكم ما اصبحتم فيه مما اصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها أولها ثم استغفر لاهل البقيع طويلا واقبل على علي «ع» وقال له إن جبريل كان يعرض علي القرآن كل سنة مرة وقد عرضه علي هذا العام مرتين وما أراه إلا لحضور اجلي ثم قال يا علي اني خيرت بين خزائن الدنيا والخلود فيها والجنة فاخترت لقاء ربي والجنة

وعاد (ص) إلى بيته وبقي ثلاثة ايام موعوكا ثم خرج الى المسجد وصعد المنبر وقال معاشر الناس لقد حان مني خفوق من بين اظهركم فمن كان له عندي عدة فليأتني اعطه اياها ومن كان له عندي دين فليخبرني به معاشر الناس ليس بين الله وبين احد شيئاً يعطيه به خيراً او يصرف عنه شراً إلا العمل الصالح ايها الناس لا يدعي مدع ولا يتمنى متمن لا ينجي والذي بعثني بالحق نبيا إلا العمل مع رحمة الله ولو عصيت لهويت اللهم هل بلغت ثم نزل وصلى بالناس ودخل بيته وكان إذ ذاك في بيت السيدة ام سلمة فجاءت اليها السيدة عائشة تسألها أن تنقله إلى بيتها لتتولى تمريضه وسألت ازواج النبي فأذنّ لها وانتقل إلى بيت عائشة وبقي المرض اياما وزادت الحمى حتى كان يشعر كأن به لهبا وعندما تنزل الحمى يمشي إلى المسجد فيصلي بالناس وبقي على هذا عدة ايام لا يزيد على الصلاة ومع حمله هذا الاعياء وصل الهمس إلى اذنه بما يتحدث به الناس انه امر على جلة المهاجرين والانصار غلاما لغزو الروم بالشام وقد شعر من هذا الهمس ضرورة الخروج إلى المسجد لازالة هذه الشبهة

إن عدم تحرك جيش اسامة بن زيد إلى الشام وتأخيره يرجع لسببين:

اولها ان الجيش يضم جلة المهاجرين والأنصار الذين تذمروا من إمرته عليهم لصغر سنه

وثانيهما مفاجأتهم بمرضه الذي منع يقظتهم من إلفات نظره لهذا الأمر واستولى عليهم الذعر والذهول لأن كل واحد منهم يفديه بنفسه ولا نكران بان النبي «ص» لما علم بدنو اجله بوحي من ربه ذهب الى البقيع ووقف بين المقابر واستغفر لساكنيه من الأموات وقال السلام عليكم لأن الصلة بين الاحياء والاموات اثبتها العلم في القرن العشرين الميلادي باستحضار الارواح ومناجاتها وصفاء نفس الرسول صلوات الله عليه وسموها وروحانيتها وتعلقها بعوالم الكون واخلاصها لله تتيح له معرفة ما وراء الحجب مما لا يعرفه العارفون

وفي أثناء مرضه لبس ثيابه وعصب رأسه وخرج إلى المسجد يتوكأ على علي ابن ابي طالب (ع) والفضل بن العباس ورجلاه تخطان في الأرض حتى جلس على المنبر فحمد الله واثنى عليه وترحم على شهداء أحد واستغفر لهم وقال ايها الناس انفذوا بعث اسامة وكررها ثلاثا ولعمري لئن قلتم في امارته فقد قلتم في امارة ابيه من قبله وانه لخليق بالامارة ثم رجع إلى بيته واستدعى اليه ابا بكر وعمر «رض» ومن حضر الصلاة من المسلمين وقال لهم الم آمركم ان تنفذوا جيش اسامة قالوا بلى قال فلماذا تأخرتم قال ابو بكر يا رسول الله اني خرجت ثم رجعت لأجدد بك عهداً وقال عمر لم اخرج يا رسول الله لأني لا احب ان أسأل عنك الركبان ولكني اسأل الله لك العافية وفي اثناء ذلك اغمي عليه وبكى اصحابه وارتفع النحيب من أهله واهل بيته ومن نساء المسلمين ثم أفاق «ص» وهمّ أن يكتب للأمة كتابا لا تضل بعده ابداً

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال لما اشتد على النبي وجعه قال ائتوني بدواة وبياض اكتب لكم كتابا لا تضلون بعده قال عمر بن الخطاب ان النبي غلب عليه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فاختلفوا فقال قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع وما فتىء ابن عباس بعدها يرى انهم اضاعوا شيئاً

كثيراً لأنهم لم يسارعوا الى كتابة ما أراد النبي (ص) املاءه عليهم حرصاً على عدم الخلاف من بعده اما عمر فظل ورأيه واجتهاده

وكان يمرض في بيت عائشة وعلي بن ابي طالب الى جانبه وابنته السيدة فاطمة باكية متوجعة وتذهب وتعود والحزن يحز في قلبها وكان يحبها حبا شديداً كلما دخلت عليه قام اليها وقبلها واجلسها في مجلسه فلما برح به المرض دخلت عليه وقبلته فقال مرحبا بابنتي واجلسها الى جانبه وأسر اليها حديثاً فبكت ثم اسر اليها حديثا آخر فضحكت فسألتها السيدة عائشة فقالت ما كنت لافشي سر رسول الله

ولما تحقق قرب اجله جعل يقوم مقاما بعد مقام في المسلمين يذكرهم ويرشدهم ويحذرهم الفتنة بعده والخلاف عليه ويؤكد لهم التمسك بسنته والاقتداء بعترته الطاهرة واصحابه المنتجبين والاعتصام بهم في الدنيا والدين وكانت الحمى تتصاعد عليه كثيراً حتى يغمى عليه احيانا وقد ذكر (ص) ان عنده سبعة دنانير وعندما اشتد به المرض خاف ان يقبضه الله اليه وهي باقية عنده وفي يوم الاحد الذي سبق يوم وفاته سأل عائشة عنها فقالت هي عندها فطلب ان تأتيه بها فوضعها في كفه واستدعى علياً بن ابي طالب واعطاها له وامره ان يتصدق بها على فقراء المسلمين

وجاءت السيدة فاطمة بنت النبي (ص) بولديها الحسن والحسين الى جدهما وهما يبكيان وانكبت على ابيها تقبله وهي تبكي والحسن والحسين يقولان نفديك بارواحنا يا رسول الله وقالت فاطمة (ع) وقد انصهر الألم في فؤادها حزنا على ابيها واكرب ابتاه فقال يا بنية لا كرب على ابيك بعد اليوم وقال لها يا بنية اذا أنا مت فلا تخمشي علي وجهاً ولا ترخي علي شعراً ولا تنادي بالويل ولا تقيمي علي نائحة ثم قال لها هذا المعروف الذي جاء بالذكر الحكيم «وَلا يَعصينَكَ في مَعروف» فاطمة عليها وعلى ابيها السلام الصديقة الطاهرة من الأبناء والبنات بقية الباقيات تشبه اباها خلقا وخلقا وقد احبها صلوات الله عليه حباً جما لأنه أسرها بأبوته ومرته ببنوته

وقضى «ص» ليله هادئاً مطمئناً حيث نزلت عنه الحمى واستطاع الصبح أن

يخرج إلى المسجد وقد شد رأسه بعصابة ورآه المسلمون فاستفزهم الفرح والسرور فاشار اليهم بالسكوت وأقبل على الناس رافعاً صوته حتى سمعه كل من كان خارج المسجد وهو يقول ايها الناس سعرت النار واقبلت الفتن كقطع الليل المظلم واني والله ما تمسكون علي بشيء اني لم أحل إلا ما احل القرآن ولم احرم إلا ما حرم القرآن ولعن الله قوماً اتخذوا قبورهم مساجد ثم قال أوصيكم باهل بيتي خيراً وقرأ الآية الكريمة « قُلْ لا أسألكمْ عَليه أجراً إلا المودّةَ في القربى » وأوصيكم بالمهاجرين والأنصار « وَالسابِقونَ الأوّلونَ مِنَ المُهاجِرينَ وَالأنصارِ الذينَ اتّبعوهمْ بِإحسان رَضيَ اللهُ عَنهم وَرَضوا عَنهُ وَأعدّ لهمْ جَنات تَجري مِنْ تحتها الأنهارُ خالدينَ فِيها أبداً ذلِكَ الفوزُ العظيم » وكان المسلمون بغبطة لاتوصف حينما شاهدوه يخطب فيهم كالعادة ولما اعياه الكلام رجع الى بيته لعلمه ان هذا هو الصحو الاخير الذي يعقبه الموت وكان ذلك يوم الاثنين

الفصل السابع

منذ قبض صلى الله عليه وآله لغاية بعض المأثور عنه من الاحاديث

—(وفاة الرسول (ص))—

قالت السيدة عائشة نظرت الى وجهه فرأيته قد شخص ببصره إلى السماء وسمعته يقول بل الى الرفيق الاعلى من الجنة وقبض صلوات الله عليه وعلي بن ابي طالب عليه السلام يناجيه وابنته السيدة فاطمة تبكي وتقول وأبتاه اجاب داع دعاه يا أبتاه الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل ننعاه واختار الله نبيه للرفيق الاعلى في اليوم الثاني من ربيع الأول كما روى اليعقوبي في تاريخه وروى البغوي لثماني عشرة ليلة خلت منه وروى ابن الجوزي والحافظ لثمان خلون من ربيع الاول وأجمع الجمهور ان الله اختاره إلى جواره يوم الاثنين في اليوم الثاني عشر من ربيع الاول الذي هو تتمة عشر سنين للهجرة في ٢٩ مارس سنة ٦٣٢ ميلادية وفوجىء المسلمون بهذه الداهية الدهماء فارتاعوا لوقعها لأنهم شاهدوا النبي «ص» في الصباح وكل شيء يدل على انه عوفي فلا عجب اذا دهشوا وطاشت عقولهم

وذهبت حلومهم وهذا علي بن ابي طالب الشجاع المقدام في ملاقاة الجحافل وخوض المعارك كان مفجوعا من هول الصدمة التي كادت تودي بحياته ويزداد المآ عند ما يشاهد اولاده وزوجه بضعة الرسول وقد أجهشوا بالبكاء لهول المصيبة الفادحة الصماء وتبدل منزل اهل بيت النبي «ع» بعد سكينته ووقاره الى بيت أحزان واما أصحابه فقد اعتقلت السنتهم ووجموا كأن على رؤوسهم الطير وعمر ابن الخطاب اصابه شبه ذهول وأسرع إلى حيث جسمه الشريف مسجى ولم يصدق انه مات وكشف عن وجهه فالفاه لا حراك به فحسبه في غيبوبة وعبثا حاول المسلمون اقناعه بالحقيقة وتقدم المغيرة بن شعبة وتكلم معه بالامر الواقع ولما الح عليه قال له كذبت ان رسول الله لم يمت وخرج الى المسجد وهو يقول ان رجالا من المنافقين يزعمون ان النبي توفي وانا أقول ما مات ولكنه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ورجع الى قومه بعد اربعين ليلة والله ليرجعن رسول الله كما رجع موسى بن عمران وكان ابوبكر غائباً بالسنح بالقرب من المدينة فذهب سالم بن عبيد واخبره بالفادحة العظمى فجاء وعيناه تهملان وانفاسه تتردد في صدره حزنا ودخل على النبي (ص) وهو مسجى وعليه حبرة يمانية وعلي بن أبي طالب الى جانبه لا يعي على شيء فكشف ابو بكر عن وجهه وهو يبكي وقال بابي وأمي يا رسول الله فلما دنا من عمر ناداه على رسلك ياعمر

ووقف ابو بكر وقال ايها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ثم تلا قوله تعالى « وَما مُحمدٌ إلا رَسولٌ قَدْ خَلتْ مِنْ قَبلِهِ الرُّسل أفئِن ماتَ او قُتلَ انقلبتمْ عَلى أعقابكمْ ومَن يَنقلب عَلى عَقبيهِ فَلنْ يَضرّ اللهَ شَيئاً وَسيجزي اللهُ الشاكرينَ » وكان عمر قد أنصت لابي بكر وهو يتلو هذه الآية فأيقن ان رسول الله انتقل من الدار الفانية للدار الباقية وخر إلى الارض ما تحمله رجلاه

—(كل نفس ذائقة الموت)—

اختار الله النبي (ص) الى جوار ربه في الرفيق الاعلى وطويت صفحة اعظم نبي مصلح في التاريخ القديم والحديث بعثه الله على فترة من الرسل للناس كافة ولم

يخرج من الدنيا حتى أدى رسالة ربه تامة غير منقوصة ورأى التوحيد ضرب بجرانه وهيأ النفوس في جميع الاقطار لقبوله واوجد حضارة اسلامية عربية زاهرة نفياً ظلالها الناس وقضى على الوثنية بكل معانيها وصورها والوانها وانقذ الانسانية مما كانت تعانيه من جهل وظلم وضلال وجعل كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى وأسس الاسلام على امتن القواعد واقواها ووطد دعائم الدين على الحق لجميع العصور يسير مع المدنية والعلم جنباً الى جنب لاشتماله على مبادىء قوية للشريعة وحدود للمعاملات وطريقة سهلة معقولة للعبادة ورقي للاخلاق وتهذيب للنفوس ودعمه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعث امة جديدة وخلقا آخر حوله من القوة إلى اللين ومن الضلال إلى الهدى ومن الظلم الى العدالة ومن الكفر إلى الايمان وتغلب على المصاعب حيث قابله قومه بالنفور والأذى والاستنكار والمصادمة لتمسكهم بعبادة الاحجار دون الواحد القهار يتفاخرون بفصاحتهم وزلاقة السنتهم ويتبارون بالغزو والقتال وقطع الارحام تحكم الغرور في عقولهم فتاهوا في بيدائه وضلوا في حنادس ظلماته لا جامعة تجمعهم ملوكهم في تخوم جزيرتهم عبيد للأغيار تحت النفوذ الكسروي والقيصري رُزِحَ للذل والاضطهاد رقابهم فاستناموا على الضيم وطالما فاجأهم النبي (ص) بالمعجزات وخوارق العادات فلم يأبهوا لها ونسبوه للسحر والكهانة والعرافة لشيوعها فيهم فلم يميزوا بين الحق والباطل ولم ينظروا الى سجاياه الطبيعية واخلاقه العالية وكماله المجسم مصداقاً لما جاء في حقه في الذكر الحكيم « وَإِنكَ لعلى خُلق عَظيم » والمعجزات الباهرات كتسبيح الحصى وانشقاق القمر وحنين الجذع وتفجير المياه وغير ذلك لم تخفف من غلوائهم ولم تكبح جماحهم لما ران على قلوبهم من وضر الشرك ولكنه «ص» اعجز بلغاءهم واخرس فصحاءهم بآي القرآن الكريم «وإن كنتم في رَيْبٍ مِمّا نزّلنا عَلى عَبدِنا فأتوا بسورة من مثله» معجزة خالدة مابقيت السماوات والأرضون اعجزت كل منطيق وبليغ وقفوا منها حيارى لايدرون مايفعلون وبعد جهاد محض ونصب لا يحتمل هداهم الله للاسلام واصبحوا امة شديدة البنيان ثابتة الاركان سديدة الاحكام وانتقلوا من حضيض الذل والجهل والانحطاط الى اعلى الدرجات المدنية

والحضارة واستناروا بكتاب الله الذي «لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد» يهتدون بهديه مستمسكين بوصية النبي الكريم (ص) القائل وقوله الحق (إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي) وقد تم لهم في عشرات من السنين من الفتوحات ما لم ينله غيرهم في قرون واحقاب فأبادوا الشرك وبسطوا سلطانهم ونشروا اعلامهم على القارات الثلاث وتهافتت الامم مستظلة بظل العدالة المحمدية ففازت وعزت وانتشر نور الله انتشاراً ربط بينهم وجعلهم جميعاً كالبنيان المرصوص

الاحزاب القرشية

لما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم شاع الخبر المشؤوم بسرعة البرق وخيم الذهول على الناس وتاهت العقول لهول المصاب الفادح ولكن الأحزاب هبت من مكامنها مشرئبة للعمل السياسي وكان اشدها شكيمة واوسعها دهاء الحزب الأموي انتظم فيه رجال يؤثرون الدنيا على الآخرة عملوا لايقاع الفتنة بين المهاجرين والأنصار ولكن الله لم يسدد خطاهم لذلك وتلاشت بقية الأحزاب امام هذا الحزب المنظم الذي اشتد ساعده وتوالت اجتماعاته بحزم وعزم وقد قتل الخليفة الثاني والثالث والرابع باصابع هذا الحزب وسياسته الخرقاء ممهداً الأمور ومعبداً الطرق للاستيلاء على الرياسة والخلافة والملك فكان له ما أراد وجعل الملك بالارث وتوالت الفتن وضعف الدين حتى بلغ الكتاب اجله ولكل اجل كتاب

سقيفة بني ساعدة

في هذا اليوم العصيب والقلوب دامية والعيون دامعة والحزن عاماً شاملا كانت السيدة فاطمة وأولادها وابوهم في غمرة من الحزن المبرح فقد باتوا في أطول ليلة حتى ظنوا لا سماء تظلهم ولا ارض تقلهم وكذلك أصحابه ولم ترقأ لبني هاشم عبرة ولم تنقطع لهم زفرة وبيناهم على هذا الحال بلغهم ان الانصار اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة للمداولة في أمر الخلافة فخف ابو بكر وعمر وأبو عبيدة للقضاء على الفتنة قبل استفحالها فرأوهم جلوساً وسعد بن عبادة يتكلم ويحث الأنصار على الاقتداء بالرسول (ص) فتقدم أبوبكر فتكلم ووعظ وارشد فأفاد واجاد ثم تكلم

رجال من الأنصار وطلبوا أن يكون لهم نصيب بالامارة اميرٌ من المهاجرين وأميرٌ من الأنصار لأنهم آووا ونصروا وعززوا الاسلام بأسيافهم وأنهم أنصار الله فوقف أبو بكر وأجابهم واثنى على جهادهم في سبيل الله ومؤازرتهم للنبي (ص) وذكر ما خص الله المهاجرين من الفضل وأنهم أول من عبد الله في الأرض وختم كلمته بقوله نحن الأمراء وأنتم الوزراء وما كاد ينتهي أبو بكر حتى وقف الحباب بن المنذر الانصاري يهيب بقومه للتمسك بالامارة وان عارضوكم المهاجرين فليكن من كل فريق أمير

فقام عمر بن الخطاب واجابه بقوله هيهات لا يجتمع سيفان في غمد واحد وأن العرب لا تولي إلا من كانت النبوة فيهم ومن يقدر أن ينازعنا سلطان محمد وميراثه ونحن اولياؤه وعشيرته

فأجابه الحباب بكلام يشف عن تهديد ووعيد فلم يأبه عمر لكلامه لأنه كان على خلاف معه في حياة النبي (ص) وكلاهما بنفسه شيء على الآخر

فنهض أبو عبيدة بن الجراح وقال يا معشر الأنصار انتم أول من نصر وآوى فلا تكونوا أول من يبدل ويغير فعندها تكلم قيس بن سعد الأنصاري وهو من سادات الخزرج فاسترسل في مدح المهاجرين والثناء عليهم وقال إن النبي صلوات الله عليه من قريش وعشيرته أحق بميراثه واني لا انازعهم هذا الأمر

فانبرى أبو بكر وحمد الله واثنى عليه ودعاهم إلى الجماعة ونهاهم من الفرقة وقال اني ناصح لكم في هذين الرجلين ابو عبيدة بن الجراح وعمر بن الخطاب فبايعوا من شئتم منهما

فقال عمر بن الخطاب معاذ الله أن يكون ذلك وأنت بين اظهرنا أنت احق بهذا الأمر واقدمنا صحبة فمن الذي يتقدمك ويتولى هذا الأمر عليك ابسط يدك ابايعك فسبقه قيس بن سعد الأنصاري فبايعه فناداه الحباب بن المنذر عاقك عائق يا قيس ما اضطرك إلى ما صنعت حسدت ابن عمك على الامارة يريد ابن عمه سعد بن عبادة الذي التف حوله الانصار قبل مناظرة أبي بكر لهم فقال قيس جوابا للحباب بن المنذر لا والله ولكني كرهت أن انازع قوما حقاً لهم لقربهم من

رسول الله ومذ رأت قبيلة الأوس ما فعل قيس وهو من سادات الخزرج قال بعضهم لبعض وفيهم اسيد بن حضير ان وليتم عليكم سعداً كانت الفضيلة للخزرج قوموا فبايعوا ابا بكر فبايعوه فمال الحباب بن المنذر إلى سيفه فبادروا اليه واخذوه منه فجعل يضرب وجوههم بثوبه حتى فرغوا من المبايعة

على بن ابي طالب يغسل النبي

جرى كل ذلك والنبي صلى الله عليه وآله وسلم على سريره يحيط به علي بن ابي طالب والاقربون من أهله وعلي يغسله بوصية منه والفضل بن العباس يناوله الماء وهو معصوب العينين ورائحة المسك تنبعث من جسمه الشريف وعلي تنحدر دموعه على خديه كالجمان ويقول بابي وأمي يا رسول الله ما أطيبك حياً وميتاً ولما فرغ من غسله وتجهيزه تقدم فصلى عليه وحده

وقد علم العباس بن عبد المطلب بان المهاجرين يخطبون الخلافة لأنفسهم فأتى ابن اخيه عـــلياً وهو مشغول بتجهيز النبي «ص» وقال له ابسط يدك ابايعك فيقال عم رسول الله بايع ابن عم رسول الله ويبايعك أهل بيتك واصحابك إلى أن تنتهي من تجهيز رسول الله فان هذا امر إذا كان لم يقال اي إذا حصل لم ينسخ» فقال له يا عم ومن يتقدم لهذا الأمر غيرنا وأنا في شغل عن هذه الأمور

وجاء في الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي صفحة ٩٤ أنه في مغتسل النبي اثناء غسله سمعوا صوتا من البيت يسمعون الصوت ولا يرون الشخص فقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أهل البيت انه حميد مجيد « إنمـــا يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيراً كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن مـــن الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيراً وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور » إن في الله خلفا من كل هالك وعزاء من كل مصيبة عظم الله اجوركم والسلام ورحمة الله

(مرقده في حجرته الطاهرة)

ثم خرج علي إلى المسجد والشحوب ظاهر على وجهه واخبر المسلمين بان رسول الله أمامنا حياً وميتاً فليدخل اليه فوج بعد فوج فيصلون عليه بغير امام وأن الله لم يقبض نبياً في مكان إلا وقد ارتضاه له رمسا وضريحه في حجرته التي قبض فيها فدخل الناس أفواجاً أفواجا يتقدمهم بنو هاشم وتقدم المهاجرون والانصار يتقدمهم أبو بكر وعمر وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر وسعد بن عبادة وغيرهم ثم النساء والصبيان ودفن ليلة الاربعاء ودخل ضريحه الشريف علي والعباس وولداه الفضل وقثم ورش بلال ضريحه بالماء ورفع القبر عن الارض قدر شبر صلى الله عليه وآله وسلم ماطلع الصباح ولاح ورفع المؤذن صوته بحي على الفلاح

الفصل السابع

(ما مني به المسلمون بعده)

ما مني به المسلمون بعد النبي «ص» كان المسلمون بعد انتقاله للرفيق الأعلى على منهاج واحد وطريقة ناهجة في أصول الدين وفروعه غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا وأول اشتباه وقع بينهم في موت النبي فزعم بعضهم أنه لم يمت وانه ذهب الى ربه كما ذهب موسى بن عمران ثم رجع الى قومه وقال قوم بل رفعه الله اليه كما رفع عيسى بن مريم عليه السلام وأقر الجميع بموته حينما تلا عليهم أبو بكر قوله تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية

واختلفوا في موضع دفنه فاراد أهل مكة أن يكون مرقده في مكة لانها قبلته ومبعثه وولادته وبها قبر جده اسماعيل عليه السلام وقال آخرون ينقل إلى البيت المقدس كأخوانه من الأنبياء ليكون مجاور آلهم ولجده خليل الرحمن عليه السلام وزال الخلاف عند ما أخبرهم علي بن أبي طالب بانه يدفن في حجرته التي قبض فيها

واستحكم الخلاف في الامامة بين المهاجرين والانصار واحتج المهاجرون

بان الامامة لا تكون إلا في قريش لقوله «ص» « الأئمة من قريش » واهله وعشيرته احق بميراثه ورجع الأنصار إلى رأي المهاجرين

ثم انقسم المهاجرون على أنفسهم منهم من قال ان الامامة بالنص من الله تعالى على لسان رسوله الصادق الأمين ومنهم من قال الامامة باجماع اهل الحل والعقد وهذا الخلاف باق إلى اليوم واتفقوا على مانعي الزكاة ووجوب قتالهم اذا لم يتوبوا

واجمعوا على قتال طليحة زعيم بني أسد الذي ادعى النبوة في نجد و كفر بعد الايمان وقد تاب إلى رشده ورجع الى الاسلام وقتل مجاهداً في حرب القادسية ونهاوند

واتفقوا على انفاذ جيش أسامة بن زيد الذي جهزه رسول الله قبل وفاته الى الشام امتثالا لأمر النبي «ص» وخرج أبو بكر يودع أسامة وطلب منه أن يعفي عمر بن الخطاب من الذهاب معه ليبقى في المدينة يشير عليه

وحصل خلاف فيما تركه النبي «ص» وحجب عن ابنته الزهراء (ع)

واتفقوا على ارسال جيش لقتال مسيلمة الكذاب وزميله الأسود العنسي وسجاح المتنبئة وذهب الجيش واظهره الله عليهم

واتفقوا على الوقوف في وجه الروم الذين بدأت جيوشهم تتحرش بالمسلمين واندفع المسلمون لرد عاديتهم بقلوب مؤمنة بالله ورسوله وفتح الله لهم الفتوح العظيمة وصمدوا للدولتين الرومانية والفارسية وملكوا أرضهم وديارهم بعون الله واتحادهم

وتفاقم الخلاف في امر الخليفة الثالث لهنات نقموها عليه في خلافته حيث شاركه في سلطانه ذوو قرباه من الامويين مثل الوليد بن عقبة بن ابي معيط وعبد الله بن سعد بن ابي سرح ومروان بن الحكم وغيرهم

ثم خروج معاوية بن ابي سفيان على الخليفة الشرعي علي بن ابي طالب وما كان من أمر الحكمين والخديعة التي وقع فيها ابو موسى الأشعري من عمرو بن العاص وما جرت وراءها من ذيول وفتن أوهت قوى الاسلام ومن جرائها اغتيل أمير المؤمنين علي في محرابه وتبعه ولده الحسن ريحانة رسول الله «ص» مسموماً واصبحت الخلافة بعد الخلفاء الراشدين ملكاً عضوضا

وجاء في صحيح البخاري قال حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا وهب حدثنا عبد

العزيز عن انس «رض» عن النبي «ص» قال ليردن علي الحوض ناس من أصحابي حتى إذا عرفتهم اختلجوا دوني فاقول اصحابي فيقول لا تدري ما احدثوا بعدك

وذكر المجلسي صاحب بحار الأنوار عن الامام جعفر بن محمد الصادق عن آبائه عن جدهم «ص» انه قال أوصيكم باصحابي لا تسبوهم واني اوصيكم بهم خيراً

—(اتحاد الصحابة لتعزيز الدين)—

اعتصم المهاجرون والأنصار بالله فهداهم الى الصراط المستقيم واصبحوا بنعمته اخوانا وهم يد على من سواهم وامرهم جميع على من عاداهم ودهم غير متهم والعهد بينهم غير مضاع وبكفيهم شرفاً وفضلا ما جاء في محكم الكتاب العزيز «والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه» لما أجزل لهم من الثواب وفيه دلالة على فضل السابقين ومزيتهم على غيرهم بما لحقهم من انواع المشقة في نصرة الدين فمنها مفارقة الأهل والعشيرة والأقربين ومنها مباينة المألوف من الدين ومنها نصرة الاسلام مع قلة العدة والعدد ومنها السبق للاسلام والدعاوة اليه وهذا غاية المدح لهم بوأهم الله المقام المحمود

وقال الرسول «ص» احفظوني في أصحابي فانهم خيار امتي وقال احفظوني في عترتي واني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما جعلنا الله من الصادعين بامره في موالاة أهل بيته الطاهرين وأصحابه المنتجبين

لا ريب أن الانتقال من دور إلى دور يحدث الهرج والمرج والبلبلة سنة الله في خلقه والصحابة كغيرهم من الناس في الأمور الدنيوية فقد اختلفوا في الرأي واتفقوا في المبدأ وكان ما كان بين المهاجرين والأنصار وزال سوء التفاهم بالحزم والاناة وانحصر الخلاف في منصب الخلافة بين المهاجرين أنفسهم وهذا الخلاف فت في ساعد المسلمين واضعف قوتهم مع اتحادهم على تعزيز دين الله فما وهنوا ولا استكانوا ومنهم كبار الصحابة للأحكام الشرعية واقامة الحدود والرأي والمعضلات ومنهم حملة القرآن للوعظ والارشاد ومنهم المجاهدون باموالهم وانفسهم في سبيل الله حتى عم الاسلام العالم أو كاد

وقد اجمع علماء الغرب بان انتشار الدين الاسلامي هذا الانتشار الغريب بهذه السرعة يرجع إلى إحكام مبادىء وأسسه الثابتة منها انكار الذات والاخلاص والتفاني والمفاداة التي ظهرت من المسلمين الأولين في الصدر الأول وبقي الحال على هذا المنوال وبقي المسلمون يزدادون عزة وعلواً حتى تحولت الخلافة ملكا استقراطياً يتوارثه الأبناء عن آبائهم وفسدت الأخلاق ولم يبق للروحيات ذلك الحماس الحار الذي كان يجيش في صدورهم وانقلب الزهد ترفا والعيش بذخا والجهاد تقاعدا نسأله تعالى أن يعيد للاسلام جدته ويؤيد كلمته بامام منصور يهدي الى الحق ويرتق الفتق ويرأب الصدع ويحيي ما درس من الدين إنه ولي الاجابة

—(الخلفاء الراشدون والآل المنتجبون)—

لقد توفي الخليفة الأول « رض » ولم يجدوا عنده من مال الأمة شيئاً ولكن وجدوا عنده ديناراً واحداً وكان يتجر في ايام خلافته للانفاق على عياله وقيل انهم فرضوا له ما يسد العوز من بيت مال المسلمين احتراماً لمركز الخلافة

وأما الخليفة الثاني «رض» فقد كان آية في الزهد والتقشف وفي عهد خلافته وكنوز فارس والرومان تجبى اليه ومال الخراج ينهال عليه لا يستنكف من لباس ثوبه وعليه اربعة عشر رقعة

وأما الخليفة الثالث فقد تغلب عليه الأمويون في أيام خلافته ولولا ذلك لم يكن أقل من صاحبيه بعداً وزهداً بالدنيا

وأما الخليفة الرابع الشجاع الحكيم والعالم الخطيب والزاهد العابد سيد شباب قريش دب ودرج وشب وشاب ما سجد لصنم قط وهو القائل اليك عني يا دنيا فقد طلقتك ثلاثا ويا صفراء ويا بيضاء غري غيري

وأما فاطمة بضعة الرسول وولداها الامامان الحسن والحسين درجوا وشبوا في بيت النبوة والتقديس ومهبط الوحي والتنزيل فالزهد والعبادة سجيتهم والحلم والايثار ديدنهم

وروى البخاري والترمذي في صحيحيهما عن النبي «ص» قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة

بنت خويلد وفاطمة بنت محمد «رض»

وجاء في صحيح البخاري قال حدثنا ابو الوليد حدثنا ابو عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن ابي مليكة عن المسود بن مخرمة ان رسول الله « ص » قال فاطمة بضعة مني فمن اغضبها اغضبني لأنها كانت أحب الناس اليه

وقال عن الحسن والحسين ولداي هذان سيدا شباب أهل الجنة من الناس اجمعين وهما امامان قاما او قعدا

وذكر الرازي في تفسيره والزمخشري في كشافه في تفسير آية القربى (قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى) قيل لما نزلت من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال « ص » علي وفاطمة والحسن والحسين

وقالت السيدة عائشة سئل النبي «ص» من احب الناس اليك قال فاطمة ثم سئل ومن الرجال قال زوجها

لا ريب فالنبي وآله وأصحابه هم القدوة الصالحة للأمة في الحياتين للعمل بعملهم والسير على غرارهم فقد عبدوا الطرق وأناروا السبل وذللوا العقبات امامنا للصعود إلى مراقي الفلاح ولكن سرعان ما نسينا هؤلاء القادة الميامين ورجعنا القهقرى

ولما ذا نكوص بعد هدى واحجام بعد اقدام وجحود بعد إيمان تالله هذا فتور وافتتان إذا لم نتدارك الامر بالسلوك على نهجهم الأمين للنجاة مما نحن فيه من الانحطاط الخلقي المهين فالرجوع إلى الله والتمسك بسنة رسول الله خير منهاج وانجع علاج وفي قوله تعالى عظة للغافلين « لا يغير الله ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم »

(اولاد النبي)

أولاده «ص» ثلاثة القاسم وعبد الله وابراهيم وبناته اربع زينب تزوجت من أبي العاص بن الربيع واسلمت وتوفيت سنة ثمان من الهجرة ورقية تزوجت من عثمان بن عفان وتوفيت في السنة الثانية من الهجرة وتزوج عثمان من بعدها من اختها ام كلثوم وتوفيت في السنة الثالثة من الهجرة وفاطمة من ابن عمها علي ابن ابي طالب في السنة الثانية من الهجرة وتوفيت بعد ابيها بستة أشهر وكانت من

العابدات الزاهدات القانتات فقد سلك بها النبي «ص» سلوك المؤمنات حتى بلغت أعلى الدرجات وطبعها بطابعه الخاص وكان لها في قلبه مكان علي ومن ذريتها انتشر نور النبوة وقد اجمع العلماء بالمأثور عن أبيها انها سيدة نساء العالمين وكل أولاده «ص» من أم المؤمنين خديجة إلا ابراهيم فأمه مارية القبطية ومات في حياة أبيه مثل اخوته وله من العمر سنة وستة أشهر وكل أولاده ولدوا قبل النبوة إلا فاطمة ولدت بعد النبوة بسنة واحدة وابراهيم ولد في السنة الثامنة

ازواج رسول الله وسراريه الطاهرات

الأولى خديجة بنت خويلد توفيت سنة عشر من النبوة ولم يتزوج غيرها إلا بعد وفاتها ثم سودة بنت زمعة توفيت بالمدينة سنة ٥٤ﻫ ثم عائشة بنت ابي بكر توفيت بالمدينة سنة ٥٨ﻫ ثم هند ام سلمة بنت أمية توفيت بالمدينة سنة ٥٩ﻫ ثم حفصة بنت عمر بن الخطاب توفيت بالمدينة سنة ٥٤ﻫ ثم ام حبيبة بنت ابي سفيان توفيت بالمدينة سنة ٤٤ ﻫ ثم ميمونة بنت الحارث الهلالية توفيت في سنة ٥١ ﻫ ثم زينب بنت جحش من بني اسد بن خزيمة توفيت بالمدينة سنة ٢٠ ﻫ ثم زينب بنت خزيمة الهلالية وتعرف بأم المساكين توفيت بالمدينة سنة ٤ ﻫ ثم جويرية بنت الحارث من بني المصطلق توفيت بالمدينة سنة ٥٥ ﻫ ثم صفية بنت حيي بن اخطب من بني اسرائيل توفيت بالمدينة سنة ٥٠ ﻫ وسراريه اربع وهن مارية القبطية أم ولده ابراهيم توفيت بالمدينة سنة ١٦ ﻫ ثم ريحانة القرظية توفيت بالمدينة سنة ١٠ ﻫ والثالثة وهبتها له زينب بنت جحش والرابعة اصابها في بعض السبي وتوفي «ص» عن تسع نسوة ومدة حياته الزوجية ٣٧ حولا حيث تزوج وعمره ٢٥ سنة وتوفي وله من العمر ٦٣ سنة

« توفي رسول الله عن تسع نسوة — اليهن تعزى المكرمات وتنسب »
« فعائشة ميمونة وصفية — وحفصة تتلوهن هند وزينب »
« جويرية مع رملة ثم سودة — ثلاث وست ذكرهن مهذب »

فالنبي «ص» لا يعمل عملا إلا لحكمة سامية لا حباً للنساء كما قال المستشرقون متأثرين بنزعتهم المسيحية بل خدمة للانسانية فقد تزوج بعدد معروف من النساء

الثيبات اللواتي استشهد رجالهن تحت العلم الاسلامي جعلهم تحت رعايته صوناً لهن من التبذل والحاجة ولاحكام الروابط بينه وبين القبائل التي ينتمين اليها ولكي يقضي قضاء تاما على ما خامر العقول في عهده بان الزواج والتدين نقيضان لا يلتئمان فقد اماط اللثام عن هذه الشبهة ليعلم الناس ان الانزواء والانفراد والحرمان والترهب ليس من التعبد في شيء عملا بقوله جل شأنه « قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ التي اخرجَ لِعِبادِهِ وَالطيِّباتِ مِنَ الرزقِ قلْ هِيَ لِلذينَ آمَنوا خَالصة يَومَ القيامَةِ كَذلكَ نُفصلُ الآياتِ لِقوم يعلمونَ »

(اعمام النبي)

اعمام النبي «ص» ابناء عبد المطلب ابو طالب والعباس وهو اخو النبي من الرضاع والزبير وحمزة بطل أحد والمقوم وضرار والحارث وقثم وعبد العزى المعروف بأبي لهب والغيداق اما الذين ظاهروه منهم وساعدوه في السر والعلانية ثلاثة الأول ابو طالب وقيل اسمه عمران كفله صغيراً وحماه كبيراً ومنعه من طواغيت قريش واستسقى به في عام جديب في عهد طفولته وكثيراً ما عقد القرشيون اجتماعاتهم وتآمروا على الفتك بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم حينما دعاهم لعبادة الله ونبذ الأصنام وابو طالب لا ينفك متتبعا حركاتهم في كل مجتمع ومؤتمر لحل ما عقدوه وتفريق ما جمعوه رعاه بعين ساهرة وهمة قعساء محرضا اولاده وذويه على الذود عنه والايمان به وبصفته شيخ البطحاء وقف من قريش موقف السياسي الحكيم كافا إيمانه لكي لا يتجاهروا بمخالفته وموقفه كان بين السلبي والايجابي مبالغة منه في حفظ النبي من الاسواء ولم يتوان عن نصرته مستهلا كل صعب في وقاية الرسول «ص» من أعدائه حتى وافاه الأجل سنة عشر من النبوة والمأثور عن النبي «ص» قوله ما نالت قريش مني شيئاً حتى مات عمي ابو طالب

الثاني حمزة الملقب سيد الشهداء كان اعزفتى في قريش واقواهم بأسا واشدهم شكيمة اسلم في السنة السادسة للنبوة وهاجر للمدينة وقد ابلى بلاء حسنا في غزوتي بدر وأحد واستشهد في ساحة النضال غدراً

الثالث العباس دافع عنه ونصره واخلص له قبل دخوله في الاسلام وبعده

وحضر معه بيعة العقبة الثانية وقبيل فتح مكة انسل بأهله مهاجراً إلى المدينة ولقي ابن أخيه بالجحفة ورجع معه إلى مكة وكان سفيراً بينه وبين مشركي قريش وثبت معه في غزوة حنين هؤلاء اعمامه الثلاث الذين كشف الله عن بصيرتهم فاندفعوا لمعاونته سراً وجهراً بعاطفة الرحم وبهداية الله لهم وتحيزا للحق فجزاهم الله الخير عن الاسلام واهله

عماته بنات عبد المطلب صفية ام الزبير بن العوام وأمينة وهي توأمة أبي الرسول في بطن واحد وبرة واروى وعاتكة والبيضاء وهي أم حكيم واسلم منهم صفية وعاتكة واروى

حاضنته وامه من الرضاع ام ايمن بركة بنت ثعلبة ام اسامة بن زيد وامه من الرضاع ايضاً حليمة السعدية بنت ابي ذؤيب فقد اكملت رضاعه وزوجها ابو كبشة وقد اختلف في اسلامها

—(غزواته وسراياه (ص))—

قيل ستة وعشرون غزوة وقيل سبع وعشرون غزوة باعتبار غزوة خيبر وغزوة وادي القرى غزوة واحدة واول غزوة غزوة وَدّان وآخرها غزوة تبوك وسراياه خمس وثلاثون بعثا وسرية اولها سرية عبدالله بن الحارث الى احياء ثنية المرة وهو ماء بالحجاز وآخرها سرية عبد الله بن انيس إلى خالد بن سفيان الهذلي في نخلة

—(كتبة الوحي)—

علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وخالد بن سعيد وابان بن سعيد والعلاء الحضرمي وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وكتب له سعد بن ابي سرح ثم ارتد عن الاسلام وقيل انه رجع وتاب يوم فتح مكة

—(اسماء خيله)—

اشهرها السكب الذي غزا عليه غزوة أحد — والمرتجز ابتاعه من بني مرة واللزاز اهداه له المقوقس ملك مصر — والضرب اهداه له فروة بن عمرو الجذامي

وقيل كان له فرس يقال لها اليعسوب – اما بغلته دلدل وحماره يعفور فقد اهداهما له المقوقس – واما ناقته القصواء ابتاعها من ابي بكر باربعماية درهم وكان اسمها العضباء وملك صلوات الله عليه عشرين لقحة فيهن سبع غزار يراح له بلبنهن كل ليلة

(سيوفه)

اشهرها العضب شهد به بدراً = وذو الفقار اهداه الى علي بن ابي طالب وله ثلاثة رماح وثلاثة قسي وترس واحد ودرعه ذات الفضول

(معيشته)

عاش صلوات الله عليه عيشة زهد وقناعة بطعامه وشرابه لم يشبع من طعام قط وطالما نهى عن الشبع الذي يجلب الأمراض وامتلاء المعدة بالطعام فوق العادة يذهب الفطنة ويبعث على التخمة ومن كلامه « المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء »

(مواليه الذين اعتقهم)

زيد بن حارثة وابو رافع وشقران وثوبان وانجشة ورباح ويسار وسفينة ومن النساء أم ايمن واميمة وشيرين

(صفته صلى الله عليه وآله وسلم)

سئل امير المؤمنين علي بن ابي طالب وهو في مسجد الكوفة يحتب بحمالة سيفه عن صفة رسول الله فقال كان (ص) ابيض اللون مشربا حمرة ادعج سبط الشعر رقيق المشربة سهل الخدين كث اللحية ذا وفرة كان عنقه ابريق فضة له شعر من لبته الى سرته كالقضيب لم يكن في صدره وابطه شعر غيره شثن الكف والقدم اذا مشى كأنما ينحدر من صبب او ينقلع من صخر واذا التفت جميعاً ليس بالقصير ولا بالطويل ولا العاجز ولا اللئيم يترشح العرق في وجهه كاللؤلؤ وريح عرقه كالمسك لم أر قبله ولا بعده مثله

ان أروع مميزات هذه الشخصية هذا الوصف الذي لا ينطبق إلا على ذاته المقدسة ولعمري ما رأيت وصفا ابرع ولا احسن ولا ارق ولا الطف ولا اجمل من هذه الصورة التي كونها باريء النسم لرسوله الامين (ص) وقضت ارادته عز وجل ان يكون المثل الاعلى في اخلاقه وشمائله جميلا وسيما كريما حليما مستوفياً صفات الكمال من جميع نواحيه فرب رجل وسيم غير محبوب ورب رجل محبوب غير مهيب ورب رجل مهيب يحبه الناس ويهابونه وهو لا يحب الناس ولا يعطف عليهم ولا يبادلهم الاخلاص أما النبي (ص) فقد حباه الله في شخصه الشريف الوسامة والكمال والعطف على الناس كافة وقد ظهرت بوادر عطفه في جميع مواقفه على احبائه واعدائه لأن الله ارسله رحمة للعالمين

(اخلاقه)

كان (ص) ذكي القلب فصيح اللسان حسن الشمائل حاد البصر قوي الحواس والبدن كريماً اريحيا يضحك متبسما ينام قليلا رزق الحشمة والمكانة توّجه الله بتاج الهيبة والوقار تفرد في اخلاقه ومزاياه ولذلك خاطبه الله في التنزيل « وانك لعلى خلق عظيم »

ما خير في أمرين إلا اختار أيسرهما وما انتقم لنفسه قط شجاع موهوب ثابت في ساحة النزال لا يفر ولا يبرح من مكانه وقال علي بن ابي طالب كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله فما يكون احد اقرب الى العدو منه وقال ايضاً وقد سئل عن رسول الله (ص) ان رسول الله اشجع الناس واحسن الناس واجود الناس ومع مهابتنا له كنا نراه اشد حياء من العذراء في خدرها بيد انه ارحب الناس صدراً واصدقهم لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة وقد وسع الناس بسطه وخلقه فصار للناس ابا وصاروا عنده في الحق سواء بلا استثناء

(المعجزة)

المعجزة امر خارق للعادة مقترن بالتحدي اكرم به انبياءه ورسله للايمان بهم والتصديق برسالتهم يعجز البشر أن يأتوا بمثلها فقد رأينا موسى الكليم عليه السلام

يلقي عصاه فتنقلب حية تسعى ثم بعـــده جاء عيسى عليه السلام فأبرأ الاكمه والابرص واحيا الموتى باذن الله

وجاء بعدهما محمد (ص) فتغلب على العقول بالحكمة البالغة وفصل الخطاب وقد فاضت المعجزات من اقواله وخوارق العادات انبثقت في كل ناحية من نواحي حياته حسا ومعنى ولا عجب إذا علمنا انه بهر العرب بسمو اخلاقه وسجاياه وفصاحته وبلاغته ونبله وكماله وجلاله ومن ابلغ المعجزات وخوارق العادات الـــتي يعبر عنها فلاسفة القرن العشرين بما وراء الطبيعة التي فاجأ بها قومه تكثير الطعام القليل ونبع الماء من بين اصابعه اثناء السفر في الصحراء الجافة وشفائه لعيني علي بن ابي طالب عليه السلام من رمد ممض حينما سقاهما من ريقه في غزوة خيبر وانشقاق القمر نصفين لما طلب منه قومه ذلك مذ اشار اليه باصبعه وشاهدوه عيانا ورآه القريب والبعيد ولم يؤمنوا وعادوا سيرتهم الاولى من العنت والأذى والمعاداة وكان يحتج عليهم بما لم يسعهم انكاره فالاحتجاج عليهم ما يؤيد عجزهم عن جحود ما شاهدوه ولمسوه ومعجزاته «ص» ليس فيها ما يعسر على الله حدوثه ولا مرد لقول الله « اقتربتِ الساعةُ وَانشقّ القمر وانْ يَرَوا آيةً يُعرضوا وَيقولوا سحرٌ مُستمر وكذّبوا واتّبعوا اهواءهم وكلّ امر مُستقرّ » ثم ان الاكتشاف الحديث اثبت ان القمر كرة عنصرية مركبة من جبال وآكام وصحاري واحجار تقبل الانشقاق والحرق والالتئام والصعود والنزول والتحويل من حالة الى أخرى بتقدير الله ومشيئته فالنبي (ص) لم يأت ليهدم ناموس الممتنعات ولكنه بقدرة الله احدث خرقا في نواميس العادات ليوهن اعتراض المعترضين بالأدلة العقلية الثابتة فالانسان مهما تبحر في العلم وتفنن في الاختراع وابتكر في الماديات واستخرج من المدمرات المهلكات فان هناك قوة فوق قوته وقدرة فوق قدرته وروحيات لا تجدي حيالها الماديات ولا يحوم طائر الفكر حول ادراكها ولئن حام وجازف رجع خاسئاً وهو حسير

فالعلم لم يكن معاديا للايمان وهذا الدكتور ميلكن مكتشف « الكترون» الذرة والفائز بجائزة نوبل العلمية يصرح بان هناك الوهية تسيرنا وان من البلاهة

أن نفسر كل شيء بفلسفة مادية

واعظم معجزات النبي (ص) القرآن الموحى اليه من الله العزيز الحكيم تواتر خبره ولم ينقطع أثره آياته محكمات وبراهينه قاطعة اعجز البلغاء واخرس الخطباء لا تنقضي عجائبه فالعلماء والفلاسفة قديماً وحديثاً يعترفون باعجازه فالعلم والتاريخ والشريعة والفلسفة واللغة ترجع كلها الى آياته الباهرات للاستنارة بنورها الوضاء ما بقيت الارضون والسماوات

ولا يستطيع في هذا العصر انكار المعجزات إلا الماديون الذين وقفوا من العلم حيث وصل منذ مائة سنة وطووا كشحاً عما اكتشفه العلم والبحث العلمي النزيه بعناية علماء من الغربيين والشرقيين فقد كشفوا الحجاب ورفعوا النقاب عن حقائق ملموسة لا تقبل الشك بانه يوجد نواميس روحانية ارقى من النواميس المادية فالمخلوق اخترع الطيارة التي تسبق طائر الفكر واخترع الذرة التي تدمر اذا شاء وتعمر متى شاء فهل يعجز الخالق الذي اذا قال للشيء كن فيكون ان يشق الكواكب السيارة وينير الظلمات ويدمر الجبال الراسيات فالأنبياء سفراء الله الى خلقه وهم فوق خلقه بما منحهم من عونه بتسخير ما فوق الروحانيات بقدرته ليتسنى لهم القيام بتبليغ الرسالة لهداية خلقه الى معرفته وعبادته ولله الحمد في البدء والختام

—(من بعض المأثور عنه «ص» من الاحاديث)—

اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله تعالى

اتقوا الحرام بالبنيان فانه اساس الخراب

اجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما خلق له منها

أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما

احسن مصاحبة من صاحبك تكن مؤمناً

أد الامانة لمن ائتمنك ولا تخن من خانك

اذا سألت فاسئل الله واذا استعنت فاستعن بالله

إذا أراد الله انفاذ قضائه سلب من ذوي العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم

قضاؤه وقدره

إرحموا ثلاثة غني قوم افتقر وعزيزاً ذل وعالما يلعب به الحمقى والجهال

إرحم من في الارض يرحمك من في السماء

استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك

استوصوا بالنساء خيراً فانهن عوان لكم

استعفف عن السؤال ما استطعت استعينوا على أموركم بالكتمان

أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب

إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما

احفظوني في أصحابي فانهم خيار أمتي

أعظم النساء بركة أقلهن مؤونة

اعطوا الأجير اجره قبل ان يجف عرقه

اعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسراً

الأمانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر

التمسوا الرزق في خبايا الأرض

الجنة تحت اقدام الأمهات الحياء من الايمان الزنى يورث الفقر

المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا

إن الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب

ان الدين بدأ غريبا وسيعود غريبا كما بدأ

إن أفضل الصدقة إصلاح ذات البين

انصر أخاك ظالما او مظلوما انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق

انما الاعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى

جبلت القلوب على حب من أحسن اليها

خير الناس أنفعهم للناس خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره

ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن دعوة المظلوم ودعوة المسافر ودعوة الوالد على ولده

دع ما يريبك إلى ما لا يريبك

من حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه

الحلال بين والحرام بين

دع الناس ترزق بعضها بعضا

رأس الحكمة مخافة الله رب حامل فقه الى من هو افقه منه

شر العمى عمى القلب صلة الرحم تزيد في العمر

عش ما شئت فانك ميت واحبب من شئت فانك مفارق واعمل ما شئت فانك مجزي به في كل كبد حرى اجر

الخلق كلهم عيال الله واحبهم اليه انفعهم لعياله الحكمة تزيد الشريف شرفا اقيلوا ذوي المروءآت عثراتهم فما يعثر منهم عاثر إلا ويده بيد الله

من تواضع لله رفعه خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولم يترك دنياه لآخرته ولم يكن كلا على الناس المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء

ما عال من اقتصد يد الله مع الجماعة اليد العليا خير من اليد السفلى

قل الحق ولو كان مراً الحكمة ضالة المؤمن كما تكونون يولى عليكم

لا يدخل حظيرة القدس متكبر مثل أهلي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ما شقي عبد بمشورة ولا سعد باستغناء برأي

مطل الغني ظلم ما زان الله عبداً بزينة أفضل من عفاف بدينه وفرجه

ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من اقتصد

ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء الحياء من الايمان

نعم الهدية كلمة من كلام الحكمة من أعظم الخطايا اللسان الكذوب

من لم يجزه من العيش ما يكفيه لم يجد من العيش ما يكفيه

إن من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا كل معروف صدقة

صنائع المعروف تقي مصارع السوء من أراد الله به خيراً حال بينه وبين شهوته وحال بينه وبين قلبه وإذا أراد به شراً أو كله إلى نفسه

قليل يكفيك خير من كثير يرديك المؤمن مرآة المؤمن إذا رأى فيه عيباً أصلحه حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار

لا ينبغي لذي الوجهين ان يكون وجيها عند الله لولا أن الله أذل ابن

آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت من اتقى الله اتقى الناس

إن الله يحب الحليم الحيي ويبغض الفاحش البذيء

الصبر ستر من الكروب وعون على الخطوب

ما قرعت عصا على عصاً إلا فرح لها قوم وحزن آخرون

رأس العقل بعد الايمان بالله واليوم الآخر التودد للناس

لقحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمشاورة ما هلك امرؤ عرف قدره اعظم النساء بركة احسنهن وجهاً واقلهن مهراً لا يشكر الله من لا يشكر الناس طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم باعمالهم اطلبوا العلم ولو بالصين من وقر عالما فقد وقر ربه ما أقر قوم المنكر إلا عمهم بعذاب محتضر بئس الزاد ليوم المعاد العدوان على العباد . نعم المطية الدنيا فارتحلوها تبلغكم الآخرة لا فقر أشد من الجهل لا تظهر الشماتة باخيك فيعافيه الله ويبتليك لا تختلفوا فان من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا السعيد من وعظ بغيره والشقي من وعظ بنفسه إذا اقبلت الدنيا على انسان اعادته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه

الفصل الثامن

يشتمل على حياة امير المؤمنين علي بن ابي طالب وولده الامام الحسن الزكي (ع)

(قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى)

جاء في مطالب السؤال عن الامام ابي الحسن علي بن احمد ابو احدي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس قال لما نزل قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه اجراً » الآية قالوا يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم قال علي وفاطمة وابناهما

وجاء في صحيحي البخاري ومسلم أنه سئل ابن عباس عن هذه الآية آية القربى فقال سعيد بن جبير هي قربى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم

كل من استنار عقله بالنور الالهي يتحسس بالسناء الذي انبعث من توجيه

الرسول إلى مودة اهل بيته الأطهار عملا بقول الله الكبير المتعال وما هوالادرس قيم كله نور وهدى وسداد ونهى يجيب بمن اتعظ واتقى

وذكر صاحب ينابيع المودة صفحة ٤٨٧ عـــن فرائد السمطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال اوصيائي وحجج الله بعدي اثنا عشر اولهم اخي وآخرهم ولدي قيل يا رسول الله من اخوك قال علي ابن ابي طالب قيل ومن ولدك قال المهدي

وفيه صفحة ٤٩٣ عن مناقب الخوارزمي عن علي عليه السلام قال قال رسول الله الأئمة من بعدي اثنا عشر اولهم انت يا علي وآخرهم القائم الذي يفتح الله على يديه مشارق الارض ومغاربها

وامتثالا لأمر الله الذي اوجب علينـــا مودتهم ولأمر رسوله الاعظم الذي فرض علينا ولايتهم عزمت على تسجيل تاريخ حياتهم عليهم وعـــلى جدهم خاتم النبيين افضل التحية والسلام وسيأتي في الجزء الثاني تاريخ حياة اصحاب الرسول المنتجبين رضي الله عنهم اجمعين وما توفيقي الا بالله

ابو الحسن علي بن ابي طالب عليه السلام

ولد سنة ٦٠ م ابو الحسن علي بن ابي طالب واستشهد سنة ٤٠ هـ و ٦٦١م هو امير المؤمنين وامام المتقين علي بن ابي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وامه فاطمة بنت اسد بن هاشم بن عبد مناف ولد بعد عـام الفيل بثلاثين سنة وقيل قبل الهجرة بثلاثة وعشرين سنة على قول ابن حجر في الاصابة وهو اول هاشمي من هاشميين وأول خليفة من هذه الاسرة المباركة ولد في مكة المكرمة في البيت العتيق ولم يولد مولود قبله ولا بعده في الكعبة المشرفة سواه وقد أسمته امه حيدرة وسماه ابوه علياً وقال

« سميته بعلي كي يدوم له عز العلو وفخر العز أدومه »

هذا ابو طالب لقد ورث الزعامة عن أبيه شيبة الحمد وكفل النبي صلى الله عليه وآله وسلم طفلا ويافعاً وكهلا ومن مفاخره حمايته له ولدعوته من مشركي قريش وطواغيتها مدة حياته وساعده على تبليغ رسالته بحصافة رأيه وقوة نفوذه وكان المشركون يتهيبون جانبه لبعد غوره في السياسة لأنه كان « يضع الهناء

موضع النقب » ولذلك قال صلوات الله عليه ما نالني من قومي سوء حتى مات عمي ابو طالب ويدلنا على سمو مداركه وصدق فراسته اختياره اسم علي لولده لانطباقه على المسمى ويشعر بالعز والعلو

كنية علي ابو الحسن والقابه كثيرة منها المرتضى وحيدرة والأنزع البطين والوصي وكان يعرف بذلك وانشد رجل من بني ضبة يوم حرب الجمل في حومة الوغى من عسكر طلحة والزبير

« نحن بنو ضبّة اعداء علي ذاك الذي يُعرف قدماً بالوصي »
« لكنني ابغي ابن عفان التقي ان الولي طالب ثار الولي »

صفته جاء في كتاب ذخائر العقبى كان علي عليه السلام ربعة من الرجال أدعج العينين عظيمها حسن الوجه كأنه قمر بدري عظيم البطن عريض المنكبين لمنكبه مشاش كمشاش السبع الضاري لاتبين عضده من ساعده أدمج ادماجاً شثن الكفين عظيم الكراديس أغيد كأن عنقه إبريق فضة

بوابه سلمان الفارسي وشاعره النجاشي وحسان بن ثابت وكاتبه عبدالله بن ابي رافع وعبدالله بن عبدالله بن مسعود ومؤذنه جويرية بن مسهر العبدي وخدامه قنبر وميثم وغزوان ونصر وسعد وخادماته فضة وسلافة = ونقش خاتمه حسبي الله

هذا الامام الكبير تحدر من ذؤابة هاشم وشيبة الحمد وبيضة البلد ملك المجد من جميع أطرافه والسؤدد من جميع نواحيه في العهدين الجاهلي والاسلامي لايباريه عربي ولا قرشي وهبه الله بسطة في العلم والجسم وكرّمه بنفس زكية وثابة واتاح له فوق القوة والذكاء والتوثب الفوز في كنف ابن عمه الرسول الهادي صلى الله عليه وآله وسلم فامتلأ قلبه الكبير إيمانا واسلاماً فوقف حياته على تأييد دين الله ونصرة الحق وتمجيد الخالق وهداية الخلق إلى سنة رسوله بقوله وعمله نظر إلى الدنيا نظرة عابر سبيل ظاعن فلم يخدع في بهارجها ولم يستسلم إلى الترف والانغماس في زبارجها أعرض عنها كأمثاله من اولياء الله اذكياء القلوب وأباة النفوس حينما يأخذون انفسهم بما لا يجبون لم يرسل نفسه على سجيتها الا بما هو

خليق به فاذا تكلم بعواطفه وميوله معظماً شعائر الله عاملا بآيات الذكر الحكيم كاشفاً عن معانيها وبلاغتها معرباً عن اسباب نزولها ومحكماتها تظهر الكآبة في مطاوي عباراته والألم يكاد ان يكون ملموساً في كل نفثة من نفثاته تضيء بين ضلوعه نفس حساسة وضمير واع وقلب حي ومزاج رقيق لم تخل حياته من صراع صامت لما مني به من ألم محض وخيبة امل بعد انتقال سيد المرسلين وزوجته الزهراء الرفيق الأعلى عليها وعلى ابيها أزكى التحيات والتسليم ونراه في اكثر مواقفه الخطابية صور نفسه ونفوس قومه من القرشيين تصويراً صادراً عن حزن عميق يكاد يلمسه كل متتبع للكلام الفصيح الخالي من الايجاز المخل والاسهاب الممل فهو من هذه الناحية درس قيم مفيد لكل من كتب وخطب في لغة العرب

وبالبت الشباب المثقف من العرب المتحفز للنهوض يفقه هذه الدرر الغوالي التي فاه بها امير الفصاحة والبلاغة في جميع ادوار حياته لينهج نهجه ويسير على غراره ليدرك الأدب العالي والكلام الفصيح المشبع والأسلوب الأخاذ والعبقرية الفذة

وله عليه السلام خصائص بارزة لا يشاركه احد فيها منها مبيته في فراش النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الهجرة ليفديه بنفسه ووشائج الرحم التي تقربه من الرسول وتكريم وجهه عن السجود للأصنام ومؤاخات النبي له وهو اول المؤمنين ايمانا وأول من بايع وآخر من آخاه وآخر من فارقه عند موته وآخر من وسده في ضريحه الشريف وجهاده معه وهو ابن ستة عشر سنة

وجاء في الاستيعاب بسنده عن ابن عباس قال لعلي أربع خصال ليست لأحد غيره هو اول عربي وعجمي صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي كان لوآؤه معه في كل زحف وهو الذي ثبت معه يوم فرّ عنه غيره وهو الذي غسله وأدخله قبره = وجاء في اسد الغابة مما انعم الله على علي عليه السلام ربي في حجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهاجر معه إلى المدينة وشهد بدراً وأحداً والخندق وخيبر وبيعة الرضوان وجميع المشاهد الا تبوك وله في كل غزوة ونضال أثر حسن وبلاء عظيم

وفي الاستيعاب ايضاً سئل الحسن البصري عن علي بن ابي طالب فقال كان والله سهماً صائباً من مرامي الله على عدوه رباني هذه الامة وذا فضلها وذا سابقتها وذا قرابتها من رسول الله لم يكن بالنؤومة عن امر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله اعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ثم قال للسائل ذاك علي بن ابي طالب يا لكع = وجاء في دائرة المعارف البريطانية أن أول من أمر بضرب السكة الاسلامية هو الخليفة علي بن ابي طالب بالبصرة سنة ٤٠ من الهجرة و ٦٦٠ ميلادية ثم أكمل الأمر عبد الملك بن مروان سنة ٧٦ من الهجرة و ٦٩٥ ميلادية باشارة الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين

وقال العلامة الخياط الصيداوي رحمه الله لئن فاخر اليونان بديمستينوس والرومان بشيشرون والافرنسيس بفولتير والانكليز بملتون والايطاليون بدانتي فنحن نشمخ بأنفنا بالامام العظيم والعربي الصميم امير المؤمنين علي بن ابي طالب رب الفصاحة والبلاغة على الاطلاق

وقال المرحوم مصطفى صادق الرافعي بعنوان وحي الهجرة نشأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة واستنبيء على رأس الاربعين سنة يدعو إلى الله قبل ان يهاجر إلى المدينة فلم يكن في الاسلام أول بدأته الا رجل وامرأة وغلام اما الرجل فهو هو صلوات الله عليه وأما المرأة فزوجته خديجة واما الغلام فعلي بن ابي طالب

فالاستاذ الرافعي اصاب كبد الحقيقة فهو صادق في قوله لأن النبي بعث يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء وقد حباه الله من الفضائل والأخلاق والشجاعة والفصاحة والسخاء والتحرج في الدين والعلم والبطولة والبروز في الحياة ما جعله عماد اهل التقى والصلاح وحسبك انه لم يدون إلى احد من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين بعض ما دون له وناهيك بقول الشعبي وقد سئل عن علي عليه السلام فقال ما أقول في رجل اخفى اولياؤه فضائله خوفاً واعداؤه حسداً وظهر من بين ذين وذين ماملأ الخافقين

ولو حباني الله قلماً من أغصان حدائق الجنة ومداداً من كوثرها ومنحني

فصاحة سحبان وتلقني البلاغة مذعنة لتفكيري لما حدثتني نفسي بالاحاطة في بعض صفاته التي أسبغها عليه الباري في جميع ادوار حياته وطالما شغفت بكلامه أترقب وميضاً ينير امامي السبل للوصول إلى جوامع كلامه وبلاغته التي تأسست بلاغة العرب عليها للاقتداء به فوقفت في نصف الطريق معترفا بالعجز وأحجمت معترفاً بالقهاهة عن ادراك بيانه مردداً ما قاله احد العلماء الموهوبين « ان كلام علي دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين »

نشأ عليه السلام قوياً وقوراً مهابا مكيناً منحه الله قوة جسدية خولته ان يخلع الفارس من سرجه ويرفعه في الهواء ويجلد به الارض ولم يبارز فارساً الا قتله ففي بدر كان فرسان المشركين يتحامونه لأنه فتك فيهم فتكا ذريعاً وسيفه فعل فيهم الأفاعيل وفي أحد ثبت كالطود الراسخ امام السيل الجارف عندما انكشف عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيرة صحبه وفي الخندق كان هو البادرة التي آذنت بهزيمة قريش وحلفائها حينما اصمى بسيفه صنديد الجزيرة عمرو بن ود العامري وفي خيبر بعد ان تراجع اجلاء الصحابة عن حصن ناعم دعاه الرسول وأعطاه الراية فتقدم غير هيّاب ولا وجل فقتل خيرة ابطالهم ودخل الحصن وهو حامل بابه بيده كالترس وكان الفتح بعون الله وفي حنين عصمه الله من الفرار حينما حصل الذعر وانشمر الناس عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وبقي يضرب بسيفه بين يديه ويقول فداك ابي وامي يا رسول الله

وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في محفل من اصحابه – إن تنظروا إلى آدم في علمه ونوح في همه وابراهيم في خلقه وموسى في مناجاته وعيسى في سنه ومحمد في هديه وعلمه فانظروا إلى هذا المقبل فتطاول الناس فاذا هو علي بن ابي طالب عليه السلام وقد نظم هذا الحديث في قصيدته المعروفة بذات الاشباه محمد بن احمد بن عبدالله الكاتب المتوفى سنة سبع وعشرين وثلاثمائة المعروف بالمفجع وذكره ابن النديم وصاحب اليتيمة ومعجم الأدباء وغيرهم ومنها

« أيها اللائمي لحبي علياً قم ذميما الى الجحيم خزيا »
اشبه الانبياء كهلا وزولا وفطيما وراضعاً وغذيا »
« كان في علمه كآدم اذ علم شرح الاسماء والمكنيا »
« و كنوح نجى من الهلك من سير في الفلك اذعلا الجوديا »
« كاعتزال الخليل آزر في الله وهجرانه أباه مليا »
« ودعا قومه فآمن لوط اقرب الناس منه رحما وريا »
« وعلي لما دعاه أخوه سبق الحاضرين والبدويا »

بعض الاحاديث الواردة في حقه

اخرج الطبراني والحاكم عن ابن مسعود ان النبي «ص» قال النظر الى وجه علي عبادة

وأخرج ابو يعلي والبزار عن سعد بن ابي وقاص قال قال «ص» من آذى علياً فقد آذاني

وأخرج الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال كنا نعرف المنافقين ببغضهم عليا

وقال ابن عباس ليس آية من كتاب الله تعالى « يا ايها الذين آمنوا » إلا وعلي اولها وأميرها وشريفها

ونقل ابو اسحاق الثعالبي في تفسيره ان سفيان بن عيينة سئل عن قوله تعالى « سأل سائل بعذاب واقع » فيمن نزلت فقال للسائل لقد سألتني عن مسألة لم يسألني عنها احد قبلك

حدثني ابي عن جعفر بن محمد عن آبائه رضي الله عنهم اجمعين ان رسول الله «ص» لما كان بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا فأخذ بيد علي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه فشاع ذلك فطار في البلاد وبلغ ذلك الحرث بن النعمان الفهري فأتى رسول الله على ناقة فاناخ راحلته ونزل عنها وقال يا محمد أمرتنا عن الله عزوجل ان نشهد ان لا إله إلا الله وانك رسول الله فقبلنا منك وأمرتنا ان نصلي خمساً فقبلنا منك وأمرتنا بالزكاة فقبلنا منك وأمرتنا أن نصوم رمضان فقبلنا وأمرتنا بالحج

فقبلنا ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضله علينا فقلت من كنت مولاه فعلي مولاه فهذا شيء منك أم من الله فقال النبي «ص» والله الذي لا إله إلا هو ان هذا من الله عز وجل فولى الحرث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول اللهم ان كان ما يقول محمد حقا فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فما وصل الى راحلته حتى رماه الله عز وجل بحجر سقط على هامته فخرج من دبره فقتله فأنزل الله تعالى عز وجل «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج»

وجاء في الجزء السادس من خطط الشام للعلامة محمد كرد علي يروي عن العلامة الثقة النبيل الشيخ احمد رضا العاملي بسند متسلسل متصل عن ابي سعيد الخدري الذي يقول أمر الناس بخمس فعملوا باربع وتركوا واحدة ولما سئل عن الاربع قال الصلاة والزكاة وصوم رمضان والحج واما التي تركوها هي ولاية علي بن ابي طالب قيل له وانها لمفروضة معهن قال نعم مفروضة معهن

قوة ايمانه وزهده وعدله وعلمه

ان النفس المختارة العبقرية كنفس الامام التي تعرف الحق على الوجه الاكمل خلقها الله غلابة قوية الذهن مرهفة الاحساس بعيدة المدى يفيض عليها من نوره عز وجل نورا يكشف امامها الحقائق ناصعة ظاهرة ليهتدي بها غيرها الى ماهية الحياة التي تدل على عظمة الخالق وتوحيده بايمان ثابت ينفذ إلى مكمن اليقين في الزهد والعبادة والشمم وحسن الخلق والعدل والتمسك بالدين وله مقام محمود في احقاق الحق واقامة الحدود ونصرة المظلومين وقد صرح بذلك في قوله وعمله في جميع أدوار حياته المملوءة بصالح الاعمال ومن كلامه في بعض خطبه «ع»

والله لو أعطيت الاقاليم السبع بما تحت افلاكها على أن اعصي الله في نملة اسلبها اب شعيرة ما فعلت وان دنياكم اهون عندي من ورقة في فم جرادة تقضمها ما لعلي ونعيم يفنى ولذة لا تبقى نعوذ بالله من سيئات العمل وقبيح الزلل

ومن كلامه قوله ما شككت في الحق مذ اريته — قال العلامة ابن ابي الحديد

في شرح نهج البلاغة والمراد من هذه الكلمة نعمة الله عليه في انه مذ عرف الله سبحانه لم يشك فيه او منذ عرف الحق في العقائد الكلامية والأصولية والفقهية لم يشك في شيء منها وهذه مزية ظاهرة على غيره من الناس فان اكثرهم اوكلهم يشك في الشيء بعد ان عرفه وتعتوره الشبه والوساوس ويران على قلبه عما ادى اليه نظره

وروي ان رسول الله « ص » لما قرأ « وَتعيها أذُنٌ وَاعِيةٌ » قال اللهم اجعلها اذن علي وقيل له قد اجيبت دعوتك

وسمع في بعض الليالي صوت مستغيث فخرج يجري ويقول أتاك الغوث فرأى رجلا ممسكا بالآخر فقال يا أمير المؤمنين بعت هذا ثوبا بتسعة دراهم فأعطاني دراهم على غير الشرط فطلبت منه استعاضة غيرها فابى ولطمني فقال له ابدلها له ثم قال للمدعي اين بينتك على اللطمة فاحضرها فعندها اقعد الضارب وقال للمضروب اقتص منه فقال اني قد عفوت عنه فضرب عليٌ الضارب تسع درات وقال هذا حق السلطان « كما تفعل النيابة العامة في هذا العصر »

وبعد ان نشر الاسلام لواءه في بلاد العرب كافة ودخل الناس افواجا في دين الله وقضى على الشرك في الجزيرة العربية نزلت على النبي « ص » الآيات البينات تنقض كل عهد للكفر والأوثان الا عهداً موقوتا سيبقى إلى أجله ولايتعدد وبهذا التشريع أرسل النبي علياً الى مكة في السنة التاسعة هجرية سنة ٦٣٠ ميلادية في الموسم مبلغاً عنه ليؤدي ما جاء في محكم التنزيل الى العرب بامر الرسول «ص» الذي قال لا يؤدي عني إلا رجل من اهلي فصدع بأمر الله ورسوله وبلغ ما امر به

وفي السنة العاشرة هجرية قامت فتنة في اليمن فأمر النبي علياً باخمادها فذهب واثقاً بنصر الله له وبعد أن قاوموه بالسيف والسنان خضدشوكتهم بشجاعته واخمد فتنتهم بحكمته بحجة دامغة وبرهان قاطع وذكر الفخري في الآداب السلطانية ص٥٣ قال كان لأمير المؤمنين علي «ع» ارتفاع طائل من أملاكه يخرجه جميعه على الفقراء والضعفاء ويقتنع هو وعياله بالثوب الغليظ من الكرباس والقرص من خبز الشعير —

هكذا كان في المفادات والزهد وعلو النفس وصفاء الطبع ورقة الجانب ورجاحة اليقين وسلامة القلب وطهارة الضمير بطل تحرسه عناية الله تتجلى الحكمة في اقواله واعماله والعدل في احكامه والمأثور عن الخليفة الثاني «رض» قوله «لا بارك الله في معضلة لم تحكم فيها يا ابا الحسن» مصداقا لقول النبي «ص» «اقضاكم علي» فهو العادل بالرعية والحاكم بالسوية واذا نظرنا إلى علماء الفلسفة والاجتماع بعد اربعة عشر قرنا خلت هل جاءوا بنظرية جديدة فوق نظريته او بكلام ابلغ من كلامه وهل قرر علماء الكلام ما يخالف حجته ويدحض محجته كلا فهو الامام السابق في كل علم والمرجع في كل حكم واذا كان من قوة واعية عرفت التوحيد على حقيقته بالدليل العقلي وآمنت مطمئنة لا يداخلها شك ولا اشتباه فالفضل في انارة الطريق لمباديه التي اودعها الله فيه لأن القبس الذي انار افكاره وبعث في نفسه اشراقاً داخلياً وسما به الى العلاء ملازمته للنبي «ص» ويزيدك وثوقا ما رواه الخليفة الأول «رض» قال رأيت رسول الله متكئاً على قوس عربية وقد خيم خيمة وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين وهو يقول يا معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم اهل هذه الخيمة وحرب لمن حاربهم وولي لمن والاهم لا يحبهم الا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم إلا شقي الجد ردي الولادة

ومن كتاب الآل لابن خالويه عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله لعلي حبك ايمان وبغضك نفاق وأول من يدخل الجنة محبك وأول من يدخل النار مبغضك

خطبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في غدير خم

وذكر اليعقوبي في الجزء الثاني من تاريخه صفحة ٩٣ خرج النبي ليلا بعد رجوعه من حجة الوداع منصرفا الى المدينة فصار إلى موضع بالقرب من الجحفه يقال له غدير خم لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة وقام خطيبا واخذ بيد علي بن ابي طالب فقال الست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه

ثم قال «ص» أيها الناس اني فرطكم وانتم واردون علي الحوض واني سائلكم

حين تردون علي عن الثقلين كيف تخلفوني فيهما قالوا وما الثقلان يا رسول الله قال الثقل الاكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم فاستمسكوا به ولا تضلوا ولا تبدلوا وعترتي اهل بيتي

وجاء في التفسير الكبير للامام فخر الدين الرازي الجزء الثالث صفحة ٤٢٨ بان الآية الكريمة «اليومَ اكملتُ لكم دينَكم وَاتممت عليكم نعمتي ورَضيتُ لكمُ الاسلامَ دِيناً» نزلت يوم غدير خم ولما نزلت اخذ بيد علي وقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فلقيه عمر بن الخطاب «رض» وقال له هنيئا لك يا ابن ابي طالب اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة

وهذا الحديث ذكره ابن حجر في الصواعق صفحة ٢٥ وزاد عليه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه واحبب من احبه وابغض من بغضه واخذل من خذله وانصر من نصره وادر الحق معه كيف دار

في ذلك الفضاء الواسع في منكب من الارض والجماهير تتزاحم بالمناكب والأعناق مشرئبة والآذان مرهفة بلغ النبي «ص» وابلغ وأبان ونبأ قائلا من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه نص صريح واضح لايقبل التأويل ختامه دعاء لا يحجب ولا يرد وقد اخرج هذا الحديث كثير من العلماء منهم الترمذي والنسائي والامام احمد بن حنبل ورواه ستة عشر صحابيا ورواه كثير من المؤرخين وأول من قال شعراً في ذلك اليوم حسان بن ثابت الانصاري

« يناديهم يوم الغدير نبيهم ... بخم وأسمع بالنبي مناديا »
« وقال فمن مولاكم ووليكم ... فقالوا ولم يبد هناك التعاميا »
« إلهك مولانا وأنت وليسنا ... وما لك منا بالولاية عاصيا »
« فقال له قم يا علي فانني ... رضيتك من بعدي اماما وهاديا »
« فمن كنت مولاه فهذا وليه ... فكونوا له انصار صدق مواليا »

وقد اعرب ابو تمام الطائي في قصيدته الرائية عن ذلك اليوم العظيم ومنها

ويوم الغدير استوضح الحق اهله ... بفيحاء ما فيها حجاب ولا ستر
اقام رسول الله يدعوهم بها ... ليقربهم عرف ويناهم نكر

وأسهب الشاعر الكميت الاسدي في قصيدته العينية بوصف ما جرى يومئذ

ويوم الدوح دوح غدير خم أبان له الولاية لو اطيعا
ولم ار مثل ذاك اليوم يوما ولم ار مثله حقاً أضيعا

وروى ابن عساكر في تاريخه ج ٤ ص ١٦٦ بأن رسول الله «ص» أخذ بيد علي يوم غدير خم وقال من كنت مولاه فعلي مولاه

خلافة علي عليه السلام

بويع بالخلافة بعد مقتل عثمان (رض) سنة ٣٥هـ - ٦٥٦ ميلادية بالاجماع والفتن تتمخض للأندلاع ومن اللحظة الأولى سار بسيرة النبي «ص» مقتديا به في تعزيز الدين واهله ليحمل الناس على المحجة البيضاء وأمضى بالعدل حكمه وبالصواب تدبيره وعزل الولاة الذين نبذوا الدين ظهريا واطاعوا اهواءهم واستباحوا بيت مال المسلمين حتى أثاروا الناس على عثمان باعمالهم الشاذة وجعل يحاسب كل عامل على ما بيده من مال وعقار لا يحل له « من أين لك هذا » كما تفعل بعض الدول في هذا العصر

ولما كان الناس عبيد الدنيا وقد الفوا الرخاء وتناسوا عهد الزهد والقناعة فلم يرق لهم ذلك وارتاعوا ووقف افراد من اهل المدينة ضده وكانوا يمنون انفسهم بالخلافة ويمهدون لها السبل في حياة عثمان «رض» ومنهم طلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام لاعتقادهما ان قريشا اتفقت ان لا يتولاها هاشمي تؤيدهما السيدة عائشة (رض) ولكنها اول من بايعاه باختيارهما ثم اتيا اليه يطلبان منه لكل منهما ولاية واحدهما طلب العراق والثاني طلب اليمن فقال لهما ينبغي ان تقيما معي وتساعداني في بعض الأمور فاستولى عليهما اليأس وفي بضع ايام استأذناه بالسفر إلى مكة لاجل العمرة فأذن لهما وقال انكما لا تريدان العمرة وانما تريدان الغدرة

والحقيقة انهما لما علما انه لا يشركهما بالأمر ولا يوليهما ولاية ولا يسير إلا على الطريق السوي وأيقنا انه لا بد ان يحاسبهما على ما بيدهما من الأموال والعقار والدور والقصور وهمتهما لا تسمو لذلك ولا تقارب الطمع فيه وقد انقطعت بهما

السبل الى المعارضة بذلا السيف كما يبذل المخرج آخر وسعه واخطروا انفسهم واموالهم وكانت وقعة الجمل المشئومة لأن علياعليه السلام لم يخاطبهما بالتمويه ولم يتألفهما بالوعود ولم يداهنهما في الولاية ولم يجارهما فيما يتخيلان ولم يحكم امره بالدهاء والمخاتلة لأنه خليفة الرسول وحامي الشريعة والدين ولو كان ملكا لا يعجزه العمل بسياسة معاوية وهو القائل في بعض كلامه « والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهة الغدر لكنت من ادهى الناس »

لا ريب ان معاوية قامت سياسته على الطريقة « الميكافيلية » للوصول الى سدة الملك اعتمد على المال والدهاء والعنف واعتبر الغاية تبرر الواسطة وكانت هذه الفكرة المادية الجامحة وهناً عليه وعلى العرب والاسلام

وهذا بطل اوربا نابليون بونابرت لقد جهر بعصمة البابا في حربه مع ايطاليا وتظاهر بالاسلام في مصر وقال لو كنت احكم شعباً يهوديا لأعدت هيكل سليمان ولا عجب فهذا ملك يؤيد سلطانه وعلي خليفة يؤيد دينه وسنة رسوله وبينهما بون بعيد

وفد عليه قوم يهنئونه بالخلافة فوجدوه يرقع خفه فقالوا له يا امير المؤمنين انا نرباً بك عن هذا فقال لهم ان هذا النعل هو خير عندي من ولايتكم هذه ان لم اقم حقا وازهق باطلا

ومن اروع مميزات شخصيته القوية نفوره من الحياة الناعمة الرخوة واقباله على كل عمل مثمر فيه جهد وخشونة فازدرى بالترف وعزف عن ابسط المتع لأن التجرد والتقشف من الفضائل الدالة على احساس متأصل بالقوة وعلى رغبة صادقة في الاخلاص لفكرة التضحية من اجل مبدأ ثابت وهو الاخلاص للأمة والعمل على تأييد الدين

ولما اجتمع المهاجرون والأنصار بعد مقتل عثمان «رض» على بيعة علي يتقدمهم طلحة والزبير فأبى عليهم ذلك

يقول ابن خلدون في تاريخه مجلد ٢ ص ١٥٠ وقال لهم علي اكون وزيراً خير من ان اكون اميراً ومن اخترتم رضيته فألحوا عليه وقالوا لا نعلم احق منك

ولا تختار غيرك حتى غلبوه في ذلك فخرج إلى المسجد فبايعوه وأول من بايع طلحة والزبير ومن كلامه «ع» حينما اجتمعوا على مبايعته

دعوني والتمسوا غيري فانا مقبلون على أمر له وجوه والوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت له العقول وان الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما اعلم ولم اصغ الى قول القائل وعتب العاتب

وقد تحقق ما توقعه سلام الله عليه وكان أول من بايعه اول خارج عليه ولكن النفس الكبيرة المؤمنة كنفس امير المؤمنين علي بن ابي طالب مهما تألبت عليها مصاعب الحياة ومشقاتها لا تنفذ اليها السآمة ولا يتطرق اليها الخور فكما ان الرياح الثائرة لا تحرك من الشجرة الا اوراقها وما دق من اغصانها كذلك الشدائد لا تنال من النفوس العامرة بالايمان مهما عصفت بها اعاصير المادة والشهوات فالحياة الاجتماعية الصالحة ليست الا مزاجا ينحسر عن سياسة مستقيمة وعدالة شاملة ونظام اقتصادي وأمن يشمل الضعفاء والأقوياء على السواء وهذه الخصال توفرت في خلافة امير المؤمنين لأن اهل البيت هم بناة المجد وشادته وولاة العز وسادته

لما خرجا طلحة والزبير الى مكة قابلا السيدة عائشة وحرضاها على الخروج على علي عليه السلام وسارت معهما الى البصرة واستولوا على بيت مال المسلمين وأساءوا الى عامله فيها واخرجوه من دار الامارة وقبل ان تتحرك السيدة عائشة من مكة تقدم اليها سعيد بن العاص وسألها أين تريدين يا ام المؤمنين قالت البصرة قال وما تصنعين بها قالت اطلب بدم عثمان فأشار إلى رؤساء الجيش قائلا هؤلاء هم قتلوا عثمان ويريدون الأمر لأنفسهم فلما غلبا عليه قالوا نغسل الدم بالدم والحوبة بالتوبة

وجاء في الجزء الثاني من المناقب للمكي صفحة ٨٣ قال قال ابو حنيفة ما قاتل احد علياً رضوان الله عليه الا وعلي اولى بالحق منه

﴿ خروج علي الى البصرة سنة ٣٦ﻫ ٦٥٦ ميلادية ﴾

ولما بلغ علياً مسير طلحة والزبير إلى البصرة سار عليه السلام للقضاء على الفتنة قبل ان يستفحل الأمر وبوصوله قبل التأهب للقتال سألهم ما يطلبون فخرج اليه طلحة والزبير وقالا نطلب بدم عثمان فقال لهما لعن الله قتلة عثمان وأوصى أصحابه

لا تبدأوهم حتى يبدأوكم وكان البادىء الحزب الأموي وقيل اول من رمى بسهم في هذه الفتنة مروان بن الحكم واشتعلت نار الحرب فعندها تقدم جيش الخليفة لتأديب الناكثين وضربهم الضربة القاضية وفي هذه المعركة قتل طلحة والزبير بتوبة وإنابة رضي الله عنهما وجيء بعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة ومروان ابن الحكم وغيرهم ممن أثاروا الفتنة فعفا عنهم جميعاً وعند ما قابل السيدة عائشة قالت له يا أمير المؤمنين قدرت فاسمح فقال لها ارجعي إلى بيتك الذي امرك رسول الله ان تقري فيه قالت أفعل ذلك فجهزها مكرمة مع أخيها محمد بن ابي بكر ووجه معها سبعين امرأة من عبد القيس في ثياب الرجال حتى وافوا بها المدينة

وورد في كتاب البصائر لأبي حيان التوحيدي ج ١ صفحة ٨٠ قال محمد بن سلام حدثنا محمد النحوي قال قلت للخليل بن احمد ما بال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانهم بنو ام واحدة وعلي بن ابي طالب كأنه ابن علة قال من أين لك هذا السؤال قلت اريد ان تخبرني قال علي ان تكتم عني ما دمت حياً قلت أجل قال علي تقدمهم اسلاما وبذهم شرفاً وفاقهم علماً ورجحهم حلماً وكبرهم زهداً فحسدوه والناس إلى أمثالهم وأشكالهم أميل

وذكر اليعقوبي في الجزء الثاني من تاريخه صفحة ١٥١ قال حينما اشتد الحصار على الخليفة الثالث كتب إلى معاوية بن ابي سفيان الى الشام يطلب تعجيل القدوم عليه فتوجه اليه في اثني عشر الف ثم قال لهم كونوا مكانكم في اوائل الشام حتى آتي امير المؤمنين لأعرف صحة أمره فأتى عثمان فسأله عن العدة فقال أتيت لاعرف رأيك وأعود اليهم وأجيئك بهم فقال له لا والله ولكنك أردت ان اقتل فتقول أنا ولي الثار ارجع فجئني بالناس فرجع ولم يعد اليه

وبلغ عثمان ان عمرو بن العاص يحرض الناس عليه فقال له يا عمرو أنت تحرض الناس علي لقد قمل ذرعك منذ عزلتك عن مصر

اجل منذ عزله عن مصر كانت اعماله مهازاً لمتابعة النضال وتحريضاً وانتهازاً واستغلالا وتزلفاً ومداهنة للرجوع الى مصر ولم يتسن له الرجوع إلا بالثمن الأرفع والدم المهراق هكذا شأن الانتهازيين المستثمرين في كل العصور ومذاهب مكنون

أمره للخليفة خاف عاقبة عمله فهرب إلى فلسطين ليلا وقبع في قصره العجلان في ناحية بئر السبع يتنطس الأخبار متلهفاً للرجوع والياً على وادي النيل بأي ثمن كان فاذا قيل له لم يزل عثمان محصوراً يطيب خاطره وينشرح صدره ولم يمض بضعة أيام وهو في قصره وحوله ابناه محمد وعبد الله ومعهم سلامة بن روح الجذامي اذ مر بهم ركب فتقدم عمرو سائلا كعادته فأجابوه قتل الخليفة فأوشك أن يطلقها صيحة ابتهاج يفتخر بموقفه الذي أثمر بانتصاره على عثمان (رض) ولم يتمالك ان قال أنا ابو عبد الله إذا حككت قرحة نكأتها وبعد قتله بتحريضه عليه وبعد تقاعد معاوية عن نصرته فاما لا يأخذهما تلوم ولا استحياء وسل كل منهما حسامه يطلبان بدمه بالسخرية القدر

وروى البلاذري في تاريخه قال لما أرسل عثمان (رض) إلى معاوية يستمده بعث يزيد بن أسد القسري وقال له سر مع الجيش وإذا أتيت ذا خشب فأقم فيها ولا تتجاوزها ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فانني أنا الشاهـــد وأنت الغائب قال فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان فاستقدمه معاوية فعاد إلى الشام بالجيش الذي كان معه وإنما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعو إلى نفسه

كتاب علي عليه السلام الى معاوية

ذكره ابن ابي الحديد في المجلد الرابع من شرح نهج البلاغة صفحة ٥٧ يقول له « فسبحان الله ما أشد لزومك للأهواء المبتدعة والحيرة المتبعة مع تضييع الحقائق واطراح الوثائق التي هي طلبة وعلى عباده حجة فاما اكثارك الحجاج على عثمان وقتلته فانك انما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حين كان النصر له والسلام

وبعد رجوع علي من البصرة الى الكوفة ارسل جريراً بن عبد الله البجلي بكتاب إلى معاوية يطلب منه الدخول فيما دخل فيه الناس فلما قرأه معاوية قال ياجرير أبلغني ربقي لأنظر في الأمر وكتب إلى عمرو بن العاص اقدم عليّ على بركة الله فجاء اليه مسرعاً كأنها على ميعاد فذاكره فيما جاء بـه جرير فقال له يا معاوية ان الأمة لا تساوي بينك وبين علي بن ابي طالب في شيء فقال له صدقت ولكننا نقاتله ونلزمه قتل عثمان فقال عمرو واسوأتاه ان احق الناس لا يذكر

عثمان لا أنا ولا انت قال ولم ويحك قال له اما أنت فخذلته ومعك اجناد الشام الأربعة وأما أنا فتركته محصوراً وهربت الى فلسطين فقال له معاوية دعني من هذا ومد يدك فبايعني فقال له لا لعمر الله لا اعطيك ديني حتى آخذ من دنياك فقال له مصر طعمة لك فانشرح صدره وبات تلك الليلة وهو يقول

(معاوي لا اعطيك ديني ولم انل به منك دنيا فانظرن كيف تصنع)

واتفقا أن يعلقا قميص عثمان المصبوغ في دمه واصابع زوجته نائلة بنت الفراقصة على منبر الجامع في دمشق ويحرضا الناس على قتال علي الخليفة الشرعي ويطالبونه بدم عثمان (رض) للأخذ بثأره منه وهو الذي كان يدافع عنه وهو الذي ارسل ولداه الحسن والحسين لحمايته

هكذا السياسيون على ممر الدهور والعصور لا يتورعون عن تسخير ضمائرهم في سبيل مطامعهم متحجرة قلوبهم يستسهلون الصعاب في تذليل العقبه الكأداء. لا يتناهون عن منكر فعلوه يسفكون الدماء البريئة لنيل مايبتغون وهذا معاوية ابن ابي سفيان وزميله عمرو بن العاص ضربا الرقم القياسي بسياستهما التي اعطتهما احسن الثمرات في العاجلة وتغلبا بدهائهما على الخليفة الذي هو رجل الاسلام علماً وفضلا وسابقة وشجاعة واصالة وتقى وزهداً وساعدتهما الظروف على تبديل الخلافة الدينية الشورية الديمقراطية الى مملكة دنيوية اوستقراطية تنتقل من الآباء للأبناء والمسلمون يومئذ أوصدوا افواههم بمزلاج من الذهب وسيوف مشهورة فوق الرؤوس وهذا الحال لم يدم طويلا والملك لله الواحد القهار

ونقل صاحب الآداب السلطانية ابن الطقطقي صفحة ٧٥ و ٧٦ ان معاوية وعمرو بن العاص كانا على وفاق ظاهراً ولكنهما يتباغضان سراً وقد ظهر على صفحات وجوههما وفلتات السنتهما ما يحقق ذلك ولعل المصلحة المشتركة الفت بينهما فقد قال معاوية لجلسائه ما اعجب الأشياء فأدلى كل واحد من الجالسين دلوه وتكلم عمرو بن العاص قال اعجب الاشياء ان المبطل يغلب المحق يعرض بعلي عليه السلام ومعاوية فقال معاوية بل اعجب الاشياء ان يعطى الانسان ما لا يستحق اذا كان لا يخاف يعرض بعمرو وولايته لمصر

وفي أيام حرب صفين طلب علي معاوية للمبارزة فقال له عمر ولقد انصفك ولا يحسن بك النكول عن مبارزته فقال له معاوية غششتني يا عمرو ألست تعلم ان ابن ابي طالب لا يبرز اليه احد إلا قتله؟ وقد كتمها في نفسه وهكذا كانا يتناهدان

لا خلاف بان معاوية وعمرو بن العاص غمرهما عثمان «رض» باحسانه وأسبغ عليهما نعمته وجاهه وقلدهما احسن الولايات وحكمهما في رقاب المسلمين فكان جزاؤه منهما جزاء سنمار وبصفتهما عاملين على القطر المصري والشامي فأحدهما ابن العاص استخرج اضغان حقده بتحريض الناقمين عليه سراً وجهراً وفر إلى فلسطين والثاني ابن أبي سفيان تقاعد عن نصرته وعنده اجناد الشام الاربعة الذي هو اقوى جيش بالشرق وقتئذ لماذا خذلاه ولم ينزعا عنه القوم ان في الامر لسراً يعلمه كل متتبع للتاريخ ومجرى الحوادث السياسية ثم مؤامرتهما على امير المؤمنين علي عليه السلام واتهامه زوراً بما هو برآء منه بعد ما اذكيا نيران الحرب على ضفتي الفرات في صفين وحشدا جفاة الأعراب وأهرقا الدماء البريئة ثم انهما اتخذا الدهاء والحيلة ذريعة للوصول للغاية التي ينشدانها ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

« وكان ما كان مما لست اذكره فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر »

لقد صادف سلام الله عليه صعوبات جمة اعترضت سيره في الاصلاح وقدحطم السلاسل ولم يبال بما يتقول عنه اعداؤه المغرضون الذين يتسكعون في دياجير الظلمة أطبق الجهل على بصائرهم فاصبحوا في غيهم يعمهون ومع انه لاحد للقدرة المبدعة التي اودعها الله في قلبه أحرز فيها مواهب وقوى عظيمة خارقة للعادة ولم يبلغ احد قليلا او كثيراً مما بلغه جلالة نفس ولا عظمة خلق ولا فصاحة بيان

هذا امير المؤمنين علي بن ابي طالب المعروف بصفحه ومروءته لقد ظفر بعمرو بن العاص في حرب صفين وهو ملقى على الارض تحت شبا سيفه كاشفاً سوأته يلتمس النجاة فصرف عنه وجهه إباء وحياء وازدرى به ولو انه قضى عليه لقضى على المكر والدهاء وعلى جيش الأعداء

وفي وقعة الجمل اوصى قواده لا تبدأوهم حتى يبدأوكم واذا كانت الهزيمة باذن الله اياكم ان تقتلوا مدبراً او تجهزوا على جريح او تكشفوا ستراً او تأخذوا مالا ولا تهجن النساء بمكروه ولو شتمن أمراءكم وبعد انتصاره يوم الجمل جاؤه بمروان بن الحكم وعبد الله بن الزبير ومحمد بن طلحة وهؤلاء الثلاثة هم الداعدائه الذين القحوا الفتنة وزجوا بالسيدة عائشة «رض» فيها واهرقوا دماء المسلمين فعفى عنهم وأبت عليه مروءته ان يجازيهم باعمالهم ولكنهم خرجوا من بين يديه وجعلوا يؤلبون الناس عليه وانضموا إلى معاوية وابن العاص في حرب صفين ضده

تحلى عليه السلام بصفات عقلية جامعة ومناقب خلقية واسعة ومنطق سديد لا يخطىء الصواب تورع عن البغي وتسلح بالعلم الذي نفحه به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فكان يقول على منبر الكوفة « سلوني قبل ان تفقدوني » « فوالذي نفسي بيده لا تسألونني في شيء فيما بينكم وبين الساعة ولا عن فئة تهدي مائة وتضل مائة الا انبأتكم بناعقها وقائدها وسائقها ومناخ ركابها ومحط رحالها » شجاع حكيم متأله نظر الى الدنيا نظرة عابر سبيل فلم يكترث في حطامها ونظر إلى الآخرة نظرة راحل اليها فكان يتزود من العبادة لله والتقى والعمل الصالح للوصول إلى دار البقاء وقال ما أعرف احدا من هذه الأمة عبد الله بعد نبينا «ص» غيري عبدت الله قبل ان يعبده أحد من هذه الأمة تسع سنين

ثقته بالله خولته ان يركب بغلة في ساحة الهيجاء فقيل يا امير المؤمنين لو ركبت فرساً أسرع من هذه البغلة فقال البغلة تكفيني لأني لا أفر ممن كر ولا أكر على من فر

وكان يخرج حاسر الرأس إلى مبارزيه ومبارزوه مقنعون بالحديد ودرعه صدر لا ظهر له فقيل له في ذلك فقال ان مكنت عدوي من ظهري لا أبقى الله عليه ان أبقى علي

(وفاته)

جاء في تاريخ اليعقوبي في الجزء الثاني صفحة ٨٨ قال قدم عبد الرحمن بن ملجم المرادي الكوفة لعشر بقين من شعبان سنة اربعين فلما بلغ علياً قدومه

قال اوقد وافى أما انه ما بقي عليّ غيره هذا أو انه فنزل على الأشعث بن قيس الكندي فأقام عنده شهراً يشحذ سيفه وكانوا ثلاثة نفر توجهوا فواحد منهم إلى معاوية بالشام وآخر إلى عمرو بن العاص بمصر والآخر إلى علي عليه السلام وهو ابن ملجم فأما صاحب معاوية فوقعت الضربة على أليته ولم يقتل واما صاحب عمرو فانه ضرب خارجه بن حذافة خليفة عمرو في صلاة الصبح وكان عمرو تخلف لعلة فقال الخارجي الذي ضرب أبن حذافة اردت عمراً واراد الله خارجة — واما عبد الرحمن بن ملجم فانه وقف له عند المسجد وخرج علي في الغلس للصلاة فتبعته اوزكنّ في الدار فتعلقن بثوبه فقال « صوائح تتبعها نوائح » وأدخل رأسه من باب خوخة المسجد وضربه على رأسه فسقط وصاح خذوه فابتدره الناس فجعل لا يقرب منه احد الا نفحه بسيفه فبادر اليه قثم بن العباس فاحتمله وضرب به الأرض واتى به إلى علي فقال له ابن ملجم قال نعم فقال لأبنه الحسن شأنك بخصمك فاشبع بطنه واشدد وثاقه فان مت فالحقه بي لاخاصمه

« فليتها اذ فدت عمراً بخارجة فدت علياً بمن شاءت من البشر »

عند ربي وان عشت فعفو اوقصاص واقام يومين ومات ليلة الجمعة اول ليلة من العشر الأواخر من شهر رمضان سنة أربعين هجرية وغسله ابنه الامام الحسن بيده وصلى عليه وكبر عليه سبعاً وقال اما انها لا تكبر على أحد بعده ودفن بالكوفة في موضع يقال له الغري وكانت خلافته أربع سنين وعشرة اشهر

وكان له من الولد الذكور أربعة عشر ومن البنات ثماني عشرة ابنة والذين لهم النسل من اولاده الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر الاكبر والعباس السقاء وبقية اولاده لم يعقبوا ولم يكن لهم أولاد رضي الله عنهم اجمعين

« يا ضربة من شقي ما أراد بها الا ليبلغ من ذي العرش خسرانا »

« فلا عفا الله عنه ما تحمله ولا سقى قبر عمران بن حطانا »

ان امير المؤمنين علياً عليه السلام من الذين اصطفاهم الله بنفحات الهامه وخصه بنعمة من إيحائه عبر الدنيا فخلف نوراً ساطعاً أشبه ما يكون بما تخلفه النيرات من النور بالآفاق وقد عبد الطريق للناس ليترسموا خطاهم على هدى

من ذلك النور لأنه نظر للحياة نظرة روحية اجتماعية تهدف لخير الانسانية اعتمد على القوة المعنوية لتأييد الحق واتخذ الشريعة منهاجه والقرآن نبراسه تجافى الوسائل القسرية والوسائل الإغرائية والخداع السياسي لتنعم الأمة بحياة وادعة هنيئة وجهتها الخير والفلاح جاهد لتشييد المجتمع على مبادىء الدين الحنيف

ولد في البيت الحرام موحداً لم يعبد غير الله ولم يسجد لغير الله ومن بعض مناجاته لربه متهجداً والليل مرخ سدوله « الهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك وانما وجدتك إلهاً تستحق العبادة فعبدتك انت لي كما اريد فاجعلني كما تريد » واستشهد في مسجد الكوفة متأهباً للعبادة وذهب إلى جوار ربه ولسانه يرتل الذكر الحكيم فالسلام عليه في بدء حياته وفي ختامها إلى يوم الدين والعاقبة للمتقين وما احسن ما قاله جار الله الزمخشري

« كثر الشك والخلاف وكل يدعى الفوز بالصراط السوي »
« فاعتصامي بلا إله سواه ثم حبي لأحمد وعلي »
« فاز كلب بحب اصحاب كهف كيف اشقى بحب آل النبي »

شذرات من الحكم الخالدة له عليه السلام

قصم ظهري رجلان جاهل متنسك وعالم متهتك

إذا غضب الكريم فألن له الكلام وإن غضب اللئيم فخذ له العصى

إذا أيسرت فكل الرجال رجالك وإذا أعسرت انكرك أهلك

صديقك من نهاك وعدوك من أغراك

المتعبد على غير فقه كحمار الرحى يدور ولا يبرح

تحتاج القرابة إلى مودة ولا تحتاج المودة إلى قرابة

إذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير واذا سألت لئيما حاجة فعاقصه فإنه إن فكر عاد إلى طبعه

مالنا ولقريش يخصمون الدنيا بإسمنا ويطأون على رقابنا فياله العجب من اسم جليل لمسمى ذليل من أثرى كرم على أهله ومن أملق هان على ولده

لا تسأل غير الله فإنه إن أعطاك أغناك

إذا قصرت يدك عن المكافاة فليطل لسانك بالشكر

من كان همته ما يدخل بطنه كانت قيمته ما يخرج منها

ينبغي لذوي القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا

من كرمت عليه نفسه هان عليه ماله

لا نعمة في الدنيا أعظم من طول العمر وصحة الجسد

لابد لك من رفيق في قبرك فاجعله حسن الوجه طيب الريح

ثمرة التفريط الندامة وثمرة الحزم السلامة

ما اختلفت دعوتان إلا كانت إحداهما ضلالة

المرء مخبوء تحت طي لسانه لاتحت طيلسانه

لا يعدم الصبور الظفر وإن طال به الزمان

ينزل الصبر على قدر المصيبة عظم الخالق عندك يصغر المخلوق في عينك

إذا وصلت اليكم النعم فلا تنفروا اقصاها بقلة الشكر

أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان

إذا أقبلت الدنيا على قوم أعارتهم محاسن غيرهم وإذا أدبرت عنهم سلبتهم محاسن أنفسهم

خالطوا الناس مخالطة إن متم معها بكوا عليكم وإن عشتم حنوا اليكم

كن في الفتنه كابن اللبون لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب

مالابن آدم والفخر أوله نطفة مذرة وآخره جيفة قذرة وهو بين هاتين يحمل العذرة من اتجر بغير فقه فقد ارتطم بالرّبا

من عظم صغار المصائب ابتلاء الله بكبارها

من اصلح سريرته اصلح الله سيرته ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ومن احسن ما بينه وبين الله احسن الله ما بينه وبين الناس

مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقة وتقتله الشرقة وتنتنه العرقة من صارع الحق صرعه

ماأحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالاً على الله

الدهر يومان يوم لك ويوم عليك فإن كان لك فلا تبطر وإن كان عليك فاصبر

لاتجعل أكثر شغلك بأهلك وولدك فإن يكن أهلك وولدك أولياء الله فإن الله لايضيع أولياؤه وإن يكونوا من أعداء الله فما همك وشغلك في أعداء الله

عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء

الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق والتقصير عن الاستحقاق عيّ أو حسد

لكل امرىء في ماله شريكان الوارث والحوادث

الغنى الاكبر اليأس عما في أيدي الناس

ان الله فرض في أموال الأغنياء أقوات الفقراء فما جاع فقير إلا بما متع به غنيّ والله سائلهم عن ذلك

أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج لمن شئت تكن اسيره عيبك مستورٌ ما اسعدك جدك

من عرف نفسه فقد عرف ربه

لاتقسروا أولادكم على أخلاقكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم

إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاثة صدقة جارية وعلم كان قد علمه الناس فانتفعوا به وولد صالح يدعو له

ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار

شاركوا الذين أقبل عليهم الرزق فإنه أخلق للغنى وأجدر بإقبال الحظ

من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه

بئس الزاد إلى المعاد العدوان على العباد

حسد الصديق من سقم المودة ليس من العدل القضاء على الثقة بالظن

في تقلب الأحوال علم جواهر الرجال الخلاف يهدم الرأي

من لان كنفت اغصانه اغض على القذى ترضى ابداً

إن لم تكن حليما فتحلم فإنه قل من تشبه بقوم إلا أوشك أن يكون منهم

إن مع كل إنسان ملكين يحفظانه فإذا جاء القدر خليا بينه وبينه وان الأجل جنة حصينة إن هذه القلوب تمل كما تمل الأبدان

لم يذهب من مالك ما وعظك

يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك

من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع

إحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك آلة الرياسة سعة الصدر

إذا هبت أمراً فقع فيه فان شدة توقيه أعظم مما تخاف منه

من استقبل وجوه الآراء عرف مكان الخطأ

الناس أعداء ما جهلوا كم من أكلة تمنع أكلات

ترك الذنب أهون من طلب التوبة لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق

من وضع نفسه موضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن

عاتب أخاك بالاحسان اليه واردد شره بالانعام عليه

للظالم البادي غداً في كفه عضة الهم نصف الهرم

قلة العيال إحدى اليسارين التودد نصف العقل

ما عال امرؤ اقتصد تنزل المعونة على قدر المؤونة

من أيقن بالخلف جاد العطية استنزلوا الرزق بالصدقة

لايكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث في نكبته وغيبته ووفاته

غيرة المرأة كفر وغيرة الرجل إيمان إضاعة الفرصة غصة

هلك فيّ رجلان محب غال ومبغض قال

ربّ عالم قد قتله جهله وعلمه معه لم ينفعه قيمة كل امرىء ما يحسنه

إن الامور إذا اشتبهت اعتبر آخرها بأولها

نفس المرء خطاه إلى أجله إذا تم العقل نقص الكلام

لايرى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرّطاً

العفاف زينة الفقر والشكر زينة الغنى

فوت الحاجة أهون من طلبها لغير أهلها فقد الأحبة غربة
كفى بالقناعة ملكا وبحسن الخلق نعيماً

﴿ ابو محمد الحسن الزكي ﴾

ولد سنة ٣ هـ و ٦٢٤ م وتوفي سنة ٥٠ هـ و ٦٧٠ م

الامام الحسن الزكي تحدر من بيت الشرف والمجد من مثوى النبوة والامامة فورث العلم والحلم والسخاء والاباء والأريحيـــة وحلق في الشمم والسؤدد سبط الرسول امه فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابوه علي بن ابي طالب سلام الله عليهم اجمعين ملك المجـــد طارفه وتليده وكُبره وصِغره رفعة لا تطاول وعزة لا تناصب وجلالة لا تساوى ومقام لا يدانى شخصية فذة لا نظير لهـــا ولا مثيل شريف القدر عظيم الخطر شجاعاً مقداماً ذرب اللسان فصيح اللهجة شديد العارضة رحيب الباع اماماً دينياً اخذ حظه من الدنيا باعتدال وعمل للآخرة خير الاعمال اغاث الملهوف ورامى اليائس وخدم الانسانية ومثل الورع والزهد والتقى وآثر الآخرة على الأولى ورفع منار الدين ونشر العلم قال واصل بن عطاء كان الامام الحسن بن علي عليـــه السلام عليه سيماء الانبياء وبهاء الملوك

وروى ابو نعيم في حلية الاولياء بالاسناد عن قاسم بن عبـد الرحمن عن محمد بن علي ان الامام الحسن قال اني لأستحي من ربي ان القاه ولم امش إلى بيته فمشى عشرين مرة على رجليه من المدينة إلى مكة والنجائب لتقاد معه وقد قاسم الله ماله مرتين حتى كان ليعطي النعل ويمسك النعـل ويعطي الخف ويمسك الخف ويعطي عطاء من لا يخاف الفقر

مولده وصفته وما جاء في عظيم الاحاديث

ولد بالمدينة في السنة الثالثة وقبض فيها سنة خمسين هجرية بوابه قيس بن ورقاء وقيل ميثم التمار واصحابه اصحاب ابيه وقائد جيشه عبد الله بن العباس ثم قيس بن سعد بن عبادة وكاتبه عبد الله بن ابي رافع ومعاصره معاوية بن ابي سفيان

وفي كتاب الصفوة لابن الجوزي قال كان الحسن اشبه الناس بجده صلى الله عليه وآله وسلم وروى البخاري في صحيحه عن عقبة بن الحرث قال صلى ابوبكر العصر «رض» ثم خرج يمشي هو وعلي عليه السلام فرأى الحسن يلعب مع الصبيان فحمله ابوبكر «رض» على عاتقه وقال بأبي شبيهاً بالنبي ليس شبيهاً بعلي وعلي يبتسم وروى البخاري ومسلم عن البراء بن عازب قال رأيت النبي وعلى عاتقه الحسن بن علي وهو يقول اللهم اني احبه فأحبه وروى الترمذي عن ابن عباس قال كان رسول الله حامل الحسن بن علي على كتفه فقال رجل نعم المركب ركبت يا غلام فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونعم الراكب هو وروي عن الحافظ ابي نعيم فيما أورده في حديثه عن ابي بكر «رض» قال كان رسول الله يصلي بنا فيجيء الحسن وهو ساجد فيجلس على ظهره ورقبته فيرفعه النبي رفعاً رفيقاً فلما فرغ من الصلاة قالوا يا رسول الله انا رأيناك تصنع بهذا الغلام شيئاً ما رأيناك تصنعه بأحد فقال ان هذا ريحانتي وان هذا ابني سيد وعسى الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين وروى الترمذي عن ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة وروى الترمذي والنسائي في صحيحيهما كل منهم بسنده يرفعه إلى بريده قال كان رسول الله «ص» يخطب فجاء الحسن والحسين عليهما السلام وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل عن المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله العظيم إنما اموالكم واولادكم فتنة فنظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم اصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما

من البديهيات ما جاء في هذه الروايات التي لا ريب فيها عن محبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لحفيديه الحسن والحسين من بضعته السيدة فاطمة سلام الله عليهم لأن محبة الاجداد لحفدتهم سجية وطبيعة عامة فالرسول لا أولاد له ولا احفاد غير أولاد الزهراء فلا عجب اذا كان يدعوهما أولاده ويصرح بحبه لهما والحسن أول مولود جاءت به سيدة نساء العالمين دب ودرج في مقام النبوة ومهبط الوحي والتنزيل في حجور طهرت وطابت لم تدنسها الجاهلية بأوضارها نشأ عليه

السلام وترعرع في معالم التقى والعرفان واليقين واكتهل في معهد العلم الرباني ونهل علا بعد نهل من العلم الصحيح لذلك تجلت النفس الانسانية في شمائله وأخلاقه واعماله البارة وقيامه بالواجب تجاه ربه وعباد ربه عاش علماً للخلق وسيداً من أسياد الفضيلة ورائدا من رواد البحث لرفع مستوى الانسانية

(صفته) كان أبيض مشربا بحمرة دعج العينين سهل الخدين كث اللحية كان عنقه ابريق من البلور بعيد ما بين المنكبين ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير من احسن الناس وجهاً جعد الشعر

(كنيته) ابو محمد والقابه الزكي والتقي والسيد والسبط والولي واعلاها رتبة ما لقبه به جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ماجاء عنه قوله « أن هذا ابني سيد »

فاروقنم

وذكر ابن الاثير في الجزء الثالث من تاريخه صفحة ٢٠٤ في سنة ٤٠ هجرية بويع الحسن بعد استشهاد ابيه بالخلافة وأول من بايعه قيس بن سعد بن عبادة الانصاري وتبعه الناس واشترط عليهم أن يكونوا مطيعين وقال لهم تسالمون من سالمت وتحاربون من حاربت فارتابوا وقالوا ما هذا لكم بصاحب وما يريد الا القتال

أجل لقد اجمع المسلمون على بيعة الامام الحسن بالخلافة لأنه ابن بجدتها ولا يقاس به غيره ولا يساويه احد بعلمه وفضله وشجاعته وسخائه وأهليته وقد قام بالأمر على منهاج أبيه في تأييد الدين المبين وافرغ وسعه في بث روح العدل وقمع الظلمة والظالمين وابرم بالسداد اموره والحق بالقصد سيرته فكانت ايام خلافته التي لم تتجاوز ستة اشهر كلها نور وهدى وسداد ونهى وقد نص أبوه عليه بالامامة والخلافة وقال له قبل وفاته يا بني أمرني جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان أوصي اليك وأدفع اليك كتبي وسلاحي وهذه الرواية رواها العلامة الثقة محمد بن يعقوب الكليني رحمه الله وقد روى الامام احمد بن حنبل عن هبيرة في مسنده قال لما حضرت الوفاة علياً كرم الله وجهه خطبنا ولده الحسن فقال لقد فارقكم رجل لم يسبقه الأولون بعلم ولم يدركه الآخرون لقد كان يجاهد مع

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبقيه بنفسه ولقد توفي في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم وقبض فيها يوشع بن نون عليهما السلام وما خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبعماية درهم اراد ان يشتري بها خادماً لأهله ثم أجهش بالبكاء وبكى معه الناس ثم قال أنا ابن البشير النذير انا ابن الداعي إلى الله باذنه انا ابن السراج المنير انا ابن من اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً انا ابن اهل بيت افترض الله طاعتهم في كتابه العزيز فقال « قل لا اسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » ثم جلس فقام عبد الله بن عباس بين يديه فقال معاشر الناس هذا ابن بنت نبيكم ووصي امامكم فبايعوه فتبادر الناس إلى بيعته بحماس شديد وذلك في اليوم الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة اربعين من الهجرة ورتب العمال والولاة وانفذهم إلى الحواضر وأوصاهم بتقوى الله في السر والعلانية والعمل على نشر العدل بين الناس والأخذ بيد المظلوم وزجر الظالم عن الظلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنفذ عبد الله بن العباس إلى البصرة لادارة شؤونها واستتب الامن وحل الرخاء وزال العناء

معاوية بن ابي سفيان وبطانته

وكان معاوية بالشام بعد وفاة امير المؤمنين علي عليه السلام في أوج عزه وقوة سلطانه تجبى اليه أموال الشام والاردن ومصر ويوزعها على الخاصة والعامة ويمني نفسه بالاستئثار بالملك ولما بلغه ما كان من اجماع الناس على بيعة الامام الحسن اسقط في يده وهبت بطانته تنادي بالويل والثبور حانقة ساخطة لرجوع الخلافة إلى أهلها بالبيعة إلى حفيد الرسول لأنها لا تجد فيه طلبتها ولا يشبع نهمتها والناس عبيد الدنيا والذي يتناول البدرة لا يقبل أن يحاسب على الذرة مع العلم انه لا يتحول عن السير على شريعة جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بسيرة من سبقه من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم اجمعين وهذه البطانة اكثرهم من النفعيين الذين يتعيشون على حاشية المجتمع في حيازة الملوك والأمراء يؤثرون رضاء مليكهم او اميرهم على رضا الله ومثل هؤلاء الانتهازيين لا يخلو منهم عصر

من العصور ولعلهم وجدوا في الشام مرعى خصيباً فهالهم الأمر وجمعوا الاشياع والأتباع وبعد المداولة والمراجعة شاور بعضهم بعضا وقر الرأي بينهم على بث الدعاية ضد الامام الحسن والارجاف به واختلاق الأخبار السيئة عنه والمغالطة ثم الاستعانة بالمال على قلب الحقائق وتسخير الضمائر إلى مزالق الشهوات والأطماع الجامحة وذهب الدعاة إلى الحواضر الاسلامية يبثون الدعاية ويختلقون الأراجيف حتى وصلوا إلى الكوفة واستعملوا التمويه والتدجيل والمال فنجحوا في سعايتهم وتحول اهل الكوفة بسرعة عجيبة بعامل المال الذي ساعدهم على ما يبتغون فلم يستغرب العقلاء هذا الميل العاجل لأن الصراع كان مستحكما يومئذ بين الخلافة الدينية ومبادىء الدولة الدنيوية والجهاد عنيف بين الترف والكفاف وبين الدنيا والدين لأن خروج العرب من جزيرتهم واختلاطهم بالأعاجم جعل التطور في أخلاقهم وعاداتهم والتطور سنة طبيعية من سنن الكون كان لها اعمق الأثر في تبديل احوالهم السياسية والاجتماعية والمعاشية والأخلاقية وتحولت الاعتبارات الاجتماعية وفاقاً للتغييرات المآدية مصداقاً للحديث الشريف « الخلافة بعدي ثلاثون عاماً ثم تكون ملكاً عضوضاً » وقد أشار إلى ذلك السيد عبد الباقي العمري في قصيدته البائية

« خلافة قد جعلوها فيهم ملكاً عضوضاً فلهذا استكلبا »

واذا ذكر معاوية يتبادر الذهن لأول مجاهد لتأسيس الملكية في الاسلام واول عامل للسياسة الدنيوية وأول من اقام الحرس والشرط والبوابين في الاسلام وورد في الجزء الثاني من تاريخ اليعقوبي صفحة ٢٠٧ بانه أول من مشى بين يديه بالحراب وأول من أخذ الزكاة من الأعطية وأول من جلس على السرير والناس تحته وجعل ديوان الخاتم وبنى وشيد البناء وسخر الناس في بنائه ولم يسخر أحد قبله واستصفى أموال الناس وأخذها لنفسه وكان يقول أنا أول الملوك ودخل عليه عبد الله بن عمر «رض» فقال له كيف ترى بنياننا قال ان كان من مال الله فانت من الخائنين وان كان من مالك فانت من المسرفين وقال لعدي بن حاتم كيف زماننا هذا يا أبا طريف قال ان صدقناكم خفناكم وان كذبناكم

خفنا الله قال اقسمت عليك قال له عدل زمانكم هذا جور زمان قدمضى وجور زمانكم هذا عدل زمان ما يأتي

ولست اشك ان النجح الوقتي السريع هو لتلك السياسة الخلابة المموهة بالطلاء الخلب والغشاء الخداع والنجح الدائم الباقي انما هو للمعين الصافي الرائق والحق الصراح الثابت « فأمّا الزبدُ فيذهبُ جُفاء واما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرضِ » لا ريب أن معاوية ملك وتغلب وبنى مجداً مؤثلا بحسن سياسته وكرمه وحلمه لنفسه خاصة وبعد وفاته انهار ما بناه وذهب ما جمعه وانكشف الحجاب وانتهى الأمر إلى النهاية المحتومة ولكل اجل كتاب

وهو الذي قال عنه الخليفة الثاني « رض » لجلسائه تذكرون كسرى وقيصر ودهائها وعندكم معاوية وهذا قول سديد فان معاوية ضم اليه دهاة العرب امثال عمرو بن العاص وزياد بن ابيه والمغيرة بن شعبة وأضرابهم من اصحاب الكفايات النادرة ممن لا يقلون عنه حنكة ودربة وحيلة وصولة وقد خضعوا لسلطانه وأغرقوا في الاخلاص له وتفانوا في تثبيت ملكه بأساليب مخصوصة لا يعرفها غيرهم واخلص هو لهم وحباهم الأموال والضياع والولايات وانغمسوا معه في حرب امير المؤمنين وولده الحسن الزكي عليهما السلام وعندما بويع الامام الحسن بالخلافة عملوا على تسميم الجو ضده واغدقوا الاموال على الخاصة والعامة للمشاغبة عليه واستمالوا الناس بالترغيب والترهيب وتولى ابن العاص مصر وجوارها وابن شعبة العراق وبعد اربعة اشهر من خلافة الحسن عليه السلام تحرك معاوية وزحف بجيشه من الشام إلى العراق حيث التقى بجيش الامام الحسن بالموصل تحت قيادة عبيد الله بن عباس وقيس بن سعد بن عبادة فرأى معاوية استعمال السياسة من الكياسة في مثل هذا الموقف فوجه معاوية إلى قيس رجلا يستميله اليه باعطائه له الف الف درهم ليكون معه او ينصرف عنه ويترك القيادة فاستشاط غيظاً وقال يريد معاوية ان يخدعني عن ديني وقبل انه لما انقطع امله منه ارسل إلى عبيد الله بن عباس بمثل هذه العطية فأجابه إلى ما اراد وسار إلى معاوية في ثمانية آلاف من اصحابه — واقام قيس على حرب معاوية

منذ رجعت السياسة الدنيوية تغيرت الحياة الاجتماعية وتسممت الافكار بحب المال والمال له أثره في النفوس الضعيفة التي لا تحافظ على مبادئها وتستنيم للطمع وتستخذي للنوافه والترهات الباطلة كما فعل عبيد الله بن عباس قائد جيش بن عمه الخليفة الشرعي وموضع ثقته لقد خارت ارادته واعشى بصره وران على بصيرته حب المال ولم يقو على كبح جماح الطمع والجشع فاندفع نوآ كالأتي إلى معاوية بيده بقوة لا يستهان بها من رجاله ليستعين بها على قتال ابن عمه قاطعاً للرحم مستهتراً بعواقب عمله - ثم أرسل معاوية ممن يعرفون بسعة الحيلة من رجاله إلى الامام الحسن ليثبطوا همته ويوهنوا عزيمته وهم المغيرة بن شعبة وعبد الله بن عامر بن كريز وعبد الرحمن بن ام الحكم وهو بالمدائن نازل في مضاربه ودخلوا عليه وعندما خرجوا من عنده وهم يحدثون انفسهم ويسمعون الناس كذباً ومينا ان الله قد حقن الدماء بابن رسول الله وسكن به الفتنة واجاب إلى الصلح وكذا قائد جيشه قيس بن سعد صالح معاوية فاضطرب العسكر ولم يشكك الناس في صدقهم فوثبوا بالامام وانتهبوا مضاربه ولم يعلم سبب هذا الطغيان وقد خاف الامام من غدرهم به فركب فرساً له ومضى في مظلم ساباط وكمن له الجراح بن سنان الاسدي فجرحه في معول في فخذه فتناوله الامام من لحيته ولواها فدق عنقه وحمل عليه السلام إلى المدائن وقد نزف نزفاً شديداً واشتدت به العلة فافترق عنه الناس لعلمهم ان الأمر يصير إلى معاوية

والعظيم كلما نزلت به الكوارث فان له من عظمته ما يرفه عليه ويخلق له جواً يسكن فيه لتدبير الله وعنايته به ولعظيم شخصيته وجلاله ولن يقعد به مرضه وعذابه انه قوة يؤيد بها اينما كان وكيفما كان فالامام الحسن بعد ان اثار الفتنة رجال معاوية في عسكره وهاجموا مضاربه وبعد خيانة قواده تخلى عنه اقرب الناس اليه واختل الامر معه لم يهن ولم يحزن والذي اوهى عزمه واقعده عن الوقوف في وجه خصمه المرض الذي برح به من شدة الألم وتألمت نفسه لضعف الايمان في نفوس الجماهير التي جنحت عن الدين واهله للدنيا واهلها

ولكن معاوية اغتنم الفرصة ودخل الكوفة والامام الحسن في المدائن يقاسي

آلام المرض اياماً وبقي معاوية يجمع رجاله للوصول إلى ما يسعى اليه وقرروا ان يرسل له معاوية كتابا يعده فيه ويمنيه فأسرع بتقديم كتاب له يقول فيه اما بعد فانت اولى بهذا الأمر واحق فيه لقرابتك ولو علمت انك اضبط له واحوط على حريم هذه الامة لبايعتك وبعث له بصحيفة بيضاء مختومة في أسفلها ان اكتب فيها ما شئت

وهذا الكتاب من المغالطات السياسية التي كان يستعملها معاوية من حين لآخر في مثل هذه الظروف المواتية بعد ان مهد لها للوصول إلى السدة التي ينشدها والفرصة سانحة فانتهزها وتحين الغفلة فاقتحمها وظهرت مواهبه فلم يضيعها واستعمل دهاءه في تذليل الصعاب وبث العيون والدعاة والجواسيس للعمل على مدحه والثناء عليه وتقريضه بين العامة والخاصة واعتمد على رجال من خواصه يعرفون بالمكر والخداع والحزم فاستنفذوا وسعهم في تنفيذ الخطة التي يتوخاها

والأمور تقاس بنظائرها لقد ظهر في القرن التاسع عشر الميلادي البرنس بسمرك الداهية الالماني على مسرح السياسة العالمية في اوربا فكان أوتوقراطياً في مباديه ونزعته يعتقد ان مهمة بروسيا هي توحيد الوطن الالماني ويوقن ان هذا الحلم لا يتم الا بواسطة الاسرة البروسية المالكة وقد أتت سياسته بنتائج معكوسة صبغت الامبراطوريه الالمانية صبغة استبدادية صيرتها بعد ذلك ضربة على اوربا وانتهى أمرها بالانحلال

وهكذا كان معاوية بن ابي سفيان في القرن السابع الميلادي سياسياً مرناً اتوقراطياً استعبد رجالا بالمال والجاه فأطاعوه طاعة عمياء وتفانوا في تثبيت سياسته ومطامعه بكل الوسائل التي حققت أحلامه بتشييد الملكية الدنيوية بعد القضاء على الخلافة الدينية لتكون ملكاً له في حياته ثم لورثته من أهله وذويه وقد وحد الامبراطورية العربية تحت حكم الاسرة الاموية بقوة شخصيته وقد عمل واجتهد على اخفات صوت الحزب المعارض من الاسرة الهاشمية ولا يفوتنا القول بانه استفاد من الهيئة السياسية التي كانت مصدر قوته كعمرو بن العاص وأضرابه

الذين كانوا ألزم له من ظله واستفاد من الوسط السياسي الذي شاء القدر ان يكون فيه وقد أنت سياسته بنتائج تذوق بها اجهة الملك وبعد موته هبت أعاصير هدامة على هذا الملك الذي لم يدعمه بالتربية الدينية فزعزت أركانه وخضدت شوكته لسوء سياسة القابضين على صولجان الملك ومقـــدراته والعبث الذي عكفوا عليه في حلهم وترحالهم ولذلك لم يكد يمر قرن حتى تهلهلت وتفككت معالم هذه الامبراطورية العظيمة وأصبحت عبرة وذكرى والملك لله وحده «وما ربك بظلام للعبيد»

الاكراه على الصلح

منذ تفرق عن الحسن عليه السلام اصحابه وقلبوا له ظهر المجن وتركوه يقاسي آلام المرض وانحازوا إلى عدوه وهو لا ينفك يدعوهم اليه فلم يجيبوه كأن في آذانهم وقرا ولكن رجال معاوية في هذا الظرف العصيب ثابروا على الدعاية إلى معاوية والاشادة بذكره بين القبائل وفي المحافل العامة وعلم الامام الحسن ان اهل الكوفة تاهوا في ضلالتهم وتمادوا في غيهم وسلكوا طريق الخيانة كما عاملوا أباه من قبل ولا يؤمن كلمهم ولا يرتق فتقهم ولا يرجى منهم الخير والمنعة حينئذ لم ير بدأ من الصلح مع معاوية ضمن شروط سخية لم يف بشيء منها وفي الجلسة نفسها طلب عمرو بن العاص من معاوية ان يطلب من الامام الحسن ان يتكلم بما حصل عليه الاتفاق فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه وذكر جده فصلى عليـــه وقال أيها الناس ان الله هدا كم بأولنا وحقن دمائكم بآخرنا «وان أدري لعله فتنة لكم او متاع إلى حين» في هذه المصالحة عفا رسم الخلافـــة وانهار بنيانها وتوطد صرح الملك وتسخرت القيم الروحية للنزعات والأهواء والعصبية المقيتة والرجعية الضيقة والعبودية المنكمشة وأخذت البـلاد تجني مآسي هـذه النكبة الدينية والأخلاقيـــة وتلتها النكبات المتتابعة على اختلاف انواعهـــا ترحم بعضها بعضاً

لا لوم ولا تثريب على الامام لموادعته معاوية فقد سلك سبيل الرشد بعـد

خيانة القواد وخبث الأجناد وانحيازهم للعدو وبعد خروجهم عليه فالموادعة هي الطريقة المثلى ولا عبرة بانتقاد الناقدين بعد ان رأى الأمور انتقضت وتشعبت بانقلاب جيشه عليه وخيانة قواده ومن ورائه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأميرهما معاوية بن صخر ومن لف لفهم من أعدائه واعداء أبيه الذين ينصبون له الحبائل ويحيكون الدسائس وقد توفرت هذه العوامل التي لا تنكشف الاعن شر مستطير هنالك كظم الغيظ واغضى على القذى وتجرع الغصة مستعيناً بالله وحقن دماء المسلمين ودمه ودم اصحابه واوصد باب الفتنة معتمداً على كلام الله في كتابه العزيز « فإنْ جَنحوا لِلسلْمِ فاجنح لهـا وتوكلْ على الله إنّهُ هوَ السميعُ العليمُ »

وذكر اليعقوبي في الجزء الثاني من تاريخه صفحة ١٩٤ قال كان زياد بن عبيد عامل علي بن ابي طالب عليه السلام على بلاد فارس فلما صار الامر الى معاوية كتب اليه يتوعده ويتهدده فقام زياد خطيباً فقال « ان ابن آكلة الأكباد وكهف النفاق وبقية الاحزاب كتب يتوعدني ويتهددني وبيني وبينه ابناء بنت رسول الله في تسعين الفا واضعي قبائع سيوفهم تحت أذقانهم لا يلتفت احدهم حتى يموت اما والله لو وصل إلي ليجدني أحز ضراباً للسيف »

فبعث اليه معاوية المغيرة بن شعبة الذي لا يرجع خائباً لقوة عارضته وحذقه ولما اجتمع به تكلم معه بان الأمر والحكم والملك اصبح للأمويين وستكون قرشياً لأن معاوية عازم ان يجعلك أخاه من ابيه فقدم معه على معاوية وادعاه والحقه بابيه ابي سفيان وولاه مصر وجاء في تاريخ الفخري صفحة ٨٢ وكان هذا الاستلحاق اول بما ردت به احكام الشريعة علانية وولي المغيرة الكوفة وكانت مصر والمغرب طعمة لعمرو بن العاص شرطها له يوم بايعه فاقام بها سنتين وثلاثة اشهر وقضى لبانته منها وتوفي سنة ٤٣ هـ انتهى كلام اليعقوبي الذي صور لنا سياسة معاوية في تأسيس ملكه احسن تصوير وكيف كان يقابل مدلهمات الأمور بصبر واناة لاتخونه أعصابه ولا يعدم حيلة سياسية لا مخرج لخصمه منها واذا أعضل الأمر يرميه بأحد رجاله عمرو او المغيرة او زياد وكل منهم سياسي محنك وداهية

دهماء لا يعود الا بالفوز والفلح اضف إلى ذلك نعومته ورحابة صدره وتساهله في بعض الحدود وقد ملك الرقاب بكثرة البذل والعطاء وعقل الألسن بكل الوسائل الفعالة

وجاء في الجزء الثالث من تاريخ ابن الاثير الجزري صفحة ٣٠٥ انه من جملة شروط الصلح بين الامام الحسن ومعاوية ان لا يشتم علياً فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي ثم طلب ان لا يشتم وهو يسمع فاجابه إلى ذلك ثم لم يف به ايضاً

لقد ثابر معاوية على شتم امير المؤمنين علي عليه السلام على منابر مساجد المسلمين ليس في دمشق فحسب بل في جميع الأقطار بدعة ابتدعها لعماله وولاته في حياته ولمن جاء بعده من الملوك الامويين من بعده حتى جاء العبد الصالح عمر بن عبد العزيز فنسخ هذه البدعة السيئة احتراماً وتعظيما للرسول صلى الله عليه وسلم ولصهره باب مدينة العلم بطل الاسلام الذي لم يسجد لصنم قط

خروج الامام الحسن من الكوفة

ولحق الحسن عليه السلام واهل بيته وحاشيته وحشمه بالمدينة صابراً على المكروه والضيم محتسباً وبعد خروجه من الكوفة تغيرت الحياة الاجتماعية فيها وتبدل الأمن بالخوف واليسر بالعسر كما جاء بالذكر الحكيم « قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون » لقد تنكر لها الولاة والعمال المستبدون وامعنوا في الجور والظلم والقتل على الظن والتهمة وقاموا فيها بحركات رجعية تعسفية تحرم الناس من السيطرة على مقادير انفسهم في كل شيء واستاصلوا كل من يمت بصلة إلى أهل البيت النبوي عليهم السلام وكل من يأتي على ذكرهم بخير وقتلوا حجر بن عدي واصحابه من رجال الله الصالحين الأبرار وكل من كان على طريقتهم من الزاهدين العابدين تأييداً للملك والملك عقيم

ولم يكد يستقر الامام ابو محمد الحسن بالمدينة المنورة حتى هب العلماء والتابعون للحضور تحت منبره لسماع محاضراته القيمة في الفقه والتفسير والحديث والاجتماع

واكتظت مجالسه بالزائرين والمستبصرين واصحاب الحاجات واقبلت عليه الناس بقلوبها خاشعة مشرأبة اليه تتلقف الحكمة والموعظة الحسنة من معدنها الوفير وعمل عليه السلام على توجيه النشء العربي إلى الناحية العلمية بقوده الامل ويحدوه الرجاء إلى زرع روح الايمان في قلوب تحتاج إلى ذخيرة تملؤها علماً صحيحاً يهديها للحق والحقيقة وكان الازدحام عظيماً على ورود حياض علمه لينهلوا من عين اليقين ما يروي لأنهم يعلمون انه اماماً هادياً مهدياً من دعاة الخلق لمعرفة رب العالمين ولا يجهلون بأنه الامام الثاني من أئمة اهل بيت النبي الطاهرين بالنص القاطع عن أبيه عن جده سيد المرسلين صلى الله عليه وعليهم إلى يوم الدين ولا غرابة في خمود الحركة الفكرية للتهذيب والثقافة العامة في الكوفة بعد خروج الامام منها وقد تألق نورها وسطع منارها في مثوى النبوة ومطلع الامامة لأنه كان يتعهد دور العلم ومجالس العلماء بنفسه

وقد أثار في نفوس الحجازيين ما لمسوه من الامام الحسن والحسين عليهما السلام ما قاما به من اصلاح المجتمع وتعميم دور العلم وتجديد ما عفا من معالم الدين والعمل بشريعة خاتم النبيين واجتهادهما لرقي الحياة الاجتماعية والعقلية التي اتت بأطيب الثمرات بروحانية هذين الامامين سيدي شباب اهل الجنة فانبعثت الجماهير جماعات جماعات للاقتباس من هذه الشعلة المباركة التي أضاء سناها من بيت النبي واحفاده عليه وعليهم السلام

لقد شاء الله ان لا يرتقي الانسان إلى درجة من المعرفة والتدين والتقوى الا بعمله واستعداده وجهاده واني اعتقد اعتقاداً جازماً ان القمة العلمية والروحية اللتان ارتقى اليهما الحسن السبط لم يبلغها غيره من أبناء المهاجرين والأنصار لأنه مظهر من مظاهر سلطان الله الذي لا يتعالى على سلطانه عظيم ولا حقير وخليق به ان يكون موضع سر الله لطاعته لله وقربه من الله واني لأحسب ان كل سابق مقصر في هذه الحلبة وكل عليم يدركه الجزر مهما طال امده في البحر المحيط وقيل له يا ابن رسول الله ان ابا ذر يقول الفقر احب اليه من الغنى والسقم احب اليه من الصحة فقال رحم الله ابا ذر اما انا فاقول من اتكل على حسن اختيار الله له

لم يتمن غير الحالة التي اختارها الله — وسمع رجلا في المسجد يسأل الله ان يرزقه عشرة آلاف درهم فانصرف إلى منزله وارسل بها اليه

«أريجيته» عليه السلام — وقيل له يا ابن رسول الله نراك لا ترد سائلا وان كنت على فاقة فقال اني له سائل وفيه راغب وأستحي ان أكون سائلا وارد سائلا لأن الله عود في ان يفيض نعمه علي وألهمني ان افيض نعمه على عباده واخشى ان قطعت العادة ان يقطع عني المادة

وقال له رجل اني اخاف الموت قال ذاك انك أخرت مالك ولو قدمته لسرك ان تلحق به — وقيل له من أحسن الناس عيشاً قال من أشرك الناس في عيشه — وقيل له من اشر الناس عيشاً قال من لا يعيش في عيشه احد

وقال معاوية بن ابي سفيان ما تكلم عندي أحد احب الي اذا تكلم ان لا يسكت من الحسن بن علي وما سمعت منه كلمة فحش قط الا مرة فانه كان بين الحسن بن علي وبين عمرو بن عثمان بن عفان خصومة في ارض فعرض الحسن امراً لم يرضه عمرو فقال الحسن ليس له عندنا الا ما رغم انفه فهذه اشد كلمة فحش سمعتها منه فقط

وذكر صاحب اسعاف الراغبين الشيخ محمد الصبان على حاشية كتاب نور الابصار صفحة ١٣١ قال اخرج الدارقطني ان الامام الحسن جاء إلى ابي بكر رضي الله عنه وهو على المنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال له انزل من مجلس ابي فقال صدقت انه مجلس ابيك ثم اخذه واجلسه في حجره وبكى فقال علي عليه السلام والله ما كان على رأسي فقال له ابو بكر صدقت والله ما اتهمتك ووقع نحو ذلك للحسين مع عمر رضي الله عنه

وهنا يجب ان لا يفوتنا تحليل ما اخرجه الدارقطني فان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما لهما خطرهما الكبير ومكانتهما الاجتماعية ومنزلتهما الرفيعة بين اصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهما يعرفان مالا يعرفه غيرهما من تفضيل آل بيت النبي الاطهار ولا عجب اذا كانا مقيمان على محبتهما ومودتهما والفضل لا يعرفه الا ذووه

العداوة بين هاشم وامية

وجاء في العقد الفريد لابن عبد ربه ذكر في المجلد الثالث صفحة ٣٠ ان ابن حمزة بن عبد الله بن الزبير انتقص علياً عليه السلام فقال له ابوه يا بني والله ما بنت الدنيا شيئاً الا هدمه الدين وما بنى الدين شيئا فهدمته الدنيا أما ترى علياً وما يظهر بعض الناس من بغضه ولعنه على المنابر فكأنما يأخذون بناصيته رفعاً إلى السماء وما ترى بني مروان وما يندبون به موتاهم من المدح بين الناس فكأنما يكشفون عن الجيف

لا خلاف بان العداوة بين الهاشميين والأمويين مخضرمة واكبت العهدين الجاهلي والاسلامي معاً واستثار دفين الحقد ما سفكه الهاشميون من دماء الامويين في بدر وأحد وغيرهما انتصاراً لله ورسوله والغل كمين في الصدور كالنار تحت الرماد القوة تظهره والعجز يخفيه والصلح بين الامام الحسن ومعاوية لم يذهب الاحن بل زادها ضراماً لأن القوة اصبحت بيد الامويين واصبحوا أصحاب الحول والطول تجبى اليهم الأموال وتؤم رحابهم الرجال والامام الحسن انصرف إلى محرابه للعبادة واصلاح ذات البين وتأييد الشريعة ونشر العلم وغير ذلك

وان كثيراً من دهاة السياسة يرون ان الامام كان مع معاوية لين القناة لدن العود وتناسوا أن مصدر نعومته خيانة جيشه وعدم ثبات اصحابه معه وآلام المرض الذي اقعده عن العمل ثم تمسكه بأهداب الدين ومبادئه القويمة التي لا تعرف للدهان معنى ولا للرياء استساغة ويا ليت الدين الاسلامي طهر القلوب من من أدرانها وصهرها في حدود تعاليمه العالية لانحسم الداء وزال العناء

وأجمع المؤرخون بان معاوية كان اذا ضاق ذرعاً بأحد الأمراء والولاة الذين يخشى بأسهم وانقلابهم عليه يدس لهم عسلا مشوباً بسم قاتل من حيث لايشعرون ويردد الكلمة المأثورة عنه « ان لله جنوداً من العسل » وكثيراً ما اوصى اصحابه باجتناب رجلين هما الامام الحسن وعبد الله بن عباس رضي الله عنهما لقوة بداهتهما بالاجوبة المسكته

وفاة الحسن عليه السلام

اخبرنا المسعودي في تاريخه مروج الذهب صفحة ٣٩ عن وقوع حادث لم تضطرب له حاسة ولا علق بوهم قال دخل الحسين على أخيه الحسن عليهما السلام لما سقي السم فقال له لقد سقيت السم مراراً فما سقيت مثل هذه المرة وقدلفظت طائفة من كبدي فرأيتني أقلبه في عود في يدي فقال له الحسين ومن سقاك السم يا اخي قال وما تريد بذلك فان كان الذي أظنه فالله حسبه وان كان غيره فما أحب ان يؤخذ بي بريء. فلم يلبث بعد ذلك إلا ثلاثا حتى توفي وقد ناجاه طويلا ونص على امامته قبل وفاته رضي الله عنه وذكر ان امرأته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي سقته السم وقد كان معاوية دس اليها ان احتلت في قتل الحسن وجهت اليك بمائة الف درهم وزوجتك من يزيد وكان ذلك الذي بعثها على سمه ولما مات وفى لها بالمال وأرسل اليها انا نحب حياة يزيد ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه وتزوجها رجل من آل طلحة فأولدها فكان الناس يعيرونهم ويقولون لهم يا بني مسمة الأزواج وقال الحسن عليه السلام عند وفاته لقد حاقت شربته وبلغ امنيته والله ما وفى بما وعد ولا صدق فيما قال

وقال اليعقوبي في الجزء الثاني من تاريخه صفحة ٢٠٠ لقد توفي الحسن بن علي عليه السلام في ربيع الاول سنة ٤٩ هـ ولما حضرته الوفاة قال لاخيه الحسين يا اخي ان هذه آخر ثلاث مرات سقيت فيها السم ولم أسقه مثل مرتي هذه وانا ميت من يومي فاذا انا مت فادفني مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فما احد اولى بقربه مني الا ان تمنع من ذلك فلا تسفك فيه محجمة دم ولما لف في اكفانه قال محمد بن الحنفية (رض)

« رحمك الله ابا محمد فوالله لئن عزت حياتك لقد هدت وفاتك ونعم الروح روح عمرفيها بدنك ونعم البدن بدن ضمه كفنك ولم لا تكون كذلك وانت سليل الهدى وحلف أهل التقوى وخامس اصحاب الكساء غذتك كف الحق وربيت في حجر الاسلام وارضعتك ثدي الايمان فطب حياً وميتاً وعليك السلام

ورحمة الله وان كانت انفسنا غير قالية لحياتك ولا شاكة في الخيار لك ،

ثم اخرج نعشه يرادبه قبر رسول الله فركب مروان بن الحكم وسعيد بن العاص فمنعا من ذلك حتى كادت تقع فتنة واجتمع مع الحسين عليه السلام جماعة وخلق كثير فقالوا له دعنا وآل مروان فوالله ما هم عندنا الا كأكلة رأس فقال ان اخي اوصاني ان لا أريق فيه محجمة دم فدفن الحسن عليه السلام في البقيع

وحدث ابو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه قال وَفَد عبد الله بن عباس على معاوية بالشام قال فوالله اني لفي المسجد اذ كبر معاوية في الخضراء ثم كبر اهل المسجد فخرجت زوجته فاخته بنت قرظة من خوخة لها فقالت مرك الله يا امير المؤمنين ما هذا الذي بلغك فسررت له قال موت الحسن بن علي قالت انا لله وانا اليه راجعون ثم بكت وقالت مات سيد المسلمين وابن بنت رسول الله فقال لها نعما ما فعلت انه كان كذلك اهلا أن يبكي عليه ولما دخل عليه عبد الله بن عباس قال له معاوية أعلمت يا ابن عباس ان الحسن توفي قال له لذلك كبرت قال نعم فقال له والله ما موته يؤخر اجلك ولا حفرته بسادّة حفرتك ولئن اصبنا به فقد أصبنا بسيد المرسلين ثم بعده بسيد الأوصياء والموحدين فجبر الله تلك المصيبة ورفع تلك العبرة فقال ويحك يا ابن عباس ما كلمتك الا وجدتك معداً

واورد ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة قال لأبي اسحاق السبيعي متى ذل الناس فقال حين مات الحسن عليه السلام وحينما ادعى معاوية زياداً وقتل حجر بن عدي

ولعمري ما معاوية بن صخر الأموي الا غرسة تأصلت جذورها وبسقت افنانها في تربة دمشق الفيحاء وتحت سمائها الصافية اشتركت في تأليف مزاجه عناصر قوية دعمت سلطانه وشيدت أركانه فاستطاع بعبقريته وحذقه وكياسته الوقوف في وجه الامام الحسن الخليفة الشرعي سيد الهاشميين وسبط خاتم النبيين فغلبه على امره بدهائه وقدرته على التصرف في المعارضة وتبوء مركزه صلحاً على شروط معلومة نقضها لما استتب له الأمر وقلب له ظهر المجن واظهر مكنون حقده عليه وعلى اصحابه واصحاب أبيه وذويه فاصطلمهم ومحق ذكرهم وغمط

فضلهم وأنب كل من يذكرهم بخير ويا ليته بعد ما وطد دعائم ملكه احسن اليهم وراعى قرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعاملهم بما جاء في حقهم في الآية الكريمة « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » وبدل الجفاء بالوفاء ودفع عنهم الأذى وارتج باب الفتنة واستأصل البغضاء بالحسنى اقتداء بالنبي صلوات الله عليه في تجاوزه وصفحه عن أبيه ابي سفيان الذي حاربه حربا لا هوادة فيها حرب استئصال والب عليه قريشاً والقبائل واليهود ولم يترك وسيلة الا استعملها ضده ومع كل إساءاته اليه عفى عنه عندما ظفر به يوم فتح مكة وهداه للاسلام ومنحه العزة والسؤدد دون القرشيين بقوله من دخل بيت ابي سفيان فهو آمن ولله في خلقه شؤون

« اولاده » وكان للحسن عليه السلام ثمانية ذكور وبنت واحدة وهم الحسن بن الحسين وأمه خولة بنت منظور الفزارية وزيد بن الحسن وأمه أم بشير بنت ابي مسعود الانصاري الخزرجي وعمر واخواه القاسم وعبد الله أبناء الحسن أمهم ام ولد وعبد الرحمن بن الحسن أمه ام ولد والحسين بن الحسن الملقب بالأثرم واخوه طلحة بن الحسن وأختهما فاطمة بنت الحسن أمهم أم اسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التيمي رضي الله عنهم اجمعين وقال الشيخ كمال الدين بن طلحة لم يكن لأحد من أولاد الحسن عقب غير اثنين وهما الحسن وزيد

(خصام كلمني في حياة الامام الحسن السبط عليه السلام)

من الحق الجدير بكل تقدير لهذه الشخصية الفذة الممتازة بالبر والعطف على الباسين والكرم والسخاء على المعوزين شخصية كاملة مثلت الشجاعة والبطولة في الحرب والسلم وتجافت العنف في سياستها وجنحت للسلم والصلح والاصلاح وتحامت اراقة الدماء على غير جدوى حيث تمثل الدس والختل وخلق المشكلات والمعضلات من خصوم أشربوا حب الدنيا في صدورهم وتركوا الدين لاهل الدين وأظهروا كوامن ما يحملونه من الاحن عليه في بيئة متقلبة لا تثبت على حال سيطروا عليها بأنواع الخداع والغرور هذه الشخصية الكبيرة أعرضت عن الدنيا

لطلابها وجاهدت في تثبيت دعائم الدين ووجهت الناس لخير وجهة للاعتصام بالشريعة السمحاء وعملت على صد الطغيان واقامت للعلم اسواقاً في المساجد والمعاهد حتى جاء امر الله

« تأس فكم لك من سلوة تفرج عنك غليل الحزن »
« بموت النبي وقتل الوصي وقتل الحسين وسم الحسن »

شذرات من كلامه عليه السلام

قال { يا ابن آدم عف عن محارم الله تكن عابداً وارض بما قسم الله تكن غنياً واحسن جوار من جاورك تكن مسلماً وصاحب الناس بمثل ما تحب ان يصاحبوك به تكن عدلا

قال – اعظم الناس قدراً من لم يبال بالدنيا بيد من كانت

قال – جود الرجل إلى اضداده وبخله ببغضه إلى أولاده

قال { هلاك الناس في ثلاث الكبر والحرص والحسد فالكبر هلاك وبه لعن ابليس والحرص عدو النفس وبه اخرج آدم من الجنة والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل

قال – العلم اكثر من يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه

قال – ما اسهل الموت على من أيقن بما بعده واحبه على من شك فيما بعده

قال – خير المال ما وقي به العرض

قال – عليكم بالفكر فانه حياة قلب البصير ومفاتيح ابواب الحكمة

قال { لا ادب لمن لا عقل له ولا مودة لمن لا همة له ولا حياء لمن لا دين له ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل وبالعقل تدرك الداران جميعاً ومن حرم العقل حرمهما جميعاً

قال { حسن السؤال نصف العلم وقال من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وسئل عن الصمت فقال هو ستر العي وزين الحرض وفاعله في راحة وجليسه في أمن

وقال { مكارم الاخلاق عشر صدق اللسان وصدق الباس واعطاء السائل وحسن الخلق والمكافاة بالصنائع وصلة الرحم والتذمم على الجار ومعرفة الحق للصاحب وقرى الضيف ورأسهن الحياء

وقال - ما تشاور قوم الا هدوا إلى رشدهم

وقال - اللؤم ان لا تشكر النعمة

وقال - ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد

وقال - القريب من قربته المودة وان بعد نسبه والبعيد من باعدته المودة وان قرب نسبه

وقال - الخير الذي لا شر فيه الشكر مع النعمة والصبر مع النازلة

وقال - العطاء قبل السؤال من اكبر السؤدد

وسئل من أحسن الناس عيشاً . قال من أشرك الناس في عيشه . وقيل له من أشر الناس عيشا قال من لا يعيش في عيشه أحد . علم الناس علمك وتعلم علم غيرك فتكون قد اتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم

الفصل التاسع

في سيرة الامام الحسين

ولد سنة ٤ هـ - ٦٢٤ م الامام ابو عبد الله الحسين استشهد سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م

هو الحسين بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثالث ايمة اهل البيت وثاني السبطين سيدي شباب اهـــل الجنة وابو الشهداء وخامس اهل العبا امه فاطمة بضعة الرسول الاعظم عليها وعـــلى ابيها ازكى التحيات والتسليم ولد في السنة الرابعة للهجرة في المدينة المنورة وجيء به إلى جده صلوات الله عليه فاستبشر به وتهلل وجهه فرحاً به واذن في اذنه اليمنى واقام في اليسرى وفي اليوم السابع سماه حسيناً وعق عنه بكبش وامر امه ان تحلق شعر رأسه وتتصدق بوزنها فضة فصدعت بامره

القابه السيد والزكي والمبارك والطيب والتابع لمرضاة الله والسيد لقول جده حسين سبط من الأسباط واعلاها رتبة قوله عنه وعن أخيه أنهما سيدا شباب أهل الجنة وكان أشبه الناس بالنبي في خلقه وحليته شاعره يحيى بن الحكم وابن حذلم وبوابه أسعد المجري ونقش خاتمه « لكل اجل كتاب » معاصره معاوية بن ابي سفيان وولده يزيد وقد نص على امامته اخوه الحسن عليه السلام عن ابيه عن جده عليهما السلام بالنص الصريح لقوله صلى الله عليه وآله وسلم عنه وعن أخيه ابناي هذان امامان قاما او قعدا وروى ابن عباس قال رأيت النبي حاملا له على كتفه ويقبل شفتيه وثناياه ويقول حسين مني وانا من حسين احب الله من أحب حسيناً حسين سبط من الأسباط وقال ايضا من اراد ان ينظر إلى أحب اهل الارض إلى اهل السماء فلينظر إلى الحسين — وروى البخاري والترمذي يرفعه إلى ابن عمر انه سأله رجل عن دم البعوضة فقال له ممن انت فقال رجل من اهل العراق فقال انظروا الى هذا يسألني عن دم البعوضة وقد قتلوا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعت رسول الله يقول هما ريحانتاي في الدنيا — وروى البراء بن عازب قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حامل الحسين على عاتقه ويقول اللهم اني أحبه فأحبه

اذا نظرنا نظرة تفهم واستيعاب إلى الحسين عليه السلام رأيناه ثمرة يانعة من شجرة وارفة الظلال أصلها ثابت وفرعها زكي طاهر في مثوى النبوة ومهبط الوحي والتنزيل في بيت الامامة والسيادة تحدر من نمير عذب في حجر الاسلام من أبوين لم تدنسهما الجاهلية بادرانها ولا الأوثان بأنجاسها فجاء طهراً طهوراً درج وترعرع على الايمان تحت رعاية جده بضع سنين واستظل بالشريعة السمحاء وتغذى من بحر علمه الوحدانية على حقيقتها والالهيات على ماهيتها ومرنه على احسن العادات ولقنه معالي الامور وغرس في نفسه الكبيرة الآباء والشمم ومكارم الاخلاق والتقوى والكرم فطابت أخلاقه كأعراقه فكان براً رحيماً جم التواضع كامل الرجولية شمائله تنم عن شجاعة وأريحية ونبل وزهد وتقوى وعلم وفضل وشرف فلا عجب إذا علمنا انه حل في سويداء قلب جده صلى الله عليه وآله وسلم وكثيراً ما كان يعمل على ادخال السرور على نفسه وكلما حمله

كان يقول اللهم اني أحبه فأحبه وسمعه مرة يبكي فهرول إلى بيت ابنته فاطمة وقال لها الم تعلمي يا بنية ان بكائه يؤذيني

وقد رأينا اصحابه من بعده يقتدون به وينظرون إلى الحسن والحسين نظرة إكبار واحترام ويحلونهما في قلوبهم محلا لا يبلغه غيرهما ويفضلونهما على ابنائهم فالخليفة الثاني رضي الله عنه كان يقسم مالا على المهاجرين والانصار فأعطى كلا من الحسن والحسين عشرة آلاف درهم واعطى ولده عبد الله الف درهم وقد عاتبه ولده بقوله لأبيه لقد علمت سبقي في الاسلام وهجرتي وانت تفضل علي هذين الغلامين فأجابه أبوه ويحك يا عبد الله ائتني بجد مثل جدهما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأب مثل أبيهما علي بن ابي طالب وأم مثل امهما فاطمة الزهراء وجدة مثل جدتهما خديجة ام المؤمنين وخال مثل خالهما ابراهيم بن النبي وخالة مثل خالاتهما زينب ورقية وام كلثوم وعم مثل عمهما جعفر ذي الجناحين وعمة مثل عمتهما ام هاني بنت ابي طالب فأحجم عبد الله ولم يحر جوابا

ان كلام هذا الرجل العظيم لولده حجة دامغة لمن جاء بعده من الخلفاء والملوك فقد تكلم حقاً ونطق صدقاً بتفضيل هذين الامامين على ولده وفلذة كبده اقتداء بجدهما ومعرفة لحقهما وتقديراً لفضل أبويهما وجدتهما وخالهما وخالاتهما وعمهما وعمتهما رضي الله عنهم اجمعين واذا راجعنا التاريخ الاسلامي بعد الخليفة الثاني نرى رجالا رفعتهم الأقدار إلى عرش الملك جحدوا فضلهم وغمطوا حقهم وتنكروا لهم وشردوهم تحت كل سماء وكوكب ولم يشف ما حملوه في صدورهم من الحقد عليهم الا القتل والاستئصال معرضين عن حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم « اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق »

فالامام الحسين عليه السلام هو الامام الثالث من ايمة اهل البيت الطاهر مصابيح الدين ونباريس اليقين ونجوم الارشاد ورجوم الالحاد ونصراء الحق وحلفاء الصدق وهداة الخلق لمعرفة الخالق ومن كان هذا معدنه وتلك اروعته فلا بدع اذا جمع الفضائل الغر ومحاسن الأعمال من علو الهمة ومحاربة المنكر ومجانبة الظلم وجهاد الظلمة مع صبر وحلم وعفة ومروءة وورع وكثرة عبادة

يفيد بعلمه ويرشد بعمله

وروى ابن عساكر في تاريخه عن مصعب بن عبد الله قال حج الحسين خمساً وعشرين حجة ماشياً والخيل والنجائب تقاد معه وكان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة — وروى ابن عبد ربه في العقد الفريد أنه قيل لعلي بن الحسين ما اقل ولد أبيك قال العجب كيف ولدت له كان يصلي في اليوم والليلة الف ركعة فمتى كان يتفرغ للنساء

ومع جلالة قدره وعظيم خطره ومكانته الرفيعة عند الله والناس كان أبعد ما يكون عن الكبر جم التواضع يحب الفقراء ويواسيهم ويخفف عنهم آلام البؤس بالبذل والعطاء فقد مر بمساكين بالصفة يأكلون فقالوا له الغداء يا ابن رسول الله فنزل واكل معهم وقال لهم لقد أجبتكم فأجيبوني ومضى بهم إلى منزله وقال لخادمته أخرجي لهم ما كنت تدخرينه وقدميه اليهم

هذه السجايا غريزية في كل فرد من افراد هذا البيت الكريم وقد عاش مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم سبع سنين ومع ابيه امير المؤمنين سبعا وثلاثين سنة ومع أخيه الحسن الزكي سبعا واربعين سنة فازداد كمالا ورفعة وتقوى وكرماً وأخلاقا ومدة امامته بعد اخيه عليهما السلام احدى عشر سنة وشهد مع ابيه حرب الجمل وصفين والخوارج ولم يفارقه مدة خلافته ومن بعض صفاته الخلقية الاباء وعزة النفس والشمم والجرأة والأناة وكظم الغيظ مضافاً إلى ما كان عليه من العلم والسياسة والجرأة والتجربة التي وقف عليها في عهد جده وابيه واخيه في قتال الأمويين

فهو عليه السلام امة وحده والواقع ان الشخصية تولد مع صاحبها ولا تكتسب والتربية والحوادث الخارجية تبرزها للوجود فالزعامة والبطولة والعظمة والنبوغ صفات اسبغها الله عليه فهي سر الهي مستودعه نفسه الكبيرة التي لا يقاس بها غيرها ودراسة حياة الحسين شهيد كربلا من مولده إلى يوم استشهاده جديرة بالدرس والاعتبار فالاحاطة باسبابها ومسبباتها تكشف عن اسرار سياسية واحقاد قديمة الحت بفعل الزمن ان يكون دمه الشريف ضحية الغدر والظلم ويكون

بطل هذه المآساة المحزنة والفاجعة المؤلمة يزيد بن معاوية حفيد هند وعامله الزنيم الدعي بن زياد بن مرجانة ففي دراستها عظة وعبر تبعث على الاستعبار

ان عداوة بني امية لبني هاشم كالنار تحت الرماد ظهرت في شخص ابي سفيان ألهب نارها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وحسر لثامه عن حقد وحسد لهذا البيت الكبير وساق الجيوش انتصاراً لآلهته المتعددة للقضاء على الاسلام والتوحيد الذي جاء به الرسول وبعد المصادمات الكثيرة والوقائع المتتابعة ابى الله الا ان يكون النصر حليف نبيه الكريم وقام بعده ابنه معاوية مجاهراً بالعداء كاشفاً عن ذحول وثارات في خروجه على الخلافة وقتاله لعلي بن ابي طالب وولده الحسن عليهما السلام والطامة الكبرى قيام ولده يزيد من بعده يقذف من صدره الوغر شواظ بركان ثائر وباء بالاثم الباقي له ما بقي الدهر لاهراقه دم الحسين ورجاله واطفاله وأدرك ثار آبائه المشركين بقتله آل النبي الأمين حيث واتاه الظرف فانتهز الفرصة يومئذ وطفر يعتز بسلطانه الذي ذهب معه هو وأهله كأمس الغابر فكان كالفقاقيع التي تطفوا على وجه الماء ثم لا تلبث حتى يبتلعها الغمر

وبعد استشهاد علي وولده الحسن عليهما السلام صوب بنوامية سهام عداوتهم للامام الحسين عليه السلام وسلك آخرهم طريق اولهم في العنف والاذى والاستفزاز فكان يغضي على القذى ويقابل الاعتداء بالصبر والاساءة بالاحسان

خروج الحسين الى مكة

لما مات معاوية ملك بعده ابنه يزيد المعروف بخلاعته ومجونه هاج المسلمون لعلمهم انه لا يرجى له صلاح ولا يرجى منه اصلاح وفيه يقول همام بن عبدالله السلولي

« حشينا الغيظ حتى ولو شربنا دماء بني امية ما روينا »
« لقد ضاعت رعيتكم وأنتم تصيدون الأرانب غافلينا »

ولم يكن بين الفئة المختارة لهذا المنصب باجماع الآراء غير الامام الحسين لعلمه وشرفه واصالته وتقواه وقد توجهت الانظار اليه وحامت حوله القلوب لمكانته الرفيعة في نفوس الخاصة والعامة ليس في الحجاز والعراق فحسب بل في جميع

الأقطار بل من الشام نفسها وكانت الوفود والرسل لا تنقطع من رحبة داره والآمال معقودة عليه لتقويم ما تأود واصلاح ما اختل وفسد وجمع ما تشتت وتفرق ويستصرخونه يا ابن رسول الله ليس لنا امام غيرك وهذا يزيد بن معاوية نزيع ابيه شقا من نبعة واحدة لا طاقة لنا على احتماله فانهض رحمك الله وسر بنا بسيرة جدك وأبيك فليس لنا امام غيرك وهو يقول انتظروا ان الله مع الصابرين

وكتب يزيد إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وهو عامل المدينة اذا اتاك كتابي هذا فاحضر الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير فخذهما بالبيعة فان امتنعا فاضرب أعناقهما وابعث الي برؤوسهما وخذ الناس بالبيعة فمن امتنع فانفذ فيه الحكم وفي الحسين وعبد الله بن الزبير والسلام

فورد الكتاب على الوليد ليلا فوجه إلى الحسين عليه السلام وإلى عبدالله بن الزبير فاخبرهما الخبر فقالا نصبح ونأتيك مع الناس فقال له مروان بن الحكم انهما والله ان خرجا لم ترهما فخذهما ان يبايعا والا فاضرب اعناقهما فقال والله ما كنت لأقطع ارحامهما في هذه الفترة رأى الحسين حدود الله معطلة والمساجد مهجورة والقرآن لا يعمل به والظلم فاش بين الحكام والعدل مفقود وبيت مال المسلمين يتصرف باموال الطغاة على اللهو والخمور والفجور فلم يطق صبراً على ذلك وعلم ان السكوت على هذا الحال اكبر بلاء يحيق بالأمة العربية عامة والمسلمين خاصه فهب كالاسد المصور لدفع هذه الكوارث الهادمة للدين المبين المخالفة لما جاء به سيد النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وجماهير الأمة تحفزه للقيام بوجه الظلم والطغيان

وذكر المسعودي صاحب مروج الذهب صفحة ٦٨ ان الحسين عليه السلام لما طولب بالبيعة إلى يزيد بالمدينة فسام التأخير وسار بين مواليه وهو يقول

« لا ذعرت السوام في فلق الصـ ـبح مغيراً ولا دعيت يزيدا »
« يوم اعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا ترصدني ان احيـدا »

ويحدثنا الطبري في تاريخه صفحة ١٩٦ و ١٩٧ عن عقبة بن سمعان مولى الرباب بنت امرىء القيس الكلبية زوج الامام الحسين قال خرجنا من المدينة

فلزمنا الطريق الاعظم فقال للحسين اهل بيته لو تنكبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير حينما خرج من المدينة كي لا يلحقك الطلب فقال لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو أحب اليه قال فاستقبلنا عبد الله بن مطيع فقال للحسين عليه السلام جعلت فداك اين تريد قال له اما الآن أريد مكة واما بعد فاني استخير الله قال ياسيدي خار الله لك فاذا اتيت مكة فالرجاء ان لا تقرب الكوفة فانها بلدة مشئومة قتل فيها ابوك وخذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تاتي على نفسه الزم الحرم فانك سيد العرب لا يعدل والله بك اهل الحجاز احداً ويتداعى اليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم فداك عمي وخالي والله لئن هلكت لنسترقن بعدك فاقبل حتى نزل مكة واقبل اهلها يختلفون اليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمدين واهل الآفاق

ومذ حل الحسين سلام الله عليه في الحرم المكي أسقط في يد عبد الله بن الزبير وتحير لأنه أدرك ان اهل الحجاز لا يتابعونه ولا يبايعونه ما دام الحسين بينهم لما له في قلوب الناس من التجلة والاحترام فكان يزوره ناصحاً له بالسفر إلى العراق لأن اهله يعرفون اصالتك ومكانتك وهم من اوليائك ويقول له الحسين سننظر بما تقول لأنه يعلم المقصد والغاية وما يرمي اليه

قوة ايمانه واخلاصه لله

لقد كان عليه السلام بعيد الغور في ايمانه بالله ثقته بالله عظيمة شديد البأس قوي المراس لم يتزعزع من سلطان الأمويين وسلطتهم التي تأسست على غير هدى من الله يقينه ثابت بانه على الحق وان غضبه لله ليرفع الظلم عن عباده والعمل على الرجوع للكتاب والسنة بعد ان وهى سلكها ووهنت قوتها في النفوس وليجدد ما درس من الدين لا يبغي اية الملك ولا زخارف الدنيا الفانية ولا يبغي بديلا عن جوار روضة جده صلى الله عليه وآله وسلم بيد ان عنت الأمويين وسيطرتهم على المدينة المنورة ومجاهرتهم بما لا يرضى الله واحراجهم له في طلب البيعة ليزيد بن معاوية والنزول على حكمه جعل خروجه من المدينة كخروج جده من مكة مهاجراً خائفا مترقبا غدرهم به وخروجه لم يكن الا مكرها لأن المدينة بوجوده

مركز الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية والسياسية تؤمها الوفود للاقتباس من فيض علمه هدى ونوراً يتزودون من مكارم اخلاقه أريجية وتقى وصلاحاً وهذا ماحمله على الانتقال للحرم المكي مستعينا بالله

ولما بلغ اهل الكوفة وفاة معاوية أرجفوا بيزيد وكتبوا للحسين عليه السلام سلام عليك فانا نحمد الله اليك الذي لآ اله الا هو «اما بعد فالحمد لله الذي قصم عدوك وعدو أبيك الجبار العنيد الذي انتزى على هذه الأمة فابتزها أمرها وغصبها فيئها وتأمر عليها بغير رضا منها ثم قتل خيارها واستبقى شرارها وجعل مال الله دولة بين جبابرتها واغنيائها وليس لنا امام غيرك فاقبل علينا لعل الله يجمعنا بك على الحق والسلام» وتواترت عليه الكتب تباعاً حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر الف كتاب يستحلفونه بالله وبجده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لا يتقاعد عن المسير اليهم فلم ير بداً من إجابة طلبهم لأمر يريده الله

فارسل ابن عمه مسلم بن عقيل امامه ليرى قوة ايمانهم واخلاصهم له وكتب لهم كتاباً جواباً عن كتبهم يحثهم فيه على التمسك بالدين والاجتماع على الحق ونصرته ونبذ الباطل واهله واوصاهم بالوئام والاتفاق وحذرهم من التفرقة وعندما حل مسلم بين ظهرانيهم قرأ عليهم كتاب الحسين عليه السلام فاكثروا من الصلاة على النبي والترحم على امير المؤمنين وولده الحسن عليهما السلام وهم يبكون ويقولون نفديك بالنفس والنفيس يا ابن رسول الله وبايعه منهم ثمانية عشر الفا وطلبوا من مسلم رضي الله عنه ان يكتب للامام الحسين ان يعجل بالقدوم عليهم واجتمع على الحسين عليه السلام في مكة جماهير من الناس اختلفت ديارهم وجمعتهم مكة وتقدموا الجهاد بين يديه فقال لهم على رسلكم لأنظر ما يكون بالعراق فقد أتتني الكتب من ابن عمي مسلم بالبيعة لي وعاهدوه على نصرتي وعاقدوه على حرب من حاربت وسلم من سالمت واني كاره للقتال ولعلنا نجمع الناس على الحق لتأييد الدين بدون اهراق دم ان شاء الله

ومذ علم يزيد بن معاوية ان الحسين عليه السلام في مكة جهز جيشا عظيما تحت قيادة سعيد بن العاص وقلده امارة الحج واوصاه ان يقبض على الحسين

وان لم يتمكن منه فليقتله غيلة وامره ان يناجزه القتال ويستعمل القوة والرهبة خوفا من حجاج بيت الله الحرام ومن اهل الحجاز الذين يتولونه وينصرونه وبلغ الامام الحسين ان جيش يزيد قادم لانتهاك محارم الله فعزم على التوجه الى العراق تحرجا من اهراق الدماء في البلد الحرام .

ويقول الطبري في الجزء الخامس من تاريخه صفحة ١٩٧ وعندما بلغ عبدالله بن عباس وعبد الله بن عمر وعمر بن هشام المخزومي وغيرهم من ابناء المهاجرين والانصار انه يريد العراق اقبلوا اليه يرجونه المقام بالحجاز ويحذرونه من الكوفه واهلها وهو يتلوا قوله تعالى «أَنْ يُصِيبَنَا إِلا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا» وكتب اليه عبد الله بن جعفر مع ولديه عون ومحمد اما بعد فاني أسألك بالله لما انصرفت عن عزمك حين تنظر كتابي فاني مشفق من الوجه الذي توجه له ان يكون فيه هلاكك واستئصال اهل بيتك ان هلكت طفيء النور في الارض فانك علم المهتدين ورجاء المؤمنين .

فلم يرجع عن عزمه لأن النهج الواضح الذي سلكه لم يكن بحاجة الى رأي مشير معتمداً على عناية الله به فالقوي حقاً هو الذي يفكر ويقول وينفذ وهو الذي يصارع ويتحدى ويتحمل وما دام قد وطد العزم على تحمل النتائج فقد دنا من الغاية وشارف حد الشخصية القوية فالصراحة من أدلة الاباء وعزة النفس وعلو الهمة والايمان والتردد في ابداء الرأي الحازم أو كتمانه تحت ستار المجاملات من أدلة الضعف وحاشاه من ذلك وسار عليه السلام باهله وأولاده واخوته وذويه الى الكوفة للاصلاح لا للحرب ولو أنه أراد الحرب لايعجزه ارسال الرسل الى جميع الاقطار ولسارت ركابه الفيالق والكتائب تتلو بعضها بعضاً وكتم أمره عن المسلمين بمن قرب أو بعد حتى عن أهل العراق لانه ذهب مسالماً لا محاربا ولم يدر في خلد أحد ان اهل الكوفة الذين هم صنيعة أبيه وأخيه يكتبون له ويبايعونه ثم يسددون اليه سهامهم ويستقبلونه بالسيوف والرماح ويكونون عليه البأ .

وآخر كتاب ورد عليه كتاب هاني بن هاني وسعيد بن عبد الله الحنفي «بسم الله الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي من شيعته المؤمنين والمسلمين اما بعد فحيّ هلا فان

الناس ينتظرونك لا امام لهم غيرك فالعجل ثم العجل والسلام »

فالحسين عليه السلام آثر الاصلاح الديني والنضال السياسي الصابر الذي يأبى الخضوع للمعطلين لاحكام الله المتراخين عن تنفيذ حدود الله معرضاً نفسه للتشرد والقتل والشقاء في سبيل الله والعقيدة الثابتة مؤمناً بانه على الحق في جهاد الملحدين. فاستشهاده ذو أثر توجيهي للمسلمين عامة وللشباب المثقف خاصة في هذا العهد بالمعاهد الغربية فاكتنفته تطورات زمانية ومكانية تدعوه للصبر والثبات والنضال لأجل العقيدة الاسلامية والتمسك بالقومية العربية وذكر الحسين حافل بالمجد والاباء والبطولة يتمثل فيه حنكة السياسي وحكمة الفيلسوف وبيان الأديب اللسن .

ولاية ابن زياد على الكوفة

وولى يزيد عبيد الله بن زياد العراقين الكوفة والبصرة وكتب إليه : إن أهل الكوفة كتبوا للحسين للقدوم عليهم وقد خرج من مكة متوجهاً نحوهم وقد بلي به بلدك من بين البلدان وأيامك من بين الأيام فان لم تقتله أرجعتك الى نسبك وأبيك عبيد فاحذر أن يفوتك .

قبل بضع سنين كان زياد بن أبيه ينبز معاوية بابن آكلة الأكباد ويكيد له ويتهدده فعمل معاوية على استلحاقه بأبيه صخر بن حرب بشهادة أبي مريم الخمار ومن على شاكلته وكتب إليه من معاوية بن أبي سفيان إلى زياد بن أبي سفيان فاستمالة بذلك واستقدمه اليه وضمه إلى الدهاة من رجاله فكان ثالث الثلاثة عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد بن أبيه الذين توطدت دعائم ملكه بهم وهذا ولده يزيد لا ينظر إلى أبعد من أرنبة أنفه في الأمور السياسية ينذر عبيد الله بن زياد باخراجه من النسب الاموي إذا لم يفتك بالحسين ولم يعلم انه أطوع له من بنانه .

لقد زخرت الحزازات في صدره برواسب قديمة من مشاعر جاهلية موروثة عن آبائه الذين لهم صحيفة مفعمة بالعدوان سودت وجه التاريخ وقد سار على نهجهم والولد سر أبيه ومنذ حل ابن زياد بالكوفة وصدره مملوء غلا وحقداً يتربص

الفرصة للانتقام تنفيذاً لأمر سيده يزيد وعندما علم ان مسلم بن عقيل في منزل هاني بن عروة لم ينشب ان وجه قوة من رجاله للقبض عليه وخرج مسلم وأصحابه معه وهو لا يشك في وفائهم له ولكنهم عندما شاهدوا جلاوزة ابن زياد مدججين بالسلاح والشر ينضح من قسمات وجوههم غشي التردد نفوسهم وغمرتهم الشبهات وانحلت عرى الايمان من قلوبهم المريضة واستولى عليهم الجبن وتركوا النهج الواضح وتسللوا من ورائه وتركوه بين الأعداء بعامل الخيانة التي ورثوها عن أسلافهم في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وعلى الأصول تنبت الغصون وفي هذه الساعة الرهيبة وجنود الطاغية ابن زياد أمام ابن عقيل وجهاً لوجه وطن نفسه الكسب صديق واحد من الكوفيين فلم يجد غير هاني بن عروة يناضل عنه بلسانه وهو مريض عاجز عن العمل حينئذ لم يربداً من المكافحة وحيداً غريباً وانطبع على محياه المهيب عزم رهيب وهاجمهم وحسامه بيده وهو البطل المجرب المعروف باقدامه في ساحة النزال وقتل منهم كل من وقف في وجهه وانهزموا أمامه مع كثرة عددهم ثم ان قائدهم فاه إلى الحيلة وناداه لك الامان يا مسلم فقال له وأي أمان لكم أيها الخونة الفجرة فحلف له أنه يفديه بنفسه وإن ابن زياد يريد الاتفاق معه على طريقة تحسم الفتنة ويكون بها إصلاح الامة فأغمد سيفه وذهبا معاً إلى قصر الامارة غير هياب ولا وجل مع أنه يعلم أن الغدر والانتقام لا محيد عنهما من أبن زياد ولكن الايمان الصادق يلهب القلب نشاطاً وحماساً والعمل يغذيه ويدعمه لقد جاهد رحمه الله بعزم وثبات بلا خوف ولا خور ولا سآمة واثقاً بأنه على الحق والحق رائده غير عابئ بالأذى ولا بالاضطهاد ولا بالموت الذي هو أقرب إليه من حبل الوريد .

مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة

ومذ وقعت عيناه على الطاغية عبيد الله بن زياد رأى الغدر معقوداً بين عينيه وهو يتحرق غيظاً فاستقبله بالتوبيخ الجارح والطعن القادح لأنه دعي لئيم ظفر بشريف كريم ثم أرسل رئيس شرطته إلى هاني بن عروة يدعوه لمقابلته فجاء إليه وهو الرجل الجليل وله المقام الكبير بين قبيلته مذ حج وبوصوله اخذ يضربه بقضيب بيده على رأسه ووجهه حتى سال الدم من أنفه ومن خديه وحبسه في مقصورة من

مقاصير القصر وفي صباح اليوم الثاني استحضر مسلم بن عقيل وهانئا وقتلهما معاً وبقتلهما أثار ابن زياد نقع الفتنة وأرهج على الاسلام وأهله الفتن وهذا أول الغدر ان وجهتنا في التاريخ الانساني ومن فلسفة التاريخ الانساني الاكبار للرجال العظام والاقتداء بما يقومون به من الأعمال العظام لقد شحنت كتب التاريخ بحروب وملاحم ووقائع وأهوال وتناحر ملوك وإقيال وكلها عظاة بالغات للانسانية المعذبة التي رضخت مرغمة لجبابرة الأمم في الأعصر الخوالي .

والحركات القومية لا يذكيها في نفوس أهلها إلا الظلم والعنف ولا يضرم نيرانها مثل الجور والعسف وهذه مأساة الحسين الشهيد عليه السلام عبرة وذكرى في التاريخ الاسلامي حافلة بأنواع المآسي تستنزف الدمع من القلب ويصطك لهولها السمع لقد لاقى هذا العظيم من الغدر أنواعاً شتى لا يحتملها غيره والعظيم عظيم في كل شيء في شخصيته وشجاعته وائره وإبائه وثورته على الظلم وفي استشهاده واستشهاد خوته وبنيه وذويه ينظر إليهم صابراً محتسباً والأعداء محيطة به ترشقه بسهامها ولا يقل عدد هذه الجيوش المتألبة عليه عن عشرين ألفا كما جاء في الصواعق لابن حجر وكما جاء في كشف الغمة للعلامة الاربلي : يا لهول الموقف وحيد وسيفه بيده يناضل عن نسائه وبناته وأطفاله والسهام تنهال عليه والنساء يتصايحن والأطفال ظمأى من شدة العطش يبالغن في الصياح وبقي سلام الله عليه يقاسي حرارة العطش ونبال الأعداء وسورة الحر ينظر تارة للقتلى من أهل بيته وينظر تارة للنساء والأطفال وقلبه يقطر دماً من غدر يزيد بن معاوية وعامله ابن زياد ومن خيانة أهل الكوفة حتى جاء أمر الله يتسابقون لقتله لا لذنب جناه ولا لبدعة ابتدعها وحاشاه ولعلهم استباحوا دمه لزهده وعبادته ونقواه أو تقرباً لوالدته بضعة رسول الله .

ان السير الحثيث الذي يسير فيه هذا الجيل الجديد كاد يخلق منا آلات ميكانيكية قوامها المادة والحياة بالمادة وفي سبيل المادة فبالينا نتسلح بالروحيات لحماية نفوسنا من الموبقات ونتقرب إلى الله بصالح الأعمال ونقتدي بالحسين في الاباء

﴿ خروج الحسين من مكة الى العراق ﴾

وخرج الحسين عليه السلام من مكة يوم الثلاثاء وهو يوم التروية في الثامن من ذي الحجة سنة ستين هجريه وهو اليوم الذي قتل فيه مسلم بن عقيل ومعه اثنان وثمانون رجلا من أهل بيته وشيعته وموالية وهو بينهم كالشمس راد الضحي تجلله هالة من المهابة وتتجلى في محياه انوار التقوى التي تتألق في وجه أمثاله من أولياء الله وتتردد في مطاوي أفكاره الآلام التي كانت تساور جده وأباه رحمة بعباد الله في بدر وأحد وفي وقعتي الجمل وصفين حلقات متصلة بعضها ببعض وجاءت فاجعة كربلاء هي الوقعة الأخيرة تكملة للمآسي السابقة أدرك بها حفيد أبي سفيان الثأر المنيم الذي أصابه في قتل ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو القائل

«قد قتلنا القوم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل»

ولم يزل سائراً سلام الله عليه حتى بلغ الصفاح فلقيه الفرزدق الشاعر فنزل وسلم عليه وقال للحسين أعطاك الله سؤلك يا مولاي وبلغك مأمولك في جميع ماتحب فقال له من أين أقبلت يا أبا فراس قال من الكوفة يا سيدي ورأيت أهلها قلوبهم معك ياسيدي وسيوفهم مع بني امية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء — ثم ارتحل إلى الثعلبية وبوصوله أتاه الخبر بمقتل مسلم بن عقيل وتقدم اليه اصحابه وقالوا له ننشدك الله الارجعت عن الكوفة ونتخوف من انقلابهم عليك فوثب بنو عقيل وقالوا لانبرح حتى ندرك ثارنا أو نذوق ما ذاق مسلم والتفت الحسين إلى اصحابه قائلا لاخير في العيش بعد هؤلاء واستقبل في بطن العقبة رجلا من بني عكرمة فسلم عليه وأخبره خذلان أهل الكوفة له بعد البيعة وأخبره أيضاً أن ابن زياد وطد الخيل والرجال من القادسية إلى العذيب ومنع الرجال من الدخول إلى الكوفة والخروج منها ولقي بعض الأعراب فأخبروه أنهم لايستطيعون أن يلجوا أو يخرجوا

لقد ران على بصر بن زياد وبصيرته العمه والحقد وتحركت في نفسه الشريرة عوامل الانتقام فلم يردعه عن تحمل هذا الوزر مكانة الحسين في عالم العروبة والاسلام ولم يأبه لجلالة قدره ونبله وشرفه وعلمه وفضله وآثر رضا ابن

معاوية على رضا الله وضرب عليه نطاقاً من الحصار في مهمه قفر مدعوما بالفرسان والرجال والحراس والجواسيس كي لايتحول إلى بلد غير الكوفة ولكي لايتسرب نبأ قدومه الى اهل العراق مخافة هياجهم وثورتهم عليه واسرع في حشد الجيش دون ما سبب ظاهر او مصلحة قاهرة غير رغبته في سفك الدماء الطاهرة والقضاء على الامام عليه السلام واهله وذويه واستئصال البيت النبوي المطهر

أول طلائع ابن زياد

ثم استقبله الحر بن يزيد التميمي ومعه ألف فارس بأمر ابن زياد ووقف قبالة الامام في حر الظهيرة في الصحراء فقال له الحسين :ألنا أم علينا قال له بل عليك يا ابن رسول الله وقد أمرت بالتضييق عليك فقال له لاحول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وركب وامر أصحابه بالركوب وأخذ يتياسر بأصحابه حتى انتهى إلى كربلا في يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين من الهجرة سنة ٦٨٠ ميلاديه .

وكانت الطلائع والجواسيس تتلو بعضها بعضاً في بطون الوهاد وأعالي الجبال عيون تترصد وفي خفايا المنافذ وخفايا البطاح أرصاد تترقب وفي صدر الحسين عليه السلام إيمان يتوثب وعزمة تتوقد وقوة تتوهج ولكن ما أراده الله بيد أن الخيانة والأموال فعلا فعلها في نفوس الكوفيين والأحقاد الأموية بلغت الغاية في القلوب الغلف ولم تبق بارقة أمل تسطع من خلال رؤى الآمال .

وجهز ابن زياد عمر بن سعد بن أبي وقاص القرشي الحجازي لحرب الحسين في اربعة آلاف من اهل البهتان والضلالة الذين تلبسوا الخزي والوزر وهم لايجهلون قدره وانما استهوتهم الدنيا للحصول على المادة الزائلة

اما ابن سعد فقد اجترح هذا الاثم العظيم واستوبل عاقبة امره ومنع الحسين واهله واصحابه من الماء واشترك في هذه الجريمة الشنعاء ليكون والياً على الري ومذ علم حمزة بن المغيرة بن شعبة بما عزم عليه خاله عمر بن سعد جاءه وقال له انشدك الله يا خال لئن تخرج من مالك ودنياك وسلطان الارض كلها لو كان لك سلطان خير لك من ان تلقى الله بدم الحسين فقال له افعل ان شاء الله وبات ليلته مفكراً وهو يقول :

أأترك ملك الري والري بغيتي أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها حجاب وملك الري قرة عيني

بعد هذه المحاكمة الفكرية بينه وبين نفسه غلب عليه الشقاء وسار إلى كربلا وانضم إليه الحر بن يزيد التميمي وشمر بن ذي الجوشن ويزيد بن ركاب وغيرهم من القواد حتى بلغ الجيش ثلاثين ألفاً في بعض الروايات ونزلوا في شاطىء الفرات وحالوا بين الحسين والماء وكما منع جيش يزيد الماء عن الامام الحسين فقد سبقه معاوية في منع الماء عن أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم صفين ذكر اليعقوبي في الجزء الثاني صفحة ١٦٣ وقد سبق معاوية إلى الماء ووسعة المناخ قلما وافى علي وأصحابه لم يصلوا إلى الماء فتوسل الناس إلى معاوية وقالوا لا تقتل الناس عطشاً وفيهم الأمة والعبد والأجير فأبى معاوية وقال لا سقاني الله ولا أبا سفيان من حوض الله ان شربوا منه أبداً فوجه علي عليه السلام الاشتر في الخيل والأشعث بن قيس في الرجالة وكانت خيل معاوية مع أبي الأعور السلمي فقاتله أصحاب علي حتى صارت سنابك الخيل في الفرات وغلبوا على المشرعة فلما غلب علي على الماء قال أصحاب معاوية انه لا قوام لنا وقد أخذ علي الماء فقال عمرو بن العاص ان علياً لا يستحل منك ومن أصحابك ما استحللت منه ومن أصحابه فأطلق علي الماء وكان ذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين هـ .

والتاريخ يعيد نفسه واجتمع الحسين عليه السلام وعمر بن سعد فقال له ويلك يا ابن سعد أتقاتلني وأنت أعلم الناس بي دع عنك القوم وكن معي فانه أقرب لك إلى الله فقال له أخاف أن تهدم داري وان تؤخذ ضيعتي فقال له أما دارك فاني أبنيها لك والضيعة أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز فسكت ولم يجر جوابا .

كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد

وكتب ابن سعد إلى ابن زياد قد أطفأ الله النائرة وجمع الكلمة وأصلح أمر الأمة هذا الحسين قد أعطاني ان يرجع الى المكان الذي أتى منه .

فلما قرأ الكتاب ابن زياد قال هذا كتاب ناصح لأميره مشفق على قومه فقام

شمر بن ذي الجوشن وقال أنا لها أيها الأمير فكتب إلى ابن سعد جوابا عن كتابه اني لم أبعثك إلى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه السلامة انظر فان نزل على حكمي هو وأصحابه فابعث إلي بهم سلما وان أبوا فازحف عليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم ومتى قتلت الحسين فأوطأ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق ظلوم فان انت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع وان أبيت فاعتزل عملنا وجندنا وخل بين شمر والعسكر فلما قرأ ابن سعد الكتاب نهض لقتال الحسين عشية يوم الخميس لتسع مضين من المحرم واستدرجه الشيطان بالزيغ فحاد عن المناهج المستقيمة .

أليس من هوان الدنيا على الله ظهور الدعي ابن الدعي عبيد الله بن سمية بمظهر المتكبر المتجبر على الحسين بن فاطمة سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وينبزه بكلمات نابية « عاق شاق ظلوم » تنطبق عليه وعلى أبيه وعلى مليكه يزيد شارب الخمور والضارب بالطنبور الذي استباح حرم الرسول ورمى البيت الحرام بالمنجنيق .

وتقدم عمر بن سعد برايته وأخذ سهما ورمى به وقال اشهدوا لي اني أول من رمى الحسين بسهم وزحف عمرو بن الحجاج برجاله على ميمنة أصحاب الحسين فلما دنوا منهم جثوا لهم على الركب وأشرعوا الرماح نحوهم ورشقهم أصحاب الحسين بالنبال فصرعوا منهم رجالا وجرحوا آخرين ونشب القتال بالمبارزة وبرز جماعة من جيش ابن سعد لأصحاب الحسين فاستقبلوهم بايمان صادق فقتلوهم عن آخرهم .

وإنما كان النصر لهم لأنهم باعوا أنفسهم لله يستميتون لنيل الشهادة بين يدي الحسين وآل الحسين عليهم السلام والأعداء يحاربون طمعاً بالربح الوافر والعطاء العاجل وبينهما بون بعيد .

مصرع العبد الصالح مسلم بن عوسجة

وعندما صاح عمرو بن الحجاج بالعسكر ان يرموا جماعة الحسين بالحجارة والنبال معاً وان لا يبارزوهم أفراداً وحمل عمرو من جانب الفرات وكانت ساعة رهيبة أبلى بها أصحاب الحسين عليه السلام بلاء شديداً وانجلت الوقعة عن مصرع العبد الصالح مسلم بن عوسجة الأسدي رحمه الله ومشى إليه الحسين عليه السلام

وبه رمق وقال له : رحمك الله يا مسلم ودنا منه حبيب بن مظاهر وقال له أوصني ما تريد فقال له أوصيك بنصرة الحسين وأن تموت دونه لتنال شفاعة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم فقال له اني فاعل ان شاء الله .

رحمك الله يا ابن عوسجة لقد نصرت الله بقوة إيمانك ونصرت رسول الله باخلاصك ونصرت ريحانة النبي بجهادك فكنت حليف الحق في حياتك وبمماتك رحلت من الدنيا على بصيرة من أمرك وقد لفظت أنفاسك في موالاة نبيك وآله الأطهار شهيداً صابراً ناصحاً فلك الهناء في دار البقاء .

مصارع اصحابه واهل بيته

وحمل أصحاب الحسين عليه السلام وكان الواحد منهم لا يبارز رجلا إلا قتله ولا يهاجم صفاً الاخرقه وراحوا يقتحمون الأعداء وجرت خيلهم في ساحة الوغى تحمل على صهواتها اثنان وعشرون فارساً يشقون صفوف اهل الكوفة فينكشفون أمامهم مع كثرة عددهم وعددهم فارتعدت فرائص عمر بن سعد وبعث إليهم الرماة وعليهم الحصين بي نمير ورشقوهم بالنبل فعقروا خيولهم وجرحوا الرجالة وثبتوا أمام هذا العدد الكثير ولم يتراجعوا حتى منتصف النهار حيث استشهد جماعة منهم وبقي الحرب من جهة واحدة لاجتماع مضاربهم لذلك ارسل عمر بن سعد شمراً ورجاله وجعلوا يقوضون البيوت عن يمينهم وشمالهم ليحيطوا بهم وتقدم شمر حتى بلغ فسطاط الحسين عليه السلام ونادى علي بالنار لأحرق هذا البيت وأهله فحمل عليه زهير بن القين فانهزم مذموماً مدحوراً وقتلوا منهم أفراداً .

وصلى الحسين صلاة الخوف بمن بقي من مناصريه ورجعوا إلى المعركة وقلوبهم تتلظى شوقاً للشهادة وكان الفارس منهم يخوض المعركة بقلب مطمئن صابر لا يبالي بما يحيط به من كثرة الجنود الجرارة الجبارة لشدة إيمانه فصرعوا واحداً بعد واحد وشهيداً بعد شهيد والنهار انتصف أو كاد وكل قتيل منهم تسجى في ساحة الجهاد صريعاً باسم الثغر مسرورا لقيامه بواجب المفاداة فالى رحمته ورضوانه .

استشهاد الهاشميين

إن هؤلاء الشهداء الأبرار أنصار الحسين عليه السلام عطروا الكون بأريج

الآباء والوفاء وألقوا على الانسانية دروساً من المفاداة إلى يوم الدين في سبيل العقيدة الصادقة والمبدأ القويم تفيض آثارهم بالبطولة والشجاعة والايمان الصحيح باخلاصهم لفخر الكائنات وأبنائه الغر الهداة .

وكان علي بن الحسين الأكبر من أحسن الناس وجهاً وأكملهم أدبا فتقدم للقتال وهو في التاسعة عشرة من عمره فشد على الأعداء كالليث الأغضب بعزم ثابت وشجاعة حيدرية فارتدوا أمامه مذعورين وبعد ان قتل منهم جماعة رموه بالنبال فأصابوا منه مقتلا فانقض عليه الحسين كالصقر الكاسر وفرقهم عنه وقال قتل الله قوما قتلوك يابني ما أجراهم على الله وعلى انتهاك حرمة جدك رسول الله على الدنيا بعدك العفاء .

وتقدم العباس بن علي بن أبي طالب بطل كربلا فكان يحمل على الكتيبة كحملات عمه حمزة وأبيه علي في وقعة بدر فيمزقها تمزيقاً ويفرقها تفريقاً وقد كانت لحظة فذة في تاريخ الشجاعة لامثيل لها بأن يخوض المعركة امرؤ جيشاً لجباً برمته فيشقه كما يشق التربة سكين المحراث ويقتحم المشرعة ويملأ القربة ماء ليطفىء غلة النساء والأطفال وتناول الماء ليكسر حدة الظمأ فذكر عطش أخيه الحسين فرمى الماء من يده وعاد بالقربة فأحاط به الأعداء ورموه بالنبال فخرقوها وسال الماء على الثرى وارتفع العجاج حتى حجب الشمس وهو يضربهم بسيفه البتار وانجلت المعركة باستشهاده بعد أن قتل منهم أبطالا وجندل شجعانا .

وتتابعت قتلى بني هاشم ومنهم أخوة الحسين لأبيه عبد الله وجعفر وعثمان ومحمد وأبناء عمه وأبناء اخوته ومنهم القاسم بن الحسن وهو غلام وسيم كان وجهه شقة قمر فضربه شقي زنيم بعامود من حديد على رأسه فقتله وانجلت الغبرة والحسين عليه السلام واقف وسط المعركة وسيفه بيده يناضل عن هذه الفتية المختارة وهم يتساقطون بين يديه صرعى والأسى يحز في نفسه على هذا البلاء المقعد المقيم الذي يعجز عن احتماله غيره وبينما هو يكافح ويناضل سمع أصوات النساء والأطفال وقد صحلت من شدة الحزن والعطش فتقدم فرأى ولده عبد الله الرضيع يلوب بلسانه من شدة الجفاف ظمىء تلاشت أنفاسه واضطربت أحشاؤه فلم يكد يحمله حتى

بادره حرملة بن كاهل بسهم فنحره في حجر أبيه فتلقى الحسين عليه السلام دمه حتى امتلأت كفه رمى به إلى السماء ثم قال هون ما نزل بي انه بعين الله وجاء به ووضعه بين القتلى .

ومذ بقي وحيداً إلا من الأحبة المزملين بدمائهم على الأرض صرعى ومن نساء وأطفال أنهكهم تباريح الحزن والعطش والجوع ومن أعداء وحرت وغرت صدورهم بالحقد وتحولوا وحوشاً ضارية وقد أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم وقف (ع) مذكراً لهم لالقاء الحجة عليهم بقوله بعد حمد الله والصلاة على رسول الله

أيها الناس إسمعوا قولي ولا تعجلوني حتى أعظكم بما يجب علي لكم وحتى أعذر إليكم فان أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ولم يكن لكم علي سبيل وإن لم تقبلوا فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ».

فلما سمع النساء كلامه بكين وصحن وارتفعت أصواتهن ثم قال : ولعمري ليكثر بكاؤهن لأنه كان يعلم عن جده صلى الله عليه وآله وسلم إنه سيذهب الى ربه شهيداً وقد تحاجز امام القوم بصبره والأمل يساوره ان تتفتح قلوبهم على الحق طمع بوعظه اياهم الرجوع الى منطق العقول السليمة وينير السلم ظلمة العداوة ولكنهم بهتوا واستعصى عليهم الثبات امام حجته وهو على الحق وهم على الباطل فسكتوا على مضض ولم يفيئوا الى نصرته ولم يحاسبوا أنفسهم ولم يرجعوا عن غيهم .

ثم قال لهم أما بعد فانسبوني من انا وراجعوا أنفسكم وعاتبوها هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين إيماناً بالله ورسوله أليس حمزة سيد الشهداء عم أبي أليس جعفر الطيار في الجنة عمي أولم يبلغكم قول مستفيض أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي ولأخي هذان سيدا شباب الجنة فان صدقتموني فيما أقول لكم وهو الحق والله ما تعمدت كذبا منذ علمت أن الله يمقت اهله وان كذبتموني فان فيكم من اذا سألتموه أخبركم أما في هذا حاجز يحجزكم عن سفك دمي ألم يبلغكم ما قال جدي في حقي وهو

الصادق المصدق ان ابني هذا « يقتل في أرض العراق في كربلاء » فمن شهد ذلك منكم فلينصره «وهذا الحديث اخرجه البغوي والبارودي وابن منده وابن عساكر عن انس بن الحارث بن منبه » فاعرضوا عنه وقالوا له انزل على حكم ابن عمك فقال لا والله لا اعطيكم بيدي اعطاء الذليل ولا اقر اقرار العبيد فاختار المنية على المدينة ومبتة العز على عيش الذل وقال .

« الا ان الدعي بن الدعي قد ركز بين اثنتين السلة والذلة وهيهات منا الذلة يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام » لقد اقدم الحسين عليه السلام على الموت مقدماً نفسه وأطفاله واهل بيته قربانا وفداء لدين جده بكل سخاء وطيبة نفس وعدم تردد ووقف ولسان حاله يقول

(إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي يا سيوف خذيني)

فثارت حمية الحر بن يزيد الذي منع الحسين من الرجوع الى مكة وضرب فرسه ولحق بالحسين عليه السلام وقال له جعلني الله فداك يا ابن رسول الله انا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع واني جئتك تائباً ومواسياً لك بنفسي حتى اموت بين يديك افترى لي من توبة فقال نعم يتوب الله عليك ويغفر لك

ثم نزل لمنازلة القوم ضاحكا مستبشراً بالشهادة بين يديه وهاجم الاعداء بايمان قوي وهاجموه بحقد وضغينة وبعد ان فتك فيهم فتكا ذريعاً تكاثروا عليه وقتلوه رحمه الله

ويرجوع الحسين عليه السلام إلى فسطاطه تقدم نحوه الشمر برجاله محرضاً لهم عليه والحسين يحمل عليهم فيفرون امامه قال عبد الله بن عماد كما جاء في تاريخ الطبري فوالله ما رأيت مكثوراً قط قد قتل ولده واهل بيته وأصحابه أربط جاشا ولا أمضى جنانا من الحسين والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله ان كانت الرجال لتكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى اذا شد فيها الذئب وهم كالجراد المنتشر ولم يزل يقاتل حتى قتل منهم عدداً كثيراً ما عدا المجروحين

واشتد حماسه المملوء غيظاً من قوم جحدوا الدين ولم يتقيدوا بذمام العرب

وفاضت حميته ولم يستطع اغماد سيفه لأن هذه الحرب الضروس التي تسعرت نارها وطار شواظها ليست من الحروب التي تثار عادة بين الامم ولكنها شآذة أثيرت لذحول وثارات قديمة تهاوت فيها الرؤوس المختارة من الهاشميين وتمزقت فيها الاجسام الطاهرة من سلالة خاتم المرسلين وما هي صراخ صاخب يخمد صداه ولا عدوان عابر يمر بالذاكرة ويتناساه وليست كفاحا بين قبيل وقبيل وانما هي فتنة هوجاء تنتقل من جيل الى جيل جددت عهود الجاهلية وانقسم فيها المسلمون إلى قسمين هاشمي وأموي زرع في القلوب بذر حقد أخرج شطأه وقام على سوقه مع الزمن وما هذا الانقسام الوهمي بين المسلمين اليوم الا ثمرة هذه المأساة المروعة

ثم ان الحسين عليه السلام لم يطق صبرا على صياح النساء والاطفال وهم يتضاغوا امامه من الجوع والعطش فكان يهاجم المشرعة ليطفىء حر الظمأ عن هؤلاء العيايل وعندما توالت هجماته صاح عمر بن سعد بالجيش ويلكم اتدرون من تقاتلون هذا ابن الانزع البطين هذا ابن قتال العرب احملوا عليه حملة رجل واحد فانثالت عليه السهام كصوب الغمام وحالوا بينه وبين الخيم فقال لهم ويحكم ياشيعة ابي سفيان ان لم يكن لكم دين فكونوا احراراً في دنياكم وامنعوا عتاتكم عن النساء والاطفال فقال له شمر بن ذي الجوشن لك ذلك يا ابن فاطمة وقصده القوم وقد اخذ منه العطش مأخذاً عظيما وحمل على الاعور السلمي وعمرو بن الحجاج ومعهما أربعة آلاف فارس لحماية المشرعة ففرقهم واقحم الفرس في الفرات وغرف غرفة بيده ليشرب فنادى رجل من القوم يا أبا عبد الله أتشرب الماء وحماك انتهك فرمى الماء من يده وحمل على الحامية ورجع الى الفسطاط فوجده سالماً ولم يكن النداء إلا حيلة فوقف عليه السلام قائلا يا رب ان كنت حجبت النصر عنا من السماء فاجعل ذلك لما هو خير منه وانتقم لنا من هؤلاء القوم الظالمين .

استشهاد الامام الحسين عليه السلام

وتقدم نحو النساء يودعهن وأمرهن ان يلتحفن بازرهن لان البلاء واقع لامحالة وان الله لكن حافظ وأهاب عمر بن سعد بالجيش من فرسان ورماة دونكم الرجل ما دام مشغولا بنفسه وحرمه فشرعوا يرمونه بالسهام وهو بين النساء فقابلهم

بجنان ثبت وقلب جلد متمالك الجأش مرهف الحواس وكان له في المعركة غضبة الليث ودفعة السيل والرهبة يتلوها الموت وشق الجيش وحده وفتح ثغرة عميقة بين صفوفه المتراصة والرقاب تتهاوى على حد حسامه وجالد وجاهد حتى نبا سيفه وانثنى في يمينه والسهام تنثال عليه ورجع متمهلا وهو يقول إنا لله وانا اليه راجعون وقد أصابته جراحات كثيرة وبضع وعشرون طعنة رمح وضربة سيف ورمية سهم وآخرها سهم محدد مسموم له ثلاث شعب فوقع في صدره فقال بسم الله وعلى ملة رسول الله وأخرجه فانبعث الدم كالميزاب وضعف عن القتال ونزل عن ظهر جواده الى الأرض قال هلال بن نافع بينما أنا واقف مع ابن سعد سمعت صارخاً يخاطبه أبشر أيها الأمير لقد قتل الحسين واحتز رأسه شمر بن ذي الجوشن ودفعه الى خولي بن يزيد وسلبوه ما عليه من الثياب وتركوه مسجى بالعراء وانتهبوا حله وإبله وخيله ومتاعه فكان سرور ابن سعد عظيما بهذا الخبر الذي ترك صفحة سوداء في تاريخ العروبة والاسلام وانتهى القوم الى علي بن الحسين الأصغر وهو مريض فاراد شمر بن ذي الجوشن قتله ولكن الله حماه من هذا الجبار المنتقم وجاء عمر بن سعد وحمى النساء وحفظهن من الاعتداء ونادى في الجيش ان يتباعد عن الخيم وذلك بعد الزوال والشمس توارت تحت غمامة تأبى ان ترسل انوارها على الارض ما بقي من ذلك اليوم بقية

تلك صورة تظهر لنا مشاعر القوم مع كثرة عددهم سيطر على قلوبهم الزيغ والالحاد والوحشية المتناهية فاليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام يوم خالد في دنيا الاحزان الى يوم الدين لم تستبق مثله حوالك الايام ولم تتردد فيه الخواطر والاوهام اوهي السم الصلاد واستنزف الدمع من الفؤاد يتجدد ذكره ولا يعفى أثره فالبكاء على هذا الرزء الأليم تأسياً بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فقد بكاه في حياته كما جاء في الجزء الأول من مسند الامام احمد بن حنبل صفحة ٨٥ والاقتداء به جنة من اهوال يوم القيامة وقد ذكر العلامة الاربلي في كتابه كشف الغمة عن ام سلمة رضي الله عنها قالت بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس والحسن والحسين في حجره اذ هملت عيناه بالدموع فقلت يا رسول الله مالي اراك

تبكي جعلت فداك فقال ان طائفة من أمتي تقتل ابني الحسين لا أنالهم الله شفاعتي

« وان الأولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للأنام التآسيا »

وسأل عبد الملك بن مروان العلامة الزهري المؤرخ اي علامة ظهرت يوم قتل الحسين بن علي فقال له لم ترفع حصاة في بيت المقدس الا وجدنحتها دم عبيط

وروى ابن الجوزي في تذكرة خواص الأمة صفحة ١٥٨ ان قتلة الحسين عليه السلام ما بقي احد منهم الا وعوقب في الدنيا اما بالقتل او بالعمى اوسوادالوجه او زوال الملك وقال ابن تيمية في الجزء الثاني من منهاج السنة النبوية صفحة ٣٥٠ اما رواية ابن الجوزي قوله ما بقي احد من قتلة الحسين حتى عوقب في الدنيا فهذا ممكن وامرع الذنوب عقوبة البغي والبغي على الحسين من اعظم البغي

وقال ابن كثير في البداية والنهاية ما روي من الامور والفتن التي أصابت من قتله عليه السلام فاكثرها صحيح وقل من نجا منهم في الدنيا بين من اصيب بمرض واكثرهم اصابه الجنون ولم ينج احد منهم من سيف المختار بن ابي عبيد الثقفي (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون)

وارتحل ابن سعد إلى الكوفة وحمل معه نساء الحسين وبناته واخواته وولده علي زين العابدين وهو مريض فلما مروا على مصارع القتلى وجسد الحسين بالعراء وقد داسته سنابك خيول الاعداء صاح النساء وصاحت أخته زينب يا محمداه صلى عليك ملائكة السماء هذا ولدك الحسين بالعـــراء مزمل بالدماء مقطع الاعضاء وبناتك سبايا وذريتك مقتلة فبكى الناس لبكائها واحس القوم بهول مافعلوا وعظيم ما اجترحوا من الخزي والاثم في الدنيا والآخرة

« رق لها الشامت مما بها ما حال من رق لها الشامت »

فقال لها ابن أخيها زين العابدين صبراً يا عمتاه إن الله عزيز ذو انتقام فقالت وهي الكسيرة القلب الدامية الفؤاد المترعة بالايمان القوية العقيدة بالله الخالصة الاخلاص كله فما أرضانا بحكم الله لأصبرن ولأحتسبن .

دخول السبايا والرؤوس على ابن زياد

وجلس الوغد اللئيم عبيد الله بن زياد بن مرجانة في قصر الامارة وأدخلوا عليه

الرؤوس والسبايا ودخلت زينب بنت أمير المؤمنين وجلست ناحية من القصر وحفت بها إماءها فقال لها الزنيم ابن زياد الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم فقالت له الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه وطهرنا من الرجس تطهيراً انما يفضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا والحمد لله . فقال لها كيف رأيت صنع الله في اهل بيتك قالت له كتب عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتخصمون عنده ومذ علم يحيى بن الحكم اخو مروان بهذه الفاجعة العظمى انشد

« لهام بارض الطف ادنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل »
« سمية امسى نسلها عدد الحصى وليس لآل المصطفى اليوم من نسل »

وفي اليوم التالي انفذ ابن زياد رأس الحسين مع رؤوس اصحابه الى يزيد بن معاويه بالشام وامر بالنساء فجهزوا وحملوا على الاقتاب وعلي بن الحسين مقيد ومغلول اليدين

وروى ابن القفطي في تاريخه قال لما ورد السبي والرؤوس على اسنة الرماح وقد اشرفوا على ثنية العقارب فلما رآهم انشد قائلا

« لما بدت تلك الحمول واشرقت تلك الرؤوس على ربى جيرون »
« نعب الغراب فقلت قل اولا تقل فلقد قضيت من الرسول ديوني »

دخولهم على يزيد

ولما ادخلوا السبايا والرؤوس عليه أذن للناس بالدخول فدخلوا ورأس الحسين عليه السلام بين يديه وفي يده قضيب ينكث به في ثغره وذكر الحافظ بن عساكر في تاريخه ان الراس الشريف لما وضع بين يديه تمثل بقول ابن الزبعرى

« ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل »
« قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل »

وزاد يزيد عليها بيتين برواية سبط ابن الجوزي عن الشعبي وهما

(لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل)
(لست من خندف ان لم انتقم من بني احمد ما كان فعل)

ما أشبه الليلة بالبارحة ظاهرة غريبة تدلنا على ان المثلة والتنكيل في الشهداء بعد الموت طريقة متبعة في بيت ابي سفيان وهذا يزيد بن معاوية اقتفى اثر جدته هند آكلة الاكباد وجده ابو سفيان فقد نكلت هند في بطل أحد حمزة عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقرت بطنه ومضغت كبده وفعلت الأفاعيل وجاء زوجها ابو سفيان وزج سنان رمحه في فمه والتاريخ يعيد نفسه وهذا حفيده يزيد جعل ينكث ثغر الحسين بالقضيب تشفياً واقتداء بأبويه

ويحدثنا ابو الفداء في تاريخه صفحة ١٣٣ من الجزء الأول قال وضرب ابو سفيان زوج هند بزج الرمح شدق حمزة سيد الشهداء يوم أحد وصرخ باعلى صوته يوم بيوم بدر (اعل هبل) اي ظهر دينك

وادخلوا الامام زين العابدين على يزيد في الغلول والقيود فأشار بفك اغلاله وقال له ايه يا ابن الحسين ابوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فقال له كل مصيبة سبقت في علم الله وتلا عليه قوله تعالى (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)

لقد مكن القدر ليزيد بن معاوية ان يكون اسيره الامام زين العابدين المعروف بالسجاد الكبير بعلمه النبيل بحسبه العظيم بنفسه فيخاطبه قائلا أبوك قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني ولم يعلم ان الذي قطع الأرحام بين هاشم وامية هو ومن ينتمي لهم بالأبوة وقد جهل حقه لان حقوقه مجهولة ولا يعرفها الا رفقاءه واترابه واما سلطانه فلم ينله الا باسم سيد خلقه خاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعلى كل حال فالقشور تعصفها الرياح والطلاء لا يبقى مع الزمن وانما هو اللباب كتب لجوهره كل حياة وخلود

السيدة زينب بنت الحسين

وظهر من السيدة زينب بنت الحسين عليها السلام من الجرأة والصبر والشجاعة واحتمال المصائب والرضا بحكم الله في جميع المواقف يوم المعركة وعند عبيد الله بن زياد وفي قصر يزيد ما افاضت به التواريخ من بلاغة القول والحجة الدامغة بمهدها الصواب مسخر لها الخطاب فانها عند ما شاهدت التمرد والجبروت في سحنة يزيد

قالت له . أظننت يايزيد حيث اخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء فاصبحنا نساق كما تساق الاسارى ان بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة فشمخت بانفك ونظرت في عطفك جذلا مسرورا حين رأيت لك الدنيا مستوسقة والامور متسقة وحين صفالك ملكنا وسلطاننا مهلا مهلا انسيت الآية الكريمة (ولا تحسبنّ الذين كفروا إنما نملي لهم خير لانفسهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين) الى آخر الخطبة التي يدل اولها على آخرها ويزيد صامت لا ينبس ببنت شفة كالمنزول به والمكسور في ذرعه ولم يطق صبراً وامرّ إلى النعمان بن بشير ان يجهزهم ويبعث معهم خيلا واعوانا إلى المدينة المنورة فرجعوا إلى حرم جدهم في حزن وذهول واستولى على المدينة وجوم عميق لما استطار الخبر بين اهلها بقتل الحسين عليه السلام ورجوع اهله وذريه فصاحت النساء من كل ناحية وعقدت المآتم وقامت المناحات في جميع الجهات وظهر الجزع في كل مكان وخرجت ابنة عقيل بن ابي طالب حاسرة تحف بها النساء وهي تقول

(ماذا تقولون ان قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الامم)
(بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم اسارى وقتلى ضرجوا بدم)
(ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... ان تخلفوني بسوء في ذوي رحم)

كل شيء في الحياة يقبل التقليد الا الشخصية فاذا حاول شخص ان يقلد عظيما ولم تكن له خصائصه لا يكون له من العظمة الا التعاظم ويزيد بن معاوية سفساف حقود اهوج جلس على عرش اعوج فكان في رأسه للخمر عصفة فسق بها عن طريق الحق والصلاح فهوى في حمأة شهواته ففسد وافسد وباع آخرته بدنياه فخسرت صفقته وساءت سيرته وما هي الا ساعات معدودة ضاعت بين اللهو والمجون حمل فيها الوزر الى آخر الدهر وما احسن ما قاله ابو العلاء المعري

(أرى الايام تفعل كل نكر ... فما أنا في العجائب مستزيد)
(اليس قريشكم قتلت حسيناً ... وكان على خلافتكم يزيد)

فالحسين عليه السلام لقد طوته الدنيا ولم تطوه الحياة فما كان مثله من يموت في الخواطر بل يبقى خالداً في الاذهان حياً في فؤاد كل انسان فهو النموذج الأمثل

للامام الكامل عاش لنصرة الحق ومات شهيد الحق تتسابق الناس لزيارة ضريحه بكرة وعشياً يحيونه بالصلاة والتسليم ويجددون ذكره بالاكبار والتعظيم. وصفوة القول ان خطط الامويين الملتوية وسياستهم الغاشمة قبل الجلوس على منصة الحكم وبعده استثارت العداوة بينهم وبين الهاشميين وعملوا على الانتقام من اهل بيت النبي الامين صلى الله عليه وآله وسلم فقد جاهدوا واجتهدوا لصرف الناس عن ذكرهم بخير واعلنوا ثلبهم على المنابر واعظمها وزرا وافظعها جرماً المأساة التي مثلوها بالحسين وذويه وأصحابه فكل سهم سددوه لصدره قوضوا به معالم الدين وكل رمح طعنوه في نحره قطعوا به اواصر الاخاء بين المسلمين ومن أراد الاطلاع على مساءآت الامويين منذ تأسس ملكهم إلى نهايته فليرجع إلى رسائل الجاحظ فان فيها غنية عن الاسهاب وقد در الشاعر أبو الحسين الجزار حيث قال

ويعود عاشورا يذكرني ... رزء الحسين فليت لم يعد
ام ليت عيناً فيه قد كحلت ... باثمد لم تخل من رمد
ويد به لشهانة خضبت ... مقطوعة من زندها بيدي
يوم سبيلي حين أذكره ... الا يدور الصبر في جلدي
اما وقد قتل الحسين به ... فأبو الحسين احق بالكمد

وبعد سبعين عاماً من مقتل الحسين عليه السلام انطوى بساط ملك الامويين والمروانيين وشقق الدهر حلل عزهم وانقرضت دولتهم وتلاشت سلطتهم واصبحوا اثراً بعد عين فما بكت عليهم السماء والارض وقدموا على ما قدموا للحساب يوم العرض

ماذا في الشهر الحرام

تحت هذا العنوان جاء في مجلة الاخلاق الاسلامية المصرية في عدد المحرم الجزء الرابع للسنة الحادية عشرة كلمة بقلم الاستاذ البحاثة السيد محمود محمود وكيل الجمعية قال

أما بعد فان شهر الله الحرام يذكرنا بالفيض الرباني الذي جرى في وادي الحياة البشرية بهجرة محمد خير البرية الى مدينة يثرب التي صارت مهبط الوحي

ومنبع الخير الذي عم الشرق والغرب كما يذكرنا بعقوق فئة من ولد آدم وجحودهم فضل الرسول اذ دفعهم حبهم الدنيا الى قتل الحسين بن فاطمة البتول هذا الشهر الحرام يعيد إلى ذاكرتنا خيراً فوق كل خير وشرا اعظم من كل شر والذنب فيه على من خدع في دينه كما خدع في دنياه

إن الله يعلم ان الحسين عليه السلام ما كان ثائرا ولا موقظاً فتنة ولكنه رأى خلافة جمحت بمن تولاها عن طريق الحق والعدل والاحسان التي بعث بها جده ونزل القرآن ورأى ملكا عضوضاً يسعد به طلاب الدنيا ويشقى بها طلاب الآخرة والمؤمن القوي الايمان الغيور على دينه اكثر من غيرته على العرض فيجهر من اجله بالحق الذي ملأ قلبه ولو ذاق في سبيل هذا الجهر الهوان والعذاب ولذلك اعلن الحسين واعلن معه فئة مؤمنة من اهل المدينة انكارهم على ما يسام به انصار الحق والصدق من الخسف والعسف وعرفوا الناس ان الراعي يجب ان يكون المثل الأعلى للرعية فيما يرضي الخالق ويصلح المخلوق

وقد جاءته رسائل العراقيين بالرحيل اليهم ليلم شعث المسلمين في هذه الاطراف وينصر دين الله حتى تكون كلمة الله هي العليا بلا ظلم ولا اجحاف فارسل ابن عمه مسلم بن عقيل ليرى ما عليه القوم الداعون وهل هم جادون او هازلون وقد علم الحسين رضوان الله عليه ان التقاعد عن اجابة الدعوة تقصير في جنب الله الذي يحتمل في سبيله كل مضض ويستعذب العذاب والمرض والحرض فرحل إلى العراق هو ومن لا تطيب له الحياة إلا معه من اسرة أهل البيت الكريمة سار وهو يرجو أن يعالج الداء قبل ان يستعصي ويعز الدواء ولكنه رأى اقواماً قلوبهم معه وسيوفهم مع غيره وشهد فيهم شقاقاً ونفاقاً ورياء ورأى فئة اشترى يزيد قلوبهم بالمال وعقولهم ورصدهم لخدمة الملك العضوض فكانت تلك الخدمة في رأيهم كالشيء المفروض أعوذ بالله من هوى النفوس الذي يزين الباطل ويفسد منطق العاقل

ولما علم خدام يزيد أوسمهم خدام الدنيا بالحسين وما كان من رحيله الى قطرهم تلقوه محاربين ومحاصرين لا ناصحين ولا مسالمين ثم منعوا عنه ومن معه الماء وحاربوه محاربة الأنذال اللؤماء ثم انقضوا عليه من كل جانب ولم يقبلوا اقالته من هذه

الحرب التي دخل فيها وهو عنها راغب ثم قتلوه وحزوا رأسه وفعلوا به كما يفعل باعداء الملة وليس لهم عند الله عذر مقبول ولا علة ولو كان الحسين عليه السلام من طلاب الملك وعباده لمالأ وخادع واشترى ذمم كل عدو وتربص حتى يصفو الجو وكان يجد له مساغا في هذه المخادعة حتى يرجع بها الحق الى نصابه ويخلص من عذابه ولله در الشاعر حيث يقول

(قـــل لمن لام لا تلمني كل امرء عالم بشانه)
(لا ذنب لي فيما فعلت اني رقصت للقرد في زمانه)

هذا مجمل ما فعلته طائفة مسلمة وهي تعلم ان الحسين بن علي كان لرسول الله حبيباً وانه سيد شباب اهل الجنة وانه اقدم على العراق بلاجيش ومن كان كذلك لا يكون في الواقع خصما عنيداً ولا عدواً حربياً

ولكن الحسين عليه السلام ما كان ليشغل نفسه بملك يعلم ان جده صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن من طلابه وما كان ممن يخدع ويمالىء حتى تفسد بطانة الملك على حسابه وقد هون عليه شان الحياة علمه بان نعيم الدنيا لا يساوي عند الله جناح بعوضة ولا ظلف شاة وان البغي مصرع مبتغيه وخيم

احاديث مكذوبة

ومما يحزن المصلحين واهل التجاريب ان الذين قتلوا ابن بنت رسول الله او كان لهم يد في قتله عملوا بقدر ما لهم من قوة وحيلة حتى ينسوا فعلتهم الشنعاء للناس فتقولوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم احاديث فيها فضل كبير لمـــن يكتحل ويغتسل ويتطيب ويختضب بالحناء ويكثر الطعام والشراب في اليوم الذي قتل فيه الحسين وهو يوم عاشوراء فكان ذلك كالسم الذي يدس في الدسم لمن يحسن الظن فيقع في فخ من ظلم

ولست ادري كيف تستسيغ العقول اتخاذ يوم قتل الحسين عيدا ينتظمه الفرح والمرح والاكل والشرب والابتهاج كما يفعل في يوم البناء والزواج وكيف تتفق هذه الدعاية مع ما جاءت به الاحاديث الصحيحة من استحباب صوم ذلك اليوم وجعله يوم عبادة وذكرى وزهد في الطعام والشراب ولكن ماذا تصنع وقد نشأ

المسلم غراً كانه لم يجرب من امور الدنيا حلواً ولا مراً (انتهى)

لا خلاف بان النفوس الخبيثة نزاعة للشر تواقة للاجرام وهؤلاء الذين اشتركوا بدم الحسين عليه السلام مع علمهم انه ابن بنت رسول الله وان له المقام الاول بين المسلمين كافة باصالته وشرفه وعلمه وتقواه اعمى بصيرتهم وبصائرهم حب المال وزين لهم الطمع والجشع اجتراح هذا الجرم الفظيع وازدادوا آثاماوعمهابتزويرهم كلمات نابيات سموها احاديث نبوية ما أنزل الله بها من سلطان نسبوها للرسول صلى الله عليه وآله وسلم بان من توسع وتطيب ووسع على عياله وصنع لهم طعاماً من الحلواء في يوم العاشر من المحرم فله فضل كبير وهو يوم استشهادريحانةرسول الله ليصرفوا الأمة عن تعداد فظائعهم وقد عمل بهذه البدعة كثير من المسلمين في العهد الأموي تزلفاً للحكام عن غفلة وذهول ورجع عن هذه العادة المثيرة للاحزان جماهير المسلمين تأسياً بالرسول صلوات الله عليه لانه يوم عبرة واعتبار وعبادة وذكرى لكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر ومن قبل الف سنة اشار إلى ذلك الشريف الرضي في قصيدته الدالية

(كانت مآتم في العراق تعدها اموية بالشام متن اعيادها)

ما احرانا بنبذ التقليد الاعمى بنظرة خاطفة في التاريخ ترشدنا إلى جوهر الحقيقة الذي ينسخ غسق الباطل بنور اليقين عملا بالحديث الشريف (مثل اهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق)

اولاده عليه السلام كما جاء في ارشاد المفيد رحمه الله قال اولاد الحسين ستة علي الاصغر ولقبه زين العابدين وعلي الأكبر قتل مع ابيه بالطف وجعفر مات في حياة ابيه ولا نسل له وعبد الله قتل مع ابيه صغيراً بكربلا وسكينة وفاطمه والذي اعقب منهم الامام زين العابدين

التوابين والمختار بن عبيد الثقفي

وجاء في تاريخ الفخري صفحة ٨٨ قال لما هدأت الفتنة بعد قتل الحسين عليه السلام وهلك يزيد بن معاوية اجتمع ناس من اهل الكوفة وندموا على خذلانهم الحسين ومقاتلتهم له ونصرهم لقتله بعد ارسالهم اليه واستدعائهم منه القدوم عليهم

وبذلهم له النصر وتابوا من ذلك (فسموا التوابين) ثم تحالفوا على بذل نفوسهم واموالهم في طلب ثاره ومقاتلة قتلته واقرار الحق مقره في رجل من آل بيت نبيهم صلوات الله عليه وسلامه وأمروا عليهم رجلا منهم يقال له سليمان بن صرد الخزاعي رضي الله عنه وجعلوا شعارهم يا لثارات الحسين

ان المبادىء الشريفة عند المسلمين في غابرهم وحاضرهم الحب والاخلاص للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولاهل بيته الاطهار مصابيح الدجى واعلام الهدى ولم يشذ عن هذه الخطة الا كل شقي دعي كامثال الذين اشتركوا في مأساة كربلا وغيرهم من النفعيين الذين يبيعون آخرتهم بالزهيد من حطام الدنيا الزائلة ولا عجب إذا رأينا سليمان بن صرد الخزاعي ومن على شاكلته من التوابين بعد خروجهم من حبس ابن زياد يطلبون باخذ ثاره من الأعداء لأنهم على يقين في اعتقادهم بان الثورة على الباطل واجبة يمليها عليهم نقض معاوية شروط المعاهدة بينه وبين الامام الحسن الزكي وذلك يؤذن بلا ريب بفساد المعاهدة والصلح الأبتر وبقاء الحق لاهله كما كان قبل ابرامها

وروى المسعودي في مروج الذهب قال لما هلك يزيد خلع اهل الكوفة ولاية امية وامارة ابن زياد وارادوا ان ينصبوا لهم اميراً وقالوا لا يصلح لها الا عمر بن سعد ولما هموا بتأميره اقبل نساء همدان وغيرهن من نساء كهلان والانصار وربيعة والنخع حتى دخلن المسجد صارخات باكيات معولات يندبن الحسين عليه السلام ويقلن اما رضي عمر بن سعد بقتل الحسين حتى اراد ان يكون اميراً علينا فبكى الناس واعرضوا عنه وكان المبرزون في ذلك نساء همدان وقد كان علي عليه السلام يحب همدان وهو القائل

(ولو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام)

وظهر المختار بن عبيدة الثقفي وجعل يظهر البكاء والحزن على اهل البيت ويحث الناس على اخذ الثار لهم والمطالبة بدمائهم فمالت الناس اليه وساروا تحت لوائه ودخل قصر الامارة واخرج الأمير الاموي وتولى الامارة وكتب الى الامام علي بن الحسين السجاد ان يأخذ له البيعة ويقول بامامته وانفذ اليه مالا كثيراً فأبى ان

يقبل منه شيئاً اويجيبه واشتد امر المختار بالكوفة ومال الناس اليه وتتبع قتلة الحسين عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر وأول من قتل منهم عمر بن سعد ابن ابي وقاص الزهري وهو الذي تولى حرب الحسين بكربلا وقتل ولده ايضاً فزاد ميل اهل الكوفة اليه وقال هذا الحسين وابنه علي والله لو قتلت به ثلثي قريش ما وفوا بأنملة من اناملة

لا نكران بان الله عزيز ذو انتقام هذا عمر بن سعد بن ابي وقاص الزهري وأبوه احد العشرة المبشرة بالجنة اشترى من الدعي ابن زياد ولاية الري بدم الحسين واولاده واصحابه وهو لا يجهل قدره ولا يجحد فضله فخسر الدنيا والآخرة ولم يتمتع بخيرات الري ولم ينل منها منالا واستبدل ولاية الري بشباسيف المختار بقطع اوداجه جزاء وفاقا

وفي سنة ٦٥ هـ خرج سليمان بن صرد الخزاعي في جيشه الصغير الذي لايتجاوز عدده خمسة آلاف وعسكروا في عين الوردة لملاقاة الجيش الذي يقوده عبيدالله بن زياد الى حربهم في ثلاثين الفاً وحصل التصادم بين الجيشين وقد ابلى بلاء حسنا سليمان بن صرد الخزاعي وقتل من عسكر ابن زياد مقتلة عظيمة وحث وحرض وبأثناء ذلك رماه يزيد بن الحصين بن نمير بسهم اصاب منه مقتلا رحمه الله ودام القتال اياما والمدد متصل يأتي للتوابين من البصرة والمدائن وغيرهما ومع صبرهم وشجاعتهم رقلة عددهم بالنسبة لجيش العدو فقد طلب أهل الشام منهم المتاركة وحق اهل الكوفة بصرهم وأهل البصرة والمدائن ببلادهم وذكر ابو مخنف لوط ابن يحيى وغيره من المؤرخين اسماء من قتل من التوابين ورثاهم اعشى همدان ومنها

(توجه من دون الثوية سائراً الى ابن زياد في الجموع الكتائب)
(فلاقوا بعين الوردة الجيش ناصلا عليهم فخيوهم ببيض القواضب)
(فساروا وهم مابين ملتمس التقى وآخر مما جر بالامس تائب)
(وأضحى الخزاعي الرئيس مجدلا كأن لم يقاتل مرة ويحارب)

وبعد وقعة عين الوردة سار عبيد الله بن زياد بالجيش الى الموصل وهناك التقى بجيش المختار تحت قيادة ابراهيم بن مالك الاشتر النخعي ودارت بينهما رحى القتال

وكان النصر والفلج لجيش المختار وانجلت الموقعة عن قتل عبيدالله بن زياد وشرحبيل ابن ذي الكلاع وابن حوشب وعبد الله بن اياس السلمي وعمرو بن الحجاج وخولي ابن يزيد الاصبحي وسنان بن انس النخعي وشبث بن ربعي وبحر بن كعب وابو قدامة العامري وابو زرعة وغيرهم من الذين اشتركوا في قتل الحسين عليه السلام وعددهم سبعين رجلا وجمع ابراهيم الرؤوس وجعل في مقدمتهم رأس عبيد الله بن زياد وارسلهم الى المختار في الكوفة وخرج المختار وجماهير أهل الكوفة لاستقبال هذه الرؤوس التي كفرت بأنعم الله واطاعت هواها وجحدت وصية رسول الله في اهل بيته

كل شيء في الدنيا له اشباه ونظائر ان القائد الافرنسي نابوليون بونابرت كان واعظاً في اوليات ايامه متديناً زاهداً في جميع الاشياء قبل معرفته « بجوزفين وبولين وماري لويز » ثم انقلب إلى ما انقلب عليه من نقيض الى نقيض — وكثير من العرب بعد ايمانهم ومتربتهم وعوزهم وبعد ان رفع الاسلام قدرهم واقبلت عليهم الدنيا انقلبوا على الاسلام يجحدونه كعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد ومن على شاكلتهم وكانوا من الخاسرين

(أترجو أمـــة قتلت حسيناً شفاعة جـــده يوم المعاد)

وقد تبارى الشعراء منذ الف عام ونيف في رثاء شهداء كربلا واكثرهم مجيد ولكن المغفور له السيد حيدر الحلي كان المجلي في هذه الحلبة واثبت هنا من قصيدته الميمية بعض ابيات منها

سقيا لثاوين لم تبلل مضاجعهم إلا الدماء والا الأدمع السجم
افناهم صبرهم تحت الظبى كرماً حتى قضوا وحشاهم ملؤه كرم
وخائضين غمار الموت طافحة أمواجها البيض بالهامات تلتطم
ولا غضاضة يوم الطف ان قتلوا صبراً بهيجاء لم تثبت لهم قدم
فالحرب تعلم ان ماتوا بها فلقد ماتت بها منهم الاسياف لا الهمم
ابكيهم لعوادي الخيل ان ركبت رؤوسها لم تكفكف عزمها اللجم
وللسيوف اذا الموت الزؤام غدا في حدها هو والارواح يختصم

وحاثرات اطار القوم اعينها ... رعباً غداة عليها خدرها هجموا
كانت بحيث عليها قومها ضربت ... سرادقاً ارضه من عزه حرم
يكاد من هيبة ان لا يطوف به ... حتى الملائك لولا انهم خدم
فغودرت بين أيدي القوم حاسرة ... تسبى وليس لها من فيه تعتصم
نعم لوت جيدها بالعتب هاتفة ... بقومها وحشاها ملؤه ضرم
عجت بهم مذ على ابرادها اختلفت ... أيدي العدو ولكن من لها بهم

* * *

شذرات من كلامه عليه السلام

الناس عبيد الدنيا والدين لغو على السنتهم يلوكونه ما درت به معايشهم فاذا محصوا بالابتلاء قل الديانون

خط الموت على ابن آدم مخط القلادة في جيد الفتاة

ثلاثة تذهب ضياعاً دين بلا عقل ومال بلا بذل وعشق بلا وصل

وقال من أتانا لم يعدم خصلة من اربع : آية محكمة ، وقضية عادلة ، واخا مستفاداً ، ومجالسة العلماء

وقال صاحب الحاجة لم يكرم وجهه عن سؤالك فأكرم وجهك عن رده

وقال حوائج الناس اليكم من نعم الله عليكم فلا تملوا النعم فتحور نقما

وقال موت في عز خير من حياة في ذل

وجاء في حلية الأولياء من كلامه ولما ايقن في كربلا ان القوم قاتلوه قال لأصحابه قد نزل ما ترون من الأمر وان الدنيا قدتنكرت وتغيرت وادبر معروفها واستمرت حذاء حتى لم يبق منها الا كصبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون أن الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه ليرغب المؤمن في لقاء ربه فاني لا ارى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين إلا برما

وقال عليه السلام الصدق عز والكذب عجز والسر أمانة والجوار قرابة والمعونة صدقة ، والعمل تجربة والخلق الحسن عبادة ، والصمت زين ، والشح فقر والسخاء غنى

وقال شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عن الاعطاء .

وقال إياك وما يعتذر منه فان المؤمن لا يسيء ولا يعتذر والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر

وقال من حاول أمراً بمعصية الله كان افوت لما يرجو واسرع لمجيء ما يحذر

وقال لا تتكلف ما لا تطيق ولا تتعرض لما لا تدرك ولا تعد بما لا تقدر عليه ولا تنفق إلا بقدر ما تستفيد ولا تطلب من الجزاء إلا بقدر ما صنعت ولا تفرح إلا بما نلت من طاعة الله ولا تتناول إلا ما رأيت نفسك له اهلا

وقال الحلم زينة والوفاء مروءة والصلة نعمة والاستكبار صلف والعجلة سفه والسفه ضعف والغلو ورطة ومجالسة اهل الدناءة شر ومجالسة اهل الفسق ريبة

الفصل العاشر

في سيرة السجاد وولده الباقر

ولد سنة ٣٨هـ ٧١٢ م الامام ابو محمد زين العابدين — وتوفي سنة ٩٢هـ ٧٦٤م هو الامام علي بن الحسين الأصغر ابن شهيد كربلا سبط النبي العربي صلى الله عليه وآله وسلم ابن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ولد في المدينة المنورة في حياة جده علي المرتضى سنة ثمان وثلاثين هجرية وتوفي فيها سنة اثنين وتسعين وكنيته ابو محمد والقابه كثيرة اشهرها زين العابدين لكثرة عبادته والزكي والأمين والسجاد وذو الثفنات لأنه كان له في موضع سجوده آثار ناتئة فسمي ذو الثفنات وامه شاه زنان بنت يزدجرد بن شيرويه بن الملك كسرى أنو شروان العادل ملك فارس والى ذلك اشار ابو الاسود الدؤلي بقوله

« وان غلاما بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت عليه التمائم »

شاعره الفرزدق وبابه يحيى بن ام الطويل المطعمي ومن اصحابه جابر بن عبد الله الأنصاري وسعيد بن المسيب وسعيد بن جهاني الكناني وسعيد بن جبير ومن

ثقانه ابو حمزة الثمالي وفرات بن احمد وعلي بن رافع وطاووس بن كيسان وابان ابن رباح وغيرهم من الثقاة البررة - نقش خاتمه « وما توفيقي إلا بالله » روى الحديث عن ابيه وعمه الحسن الزكي وعن ام سلمة زوج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

وروى ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة يقال ان الامام السجاد مات مسموما والذي سمه الوليد بن عبد الملك ودفن في البقيع بجوار عمه الحسن في القبة التي دفن فيها العباس بن عبد المطلب رضي الله عنهم اجمعين

ونقل علامة زمانه الشيخ محمد الصبان في كتابه اسعاف الراغبين في سيرة النبي واهل بيته الطاهرين عن السيرة الحلبية قال لما جيء ببنات كسرى وكن ثلاثا مع ذخائره وامواله الى الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وقفن بين يديه وأمر المنادي ان ينادي عليهن وان يزيل النقب عن وجوههن ليزيد المسلمون في ثمنهن فامتنعن عن ذلك ووكزن المنادي في صدره فغضب عمر وأراد ان يعلوهن بالدرة وهن يبكين فقال له علي كرم الله وجهه مهلا يا أمير المؤمنين فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول ارحموا عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر فسكن غضبه ثم قال له ان بنات الملوك لا يعاملن معاملة غيرهن من بنات السوقة فقال عمر كيف الطريق الى العمل معهن فقال يقومن ومهما بلغ ثمنهن يقوم به من يختارهن واخذهن علي (رض) واعطى واحدة منهن لعبد الله بن عمر فجاء منها بولده سالم واعطى الثانية لمحمد بن ابي بكر فجاء منها بولده القاسم والثالثة لولده الحسين فجاء منها بولده زين العابدين وهؤلاء الثلاثة فاقوا اهل المدينة علماً وورعاً

هكذا كان الخلفاء الراشدون يتحرجون في أمورهم كي لا يضيع شيء على بيت مال المسلمين وهكذا اجتهد الخليفة الثاني ثم رجع إلى اجتهاد علي بن طالب مذ رآه صوابا ولم يضع على بيت المال شيء ولم تمنهن كرامة بنات الملوك بتزويجهن من أشراف بيوتات المسلمين

سياسته الابتعاد عن السياسة نشأ الامام زين العابدين عليه السلام في بيت رفيع لا يطاول في مجده وشرفه واصالته عريق في أرومته ونجاره وناهيك في بيت

النبوه ومهبط الوحي والتنزيل الـذي أسس عـلى التقوى والاباء والشمم تؤمه الملائكة معجبة بقدسيته وطهارته وتزدحم الناس لزيارته وتجديد العهد بـه دب ودرج بين الصفا والمروة مستحصد العزيمة متوثب الهمة حسن الأحدوثة تلوح على محياه امارات الزهاد والعباد هذه الصفات كونت من سجاياه الرضية وقلبه الرءوم وتفكيره الصحيح رجلا رأى بعين بصيرته عظمة ربه فاحتقر ما سواه فتهجد في ليله ونهاره في غدوه وأصاله تسامى في مواهبه وكفايته وفعاله وعبادته وصلاحه صهرته يد الزمن القاسية وضربه الدهر ورماه بنكباته في ميعة شبابه وطراوة اهابه احرضه المرض وهو في كربلا وامضه الحزن على ابيه وذويه وهم صرعى تسفي عليهم الرمال وصبر على هذه الآلام صبر الكرام وسار على مبدأ الحق بين الخلق قريب من الخالق والمخلوقين واذا كان القدر يمتحن الناس على قدر ما رزقوا من فضل وصدق عزم وقوة صبر ووثاقة حلم فما رأى القدر فيه حتى امتحنه بهذا كله وكيف تعليل ذلك وذلك تقدير العزيز العليم

معاصروه عليه السلام من الملوك الامويين يزيد بن معاوية ومروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وفي عهدهم كان الصراع على أشده ليس بين الهاشميين والمروانيين فحسب بل بين ابناء ابي سفيان وابناء الحكم واستحكم الخلاف في الدولة وحصل الانقسام والضعف وتشعبت الفتن الداخلية واشتعل اوارها وتضاعفت نقمة الشعب الواعي على الأمويين لقتلهم الحسين سيد شباب اهل الجنة وتمثيلهم به وباولاده واصحابه بعد الموت وامرهم نساءه وبناته وتشهيرهم بالبلدان أضف إلى ذلك الاحوال المثيرة التي رافقت هذه الفظائع المنكرة والأساليب الشاذة من اعمالهم التي جعلت الأمة العربية تجني ثمار تلك النكبة الأخلاقية وصارت النكبات تزحم الواحدة منها الأخرى والذي يفرق النفوس اسى وجزعاً ويمزق القلوب الما في هذه المأساة المروعة وقوف كرائم الرسول بنات فاطمة الزهراء أمام يزيد بن معاوية الخليع الماجن في مجلس لهوه ولعبه

لاجرم ان بني أمية محنة خطيرة الى اقصى غايات الخطورة على الاسلام وحاشا عمر بن عبد العزيز ، واذا اردنا أن نتحدث عنهم فالحديث ذو شجون لا ينقطع

امده وإذا فكرنا في موقفهم السلبي منذ ولد الاسلام في عهد ابي سفيان الذي كان حربا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى نهاية ملكهم في زمن مروان بن محمد لضاق المقام عن تعدد الآثام

« فابن حرب للمصطفى وابن صخر لعلي وللحسين يزيد »

والايجاز يغني عن الاسهاب في تصرفاتهم السياسية وتعطيلهم للحدود الشرعية فقد تكلم في ذلك الامام الشافعي (رض) والحسن البصري والجاحظ ما فيه غنية وكفاية

والشر كله يأتي من السياسة التي تقيم الحكم على الترغيب والترهيب وجعل المناصب والأموال كلها منحاً تهدى للذين يحبذون اعمالها وينفخون في بوقها فالأمويون لم يرق لهم العمل بسيرة الخلفاء الراشدين ولكنهم سلكوا مسلكاً وعراً ينكشف عن طريقة ملتوية لا يقرها العقل والمنطق فكانت طعنة نجلاء في صدر الأمة العربية وفي نفوس أبنائها وعقولها وضمائرها وشعورها اجتاحت اخلاقها اجتياحاً وأفسدت طبائعها افساداً والرعية على دين ملوكها

والسياسة في كل عصر ومصر تبيح لاقطابها في سبيل تحقيق غاياتهم انتهاج الوسائل التي تكفل لهم النجح ولو خالفت الدين والعرف والشرف وميسور للمتتبع لآثار الذين يشتغلون بالسياسة من رجالات القرن العشرين فيرى التاريخ يعيد نفسه حذو القذة بالقذة وما اجدر الذين يعنون بتسجيل الحوادث والظواهر الاجتماعية والتاريخية والأخلاقية ان تكون اخلاقهم نظيفة توحي اليهم الحقائق بعيدة عن التزلف والأهواء ليكونوا على بينة من الأمر ولكي لا يكونوا غرضاً للانتقاد .

في هذا الجو الموبوء والعناصر المتقلبة والظلمة المدلهمة نشاهد الامام السجاد علي بن الحسين الرابع من أيمة أهل البيت الطاهر الثاقب البصيرة الشريف السمعة الملتهب غيرة على قومه الذين انهارت أخلاقهم وانتزعت انتزاعاً وتهاونوا بتعاليم الدين المبين بتأثير الحكام الزمنيين وبعد تقديره لمختلف الاعتبارات ما جعله يحول دون تلاشي الشريعة بالوعظ والارشاد وجلس في محرابه منقطعاً إلى ربه لا يشغله

عن العبادة الا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتهذيب الأخلاق وصيانة الدين من أهل البدع والأهواء وحماية الناس من الزيغ وقد حز في نفسه الحزن المبرح على ابيه وذويه في وقعة الطف وهم بين قتيل وذبيح ينظر اليهم وهو مريض دنف تحت رحمة الاعداء تجاوزته سيوفهم يومئذ حيث لاترجي له الحياة فكان البقية الباقية من الأئمة الهداة حجة واماماً بالنص القاطع الذي لاريب فيه عن آبائه عليهم السلام نشأ بين قبر جده المصطفى وروضته المطهرة صلى الله عليه وآله وسلم فكان له ظهرة وعونا تظله شجرة النبوة والامامة معاً قوي في عاطفته الدينية رقيق الحس متواضعاً يخضع لوجدانه وإيمانه وله من نفسه ومحتده العريق بالشرف والمجد اسرار روحية طبيعية لها اتصال بالله جعلت له من شخصيته النبيلة وقلبه المفعم بالعلم والزهد والتقوى اماما مفترض الطاعة لا يشق غباره في العبادة زين العابدين وسيد الساجدين وإمام المتقين حركاته وسكناته جميعها لله وفي الله

قال طاووس اليماني دخلت حجر اسماعيل في الليل فاذا علي بن الحسين قد دخل فقام يصلي ما شاء الله ثم سجد سجدة فاطالها فقلت رجل صالح من أهل بيت النبوة لأصغين اليه فسمعته يقول عبدك بفنائك مسكينك بفنائك سائلك بفنائك فقيرك بفنائك قال طاووس فوالله ما طلبت شيئا ودعوت بهن في كرب إلا فرج الله عني

وذكر صاحب درر الاصداف ان الامام علياً بن الحسين خرج من المسجد فلقيه رجل من صنائع اعدائه فسبه وبالغ في سبه وافرط فعاد اليه عبيده ومواليه فكفهم عنه ومنعهم من اذيته وقال له ما ستر عنك من أمرنا اكثر مما تكلمت به الك حاجة نعينك عليها فاستحيا الرجل وخلع الامام خميصة كانت عليه « ثوب اسود ذو قيمة » والقى اليه خمسة آلاف درهم فطأطأ رأسه خجلا وقال له اشهد انك من اولاد المصطفى

فالامام السجاد مع حراجة موقفه بين اعداء اقوياء كان قويا في تفكيره حكيما في عمله صارع الباطل وتحداه وتحمل ما لا يقدر على حمله غيره ونفذ بارادته الحازمة اقامة الحدود المعطلة بحكمة وسداد وأيد الدين بتقواه واقتدى الناس باعماله

واخلاقه لان البشر مائلون الى الاقتداء بمن يتفوق عليهم بعلمه وجاهه وفضله ومنذ نعومة اظفاره وقبل ان يصلب عوده سجيته الكرم والسخاء والاريحية والاباء صفوح خلوق محبوب من القريب والبعيد شديد الايمان بالله يستند الى صفاة غراء وافكار صائبة وفضائل شخصية لقد زهد بالدنيا وزخارفها بعد رجوعه من كربلا وانصرف للعبادة وتأييد الدين ورفع شأن العلم وطوى كشحا عن السياسة ولم يناوىء الامويين ولكنهم ادخروا له في قلوبهم احقاداً لا موجب لاظهارها وظنوا انه طعمة ميسورة ولم يعلموا ان الله بالمرصاد لكل من يريده بسوء وقد اتفقوا على الغدر به ولكن الله حماه من كيدهم

ادعيته المأثورة عنه

ولما ارسل يزيد بن معاوية الجيش تحت قيادة مسلم بن عقبة ليجتاح المدينة المنورة بلغ الامام قدوم هذا الرجل المنتقم فوقف ووجهته القبلة رافعاً يديه إلى السماء مناجياً ربه بقوله « رب كم من نعمة انعمت بها علي قل لك عندها شكري وكم من بلية ابتليتني بها قل لك عندها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلني ياذا المعروف الذي لا ينقطع ابداً وياذا النعماء التي لا تحصى عدداً صل على محمد وآل محمد وادفع عني شره فاني ادرأ بك في نحره واستعيذ بك من شره » فقدم مسلم بن عقبة المدينة وكان يقال انه لا يريد غير علي بن الحسين وبوصوله استقدمه فاتاه فقربه واكرمه وقال له وصاني يزيد ببرك وتمييزك عن غيرك فجزاه خيرا ثم قال امرجوا له بغلتي وقال له ارجع الى اهلك هاديا مهديا فاني ارى ان قد افزعناهم واتعبناك بمجيئك الينا ولو كان ما بيدنا نقوى به على صلتك بقدر حقك لوصلناك فقال له الامام ما اعذرني للأمير وركب عليه السلام والتفت مسلم إلى جلسائه وقال لهم هذا الخير الذي لا شر فيه مع موضعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومكانته منه

لقد نظر هذا الفظ الغليظ الملحد ابن عقبة الى الامام حين اجتماعهما فوجد العظمة تتجلى من اساريره وجهه والهيبة تنبعث من شمائله والطهر يغمر شخصيته فانكمش على نفسه وانقلب لؤمه لينا وحقده لطفا وحفظه الله من بطشه هو ومن يلوذ بجنابه

ثم اباح حرم الرسول وقتل ونهب وسبي عامله الله بما يستحق هو ومليكه يزيد ابن معاوية

وروى المنهال بن عمر قال حججت في بعض السنين بعد استشهاد مولاي الحسين عليه السلام ودخلت على الامام علي بن الحسين فقال لي يا منهال ما فعل حرملة بن كاهل الاسدي قلت تركته حياً بالكوفة فرفع يديه وقال اللهم اذقه حر الحديد قال فانصرفت الى الكوفة وقد خرج فيها المختار بن عبيد وكان لي صديقاً فركبت لأسلم عليه فوجدته يريد الركوب فركبت معه حتى اتى الكناسة فوقف وقوف منتظر لشيء وكان وجّه في طلب حرملة بن كاهل فاحضروه فقال له الحمد لله الذي مكنني منك ثم دعا بالجزار وقال له اقطع يديه فقطعتا ثم قال له اقطع رجليه فقطعتا ثم قال النار النار وانوا بالكثير من الحطب والقصب وجعله فيها ثم الهب فيه النار حتى احترق فقلت سبحان الله سبحان الله فالتفت إلي المختار وقال بما سبحت فاخبرته ان الامام سألني عنه وقلت له تركته بالكوفة فرفع يديه وقال اللهم اذقه حر الحديد فقال المختار الله الله أسمعته يقول هذا قلت الله الله سمعته يقول هذا فنزل المختار عن فرسه وصلى ركعتين واطال ثم سجد ورفع رأسه ومضيت معه حتى انتهى الى باب داري فقلت له ان رأيت ان تكرمني وتتغدى عندي فقال يا منهال تخبرني ان الامام السجاد دعا الله واجابه على يدي ثم تسألني الطعام عندك واني نويت صوم هذا اليوم شكراً لله على ما وفقني له

فالامام علي بن الحسين عليهما السلام من اولياء الله منار علم يهتدي الناس بنوره عفيف اللسان سليم النية يبتغي رضا الله وهو عنده اجل من كل رغيبة والله سبحانه وتعالى سميع مجيب له ولأمثاله من الاتقياء البررة

ومن كراماته عليه السلام روى عبد الله الزاهد في كتاب نور الابصار للعلامة الشبلنجي صفحة ٢٨١ قال لما تولى الملك عبد الملك بن مروان كتب إلى الحجاج ابن يوسف عامله على الحجاز كتاباً يقول فيه

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان امير المؤمنين الى الحجاج بن يوسف اما بعد فانظر في دماء بني عبد المطلب فاجتنبها فاني رأيت آل ابي سفيان

لما اولعوا بها لم يلبثوا الا قليلا والسلام

وارسل بالكتاب بعد ان ختمه سراً الى الحجاج وقال له اكتم ذلك فكتب الامام علي بن الحسين الى عبد الملك من فوره قبل خروج الكتاب من دمشق

« بسم الله الرحمن الرحيم من علي بن الحسين الى عبد الملك بن مروان امير المؤمنين »

اما بعد فانك كتبت في يوم كذا من شهر كذا الى الحجاج في حقنا بني عبد المطلب بما هو كيت وكيت وقد شكر الله لك ذلك وطوى الكتاب وختمه وارسل به مع غلام له من يومه على ناقة له الى عبد الملك بن مروان وذلك من المدينة إلى الشام فلما وقف عبد الملك على الكتاب وتأمله وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه الذي كتبه الى الحجاج في يوم واحد وساعة واحدة فعلم صلاحه وقوة اتصاله بالله فارسل اليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وثيابا وكسوة فاخرة وسيره من يومه وسأله ان لا يخليه من صالح دعائه

وذكر الاستاذ الشيخ محمد الصبان صاحب كتاب اسعاف الراغبين صفحة ٢٠٦ قال ان عبد الملك بن مروان حمل الامام زين العابدين من المدينة الى الشام مقيداً مغلولا في اثقل قيود واغلال فدخل عليه الزهري لوداعه فبكى وقال وددت اني في مكانك فقال اتظن ان ذلك يكربني لو شئت لما كان وانه ليذكرني عذاب الله ثم اخرج يديه ورجليه من القيد ثم اعادها وقال له لا تخف علي ولا احد يقدر على اذيتي باذن الله وبدخولة على عبد الملك لم يتمالك نفسه ان هب لاستقباله واحترامه والاعتذار اليه ورجع الى المدينة مكرماً

نحن الآن بين حادثتين متناقضتين من عبد الملك بن مروان

الأولى في كتابه الى الحجاج بن يوسف جنبه به دماء بني عبد المطلب كفقيه متحرز في دينه كما كان هو قبل ان يجلس على عرش الملك وقبل ان يقول بعد مجلسي هذا من قال لي اتق الله ضربت عنقه فما باله انقلب عليهم كاسلافه الماضين بمعاملته الامام معاملة الأسير وحمله مقيداً مغلولا من المدينة الى الشام والحادثة الثانية تعطينا صورة مكشوفة عن ضغائن وسخائم في مكنون صدور الأمويين عليه

وقد قابل الأساءة بالعفو ورمى خلف ظهره كل فتنة في الحياة ولسوف ينطلق الزمن في بروجه بالجميع وتطوى صحائف الرجال فلا ينشرها بعد على الاجيال الا ذكر يرفع صاحبه او يهوي به الى قرار والعاقبة لمن اتقى

احسانه وكرمه

نقل صاحب نور الابصار عن سفيان الثوري ان الامام زين العابدين عزم على الحج فانفذت اليه اخته السيدة سكينة الف درهم فلحقوه بها في ظهر الحرة وبنزوله فرقها على المساكين

وكان يحمل اجربة الخبز على ظهره في الليالي المظلمة كي لا يُعرف بتصدق بها على المحتاجين من اهل المدينة وبعد وفاته عند ما غسلوه رأوا سواداً في ظهره فعلموا انه اثر نقل الدقيق ليلا للفقراء والمعوزين

وقال المناوي دخل محمد بن اسامة بن زيد على الامام السجاد في مرض الموت وهو يبكي فقال له ما يبكيك قال له يا سيدي علي دين خمسة عشر الف دينار فقال له الامام لا تحزن هي علي ووفاها عنه فوراً — وفي رواية احمد بن حنبل عن معمر بن شيبة بن نعامة ان الامام عليا بن الحسين كان يقوت اهل ماية بيت بالمدينة

ويحدثنا العلامة الاربلي في كتابه كشف الغمة صفحة ٢٠٧ ينقل عن ابن الاعرابي قال لما وجه يزيد بن معاوية عسكره لاستباحة اهل المدينة ضم علي بن الحسين الى نفسه اربع مائة عائلة يعولهن الى ان تفرق جيش مسلم بن عقبة وقد حكي عنه مثل ذلك عند اخراج ابن الزبير بني امية من الحجاز

فيا ليت بني أمية عاملوه بما عاملهم ويا ليتهم اجاروه بنفسه كما اجارهم بجموعهم وهذه بادرة تدل على نبالة عاطفته ورجاحة عقله الذي يرشح بالشفقة والرحمة يبتغي بذلك وجه الله

علمه وفضله

لقي الحسن البصري الامام زين العابدين فقال له الامام يا حسن اطع من احسن اليك فان لم تطعه فلا تعص له امرا وان عصيته فلا تاكل له رزقاً وان عصيته واكلت

رزقه وسكنت داره فاعد له جوابا وليكن صوابا فقال له جزاك الله الخير يا ابن رسول الله

وروى العلامة الشبلنجي في كتابه نور الأبصار ان الامام زين العابدين مرض فدخل عليه جماعة من اصحاب جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا له كيف اصبحت يا ابن رسول الله فدتك انفسنا فقال في عافية والله المحمود على ذلك فكيف اصبحتم انتم جميعا فقالوا اصبحنا محبين وادين فقال لهم من احبنا فالله اسكنه الله في ظل ظليل يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ومن احبنا يريد مكافأتنا كافأه الله عنا الجنة ومن احبنا لغرض دنيا أتاه الله رزقه من حيث لا يحتسب

قال الزهري وابن عيينه ما رأينا قرشياً افضل من الامام علي بن الحسين ولا أفقه منه ولا اعلم منه وقال ابن المسيب ما رأيت اروع منه وعن ابي حمزة قال كان الامام السجاد يصلي في اليوم والليلة الف ركعة واذا توضأ للصلاة يصفر لونه فقيل له ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء فيقول اما تدرون من اريد ان اقف بين يديه

لا عجب اذا نحا الامام هذا المنحى لأنه يستمد قوة ايمانه من الينبوع الاسلامي نهلة الظمآن وهو القرآن الكريم ومن حديث جده خاتم المرسلين بيد انه نسمة من نسمات الطهر غمرت الكون بأريجها الافيح وشعلة من شعاع العلم النبوي بحت بضيائها دياجير الجهل المركب وما هو الا كنز غني بمادته العلمية يقتبس منه العلماء للدين والدنيا ويتزود منه الزهاد للآخرة والأولى ورث عن آبائه الميامين الصلاة والصلات فكان في صلاته باراً لا يهجع وفي صلاته جواداً لا يقطع لم يرهب عوادي الدهر لأن الأيام عجمت عوده بالظلم الفادح فوجدته صلباً لا يلين لغامز وعصفت به الدواهي فلم يتأوده الأمر ذات كاملة لأسمى صفات الخلق الاسلامي مستمسك باحكام الكتاب بايمان ثابت ويقين قاطع وكرم فياض يؤثر المعوزين على نفسه ما خاب قاصده وما عمل لغير الله

لا نستطيع أن نزعم بحق ان في مكنتنا ايفاء حق هذا الامام من البحث والتحليل في موجز تاريخي في هذه الصفحات القليلة ومن الحق علينا ان نعترف

بادىء ذي بدء بعجزنا في هذا المضمار لأن حياة العظيم عظيمة مثله

ومن كتاب الاحياء في آداب الصحبة قال الامام زين العابدين لجماعة وفدوا عليه وقالوا ان الاسلام آخى بيننا مع اختلافنا بالنسب فقال لهم جزاكم الله خيراً هل يدخل احدكم يده في كم اخيه او كيسه فيأخذ منه ما يريد من غير اذن قالوا لا فقال لهم اذهبوا فلستم باخوان

هذه مبادىء الاشتراكية الصحيحة التي جاءت في آيات الذكر الحكيم ومنها قوله تعالى « إنما المؤمنون إخوة » وجاء في الحديث المأثور عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « من لا يحب لأخيه مايحبه لنفسه فليس بمسلم » وقد عمل النبي بهذه التعاليم العالية هو واهل بيته واصحابه من بعده قبل ان يولد حدثنا « كارل ماركس » الذي طلع بالاشتراكية المشبوهة التي جعلها المتسلطون شركا لاستعباد الشعوب والتاريخ يخبرنا بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد هجرته الى المدينة من مكة ومعه من هاجر من اهله واصحابه ومن اتبعه من المسلمين وهم لا يملكون شيئاً والعقار والأموال للأنصار خاصة فقاسموهم اموالهم واحلوهم ديارهم امتثالا لأمر الله ورسوله فالامام زين العابدين اراد ان يعلم صدقهم في المؤآخات وقوة ايمانهم فسألهم هل يدخل احدكم يده في كيس اخيه فيأخذ ما يريد من غير اذن فقالوا لا فعلم انهم لم يتقيدوا بمبادىء دينهم فقال لهم اذهبوا فلستم باخوان

ويروى انه استسقى عباد البصرة في عام سنيت في مكة المكرمة منهم ايوب السجستاني وصالح المزي وحبيب القادسي ومالك بن دينار وصالح الاعمى وغيرهم من رجال الله الصالحين فاخفقوا واذاهم بفتى قد اقبل وقد اكربته احزانه واقلقته اشجانه فطاف بالكعبة اشواطاً ثم اقبل عليهم وناداهم واحداً واحداً فقالوا لبيك يا شاب فقال اما فيكم احد يحب الرحمن ويحبه الرحمن فقالوا يا فتى علينا الدعاء وعلى الله الاجابة ثم اتى الكعبة فصلى ركعتين وخر ساجداً فسمعناه يقول في سجوده يا ربي بحبي لك وحبك لي الا اسقيتهم الغيث فما استتم كلامه ودعاءه حتى أتاهم الغيث كافواه القرب ثم ولى قائلا

« مـــن عرف الرب فلم تغنه معرفة الرب فهذا شقي »

« ما ضر في الطاعة ما ناله في طاعة الله وماذا لقي »
« ما يصنع العبد بـــعز الغنى والعز كل العز للمتقي »

فعندها وقف عباد البصرة مذهولين مأخوذين وقـــد افعمت قلوبهم احتراماً واكباراً له يسألون من هذا العبد الصالح فقيل لهم هـــذا الامام زين العابدين فاستدركوا ما فرط منهم ووقفوا في رحابه يستمنحون نهلة تروي قلوبهم من فيض علمه يقبل فيها الدعاء ويزول العناء

على انه من الحق الجدير بكل اعتبار لمن اطلع على الصحيفة السجادية المشتملة على ادعية هذا الامام الهمام واوراده ومناجاته لله في ليله ونهاره في قيامه وقعوده في صلاته وتهجده يعلم انها صادرة عن قلب رحيم وعبقرية صحيحة وايمان واخلاص مع بلاغة التعبير والاحاطة بالثناء على الله وتمجيده والاعتراف بالوحدانية والعبودية له كأن الباري تقدست اسماءه ذرأه من بين خلقه قدوة للعابدين الزاهدين العاملين

وخليق بنا ان ننظر نظرة تفهم واستيعاب الى ناحية اجتماعية من حياته عليه السلام في البلد المقدس في مكة المكرمة ازاء البيت العتيق حيث القلوب خاشعة والعيون دامعة من خشية بارىء النسم رب البيت والحرم يأتي هشام بن عبدالملك حاجا في عهد ابيه يمشي الخيلاء بتيه عجباً يدل بقوته وسلطانه وارستقراطيته تحيط به حاشيته من الوزراء والقواد والشعراء وجهد ان يستلم الحجر الاسود فامتنع عليه الوصول اليه لكثرة الزحام فانتحى ناحية ونصب له منبر الى جانب زمزم في الحطيم وجلس عليه ينظر الى الناس فبينما هو كذلك اذ طلع الامام زين العابدين يريد الطواف تجلله هالة من المهابة وينبثق نور الهداية من جبينه خاضعاً مستكيناً لله فتدافع الناس يمنة ويسرة لما رأوه احتراماً واكباراً كأن على رؤوسهم الطير وافرجوا له الطريق حتى استلم الحجر فقال هشام من هذا الشاب الوسيم الجليل الذي تبرق اسارير وجهه كأنها مرآة صينية ترى بها عذارى الحي وجوهها متجاهلا اياه فهاجت بلابل الشاميين وقد وقعت هيبته في قلوبهم موقعاً عظيما وتقدم احدهم من المقربين الى هشام سائلا ايضاً من هذا الرجل العظيم الذي هابه الناس هـذه المهابة فانكره العارف واحجم المداهن الختال وعنجر المتلون وقالوا جميعا لا نعرفه

كي لا ينقشع برقع الجهل عن وجوه الشاميين فيعرفونه على ضوء الحقيقة والحقيقة لا تتفق مع سياسة الدولة يومئذ فانبرى الفرزدق وقال انا اعرفه فقالوا من هو يا ابا فراس فاجاب بانشاد هذه القصيدة العصماء التي جاء بعضها في الاغاني والحماسة واكثر الكتب التاريخية وهي اربعون بيتا منها

« هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم »
« هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم »
« يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم »
« مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم »
« هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله ... بجده انبياء الله قد ختموا »
« يغضي حياء ويغضى من مهابته ... فلا يكلم الا حين يبتسم »
« ما قال لا قط إلا في تشهده ... لولا التشهد كانت لاءه نعم »
« وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من انكرت والعجم »
« من يعرف الله يعرف اولية ذا ... فالدين من بيت هذا ناله الامم »
« من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم »
« ان عد اهل التقى كانوا ائمتهم ... او قيل من خير خلق الله قيل هم »

فيض والهام من عيون الشعر لا حشو فيه ولا اغراق انتصر الحق فنطق الحق على لسانه كان الفرزدق يلقي قصيدته على البديهة عفو الخاطر والاعناق مشرئبة والعيون شاهدة والآذان مرهفة والقلوب واعية والرأي العام يحبذ هذه الشجاعة الأدبية وهشام يتجهم وجهه غيظاً وبادرة الانتقام تتردد بين ضميره وشفتيه ولما انتهى من انشاده حبسه بعسفان بين مكة والمدينه ومذ بلغ الامام علي بن الحسين بعث للفرزدق باثني عشر الف درهم ويطلب منه المعذرة فردها قائلا يا ابن رسول الله ما قلت تزلفاً ولا طماعية في شيء ولكني قلت حقا قربة لله ولرسوله لا رغبة في الجائزة وحسبي رضاك عني فردها اليه الامام قائلا بحقي عليك الا ما قبلتها مني فقد رأى الله مكانك وعلم صدق نيتك فقبلها وانصرف لمجو هشام فاخرجه من الحبس لما بلغه قوله

« ايحبسني بين المدينة والـــتي اليها قلوب الناس يهوي منيبها »
« يقلب رأساً لم يكن رأس سيد وعيناً له حولاء باد عيوبها »

هذه البادرة من هشام بن عبد الملك ظاهرة اجتماعية تحولت في دقائق معدودة سياسية حزبية طوحت بالفرزدق الشاعر الكبير العربق في محتده الى سجن عسفان لخروجه على مبدأ السلطة الحاكمة لأن هشاما يعتز بسلطانه واتوقراطيته والفرزدق تجاهر بعقيدته وحريته وبعد يوم او بعض يوم ادرك هشام ان لسان الفرزدق امضى من السيف الصقيل وبيانه يقوم على الحق والدليل فعفي عنه ورجع من معتقله موفور الكرامة

وقال الشيخ الشربيني في كتابـــه درر الأصداف في مناقب الاشراف ان الامام علياً بن الحسين عليه السلام كان يعمل على كتمان اسرار الله تعالى في العالم كما اشار بقوله

« يا رب جوهر علم لو ابوح به لقيل لي انت ممن يعبد الوثنا »
« ولاستحل رجال صالحون دمي يرون اقبح ما يأتونه حسنا »

رحم الله العلامة الشربيني الم يعلم ان هذا الامام غصن من اغصان شجرة النبوة تفرع من دوحة الشرف الباذخ الذين تلقفوا العلم عن جدهم المختار صلى الله عليه وآله وسلم نورا وهدى وتبيانا لكل شيء بالتلقين فكانوا عيبة علمه وخزان سره ومن اولى من الامام السجاد الزاهد العابد المتأله الرباني بالعمل على كتمان اسرار الله ونشرها والقيام بطاعته وعبادته ومخاطبة الناس على حسب عقولهم مع مراعاة الزمان والمكان

ان حياة هذا الامام هي المثل العليا الناطقة بقوة وجلاء بمـــا لفضيلة الصبر وكظم الغيظ واحتمال المصائب بقلب عامر بالايمان وبما لتأييد الدين ونشر العلم ومواساة البائسين واغاثة الملهوفين من اثر ملموس في الحياتين جعلنا الله ممن يهتدي بهديه ويسير على نهجه

قال طاووس اليماني رأيت رجلا يصلي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه فجئته حين فرغ من الصلاة فاذا هو علي بن الحسين عليهما السلام

فقلت له يا ابن رسول الله رأيتك على حالة انت في غنى عنها ولك ثلاثة ارجوان تكون امانا لك من الخوف احدها انك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثاني شفاعة جدك والثالث رحمة الله

فقال له يا طاووس اما اني ابن رسول الله فلا يؤمني وقد قرأت قوله تعالى « فَلا انسابَ بينهم يومئذٍ وَلا يَتساءلونَ » واما شفاعة جدي فلا تؤمنني لأن الله عز وجل يقول « لايَشفعونَ إلا لِمنِ ارتضى وَهم مِن خَشيته مُشفقونَ » واما رحمة الله فان الله يقول « انَّ رَحمةَ اللهِ قريبٌ مِنَ المحسنينَ » ولا اعلم اني محسن

اولاده

قيل كان له عليه السلام تسعة اولاد ذكور ولم تكن بينهم انثى وهم الامام محمد الباقر خليفة ابيه وزيد الشهيد وعبد الله وعبيد الله والحسن والحسين وعلي وعمر وسليمان رضي الله عنهم اجمعين

« زين العباد امام المتقين غدا مستمسكا بحبال الواحد الأحد »
« أعيذه من عدو حاذق مذق بقل هو الله لم يولد ولم يلد »

شذرات من كلامه عليه السلام

عجبت لمن يحتمي من الطعام لمضرته ولا يحتمي من الذنب لمعرته

إذا نصح العبد لله في سره اطلعه على مساوي عمله فتشاغل بذنبه عن معايب الناس

كان إذا جاءه سائل يقول مرحبا بمن يحمل زادي الى الآخرة

هلك من ليس له حكيم يرشده وذل من ليس له سفيه يعضده

من قنع بما قسم الله له فهو من اغنى الناس

صدقة السر تطفىء غضب الرب

وكان يقول عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالامس نطفة وهو غداجيفة

وعجبت لمن شك في الله وهو يرى عجايب مخلوقاته

وعجبت لمن يشك في النشأة الأخرى وهو يرى النشأة الأولى

وعجبت لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء

لا يملك مؤمن بين ثلاث خصال شهادة ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسعة رحمة الله عز وجل

لا حسب لقرشي ولا لعربي الا بتواضع ولا كرم الا بتقوى ولا عمل إلا بنية ولا عبادة الا بفقه الا وان ابغض الناس الى الله من يقتدي بسنة امام ولا يقتدي بعمله

خف الله لقدرته عليك واستحي منه لقربه منك واذا صليت فصل صلاة مودع واياك وما تعتذر منه

إياك والابتهاج بالذنب فان الابتهاج به اعظم من ركوبه

يا ابن آدم انك ميت ومبعوث وموقوف بين يدي الله تعالى فأعد له جوابا

ان المنافق ينهي ولا ينتهي ويأمر ولا يأتي اذا قام إلى الصلاة اعترض واذا ركع ربض واذا سجد نقر يمسي وهمه النوم ولم يسهر

والمؤمن من خلط حلمه بعلمه يجلس ليعلم وينصت ليسلم لا يحدث الا صدقاً ولا يكتم الشهادة للبعداء ولا يعمل شيئاً من الحق رياء ولا يتركه حياء ان زكي خاف مما يقولون ويستغفر الله مما لا يعلمون ولا يضره جهل من جهله

ابو جعفر الامام محمد الباقر

ولد سنة ٥٧ هـ - ٦٧٦ م وتوفي سنة ١١٥ هـ ٧٣٣م

هو الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين بن الامام الحسين الشهيد سبط خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وامه فاطمة ام عبد الله بنت الامام الحسن الزكي سلام الله عليهم اجمعين فهو هاشمي من هاشميين وعلوي من علويين ولد سنة ٥٧ من الهجرة ودعاه ربه الى جواره سنة خمس عشرة ومائة بالمدينة ودفن في بقيع الغرقد نقش خاتمه كما جاء في تفسير الثعلبي

« ظني بالله حسن وبالنبي المؤتمن وبالوصي ذي المنن وبالحسين والحسن »

شاعره كثير عزة والكميت والسيد الحميري - وبابه جابر بن يزيد الجعفي - وثقاته زرارة بن اعين وأبو بصير الأسدي ومحمد بن اسماعيل بن بزيع وغيرهم من الزاهدين حملة العلم

والقابه باقر العلم لأنه بقر العلم وشقه واخرج مكنونه وعرف اصله واظهره كما يشق الصبح ظلام الليل ويلقب بالشاكر والهادي والامين والشبيه لقرب الشبه بينه وبين جده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

صفته وحليته — ذكر ابن شهراشوب في مناقبه

قال كان الامام محمد بن علي الباقر ربع القامة رقيق البشرة جعد الشعر اسمر له خال على خده وخال احمر على جسده ضامر الكشح حسن الصوت مطرق الرأس

جوده وسخاؤه

وقال ايضاً كان اصدق الناس لهجة وابذلهم مهجة لا يشغله شيء عن ذكر الله

وقال المفيد كان الامام الباقر ظاهر الجود في الخاصة والعامة مشهور الكرم في الكافه يعرف بالتفضل والاحسان يتصدق كل يوم جمعة بدينار ويقول الصدقة يوم الجمعة تضاعف اجر هذا اليوم على غيره من الأيام

ويروى عن سليمان بن دمدم انه كان عليه السلام يجيز بالخمسمائة درهم الى الستمائة الى الألف ولا يمل من صلة اخوانه وقاصديه

علمه وفضله

قال صاحب الارشاد لم يظهر من احد من ولد الحسن والحسين في علم الدين والسنن وعلم القرآن والتفسير والسير وفنون الأدب ما ظهر من أبي جعفر الباقر والذين اخذوا عنه العلم ومعالم الدين بقايا الصحابة ووجوه التابعين منهم جابر بن عبد الله الأنصاري وسعيد بن المسيب وعبد الله بن رافع وغيرهم ومن التابعين جابر بن يزيد الجعفي وعمرو بن دينار وعطاء بن ابي رباح وكيسان السختياني صاحب الصوفية ومن الفقهاء ابن المبارك والزهري والأوزاعي ومالك بن انس وأبو حنيفة وزياد بن المنذر — ومن المؤرخين الطبري والبلاذري والسلامي والخطيب

عاصر من الامويين الذين تولوا الملك الوليد ويزيد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن الوليد بن عبد الملك والدولة بؤرة فساد والوازع الديني لا أثر له والمجاهرة بالمعاصي ظاهرة تدل على انتهاك حرمة الدين وقد طرأ على الدولة انحلال

وضعف يرجع الى اطلاقها العنان للشهوات

حتى ملك العبد الصالح عمر بن عبد العزيز « رض » فقد اقام قسطاس العدل بين الناس ورد المظالم الى اهلها وسار على منهاج الخلفاء الراشدين ونسخ بدعة السب التي ابتدعها مؤسس الدولة الأموية لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وطهر القصور من الغانيات والسراري ومن آلات الطرب والملاهي وخرج بالوضع السياسي من الجمود والاستهتار الى العمل المثمر وبدأ بالاصلاح الجذري في كيان الدولة فاستأصل الفساد متعجلا اصلاح الأمة التي اغضت على القذى خوفاً من اهله وذويه الأرستقراطيين

وفي أيامه رتع الناس في بحبوحة الأمن والخصب ولكن بني امية تألبوا عليه ودسوا اليه السم ومات مسموماً وسبب كراهتهم له انه ضيق الخناق عليهم ولم يتركهم يستغلون ضعف الضعفاء وتوفي بدير سمعان وفيه يقول الشريف الرضي

« يا ابن عبد العزيز لو بكت العـــين فتى من أمية لبكتك »
« انت نزهتنا عن السب والقذ ف فلو امكن الجزاء جزيتك »
« قد نفا العدل منك لما نأى الجو ر بهم فاجتويتهم واجتبيتك »
« فلو اني ملكت دفعاً لما نا لك من طارق الردى لافتديتك »

سئل الامام محمد الباقر عن عمر بن عبد العزيز قال هو نجيب امية وانه يبعث يوم القيامة امة واحدة

لا جرم ان بني امية ملكوا واخطأوا الحفرة باظهار كوامن الأحقاد والعداوة للهاشميين وضلوا السبيل باتخاذهم التعسف الذهبي والانتقام اساساً لسياستهم فالخطط التي ساروا عليها في محاربة اهل البيت وشيعتهم ومكاشفتهم البغضاء للعلويين وصرف الناس عن ذكرهم بالخير وتماديهم بالضلال واللعن لباب مدينة العلم عليه السلام على منابر المساجد واستئصالهم اولاده واحفاده وتمردهم على ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهدمهم كلما بنوه الخلفاء الراشدون وغير ذلك من اعمالهم التي تبعث على الريبة في صفاء ضمائرهم من الوجهة الدينية والأخلاقية وقد اشار الى ذلك المرحوم عبد الباقي العمري في قصيدته البائية بقوله

« قدما تأذى المصطفى من حزبكم وصهره ذاق خداع قلبكم »
« وسبطه ذاق الردى من حربكم منكم وفيكم وعليكم وبكم »
« ما لو شرحناه فضحنا الكتبا »

فالقوم تنكبوا الطريق السوي فجرفتهم اعاصير الأهواء فكانوا البأ على انفسهم يسومونها الخسف وشمخوا بانوفهم اعتزازا بملك عضوض استبدوا به بعادات جاهلية وثارات بدرية افعمت قلوبهم بالانتقام فكان عملهم هذا معاول هدم لتحطيم ملكهم وانتقاله لغيرهم

وهذا عبد الملك بن مروان الذي يعتبرونه المؤرخون المؤسس الثاني للدولة الأموية بعد معاوية لما تولى الملك بعد ابيه كان القرآن بيده فوضعه وخاطبه قائلا « هذا فراق بيني وبينك »

ونحيل القارىء على الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني الذي يصور لنا البذخ والاسراف والخروج على الدين والعادات في عهد يزيد بن عبد الملك الذي ترك الدولة ووكل تدبير شؤونها الى محظيته سلامة القس وحبابة فكانتا تعزلان الولاة وتوليان غيرهم

وروى محمد بن سلام ان يزيد بن عبد الملك اشترى سلامة المذكورة بعشرين الف دينار

والتاريخ يحدثنا بان عمر بن هبيرة كان والياً على العراق من قبل حبابة محظية يزيد بن عبد الملك حتى قال احدهم « ومن يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل وهداياه بالنهار » وقد علت منزلته على ضفتي بردى وعصفت ريحه حتى كان يدخل على يزيد في اي وقت شاء بدون اذن ومن يقدر على الوقوف في وجهه وهو تحت جناح حبابة الحاكمة المطلقة على الأمة تتصرف بالملك والملك كما تشاء يحمد فعلها ولا يرد قولها

ومظان الكتب المعتبرة لا تبخل علينا باخبار الوليد بن يزيد وعن بركة الخمر التي جعلها في قصره وعن استخفافه بالقرآن الشريف وعن نقله الخمر والكلاب معه الى الحجاز عندما ولاه هشام امارة الحج ونضرب صفحا عن الموبقات التي كانت سبباً لانهيار دولتهم وتفكيك اوصالها ومحو آثارها وهذا مروان بن محمد آخر

ملوكهم بينما كان يجلس على عرش وطيد لا تزعزعه عوادي الدهر يتلفع بأفواف الحرير الناعم وينقلب على الأرائك الوثيرة بين الحسان والقيان ويستنشق النسائم العطرة الحاملة عبير الأزهار من غوطة دمشق الفواحـــة واذا بصوت ابي مسلم الخراساني يدوي في الفضاء الفسيح يدعو الى الرضا من آل محمد فانتبه مذعوراً مأخوذاً يستعرض ماضي اسلافه الغابرين فلم يعثر لهم على صفحة ناصعة فصعق من الرعب وايقن بزوال ملكه والملك لله الواحد القهار

ولما كان الله رحيما بعباده يمهل ولا يهمل في هذا الظلام الدامس والفتن تترى والعقول حيرى والنفوس ملتاعة بعـــد وفاة الامام علي بن الحسين السجاد عليهما السلام

هب ولده الامام ابو جعفر محمد الباقر الامام الخامس من ايمة اهـل البيت الطاهر عليهم السلام بالنص الصريح القاطع عن ابيه لانقاذ الناس من بلاء يتخبطون في دياجيره الحالكة وجلس في مجلس ابيه العلمي في حرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقبلت الوفود تحج الى مغناه وتهتدي بهديه يستبقون الى تأثر خطواته ويسرعون الى ارتشاف العلم من نفحاته يحملهم على المحجة البيضاء ويزيل ماعلق بالاذهان من الشبهات بالآيات البينات ويقرع الحجة بالحجة البالغـــة وعلامات الامامة ظاهرة على وجه مبسوط لا عقدة فيه يفيض بنور الايمان يؤيد الحق والحق يؤيده خلق امة استنارت بنورَ هداه بعد خمود وجمود ورجعت الى الكتاب والسنة مستبصرة في ظروف قاتمة حلكاء كيف لا وهو زعيم الهاشميين ووارث علم آبائه المنتجبين فازدحام الجموع حوله كالهالات يستمعون اليه ويعملون بعمله دليل يبرهن لنا انه كان يجري على مقتضى الحكمة في تنوير الافكار لا يأبه لغطرسة المتكبرين ولا يخيب فيه رجاء الراجين فازدهرت يثرب بعد العبوس وخليق بها ان تلبس حلة قشيبة فقد فتح فيها ابو جعفر معاهد العلم وعقد فيها مجالس الأدب والعرفان واعدوا مركزاً للحياة الفكرية والاجتماعية وناهيك بامام طاهر خلوق متواضع تحلى بأعلى قواعد الاخلاق المحمدية عفيف الرأي والنفس واللسان طويل التفكير بعظمة خالق الكون لا ينصرف تفكيره لما يفنى لأن وجهته المثل العليا

وهمته خدمة ربه وعباد ربه والعمل لخير الانسانية عامة ولرفع شأن العرب خاصة فالحقائق سفرت له عن وجهها ولم تكتم عنه اسرارها فكان ينطق بلسان جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم بشريعته وقد عمل على تطهير الدين الاسلامي من فتاوي علماء السوء المتزلفين للسلطة الناعمين بخيراتها والنافخين في بوقها

سياسته وماهيتها: كان ينفر من الآراء السياسية التي كانت منتشرة في ذلك الوقت مشحونة بتناحر الأحزاب المتباينة في المبدأ أو الغاية مستمسكاً بعقيدته الدينية لا يبغي عنها حولا وقد ابت عليه شخصيته الفذة الا الاستمرار على رفع مستوى الأخلاق والعلم معاً في نفوس الأمة كي لا يتسرب الضعف والوهن إلى العقائد الدينية ومع اشتغاله بمختلف العلوم واختلاف الناس اليه متحرزاً من كل ما يثير الريبة في نفوس الهيئة الحاكمة عليه كان الأمويون يريدون التخلص منه لعظم نفوذه وقوة شخصيته ولشد ما كانت تؤلمهم مواقفه المحمودة وتقض مضاجعهم وتثير في نفوسهم الهواجس لإقبال الناس عليه وهو يلقي عليهم الدروس الدينية والاجتماعية والاقتصادية ويحثهم على العمل بمبادىء الدين والتعاون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى عمل الخير للعاجلة والآجلة للوصول إلى السعادة الأبدية في الحياتين وفي هذه الحلقات التي كانت تتألف حوله نضجت العقلية العربية الاسلامية وتضاعف التفكير واتسعت المدارك وبدأ الوعي القومي فتخرج من تحت منبره طائفة من العلماء والفقهاء والمحدثين انتشروا في انحاء الأمبراطورية العربية للتدريس والارشاد واسسوا دور العلم وكان لكتاب الله المعجز أثره في فتق الأذهان وتوحيد اللهجات والتحذير من الزيغ والضلال ولم تنقطع الصلة بينهم وبين الامام حيث يرجعون اليه في معضلات المسائل فيحل لهم عقالها ويوضح ما اشكل عليهم فهمه من احكامها

ولما اشخصه هشام بن عبد الملك إلى الشام ودخل عليه عزم هشام على الغض من كرامته فلما شاهده تهيب جانبه واحس برهبة لم يفهم كنهها واستكناه اسرارها فلم ينشب ان نهض واقفا وقربه اليه وتكلم معه فلم يجد ما يؤآخذه عليه ورجع إلى المدينة موفور الكرامة

احتجاجه على هشام بن عبد الملك نقل صاحب الارشاد بسند متسلسل قال حج هشام في ايام ملكه فدخل المسجد الحرام متكئاً على يد سالم مولاه ومحمد بن علي بن الحسين جالس في المسجد فقال له سالم يا امير المؤمنين هذا محمد بن علي بن الحسين قال هشام المفتون به اهل العراق قال نعم قال اذهب اليه فقل له يقول لك امير المؤمنين ما الذي يأكل الناس ويشربون إلى ان يفصل بينهم يوم القيامة فقال له ابو جعفر يحشر الناس على مثل « قرص نقي » القرص النقي الرغيف الأبيض النظيف » فيها انهار متفجرة يأكلون ويشربون حتى يفرغ من الحساب فرأى هشام انه قد ظفر به فقال الله اكبر اذهب اليه فقل له يقول لك ما أشغلهم عن الأكل والشرب يومئذ فقال له ابو جعفر هم في النار اشغل ولم يشغلوا ان قالوا « افيضوا علينا من الماء ومما رزقكم الله » فسكت هشام قانعاً

-(اهداء رسول الله السلام اليه)-

روى الزبير بن مسلم المكي قال كنا عند جابر بن عبد الله الأنصاري من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد الباقر وهو صبي فقال علي لأبنه محمد قبّل رأس عمك فدنا محمد من جابر وقبل رأسه فقال جابر من هذا وكان قد كف بصره فقال له الامام علي بن الحسين هذا ابني محمد فضمه جابر اليه وقال يا محمد جدك محمد رسول الله يقرئك السلام فقالوا كيف ذلك يا أبا عبد الله قال كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والحسين في حجره وهو يلاعبه فقال لي يا جابر يولد لولدي الحسين ابن يقال له علي فإذا كان يوم القيامة ينادي فليقم سيد العابدين فيقوم علي بن الحسين ويولد لعلي ولد يقال له محمد يا جابر ان ادركته فأقرئه مني السلام وان لاقيته فاعلم ان بقاءك بعده قليل فلم يعش جابر بعد ذلك غير ثلاثة ايام

ويقول صاحب كتاب نور الأبصار في مناقب آل النبي المختار صفحة ١٣٠ بأن الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين عليه السلام سأل جابر بن عبد الله الانصاري (رض) لما دخل عليه عن السيدة عائشة وما جرى بينها وبين علي رضي الله عنهما فقال له جابر دخلت عليها يوما وقلت لها ما تقولين في علي بن ابي طالب كرم الله

وجهه فاطرقت رأسها ثم رفعته وقالت رض

« اذا ما التبر حك على محك تبين غشه من غير شك »

« وفينا الغش والذهب المصفى عليٌّ بيننا شبه المحك »

هذا ما رواه جابر الأنصاري وهو صحابي صدوق ولا يستغرب ما نقله عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فالنبي لا يقول إلا حقا يستمد علمه عن جبريل الأمين عن رب العالمين

وجواب السيدة عائشة (رض) لجابر الأنصاري عند ما قال لها ما تقولين في علي بن ابي طالب لم يكن جوابها له الاعن علم وهي تعلم مقامه المشرف في الاسلام ومكانته لدى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولا يعرف اهل الفضل إلا اهله وحكمها صادر عن علم جم وتفكير صحيح

وجاء عن الامام الباقر في التفسير – قال عليه السلام كان في الأرض أمانان من عذاب الله رفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به اما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واما الأمان الباقي فهو الاستغفار قال الله عز من قائل (وَمَا كانَ اللهُ لِيعذِّبَهم وأنتَ فِيهمْ وَما كانَ اللهُ مُعذبهمْ وهمْ يستغفرون)

لقد صدق فيما قال فالرجوع إلى الله بالانابة والتوبة والاستغفار امان لأهل الأرض من العذاب فالامام وآباءه وابناءه لايهتدون إلا بهدي القرآن يستخرجون الحقائق من آياته المحكمات نورا وهدى للمتقين

ونقل المفيد ان عمرو بن عبيد وفد على الامام محمد بن علي بن الحسين (ع) فقال له جعلت فداك مامعنى قوله تعالى « أوَ لمْ يرَ الذينَ كفرُوا أنَّ السماواتِ والأرض كانَتا رَتقاً ففتقْناهُما » ما هذا الفتق والرتق فقال له ابو جعفر كانت السماء رتقاً لا تنزل المطر وكانت الأرض رتقا لا تخرج النبات ففتقناهما بنزول المطر وخروج النبات فسكت ابن عبيد ولم يحر جوابا

ثم عاد اليه فقال له اخبرني جعلت فداك عن قوله عز وجل « وَمنْ يَحلِلْ عليهِ غضبي فقدْ هوى » ماغضب الله تعالى فقال ابو جعفر طرده وعقابه ثم قال له

يا عمرو من ظن ان الله يغيره شيء فقد كفر فقال له صدقت يا ابن رسول الله

لا اعتقد ان عمرو بن عبيد المعروف بالبداهة وقوة العارضة يجهل مكانة الامام الباقر المتضلع في مختلف العلوم وكيف يجهل شخصية بارزة ملء السمع والبصر هي مستودع سر إلهي يشع منها نور الهداية في الزهد والتقوى والعبادة وخدمة الانسانية ولعله اندفع بعامل سياسي فجاءه يستطلع رأيه في تفسير الآيتين الكريمتين متعنتاً لاحراجه فرجع وهو يقول لا حرج عليك ولا اعتراض

وجاء عنه عليه السلام في قوله عز وجل « اولئكَ يُجزَونَ الغرفةَ بما صبروا ويلقونَ فيها تحية وسلاماً » قال على الفقر في الدنيا والصبر على مصائبها

السكة الاسلامية

جاء في دائرة المعارف البريطانية ان اول من أمر بضرب السكة الاسلامية هو الخليفة علي بن ابي طالب بالبصرة سنة اربعين من الهجرة الموافقه لسنة ٦٦٠ م مع بقاء التعامل بسكة اخرى وما ضربة رأس البغل من الدراهم في عهد عمر بن الخطاب لم تكن إلا كالسكة الكسروية

وذكر ابراهيم بن محمد البيهقي في الجزء الثاني من كتابه المحاسن والمساوي بان ملك الروم ارسل كتابا الى عبد الملك بن مروان يحذره من ضرب السكة باللغة العربية لأن التعامل كان بالنقود الرومية والنقود الفارسية فجمع عبدالملك اهل الرأي من رجال دولته واستشارهم فلم يجد عند احد منهم رأياً يستريح اليه فقال له روح بن زنباع انك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر وتتعمد تركه قال ويحك من: قال له الامام محمد الباقر من اهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال صدقت ولكنه إرتج علي الرأي فيه فكتب الى عامله بالمدينة ان اشخص الى محمد بن علي بن الحسين مكرماً ومتعه بمائتي الف درهم لجهازه وبثلاثمائة الف لنفقته فلما وافاه بالشام تقدم اليه بكتاب ملك الروم فقال له الباقر لا يعظمن عليك فانه ليس بشيء ولا يهولنك تهديده قال وما ترى قال تدعو في هذه الساعة بصناع فيضربون بين يديك سككا للدراهم والدنانير وتجعل النقش عليها سورة التوحيد وذكر رسول الله احدهما في وجه الدرهم والدينار والآخر في الوجه الثاني

وتجعل في مدار الدرهم والدينار اسم البلد الذي يضرب فيها والسنة التي تضرب فيها تلك الدراهم والدنانير والوزن يعادل قيمة المضروب ففعل عبد الملك ذلك وأشار عليه الامام أن يتقدم إلى الناس في التعامل بها وان يتهدد كل من يتعامل بغيرها من النقود الفارسية البغلية أو من النقود الرومية بالقصاص العاجل وينبغي استبدال هذه النقود الأجنبية بنقود عربية من دار ضرب النقود لكي تعاد الى السكك الاسلامية وترد إلى مواضع العمل وبعد ان عمل بذلك عبد الملك وردّ رسول ملك الروم اليه بكتاب يعلمه فيه بابطال السكك الرومية التي قامت مقامها السكك العربية كما أشار الامام عليه السلام

لأنه ميمون النقيبة في حل المعضلات فقد انقذ الدولة الاسلامية من شر مستطير بسداد رأيه وحزمه وجعل التعامل بالنقود العربية وهذه النقود الذهبية التي ضربت في العهد الأموي رأينا منها كثيراً في العصر الحاضر متوجة بالشهادتين يعثر عليها المنقبون على الآثار القديمة في الدمن الدوارس

مناقبه وفضائله

وحكى مولاه افلح قال حججت مع سيدي ابي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فلما دخل المسجد ونظر البيت الحرام بكى فقلت بابي وأمي انت ان الناس ينظرون اليك فلو خفضت صوتك قليلا فقال ويحك يا افلح ولم لا أرفع صوتي بالبكاء لعل الله ينظر الي برحمة منه فأفوز بها غدا ثم طاف وجاء وركع حول المقام فلما فرغ رأيت موضع سجوده مبتل من دموع عينيه

وجاء في وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان ابو جعفر بن الامام زين العابدين ويقال له محمد الباقر عالماً سيداً كريماً وقيل له الباقر لأنه تبقر في العلم اي توسع وفيه يقول القرطي

« يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الأجبل »

وذكر صاحب تذكرة الخواص عن ابن سعد في الطبقات قال قال ابو يوسف قلت لأبي حنيفة لقيت محمد بن علي الباقر قال نعم وسألته هل أراد الله المعاصي

قال أفيعصي قهراً قال أبو حنيفة فما رأيت جواباً أفحم عنه

وقال ابن حجر في صواعقه وارث زين العابدين من أولاده عبادة وعلماً وزهادة ابو جعفر محمد الباقر ومن ثم قيل فيه هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه صفا قلبه وزكا علمه وعمله وطهرت نفسه وشرف خلقه وعمرت أوقاته بطاعة الله وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكل عنه السنة الواصفين وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة

روى المدائني قال أتى أعرابي أبا جعفر محمد بن علي فقال له هل رأيت الله حين عبدته قال ما كنت لأعبد شيئاً لم أره قال فكيف رأيته — قال لم تره الأبصار مشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الايمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات منعوت بالعلامات لا يجور في قضيته هو الله الذي لا إله إلا هو فقال الأعرابي الله أعلم حيث يجعل رسالته

لست في حاجة للقول بان كل من قرأ سيرة هذا الامام عليه السلام يشعر في اعماق نفسه اكباراً يتمشى في عروقه رهبة تهز مشاعره تعظيما لله ولأوليائه المتقين تفتح امام ناظره طريق الأمل للرجوع إلى الله بالعمل على أداء الواجبات الدينية للدخول في حظيرة القدس مع عباده الصالحين

قالت حبابة الوالبية رأيت في وقت الأصيل في مكة المكرمة رجلا وسيما جليلا بالملتزم بين الباب وحجر اسماعيل على صعدة من الأرض قد حزم وسطه بعمامة خز والغزالة على الجبال كالعمائم على قمم الرجال وقد صاعد كفه وطرفه إلى السماء يبتهل للاله العظيم بقلب خاشع ودمع هامع فهلع فؤادي واكبرته واعتقدت انه من أولياء الله المقربين فلما انثال الناس عليه يستفتونه عن المعضلات ويستفتحون ابواب المشكلات فلم يرم ان افتاهم في الف مسألة ثم نهض يريد رحله وسمعت مناديا ينادي بصوت صهل ألا ان هذا النور الأبلج والنسيم الأرج فسألت عنه وآخرون قالوا من هذا فقيل هذا الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب حينئذ علمت وعلم اهل الموسم انه فرع من الشجرة المباركة

وروى عنه ابنه الامام جعفر الصادق عليه السلام قال كان يقول أبي في جوف

الليل في تضرعه لله إلهي أمرتني فلم أأتمر ونهيتني فلم أنزجر فها أنا عبدك بين يديك مقر لا أعتذر

وقال خالد بن الهيثم قال أبو جعفر محمد الباقر ما اغرورقت عين من خشية الله تعالى إلا حرم الله وجه صاحبها على النار فان سالت على الخدين دموعه لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة وما من شيء إلا وله جزاء إلا الدمعة فان الله يكفر بها بحور الخطايا —

وقال أبو عثمان الجاحظ في كتابه البيان والتبيين جمع محمد بن علي الباقر صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين فقال صلاح شأن المعاش والتعاشر ملء مكيال ثلثان فطنة وثلث تغافل

وأني وأيم الله لقد بسطت عزمي وأذكيت ذهني وقدحت زناد فكري ونشرته وطويته لأتصعد به إلى السماء واستبق عواصف الهواء للاحاطة بروحانية هذا الامام الملهم المتدثر بالعلم والمتزمل بالفضل والمقيم على طاعة الله في سره وعلانيته العامل بما يرضي الله فعجزت معترفاً بالتقصير عن إدراك كنه أولياء الله من عباده الصالحين

كرامة باهرة

روى أبو بصير قال كنت مع الامام ابي جعفر في المسجد إذ دخل المنصور وداود بن علي العباسي وسليمان بن مجالد فأقبل داود وسليمان الى ابي جعفر فقال لهما ما منع جباركم ان يأتيني فاعتذروا عنه فقال يا داود اما انه لا تذهب الأيام حتى « يليها » يعني الخلافة ويطأ الرجال عقبه ويملك شرقها وغربها وتدين له الامم وتذل له الرقاب قال له داود فلها مدة قال نعم والله ليتلقفها الصبيان منكم كما تتلقف الأكرة فانطلقا واخبرا المنصور بما سمعاه من الامام فبشراه بذلك فلما وليا دعا سليمان بن مجالد وقال يا سليمان لا يزالون في فسحة من ملكهم ما لم يصيبوا من دمائنا فاذا أصابوا فبطن الأرض خير لهم من ظهرها فجاء المنصور الدوانيقي وسأله عن مقالهما فصدق له الخبر وكان كما قال

فالكرامات من أهلها يقرها الوجدان ولا يختلف بصحتها اثنان فان حديث حبابة الوالبية عن ورعه وتقاه وعلمه وفضله مثل من يخبر في الظهيرة عن ذكاء

ونورها يملأ الفضاء ودخوله على هشام بن عبد الملك المدل بجبروته المعتز بملكه الذي عزم على الحط من كرامته فكانت هيبته أقوى من عزيمته ولعله ادرك بان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

واما تبليغه البشرى للمنصور العباسي بالخلافة والملك في عنفوان سلطة الأمويين وعظمتهم لا يبعث على الاستغراب لأنه هو وآباؤه وأبناؤه خزنة علم جدهم الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم

وقبل خروج أخيه الامام زيد رضي الله عنه إلى الكوفة قال للامام الباقر عليه السلام يا أخي ان بني أمية اماتوا شرفنا واذلوا عزنا ولا يحسن السكوت على اعمالهم واني ذاهب الى اهل الكوفة فقد وعدوني النصرة عليهم فناشده ان لا يخرج ولا يقبل اقاويل أهل الكوفة وحذره غدرهم وقال له انا نجد في بعض علمنا ان بعض أهل بيتنا يصلب بالكناسة بالكوفة واخاف ان تكون ذلك المصلوب والعياذ بالله فقال له يا أخي « لنْ يُصيبَنا إلاّ ما كتبَ اللهُ لنا » ومضى على عزمه وكان كما قال عليه السلام

والجدير بالذكر ان بني أمية اخرجوا الامام زيد فأخرجوه والنفوس الأبية لا تصبر على الضيم ولا تبالي بما يعتور طريقها من الصعاب وانتهاك الشرف الرفيع لا يغسله إلا الدم المهراق وكانت شهادته والتمثيل به من جملة الأسباب التي طوحت بملكهم والخلود والبقاء للمطيع لله المتمسك باهداب الدين والعاقبة للمتقين

اولاده

قال المفيد في الارشاد أولاده ستة وقيل سبعة وهم ابو عبد الله الامام جعفر الصادق وكان يكنى به وعبد الله امهما ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر وابراهيم وعبيد الله وامهما ام حكيم بنت اسد بن المغيرة الثقفية وعلي وزينب لأم ولد وام سلمة لأم ولد

فالامام ابو جعفر الباقر دب ودرج في حجور طابت وطهرت وقد شب واكتهل في مهبط الوحي والتنزيل وشاب بين القبر والمنبر على تقوى من الله ورضوان عاش مجاهداً لاحياء الدين وتأييد الشريعة وخدمة الانسانية ومذ دعاه

ربه اليه فأجاب ملبياً الى جواره في أعلى عليين

« يا بني الزهراء والنور الذي ظن موسى انـــه نار قبس »
« لا أوالي قط مـــن عاداكم إنهم آخر سطـر في عبس »

شذرات من كلام عليه السلام

ما دخل قلب امرىء شيء من الكبر الا نقص من عقله مثل ذلك قل او كثر

صلاح الشام قبيح الكلام

موت العالم احب للشيطان من موت سبعين عابد

شيعتنا من أطاع الله

الغنى والفقر يجولان في قلب المؤمن فاذا بلغا الى مكان التوكل استوطناه

الصواعق تصيب المؤمن وغيره ولا تصيب ذاكر الله تعالى

ما من عبادة افضل من عفة بطن وفرج

بئس الأخ يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً

أعرف المودة في قلب اخيك بما له في قلبك

عالم ينتفع بعلمه افضل من الف عابد

اياكم والخصومة فانها تفسد القلب وتورث النفاق

ثلاثة من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في باطل ومن اذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق ومن اذا قدر لم يتناول ما ليس له

ليس منا من لم يحاسب نفسه كل يوم فان عمل حسنا استزاد منه وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب

إياك والكبر فانه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة مـــن الكبر الكبر رداء الله فمن نازعه رداءه اكبه الله في النار على وجهه

ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة ان تعفو عمن ظلمك وتصل إلى من قطعك وتحلم اذا جهل عليك

ثلاث خصال لا يموت صاحبهن حتى يرى وبالهن عليه البغي وقطيعة الرحم واليمين الكاذبة

اربع من كنوز البر كتمان الحاجة وكتمان الصدقة وكتمان الوجع وكتمان المصيبة

من صدق لسانه زكا عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بره باهله زيد في عمره

ان طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده

ما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضي الله إلا ابتلي بان ينفق اضعافها فيما أسخط الله

من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً فان مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً

ان المؤمن اخو المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء الظن به

الحياء والايمان مقرونان في قرن فاذا ذهب احدهما تبعه صاحبه

الفصل الحادي عشر

سيرة الامامين الصادق والكاظم

ابو عبد الله الامام جعفر الصادق عليه السلام

ولد سنة ٨٠ هـ - ٦٩٩ م وتوفي سنة ١٤٨هـ - ٧٦٥م

هو الامام جعفر الصادق بن الامام الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الحسين الشهيد بن علي امير المؤمنين سلام الله عليهم اجمعين

امه ام فروة بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر وام القاسم اسماء بنت عبد الرحمن بن ابي بكر رضي الله عنهم

وروى المناوي في الطبقات ان الصادق عليه السلام قال ولدني ابو بكر مرتين وفي ذلك يقول الشريف الرضي

« وحزنا عتيقاً وهو غاية فخركم بمولد بنت القاسم بن محمد »

وتوفي بالمدينة المنورة ودفن مع ابيه الباقر وجده الامام زين العابدين بالبقيع في روضة واحدة وجاء في وفيات الأعيان لابن خلكان قال ابو عبد الله جعفر الصادق هو الامام السادس من الأئمة الاثني عشر على مذهب الامامية وكان من سادات اهل البيت ولقب بالصادق لصدقه في مقالته وفضله اشهر من ان يذكر وله كلام في صنعة الكيمياء والزجر والفال وكان تلميذه ابو موسى جابر بن حيان الطرسوسي وقد الف كتابا يشتمل على الف ورقة يتضمن رسائل جعفر الصادق وهي خمسمائة رسالة وتوفي في شوال سنة ثمان واربعين ومائة بالمدينة ودفن بالبقيع في قبر فيه ابوه وجده زين العابدين وعم جده الحسن بن علي رضي الله عنهم فلله دره من قبر ما اكرمه وأشرفه ه

وقال ابن الاثير في تاريخه في حوادث سنة ثمان واربعين ومائة وفيها مات جعفر بن محمد الصادق وقبره بالمدينة يزار هو وأبوه وجده في قبر واحد مع الحسن ابن علي بن ابي طالب

لقد اتفق المؤرخون على مولده ووفاته عليه السلام وعلى الاشادة بعلمه وفضله وعبادته وزهده وطيب أخلاقه وأعراقه وفلسفة التاريخ لم تقم على الحديث عن قيام اسرة مالكة مقام اسرة منقرضة ولا على اغتصاب متغلب على مملكة من ملك توقل اريكة العرش بالوراثة او باقبال الحظ وابتسام الدهر الحوّل القلّب وإنما فلسفة التاريخ عبر وعظات للمستبصرين فالامام الصادق كان اشد خلق الله حجة وامضاهم قولا نبيل الاحساس خلوقاً نطوقاً جمع الله في شخصه سجايا آبائه الميامين ترف عليه ارواحهم ويستلهم العلم والحكمة والاريحية من آثارهم ومآثرهم اعلم العلماء واوسعهم افقاً في مختلف العلوم

القابه — الصادق والفاضل والطاهر

صفته في خلقه وحليته نقل ابن شهراشوب في المناقب ان الصادق عليه السلام ربع القامة ازهر الوجه حالك الشعر جعداً أشم الانف اتزع رقيق البشرة على خده خال أسود تلوح على وجهه نظرة النعيم — بوابه المفضل بن عمر — ونقش خاتمه

انت ثقتي فاعصمني من خلقك — شاعره السيد الحميري والكميت الأسدي

معاصروه من الأمويين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد ويزيد بن الوليد الملقب بالناقص وابراهيم بن الوليد ومروان بن محمد ومن العباسيين السفاح والمنصور لأن ايامه كانت مخضرمة في عهد الدولتين وبين انقراض الأولى وقيام الثانية كانت القلوب واجفة والأبصار زائغة ومصاير الأمور تتواثب للأوهام في صور مبهمة غامضة تضطرب بين اليأس كله والرجاء كله والفتن تتلو بعضها بعضاً والخلافة زالت معالمها وتحولت الى ملك عضوض والقابض على دينه كالقابض على الجمر والسياسة تتبدل وتتلون كالحرباء بلون النفع والمصلحة ومحص الناس بالبلاء وساد البذخ والترف وشاعت الموبقات وتضاءلت علوم الدين وولى علماء السوء وجوههم شطر ابواب الملوك والمتسلطين يبيعون ضمائرهم بعرض زائل لايتناهون عن منكر فعلوه

ادلة امامته

قال المفيد بالارشاد كان الامام جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام من بين اخوته خليفة ابيه ووصيه والقائم بالامامة من بعده — وقال ابن حجر في الصواعق خلف الامام الباقر ستة اولاد افضلهم واكملهم جعفر الصادق ومن ثم كان خليفته ووصيه

وقال الشهرستاني في الملل والنحل هو « يعني الصادق » ذو علم غزير في الدين وأدب كامل في الحكمة وزهد بالغ في الدنيا وورع تام عن الشهوات وقد اقام بالمدينة مدة يفيد المنتمين اليه من الشيعة ويفيض على الموالين له اسرار العلوم

وقال الامام زيد بن علي بن الحسين في كل زمان رجل منا اهل البيت يحتج به الله على خلقه وحجة زماننا ابن اخي جعفر بن محمد لا يضل من اتبعه ولا يهتدي من خالفه

بعد وفاة ابيه هب سلام الله عليه لاحياء ما درس من شريعة جده سيد الأنام صلى الله عليه وآله وسلم فأصلح المعوج وأحيى ميت الآمال وحارب الطفيليات والحشرات التي اتخذت الشريعة ذريعة للتسلق على ابواب قصور السلاطين لينالوا منهم ما يبتغونه من فضلات موائدهم سحتاً فبئس ما يبتغون بيد انه كان حكيما

في عمله وتفكيره لا تنصرف همته للاعراض عن الجواهر افضل الناس عنده واقربهم لديه اهل التقوى واعظم الناس عنده منزلة أحسنهم مؤآساة وموآزرة وقد اقبلت الجماهير اليه تقدس قوله وعمله وآراءه السديدة وجاءتوآ إلى الحرم النبوي الشريف وجلس بالقرب من الروضة المطهرة سلاحه العلم والورع والتقوى ودثاره الزهد والعفة ومكارم الاخلاق واخذت الناس تختلف اليه من جميع الاقطار للاغتراف من بحر علمه الغزير فهذا يأخذ عنه الحديث الصحيح وهذا يلقن منه التأويل والتفسير وهذا يحكي الفتيا وهذا يسمع ما حلله الله وماحرمه وهذا يتعلم الفقه والحكم والقضاء وهذا يصغي للموعظة الحسنة وهو جدير بالاقبال عليه والاخذ عنه فأقواله سنن تتبع واعماله عهود تحفظ وآراؤه أوامر تطاع وأحكامه أقضية تنفذ كيف لا وهو الحكم العدل المقرون بالصواب تدبيره بنصرة الحق روايته متصلة عن أبيه الباقر عن جده السجاد عن جده الشهيد عن جده المرتضى عن جده المصطفى خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم فكان حديثه عليه السلام كقطع الروض قد طله الندى

« ياآل بيت النبي من بدلت بحبكم روحه فما غبنا »
« من جاء عن بيته يحدثكم قولوا له البيت والحديث لنا »

قال أبو حاتم جعفر الصادق امام ثقة لا يسأل عن مثله ومناقبه كثيرة تكاد تفوت عد الحاسب ويحار في انواعها فهم اليقظ الكاتب

ولعلنا لا نعدو الحق في قليل او كثير اذا وصفنا هذا الامام بماهو اهله لأنه ثمرة شهية من شجرة النبوة الوارفة الظلال من اصل طاهر وفيض عذب من نمير صاف لقب بالصادق لصدقه بكلامه وحديثه وعلمه وروايته سيد من سادات اهل البيت الطاهر وعلم من اعلام العروبة والاسلام اخذ العلم عن ابيه باقر علوم الأولين والآخرين ونص عليه بالامامة وهو ابن بجدتها طود علم شامخ لايطاول يعتبر بذاته نبراساً في تاريخ البشرية تفوق آثاره حضارة أمة كاملة

سياسته

سياسته الابتعاد عن السياسة لان للسياسة مناح مختلفة ولها تعاريج ملتوية

ولغات متباينة ولابطالها بميزات متناقضة وأساليب متنافرة والامام الصادق لا يأبه لهذه الترهات الفاسدة نهج على نهج ابيه وجده في تأييد الدين والانقطاع للعبادة ونشر العلم وقد تركت مأساة كربلا في نفوسهم اثر لا يجبر كسره وهم بين موتور ومظلوم من ملوك الامويين الذين احاطوهم برقيب وعتيد والموتور لاينسى واتره ثم انهم قتلوا زيداً بن علي بن الحسين في الكوفة وصلبوه بالكناسة وبقي مصلوبا اربع سنين عريانا والحرس لا يفارقه وذكر ابن عساكر في تاريخه ان العنكبوت نسجت على عورته وفي سنة احدى وعشرين ومائة هجرية امر الوليد يوسف بن عمر عامله على العراق ان ينزل زيداً ويحرقه بالنار فأنزله وأحرقه وذرى رماده بالهواء فلو ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم اوصاهم بانتهاك حرمته وقتل ذريته ما فعلوا اكثر من ذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

فالامام الصادق كما انه لم يقترب من الامويين في أيام دولتهم وبعد انهيار ملكهم تنآى عن أبناء عمه العباسيين ولما ملك المنصور العباسي بعد أخيه السفاح كتب الى الامام جعفر بن محمد – لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس – فأجابه ليس لنا ما نخافك من اجله ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ولا أنت في نعمة فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزيك بها فما تصنع عندك

فكتب اليه تصحبنا لتنصحنا

فأجابه من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك

فقال المنصور والله لقد ميز عندي منازل الناس بمن يريد الدنيا بمن يريد الآخرة

وجاء في حلية الاولياء قال وقع الذباب على المنصور فذبه عنه فعاد فذبه عنه حتى اضجره فدخل جعفر بن محمد عليه السلام على المنصور فقال له يا أبا عبد الله لم خلق الله تعالى الذباب فقال ليذل به الجبابرة

فالامام الصادق عليه السلام كان في كفاح سياسي عنيف مع السلطة العباسية اكراهاً لا اختياراً في عهد المنصور ومن شأن هذا الكفاح أن يرهف الاعصاب ويثير اعنف الجدل والحقد والحوار والامام لا شأن له بالسياسة لان الله خلقه هاديا مهديا لدينه ونفسه لا تستريح إلا الى الدعة والرفق واللين وليس من سبيل

لتوقي نازلات الدهر والعصمة من كوارثه

روى الشيخ الطوسي رحمه الله في الامالي بسند متسلسل قال محمد بن الحسن بن شمون لقيت بمكة الحسن بن الفضل بن الربيع حاجب المنصور قال حدثني أبي عن جدي الربيع قال دعاني المنصور يوماً وقال يا ربيع احضر لي جعفر بن محمد والله لاقتلنه فلما وافى قلت يا ابن رسول الله ان كان لك وصية او عهد تعهده فافعل فقال استأذن لي عليه فدخلت الى المنصور فأعلمته موضعه فقال ادخله فلما وقعت عين الصادق على المنصور رأيته يحرك شفتيه بشيء لم افهمه فلما سلم على المنصور نهض اليه فاعتنقه وأجلسه الى جانبه وقال له ارفع حوائجك إلي فاخرج رقاعاً لأقوام وسأل في آخرين فقضيت حوائجه فقال المنصور ارفع حوائجك في نفسك قال له الصادق « لا تدعني حتى اجيبك » فقال له المنصور ما إلى ذلك سبيل وأنت تزعم للناس يا أبا عبد الله أنك تعلم الغيب فقال له من أخبرك بهذا فأومى المنصور إلى شيخ قاعد بين يديه فقال الصادق للشيخ انت سمعتني قال الشيخ نعم قال الصادق للمنصور أيحلف فقال المنصور للشيخ أحلف فلما بدأ باليمين قال الصادق للمنصور حدثني أبي عن ابيه عن جده عن امير المؤمنين ان العبد إذا حلف اليمين التي ينزه الله عز وجل فيها وهو كاذب امتنع الله تعالى من عقوبته عليها في العاجلة لتنزيهه الباري عز وجل ولكني أنا استحلفه فقال المنصور ذلك لك فقال الامام جعفر للشيخ قل أبرأ الى الله من حوله وقوته والجأ الى حولي وقوتي ان لم اكن سمعتك تقول هذا القول فتلكأ الشيخ فرفع المنصور عموداً كان بين يديه وقال لئن لم تحلف لأعلونك بهذا العمود فحلف فما أتم اليمين حتى دلع لسانه ومات لوقته ونهض جعفر عليه السلام منصوراً قال المنصور ويلك يا ربيع اكتمها الناس لا يفتتنون به

قال الربيع فخرجت لأشيعه وقلت له يا ابن رسول الله ان المنصور كان قد هم بأمر عظيم فلما تقابلتما زال ذلك فقال يا ربيع اني رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في النوم فقال لي يا جعفر خفت منه فقلت نعم يا رسول الله فقال لي إذا وقعت عينك عليه فقل

« ببسم الله استفتح وببسم الله استنجح وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم أتوجه اللهم ذلل » « لي صعوبة امري وكل صعوبة وسهل لي حزونة أمري وكل حزونة واكفني مؤونة أمري » « وكل مؤونة وقد عملت كما أمرني ووفاني الله شره »

وروى ابن طاووس في كتابه مهج الدعوات أن المنصور استدعاه سبع مرات ليفتك به ونجاه الله من كيده « ألا إنّ أولياءَ اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ »

علومه والراوون عنه

كل من قرأ ما قام به الامام الصادق في حياته تتعاظمه هذه الكثرة الكثيرة من العلوم التي كان يمليها على أصحابه ويروح يتساءل أي قوة بدنية هذه احتملت كل هذا المجهود الفكري لقد رزق النصر والظهور والعلو والادالة في جهاده كأمثاله من أولياء الله وانصار دينه فازدهرت معالم الدين بعد الذبول وأتت أكلها وتسابق الناس للاعتكاف تحت منبره ينهلون من غير علمه كزرارة بن أعين ومحمد بن مسلم الثقفي وليث بن البختري المرادي وبريد بن معاوية وبكير بن أعين وجميل ابن صالح وجميل بن دراج وهشام بن الحكم وجابر بن حيان الطرسوسي وغيرهم لا يحصى عددهم كهؤلاء الثقات الأبرار من رجال الدين وحملة الشريعة الذين كشف الله عن بصيرتهم وتخرج على يده علماء أعلام لا يشق غبارهم كأبي حنيفة ومالك ابن انس الأصبحي وأبو ايوب السجستاني والحسن بن زياد وتلمذ عليه غيرهم في علوم مختلفة وأحدهم هشام بن الحكم بعد ان تخرج عليه في الفقه كان المجلي في علم الكلام يحمل بين جنبيه نفساً ثائرة على كل متمرد على الدين وعلى شريعة سيد المرسلين وهو لسان الامام الناطق وكلما اشكل عليه أمر يرجع الى الامام فيحل له ما استعصى عليه وكثير من علماء السوء ممن يرتادون دار الخلافة العباسية تآمروا عليه للايقاع به فلم يظفروا منه بشيء لأنه كان يدفع كيدهم بقوة حجته ويفحمهم في مجلس الخليفة ببلاغته وحسن بيانه والخلاف يومئذ مستحكم بين العلويين والعباسيين ويعتبرون هشاما علويا بغريزته وسجيته من الحزب المعارض والامام لم يشغل نفسه بهذه السياسة العقيمة

وممن أخذ عنه العلم ورضع من أفاويق فضله أبو موسى جابر بن حيان وتخصص في علم الكيمياء تحت رعاية الامام وتوجيهه ورسائل جابر عبارة عن خمسمائة رسالة نشرها المستشرق العلامة كرواس التشيكوسلوفاكي في القاهرة عام ١٩٣٥ م وقال الفيلسوف باكون الانكليزي جابر بن حيان استاذ الاساتذة وعده كردون الرياضي المشهور في عداد اثني عشر عالما طار ذكرهم في الآفاق

بيد ان بعض المستشرقين انكر على الامام الصادق عليه السلام معرفة علم الكيمياء وأيد نظريته بحجة أوهى من بيت العنكبوت بزعمه أنه حجازي وأهل هذا القطر يجهلون هذا العلم

وجاء مستشرق آخر اعترف باحاطته بهذا العلم الذي تعلمه من شيعة بلاد فارس لأنهم كانوا يرجعون اليه بصفته إمامهم وعميدهم ومن أيمتهم المتبحرين في مختلف العلوم

فالنظرية الأولى مردودة بالبداهة والبلد المحروم من العلم لا يمتنع عليه وجود أفراد من ابنائه تضلعوا بالعلوم العقلية والنقلية بجدهم واجتهادهم بالدراسة والممارسة والامام الصادق لا يقاس بغيره لأنه من اهل بيت تداولوا العلوم وتناقلوها وأحرزوها عن الآباء والأجداد وليس علم الكيمياء فحسب بل كافة العلوم

والنظرية الثانية لا تحتاج الى تعمل واجتهاد وهذه النظرية لا قيمة لها لأنه لم يأخذ هذا العلم عن شيعة بلاد فارس ويومئذ لم يكن له شيعة فيها ولو أخذنا بقوله وكان الفارسيون يعرفون هذا العلم كما يدعي بأنهم يعتقدون بامامته الدينية فالاقتباس منهم واخذه العلم عنهم مخل بامامته وحاشاه من ذلك

يقول جابر في كتابه الحاصل ليس في العالم شيء إلا وفيه جميع الاشياء لقد ولجني سيدي يعني الامام الصادق عليه السلام على عملي وقال والله يا جابر لولا اني اعلم ان هذا العلم لا يأخذه الا من يستأهله واعلم علما يقينا أنه مثلك لامرتك بابطال هذه الكتب من العالم أتعلم ما كشفت للناس فيها فان لم تصل اليه فاطلبه فانه يخرج لك جميع غوامض كتبي وجميع علم الميزان وجميع فوائد الحكمة

ونقل العلامة المحقق الدكتور يحيى الهاشمي في كتابه الامام الصادق ملهم الكيمياء عن المستشرق « هولميارد » دراسته بنشرة اللغة الانكليزية عن جابر بن حيان في نشرات الجمعية الطبية الملكية البريطانية بعد المقدمة ان جابراً هو تلميذ جعفر الصادق وصديقه وقد وجد في إمامه الفذ سنداً ومعيناً وراشداً امينا وموجهاً لا يستغني عنه وقد سعى جابر ان يحرر الكيمياء بارشاد استاذه من أساطير الأولين التي علقت بها من الاسكندرية فنجح في هذا إلى حد بعيد من أجل ذلك يجب أن يقرن اسم جابر مع اساطين هذا الفن في العالم أمثال « بويله » «وبريستله» «ولافوازيه» واذكر ان مسلمة المجريطي ذكر في رتبة الحكيم انه انتقل علم الباطن الى رجل يقال له جعفر الصادق وهو من آل علي عليه السلام وهو استاذ جابر بن حيان الكوفي الطرسوسي الاصل المتوفي سنة ١٦٠ هـ وقد أخذ حكمته عن جعفر الصادق واورد هذين البيتين

« حكمة أورثناها جابر عن امام صادق القول حفي »
« بوصي طاب مـــن تربته فهو كالمسك تراب نجفي »

ان روح الامام الصادق سيطرت في رسائل جابر بفكرة الاعتبار في الطبيعة لا بل في اعتقاده بانه يأخذ عن امام معصوم لا يقول إلا حقاً ولا ينطق إلا صدقاً مستمداً قوته وعلمه عن آبائه عن جده خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم

ولو اردنا تعداد تلامذة أبي عبد الله الصادق عليه السلام وما أسدوه للأمة في الامور الدينية والدنيوية لتعذر علينا في هذا المؤلف المختصر ومـن يطلب زيادة الايضاح فعليه بمظانها لأن الله جعل هذا الامام قوام كل مائل بعلمه وصلاح كل فاسد بصلاحه ومنزع كل مظلوم بجاهه وتقواه ومقصد كل ملهوف بمواساته بهذه الروح الرؤوم وبهذه العاطفة الحدبة وبتلك الأخلاق النبيلة كان يستقبل الجاهل فيهديه والعالم يوضح له ما اشكل عليه تحقيقاً لرغائبه الدينية والاجتماعية

قال الامام مالك احد تلامذته ما رأت عين ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد فضلا وعلماً وعبادة وورعا وزهداً وكان طيب الحديث طيب المجالسة كثير الفوائد ولم اشاهده منذ عرفته إلا صائما او قائما او ذاكراً

وقال الحسن بن زياد سمعت ابا حنيفة وقد سأل عن افقه من رأى فقال جعفر ابن محمد وكان ابن ابي ليلى يقول ما كنت تاركا قولا قلته او قضاء قضيته لقول احد إلا رجلا وهو جعفر بن محمد

وقد جمع اصحابه المقربون اليه دروسهم في اربعماية كتاب وسموها الاصول الاربعماية ويزيدنا اكباراً لهذه الشخصية الطاهرة الرسالة التي أملاها على المفضل بن عمر للرد على ابن العوجاء الدهري التي اماط بها الحجاب عن بصيرة الملحدين

لا شك ان صاحب الكفاية يعرف بكفايته وصاحب العلم يعرف بعلمه وهؤلاء العلماء الفطاحل تكلموا عن علم راسخ في ضمائرهم نطقت به السنتهم وكل منهم صادق في قوله في حق هذا الامام وحيث لا يتاح لاحد الاحاطة بما وهبه الله من العلم واذا استعصى الجوهر فلا غنى لنا عن وصف المظهر

قال ابو حسن الوشاء أدركت في جامع الكوفة تسعماية شيخ من أهل الدين والورع كلهم يقول حدثني جعفر الصادق واحصى ابن عقدة والشهيد في الذكرى أربعة آلاف من رجاله المشهورين في العراق والشام وخراسان والحجاز

ومن أعجب العجب ان الامام البخاري «رض» اخرج في صحيحه أحاديث عمران بن حطان وأضرابه من الخوارج المطعون في عدالتهم وأهمل كل حديث عن الامام الصادق وكل حديث عن الامام ابي حنيفة فهل يستطيع التاريخ كشف هذا السر ولماذا الامام الصادق وابو حنيفة رضي الله عنهما . ذكر ابو قاسم البغار في مسند ابي حنيفة قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفة وقد سأل من أفقه من رأيت قال جعفر بن محمد لما أقدمه المنصور العباسي بعث إلي فقال ان الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيء له من مسائلك الشداد فهيأت له اربعين مسألة ثم بعث إلي ابو جعفر وهو بالحيرة فأتيته فدخلت عليه وجعفر بن محمد جالس عن يمينه فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخلني للمنصور فسلمت عليه فأومى الي فجلست ثم التفت اليه فقال يا أبا عبد الله هذا ابو حنيفة قال نعم اعرفه ثم التفت إلي فقال القي على ابي عبد الله من مسائلك فجعلت القي عليه ويجيبني فيقول أنتم تقولون كذا وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا فربما تابعنا وربما تابعهم

وربما خالفنا جميعاً حتى أتيت على الاربعين مسألة فما أخلّ منها بشيء ثم قال ابو حنيفة أليس إن أعلم الناس اعلمهم باختلاف الناس

وفي مرآة الجنان لليافعي ذكر بعض المؤرخين ان الامام الصادق سأل اباحنيفة فقال ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي فقال يا ابن رسول الله ما اعلم ما فيه فقال له انت من الدهاة ولا تعلم ان الظبي لا يكون له رباعية وهو ثني ابداً «يعني من الدهاة في قوة الفهم والعلم »

وقال الآبي في نثر الدرر قال ابو حنيفة يا اباعبد الله للامام الصادق ما اصبرك على الصلاة فقال له ويحك يانعمان اما علمت ان الصلاة قربان كل تقي وان الحج جهاد كل ضعيف ولكل شيء زكاة وزكاة البدن الصيام وأفضل الاعمال انتظار الفرج من الله والداعي بلا عمل كالرامي بلا وتر فاحفظ هذه الكلمات يا نعمان

هكذا كان السلف الصالح من العلماء وأهل الفضل يتدارسون العلوم بكل حكمة وروية والمذاكرة تتفتح امامها مغاليق الحقائق ولكن المنصور يعلم ان الامام الصادق عليه السلام مستودع علوم جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم الموروث له عن آبائه الميامين وقد حاول معاياته فأوعز إلى ابي حنيفة ان يفاجأه باربعين مسألة متتابعة ويطلب الجواب منه فاجابه عنهم على البديه ارتجالا بدون توقف وكان علم الامام أنفذ من سلطة المنصور ولعله أراد أن يوقع الخلاف بين الامامين فعاد بخفي حنين

وذكر صاحب حلية الاولياء بسنده عن سفيان الثوري قال دخلت على جعفر ابن محمد عليه السلام وعليه جبة خز دكناء وكساء خز فجعلت انظر اليه معجبا فقال لي يا ثوري مالك تنظر الينا لعلك تعجب مما رأيت فقلت له يا ابن رسول الله ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك قال يا ثوري كان ذلك زماناً مفقراً مقتراً وكانوا يعملون على قدر إفقاره وإقتاره وهذا زمان قد اسبل كل شيء فيه عز اليه ثم حسر عن ردن جبته فاذا تحتها جبة صوف بيضاء يقصر الذيل عن الذيل والردن عن الردن وقال يا ثوري لبسنا هذا لله تعالى وهذا لكم فما كان لله اخفيناه وما كان لكم ابديناه

وفي درر الاصداف نقلا عن نور الابصار للشبلنجي صفحة ١٣٣ قال دخل ابو حنيفة على الامام الصادق فقال له يا أبا حنيفة بلغني انك تقيس بالدين وأول من قاس ابليس فقال ابو حنيفة رضي الله عنه انما اقيس فيما لا اجد فيه نصاً

ونقل الفخر الرازي وغيره من المؤرخين بان ابا زيد السقا المعروف بطيفور البسطامي الاصغر العابد المتأله كان واقفاً نفسه على الخدمة في دار الامام مع جلالة قدره

قال مالك بن انس سمعت جعفر بن محمد يقول لسفيان الثوري اذا انعم الله عليك بنعمة فأحببت بقاءها فأكثر من الحمد والشكر لله فان الله تعالى يقول « وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ » وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار فان الله يقول « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ » يعني في الدنيا « وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا » يعني في الآخرة واذا احزنك امر فاكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانها مفتاح الفرج و كنز من كنوز الجنة

وقال سفيان الثوري للامام الصادق علمني مما علمك الله يا ابن رسول الله فقال له إذا تظاهرت الذنوب فعليك بالاستغفار واذا تظاهرت النعم فعليك بالشكر واذا تظاهرت الغموم فقل لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فخرج سفيان وهو يقول ثلاث وأي ثلاث

ادخال السرور على المؤمن

جاء في كتاب مطالب السؤول عن محمد بن محبب عن الامام الصادق عن ابيه عن جده عليهم السلام ورفعه قال ما من مؤمن أدخل على قوم سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكا يعبد الله ويوحده ويمجده فاذا صار المؤمن في قبره اتاه السرور الذي ادخله عليه فيقول اما تعرفني فيقول له ومن انت فيقول له انا السرور الذي ادخلتني على فلان وانا اليوم الذي أؤنس وحشتك والقنك حجتك واثبتك بالقول الثابت واشهد بك مشاهد القيامة واشفع لك الى ربك واريك منزلتك من الجنة

الجفر

وينسب الجفر الى الامام الصادق عليه السلام وهو علم الحروف وأسرارها عبارة عن رموز يعرف بها الراسخون في العلم الحوادث المستقبلة الى قيام الساعة ويقول ابن قتيبة في كتاب أدب الكاتب . وكتاب الجفر كتبه الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر رضي الله عنهما فيه كل ما يحتاجون الى علمه الى يوم القيامة وقد اشار ابو العلاء المعري الى ذلك بقوله

« لقد عجبوا لآل البيت لما اتاهم علمهم في جلد جفر »
« ومرآة المنجم وهي صغرى تريه كل عامرة وقفر »

واني اذكر انه جاء في جريدة المؤيد المصرية في عهد الدولة العثمانية سنة ١٩١٢ ميلادية عندما هجمت دولة ايطاليا على طرابلس الغرب واحتلتها جبراً عن اهلها بقوة السلاح عثر احد علماء المغاربة على ابيات من الشعر يرجع تاريخها الى القرن الخامس الهجري في كتاب خط بالقلم في ذلك العهد يوجد بالمكتبة الخديوية في مصر تنبىء عن هجوم المستعمر على هذا القطر المنكوب وهي

« وامة حول جبال النار تأتي طرابلس بلا استنكار »
« بمكحلاتها وبالدفاع على جوار هيئة القلاع »
« ترمي بها الحصون ذات الباس حتى اذا ما قد خلت من ناس »
« تنزلها وملكها في عز قل كذاك في جفر أمامنا علي »
« تمكث فيها مدة الكليم ثم تخرج منها الى الجحيم »

وقد تحقق ذلك دخلت غاصبة وخرجت مدحورة بعد اقامتها فيها ثلث قرن وبعد ان شردت اهلها وأذاقتهم انواع الهوان رجعت مستقلة تحت رعاية مليكها الشريف السنوسي نصره الله

المأثور من الأدعية المستجابة عن الامام الصادق كثيرة متفرقة في بطون الكتب تستنزل الماء من السماء وتدفع البلاء بطول استقصاءها —

قال المفيد في الارشاد روي ان داود بن علي بن عبد الله بن العباس قتل المعلى ابن خنيس مولى الامام الصادق واخذ ماله فدخل عليه الامام وقال له قتلت

مولاي واخذت ماله اما علمت ان الرجل ينام على الثكل ولا ينام على الحرب والله لأدعون عليك فقال له داود أنهدنا بدعائك فرجع الامام إلى داره ولم يزل ليله قائماً قاعداً حتى كان السحر قال في مناجاته « باذا القوة القوية وباذا المحال الشديد وباذا العزة التي كل خلقك لها ذليل اكفني هذا الطاغية وانتقم لي منه » فما كانت إلا ساعة ارتفعت الاصوات بموته

اولاده عليه السلام

عشرة سبعة ذكور وثلاث بنات وسيدهم الامام موسى الكاظم عليه السلام والايجاز يغني عن التوسع والاسهاب والتطور العلمي في العصور الحاضرة والغابرة لم يزد تعاليم هذا الامام الا اكباراً واعتزازاً بعلمه الغزير وفضله الكبير

« أمفندي في حب آل محمد حجر بفيك فدع ملامك او زد »
« من لم يكن بحبالهم مستمسكا فليعرفن بولادة لم تشهد »

شذرات من كلامه عليه السلام

منع الجود سوء ظن بالمعبود

كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان

من لم يستح من العيب ويرعوي عند الشيب ويخشى الله في ظهر الغيب فلا خير فيه صحبة عشرين يوم قرابة ان الثواب على قدر العقل

البنات حسنات والبنون نعم والحسنات يثاب عليها والنعم مسئول عنها

اربعة اشياء القليل منها كثير النار والعداوة والفقر والمرض

من أكرمك فاكرمه ومن استخف بك فأكرم نفسك عنه

المؤمن إذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل

من أراد عزا بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فليخرج من ذل المعصية الى عز الطاعة لا يتم المعروف الا بثلاث أن تصغره في عينك وتستره وتعجله

كونوا دعاة الناس الى الخير بغير السنتكم ليروا منكم الاجتهاد والصدق والورع اكمل الناس عقلا احسنهم خلقاً العلماء أمناء الرسل

ما لم يأتوا أبواب السلاطين إياكم والمزاح فانه يذهب بماء الوجه ومهابة الرجال من احزن والديه فقد عقهما المؤمن مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف شرف المؤمن قيام الليل وعزه استغناءه عن الناس

اصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون

اذا انعم الله عليك بنعمة وأحببت بقاءها ودوامها فأكثر من الحمد والشكر

صلة الأرحام منسأة في الأعمار وحسن الجوار عمار الديار وصدقة السر تزيد في الرزق ثلاثة لا يزيد المرء فيها إلا عزاً الصفح عمن ظلمه والعطاء لمن حرمه والصلة لمن قطعه ما كل من اراد شيئاً قدر عليه ولا كل من قدر على شيء وفق له ولا كل من وفق له أصاب له موضعاً فاذا اجتمع النية والقدرة والتوفيق والاصابة فهناك تجب السعادة ثلاثة من تمسك بهن نال من الدنيا والآخرة بغيته من اعتصم بالله ورضي بقضاء الله واحسن الظن بالله

ثلاثة تورث المحبة الدين والتواضع والبذل

ثلاثة لا تعرف إلا في ثلاثة مواطن لا يعرف الحليم إلا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخ الا عند الحاجة

ثلاثة من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى من إذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

«ابو ابراهيم الامام موسى الكاظم»

ولد سنة ١٢٨ هـ - ٧٤٥ م وتوفي سنة ١٨٣ هـ — ٧٩٩ م الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي السجاد بن الامام الحسين الشهيد سبط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ويعرف بالعبد الصالح والصابر والامين ولد بالابواء بالقرب من المدينة المنورة لسبع خلون من صفر يوم الاحد سنة ١٢٨ هـ وتوفي في بغداد مسموماً سنة ١٨٣ هـ ودفن بالجانب الغربي في مقابر قريش من باب التبن وله مقام عظيم تعلوه قبة عسجدية لألاءة بالانوار وروضة زاهرة تهوي الافئدة اليها وتزدحم الوفود حولها وامه حميدة بنت صاعد أندلسية الأصل وتلقب بحميدة

المصفاة وقال الامام الصادق حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب مازالت الاملاك تحرسها حتى اديت الى كرامة من الله لي وللحجة من بعدي

ومقام الامام الكاظم مربع الزوايا وتقوم على كل زاوية منارة مصفحة بالذهب ورحبة داره واسعة تستوعب الألوف من الزائرين الذين يتهافتون على زيارته من مختلف البلدان والأقطار يتبركون بزيارة مرقده عليه السلام وتقام في فنائه صلاة الجماعة جماعات متعددة يجأرون إلى الله بالتهليل والتكبير وتلاوة القرآن والتضرع والابتهال والدعاء بصورة متصلة فلا ترى إلا عيونا دامعة وقلوبا خاشعة من خشية الله الكبير المتعال وهكذا في جميع مراقد آبائه وابنائه عليهم السلام

نقش خاتمه حسبي الله كما جاء في رواية الكليني بسنده عن الامام الرضا عليه السلام بوابه محمد بن الفضل وفي المناقب بابه المفضل بن عمر واصحابه اصحاب ابيه وشاعره ابو الحسن المعاذ والسيد الحميري

معاصره محمد المهدي وموسى الهادي وهارون الرشيد

العظمة قوة روحية غير مكتسبة يختص بها الله من يشاء من عباده الصالحين تختلف شكلا وأثراً باختلاف القصد والغاية وليس لها حدود ومقاييس تحصر افاقها الفسيحة وتتفاضل العظماء باختلاف الازمنة والامكنة بالآثار الخالدة والاعمال البارة واكثرها نفعاً واوسعها دائرة واعمها شمولا الاخلاص في التوجيه لتهذيب الروح وتطهيرها من ادران الحياة المادية للانتقال للعالم الثاني بسلام فالأنبياء والرسل اصطفاهم الله من بين خلقه واسبغ عليهم العظمة والجلال والمهابة للقيام بتبليغ رسالته وهداية خلقه للطريق الأقوم في الحياتين الفانية والباقية تفضلا منه ورحمة بعباده كي لا يضلوا السبيل وجاء خاتمهم النبي العربي عليه وعليهم السلام بشريعة مكملة للشرائع جامعة لحاجة البشر كافة في معاشهم ومعادهم وطدبها نظام الاجتماع وآدابه وشيد بها دعائمه بالمأثور من كلامه « بعثت لأتمم مكارم الاخلاق »

فلا بدع اذا اتبع خطواته أبناؤه الميامين الأئمة الهداة الذين اهتدوا بهديه وساروا بسيرته فكانوا ورثة علمه وخزان سره « ومن يشابه أبه فما ظلم » فالامام

الكاظم هو الامام السابع من أئمة اهل البيت الطاهر امام مفترض الطاعة بالاجماع بالنص الصريح من أبيه الصادق عليهما السلام وشذ قوم قالوا بامامة أخيه اسماعيل المتوفي في حياة أبيه ويعرفون بالاسماعيلية البهرة

سجيته واخلاقه

لقد خلقه الله سبحانه وتعالى خلوقاً بسجيته وطبيعته وقال صاحب الارشاد كان موسى بن جعفر عليهما السلام أجل ولد أبي عبد الله الصادق قدراً واعظمهم محلاً وابعدهم في الناس صيتاً ولم ير في زمانه أسخى منه ولا اكرم نفساً وعشرة وكان أعبد اهل زمانه واورعهم واجلهم وأفقههم واجتمع جمهور اصحاب أبيه على القول بامامته والتعظيم لحقه والتسليم لأمره ورووا عن ابيه عليه السلام نصاً عليه بالامامة واشارة اليه بالخلافة وأخذوا عنه معالم دينهم ورووا عنه من الآيات والمعجزات ما يقطع بها على حجته وصواب القول بامامته

وقال ابن شهر اشوب كان أفقه أهل زمانه واحفظهم لكتاب الله وأحسنهم صوتا بالقرآن فكان إذا قرأ تحزن وبكى وبكى السامعون لتلاوته وكان أجل الناس شأناً وأعلاهم في الدين مكاناً وأسخاهم بنانا وافصحهم لسانا واشجعهم جنانا قد خصه الله بشرف الولاية وحاز إرث النبوة وبوّء الخلافة

كل رجل متفوق في علمه بين أمة حية تشمله الدنيا بحياطتها وترتفع اصداء الاعجاب به عالية مجلجلة في جميع الانحاء وتقصر آمالها عليه ويقيم آمناً في كفالة أمته من الساعة التي يرفع ذكرها بين الأمم ويبوئها مكان الزعامة في علمه وفضله واخلاقه والامام الكاظم عليه السلام استجمع في صدره مختلف العلوم الدينية والدنيوية وأجمعت الأمة العربية في إبان حضارتها على الاكبار لذاته الطاهرة فلماذا كان هدفاً للاضطهاد من قومه المتسلطين لا لذنب جناه وانما استولى عليهم الخوف منه بهاجس داخلي مصدره سوء الظن وارتباك واختلاط في التفكير حيث شاهدوا الوفود تتلو بعضها بعضاً لينهلوا من عباب فضله نوراً وهدى الصراط المستقيم

وفي تحف العقول للحسن بن علي بن شعبة قال ابو حنيفه (رض) حججت في

أيام ابي عبدالله الصادق عليه السلام فلما اتيت المدينة دخلت داره فجلست في الدهليز أنتظر الاذن اذ خرج صبي فقلت يا غلام أين يضع الغريب الغائط من بلدكم قال على رسلك ثم جلس مستنداً الى الحائط . ثم قال توقّ شطوط الأنهار ومساقط الثمار وافنية المساجد وقارعة الطريق وتوارى خلف جدار وشل ثوبك ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها وضع حيث شئت . فأعجبني ما سمعت من الصبي فقلت له ما اسمك فقال انا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب فقلت له يا غلام بمن المعصية فقال ان السيئآت لا تخلو من احدى ثلاث إما أن تكون من الله وليست منه فلا ينبغي للرب ان يعذب العبد على ما لا يرتكب واما ان تكون منه ومن العبد وليست كذلك فلا ينبغي للشريك القوي ان يظلم الشريك الضعيف واما ان تكون من العبد وهي منه فان عفا فبكرمه وجوده وان عاقب فبذنب العبد وجريرته . قال ابو حنيفه فانصرفت ولم الق أبا عبدالله واستغنيت بما سمعت

ذكر الخطيب في تاريخ بغداد كان الامام الكاظم يبلغه عن الرجل انه يؤذيه فيبعث اليه بصرة فيها الف دينار . وفي عمدة الطالب كان اهله يقولون عجباً لمن جاءته صرة موسى الكاظم فشكا القلة

وله عليه السلام شخصية متعددة النواحي لا يقاس بها غيرها من الشخصيات العالمية بحر علم لا ينضب معينه كبير بحلمه حجة بقوله وعمله عظيم بزهده وورعه سخي لا يبخل متحرج في دينه شجاع لا يخاف غير الله غني بكراماته ومآثره يعرف بالصدق ويقضي بالحق جليل القدر نابه الذكر أخذ نفسه بأعلى قواعد الاخلاق فلا يصدر الا عنها في كل سعيه يستوي في ذلك الدقيق والجليل من عامة شأنه شديد التجمل للناس عظيم التصبر على مكروههم فلا يَجبَهُ انسانا بكلمة سوء ولا يعنف في العتاب ان هو عاتب على مساءة لحقته . ولقد يسوغ الكلمات الخفاف الالطاف تمضي هينة رفيقه ما تثير أذى ولا تسيل جرحا رزقه الله عفة النفس وعفة اللسان وعفة الرأي ديمقراطي متواضع قويم المبادىء مستمسك بما يرضي الخالق وخلقه عاشر الفقراء من أهل التقى والصلاح كفرد مساو لهم قربة إلى الله مع عظم شأنه

بلا إزورار ولا استكبار

توفرت فيه شروط الامامة فجلس في مجلس أبيه في حرم جده فخر الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر هاديا لعباد الله مجدداً ما درس من أحكام الدين المبين فأقبلت عليه الناس من كل حدب وصوب للاغتراف من فيض علمه الغزير وهو كالغيث المدرار يروي القلوب ويحيي ميت الآمال مصدراً وموردا للفتيا وحل المشكلات الدينية والدنيوية وقد طبع الناس طابعاً دينياً على احترام الأحكام الشرعية واحقاق الحق والعمل بالتعاليم الاسلامية والتمسك بآدابها والناظر في ترجمة حياته يعجب لهذا النشاط العلمي الذي قام به بعد أبيه الصادق عليهما السلام فقد تخرج على يده من العلماء الأعلام في الفقه والحديث والتفسير والالهيات والآداب ما لايحصى كثرة فضلا عن العلماء والأمراء في الأمصار المختلفة الذين كانوا يرجعون اليه في كل ما اشتبه عليهم علمه

خبره مع نفيع الانصاري

روى الشريف المرتضى في الأمالي قال قدم على الرشيد العباسي رجل من الأنصار يقال له نفيع فحضر باب الرشيد يوما ومعه عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز وحضر موسى بن جعفر عليهما السلام على حمار له فتلقاه الحاجب بالبشر والاحترام واعظمه من كان هناك وعجل له الاذن فقال نفيع لعبد العزيز الأنصاري من هذا الشيخ فقال أو ما تعرفه قال لا قال هذا شيخ آل ابي طالب هذا موسى بن جعفر الصادق فقال نفيع ما رأيت أعجز من هؤلاء القوم يفعلون هذا برجل يقدر أن يزيلهم عن السرير اما ان خرج لأسوأنه فقال له عبد العزيز لا تفعل فان هؤلاء اهل بيت قل ما تعرض لهم احد في خطاب إلا وسموه في الجواب سمة يبقى عارها عليه مدى الدهر

قال وخرج موسى بن جعفر فقام اليه نفيع الأنصاري فأخذ بلجام حماره وقال له من انت فقال يا هذا إن كنت تريد النسب فانا ابن محمد حبيب الله ابن اسماعيل ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله . وان كنت تريد البلد فهو الذي فرض الله على المسلمين وعليك ان كنت منهم الحج اليه . وان كنت تريد المفاخرة فوالله مارضي

مشركو قريش مسلمي قومك اكفاء لهم حتى قالوا يا محمد أخرج الينا اكفاءنا من قريش . وان كنت تريد الصيت والاسم فنحن الذين أمر الله تعالى بالصلاة علينا في الصلوات والفرائض في قوله اللهم صل على محمد وآل محمد ونحن آل محمد خل عن الحمار فخلى عنه ويده ترعد وانصرف مدهوشا فقال له عبد العزيز ما قلت لك لا تفعل

فالامام تفرس في وجه نفيع الأنصاري اللؤم والخبث فكلمه ببلاغة بليغة وأسلوب مقنع ونسج متلاحم وصيغ مونقة فتقلصت شفتاه وتدار كت انفاسه ولم يعلم أن شخصية الامام القوية قائمة بنفسها لاعتماده على ذاته وتعويله على اخلاصه لله وتبرمه من مختلف أساليب الكذب والنفاق وأنواع المداجاة والزلفى فرجع كالمأخوذ لا يعي على شيء

ان من الغرور وشدة الذهاب بالنفس أن أزعم أو يزعم غيري أنه مستطيع ان يلم بمناقب هذا الامام وآثاره الخالدة وفضائله المتواترة

ويحدثنا العلامة علي بن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة قال الامام الكاظم أعبد أهل زمانه واعلمهم واسخاهم كفا واكرمهم نفساً وكان يتفقد فقراء المدينة فيحمل اليهم الدراهم والدنانير ولا يعلمون من أي جهة وصلهم ذلك . ولما اعتقله هارون الرشيد انقطع عنهم المدد وحلت بهم الفاقة علموا ان الامام هو الذي كان يحدب عليهم سراً من حيث لا يعلمون وقد اجاد العارف بالله محيي الدين العربي بقوله

« جعلت ولائي آل طه فريضة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا »
« فما طلب المبعوث اجراً على الهدى ... بتبليغة إلا المودة في القربى »

وجاء في أمالي ابن بابويه كتب هارون الرشيد الى الامام الكاظم عليه السلام عظني وأوجز فكتب اليه ما من شيء تراه عينك إلا وفيه موعظة

وجاء في كتاب الصفوة لابن الجوزي قال الكاظم هو الامام الكبير القدر الأوحد الحجة الحبر الساهر ليله قائما القاطع نهاره صائما المسمى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين كاظما

ويعرف عند اهل العراق بباب قضاء الحوائج عندالله ومما يؤيد ذلك ما ذكره الخطيب في تاريخ بغداد عن ابي الحلال شيخ الحنابلة انه قال ما اهمني أمر فقصدت روضة الامام موسى بن جعفر فتوسلت به إلا سهل الله تعالى لي ما أحب

وروى أحمد بن عمار عن رجال منهم محمد بن علي النوفلي قال ما رأيت الامام الكاظم سئل عن شيء إلا أجاب بالصواب ولا رأيت اعلم منه فيما مضى بعد آبائه الى وقت عصره وكان قليل النوم كثير الصوم كثير المعروف والصدقات في الليالي المظلمة يعطي الناس ويتوارى عنهم كي لا يعرفوه .

لقد دبت عقارب الحقد والبغضاء بين الهاشميين في عهد المنصور العباسي فانقسموا على أنفسهم الى حزبين متناكرين علوي وعباسي مبادئهما مختلفة وسياستهما متباينة لأن المنصور كان سيء الظن بطاشا ينكث ما عقد من عهد وينقض ما أبرم من ميثاق لقب بالدوانيقي لبخله لم يحجم عن الفتك بالعلويين والغدر بهم على الظن والتهمة لا تصده العاطفة الرحمية ولا تتسرب الرحمة إلى قلبه المتحجر فكأن المتنبي عناه بهذا البيت

« إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه وصدق ما يعتاده عن توهم »

ولكن هذه السياسة الحرقاء لم تكن عند الخلفاء العباسيين ثابتة مطردة بل كانت قلقة متقلبة فتارة يبالغون في اضطهادهم بلا هوادة وتارة يتغاضون عنهم ثم يعودون إلى الشدة والانتقام والمجلي في هذه الحلبة هارون الرشيد فقد أذكى نار العداوة وزاد في قطع الرحم على جده المنصور مع أبناء عمه العلويين وأمعن في استئصالهم قتلا وإرهابا وتعذيباً وتشريداً وتعقبهم بالأذى والارهاق تحت كل حجر ومدر

الامام والمهدي العباسي

ومذ علم المهدي العباسي ان الامام الكاظم عليه السلام اصبح منارة هدى يهتدي بهديه الساري والمقيم والوفود متصلة إلى بابه للاستضاءة بنور علمه أوجس خيفة وكتب إلى عامله بالمدينة أن يشخصه إلى بغداد ولما بلغه وصوله أدخله الحبس

ولم يقابله فبقي مدة محبوساً لا لسبب

وروى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده عن عون بن محمد قال سمعت اسحاق الموصلي يقول حدثني الفضل بن الربيع عن أبيه انه لما حبس المهدي الامام موسى ابن جعفر رأى المهدي في النوم امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وهو يقول له يا محمد « فَهَلْ عَسَيْتُمْ ان تَوَلَّيْتُمْ أنْ تفسدُوا في الأرضِ وتُقطعُوا أرْحامَكم » قال الربيع فأرسل إلي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان من احسن الناس صوتا فقال عليّ بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال له يا أبا ابراهيم اني رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النوم فقرأ عليّ الآية افتؤمنني ان لا تخرج عليّ أو على أحد من ولدي فقال له والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت يا ربيع اعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى أهله بالمدينة مكرما قال الربيع فأحكمت أمره ليلا فما أصبح إلا وهو في الطريق خوف العواتق وأورده ابن طلحة في مطالب السؤول ورواه الجنابذي في معالم العترة ورواه الكليني في الكافي

لا ريب ان الحاكم المطلق نزعته ارستقراطية يندفع كالآتي لأقل بادرة يتخيل وقوعها فتتغلب عليه الأنانية فينحرف عن النهج القويم يعتمد على القوة المسيطرة التي تأمر بامره وتنزجر بزجره فيأخذ المقيم بالظاعن والبريء بالمذنب والمطيع بالمحارب وعلى هذه الطريقة الملتوية يعتمد صاحب السلطة الوصول إلى غايته لأن الوجهة النفعية خطرها بين الملوك وبين من يتقربون اليهم بالنميمة فقد سعى جماعة من النفعيين الحاسدين الوقيعة بين الامام الكاظم والمهدي العباسي بقولهم له الوفود منيخة ببابه يحملون اليه الأموال من جميع الجهات ويؤثرونه بالأخماس ويرجعون اليه في امور دينهم ودنياهم ويعتقدون به إماماً مفترض الطاعة رغبة لا رهبة فأمره حكم وحكمه شرع وقوله فصل يتوسمون الخير بطلعته ويخضعون لهيبته فأسرها في نفسه وجاء به من المدينة إلى بغداد وحبسه معتمداً على وشاية الواشي الكذوب حتى رأى في منامه الحق الذي أنار بصيرته

روى الخطيب في تاريخ بغداد بسنده قال حج هارون الرشيد فأتى قبر النبي

صلى الله عليه وآله وسلم زائراً له وحوله قريش وأقيال العرب ومعه الامام موسى ابن جعفر فلما انتهى إلى القبر قال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عمي افتخاراً على من حوله فدنا الامام موسى بن جعفر وقال السلام عليك يا أبت فتغير وجه الرشيد وقال هذا الفخر يا أبا ابراهيم

سياسته علمية ثقافية دينية لأن كل أمة فقيرة في حياتها العلمية والثقافية تجهل خصائص دينها لا تنجح غالباً . وإذا صادفها الحظ فالى أمد قصير والثقافة السياسة بطبيعتها وليدة الثقافات الأخرى والامام عليه السلام لم يستبق الحوادث انصرف الى تثبيت دعائم الدين الذي هو من مقومات الثقافة السياسية

وفي سنة ١٧٩ هـ خرج الرشيد العباسي يريد الحج وبدخوله إلى المدينة استقبله الامام الكاظم ومعه جماعة من الأشراف مرحباً به ورجع الامام كعادته إلى المسجد ولكن الرشيد جاء تحت جنح الظلام إلى المسجد ووقف حيال قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم مخاطباً له بقوله اني اعتذر اليك يا رسول الله من أمر أريد فعله وهو اعتقال موسى بن جعفر فانه يريد تشتيت امتك وسفك دمائهم

اليس هذا الاعتذار السمج تجاوزاً على مقام النبي الأعظم فكأنه يقول له اعتذر لك عن اعتقال ولدك الكاظم الزاهد العابد القائم بنشر شريعتك وتأييد دين الله واريد أن ابعده عن جوارك إلى أعماق ظلمات السجون في البلاد النائية

وما لبث أن أمر جلاوزته بالهجوم على المسجد فوجدوا الامام ساجداً في محرابه فقطعوا عليه صلاته وجاؤا به إلى الرشيد فقيده في تلك الساعة واستدعى بقبتين وجعل كل واحدة منهما على بغل وسترهما من الخارج وأدخله في إحداهما وأرسل مع كل واحدة منهما كتيبة من الفرسان وأوعز لواحدة منهما بالمسير على طريق البصرة والثانية بالمسير على طريق بغداد ليعمي على الناس أمره خوفاً من هياج الرأي العام وكان الامام في القبة التي أرسلها إلى البصرة وكتب إلى عامله فيها عيسى بن جعفر بن المنصور أن يودعه السجن ويكتم خبره عن الناس جميعاً . لأن الدين له أثره الفعال والقلوب مفعمة في حب أهل البيت سلام الله عليهم فأقام في حبس البصرة سنة ثم كتب الرشيد إلى عامله عيسى يأمره بالفتك به سراً فجمع

عيسى المذكور خواص رجاله الناصحين له واستشارهم فوجوا واستنكروا الأمر وقالوا له لا تفعل

فكتب عيسى الى الرشيد كتابا يقول فيه : إني اتحرج من سفك دم ولي من اولياء الله وسيد جليل من سادات اهل البيت علما وعملا قائم ليله صائم نهاره لا يظن فيه السوء وحاشاه وليس له طمع بالولاية ولا بالملك : فان رأى أمير المؤمنين ان يعفيني من حمل وزره ويأمر بتسلمه مني والا اطلقت سراحه واني منه بغاية الحرج : فلما قرأ الرشيد كتاب عيسى كتب الى السندي بن شاهك أن يتسلم الامام من عامله عيسى ويأتي به إلى بغداد فصدع السندي بالأمر وجاء به الى دار الوزير الفضل بن الربيع ثم إلى دار الفضل بن يحيى البرمكي وكلاهما يعتذر عن تنفيذ الأمر وذكر المفيد رحمه الله ان الفضل بن الربيع اعتذر عن الفتك بالامام فأمره الرشيد ان يتسلمه منه الفضل بن يحيى فتسلمه منه وانزله في غرفة في داره ووضع عليه الرصد وكان عليه السلام مشغولا بالعبادة يحيي الليل كله صلاة وتلاوة ودعاء واجتهاداً ولا يصرف وجهه عن محرابه فوسع عليه الفضل واكرمه : فاتصل ذلك بالرشيد وهو بالرقة من أعمال حلب فانكر توسعته على الامام وامره بقتله فتوقف فاغتاظ الرشيد وارسل العبد مسرورا بكتابين احدهما الى السندي بن شاهك يأمره به بقتله سراً بعد أن يتسلمه من الفضل بن يحيى والكتاب الآخر الى العباس بن محمد يأمره أن يضرب الفضل بن يحيى مائة سوط بعد ان يجرد من ثيابه ونقل ابن شاهك الامام الى الحبس الذي يتولى ادارته لتنفيذ الاحكام السياسية : وقد قام بتنفيذ القتل للامام والمشهور انه دس له السم بالرطب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

ويجدر بنا ان نمسك القلم عن التبسط في هذه الجريمة النكراء لأن هارون الرشيد المعروف بحزمه وعزمه الذي بسط ملكه على القارات الثلاث وكان له اضخم ملك واضخم اسم بين الخلفاء العباسيين هل كان يعجزه التودد للأقربين من ابناء عمه العلويين محافظة على صلة الرحم والنجافي عن اهراق دمائهم : هب ان بعضهم اخرجوه فاخرجوه لخروج جماعة منهم عليه أما كان الأحرى به بجازات

من ناوأه وعاداه وهذا الامام الكاظم لم ينازعه ملكه ولم يحرض عليه وهو العابد الزاهد فلماذا انتقم منه : ولماذا لم يحسن ويصفح ويتجنب الغدر كما فعل مع يحيى ابن عبد الله العلوي الذي اعطاه صكا بالامان ثم غدر به بعدان استفتى محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة الذي حذره من نقض أمانه : لقد تطرف في نهجه السياسي تطرفاً حز في القلوب واستثار السخائم في النفوس : وربما فاته ان العصبية العربية تحولت عنه لمناصرة العلويين حيث صدف عن آي الذكر الحكيم التي سمعها أبوه في عالم الطيف لأجل هذا الامام الذي فتك به وهذه الآية الكريمة (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) ولكنه ترك في التاريخ نقطة فاتمة مظلمة فتح بها للمستشرقين من أهل أوربا بابا للانتقاد وعفت فيه اقلامهم مما زعافاً عليه وعلى الذين عملوا بسياسته العقيمة

ونقل العلامة ابن الجوزي قال بعث الامام الكاظم عليه السلام الى الرشيد من الحبس برسالة جاء فيها : أنه لم ينقض عني يوم من البلاء إلا انقضى معه يوم عنك من الرخاء وسنمضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء هنالك يخسر المبطلون

إي وربي ان رسالة الامام المظلوم اكبر موعظة صادرة من ظلام السجن الى الجالس على عرش قوي لا تهتصره العواصف الهوجاء ولاتزعزعه الحوادث التي تنبه الغافلين وبين عشية وضحاها انهار الحبس من أساسه على زبانيته وحراسه والعرش عفت آثاره وطمست أخباره والتاريخ سجل للمحسن إحسانه وللمسيء إساءته وللمظلوم ظلامته والحكم يومئذ لله . والآية الكريمة جاءت بلسما لقلوب المظلومين « تِلكَ الدَّارُ الآخِرةُ نَجعلها للذينَ لا يُرِيدُونَ عُلواً في الأرْضِ وَلا فساداً والعاقِبةُ للمتقينَ »

«وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند»

ويحسن بنا ان نأتي على ذكر ما جاء في الخرائج وفي الفصول المهمة من الكرامات التي خص الله بها الامام الكاظم أمر هارون الرشيد ابا يوسف ومحمد بن الحسن صاحبا أبي حنيفة ان يدخلا الحبس على الامام الكاظم ليلا وينظرا مكانه من العلم فامتثلا امره ودخلا عليه وجلسا وبوصولهما دخل عليه احد الموكلين بحراسته وقال

له ان نوبتي انتهت وأريد الانصراف فان كان لك حاجة تأمرني ان آتيك بها غداً عند رجوعي فقال له مالي حاجة فانصرف الرجل : والتفت الامام على الشيخين وقال اني اعجب من هذا الرجل يسألني أن اكلفه حاجة يأتيني بها غدا وهو ميت في هذه الليلة . فعندها أمسكا عن سؤاله وقاما وهما يتناجيان أردنا سؤاله عن الفرض والسنة فاخذ يتكلم معنا في علم الغيب . والله لنرسلن خلف الرجل من يبيت على باب داره وينظر ما يكون من امره فارسلا رجلا موثوقاً منهما جلس على باب ذلك الرجل . فما مضى هزيع من الليل حتى علا الصراخ والناعية فقيل لهم ما الخبر فقالوا مات صاحب البيت فجأة فعاد اليهما الرسول واخبرهما فعجبا من ذلك . ورجعا الى الحبس ودخلا على الامام وقالا له قد علمنا أنك من الراسخين في العلم فمن اين علمت ان هذا الرجل يموت في ليلته . قال لهما من العلم الذي ورثته عن آبائي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذهبا لا يحيران جوابا

لم اعلم لماذا أمر هارون الرشيد ابا يوسف ومحمد بن الحسن بملاقات الامام الكاظم لسبر غور علمه . ومتى بخلت ذكاء على اهل الأرض بالضياء وهو لا يجهل شخصيته العاملة على نشر العلم الذي ورثه عن آبائه المنتجبين . ويعلم انه عيبة علم ويعسوب فضل وبحر معرفة اذا تخضخض ثارت امواجه وقذف زبده . وهل تنامى عبقريته وبروزه في الحياة المنتجة وما أسداه للأمة في جهاده لتأييد الدين ورفع شأن الاسلام وخدمة الانسانية فالفصاحة تستمد من فصاحته والبلاغة تفيض من بلاغته . ولعل سياسة الملك لها اسرار تجهلها تقضي على المالك نسيان البديهيات والله من وراء القصد

ويحدثنا العلامة الشبلنجي الشافعي في كتابه نور الأبصار عن عبدالله بن ادريس عن ابن سنان وقد ذكرها ايضاً المفيد في الارشاد . قال ارسل الرشيد الى علي بن يقطين المعروف بالفضل والجاه ثياباً فاخرة اكرمه بها ومنها دراعة سوداء منسوجة بالذهب من لباس الخلفاء فانفذها علي بن يقطين الى الامام الكاظم فرد الدراعة وكتب له احتفظ بها ولا تخرجها من يدك فسيكون لك بها شأن تحتاج اليها معه فارتاب علي بن يقطين لردها عليه ولم يدر ما سبب ذلك . ولما كان ايمانه ثابت واعتقاده قوي بالامام عليه السلام امتثل أمره واحتفظ بالدراعة في حرز حريز .

وبعد ايام تغير علي بن يقطين على غلام له فصرفه من خدمته فسعى به الغلام الى هارون الرشيد وقال له ان علي بن يقطين يقول بامامة موسى الكاظم ويحمل اليه خمس ماله في كل سنة وقد اهداه الدراعة السوداء التي اكرمته بها يا امير المؤمنين في وقت كذا فاستشاط الرشيد غيظاً وقال ان كان الأمر كما تقول يا غلام ازهقت روحه وأنفذ من أحضر علي بن يقطين . فلما مثل بين يديه قال له ما فعلت بالدراعة السوداء التي اختصصتك بها من بين سائر خواصي فقال له هي عندي يا امير المؤمنين في سفط مختوم عليها فقال له احضرها الساعة فاستدعى بعض خدمه وقال له امض وافتح الصندوق الفلاني . وأتني بالسفط الذي فيه . فذهب الخادم ورجع بعد قليل وجاء بالسفط مختوما عليه فوضعه بين يدي الرشيد فأمر بفك ختمه وفتح السفط واذا بالدراعة فيه مطوية تفوح منها رائحة الطيب لم تلبس فقال لعلي بن يقطين ردها إلى مكانها وخذها وانصرف راشداً فلن نصدق عليك ساعياً بعد اليوم وزوده بجائزة سنية . وأمر بضرب الساعي الف سوط فمات تحت الضرب غير مأسوف عليه

ان هذه المكرمة التي اكرم الله بها وليه الامام الكاظم عليه السلام الناطقة بقوة وجلاء عن اتصال وثيق بالله تعالى وإيمان صادق واخلاص ظاهر لعظمته عز وجل قد اثبتت بان له مقاما محموداً عند ربه . ولم تترك ريبة لمستريب ولا شكا لمتشكك بما لفضيلة الصبر وقوة الاحتمال من أثر ملموس من حسن العاقبة يبعث على الاعتقاد بان الله لا يضيع أولياؤه وانصار دينه

اولاده

جاء في كتاب عمدة الطالب . انه ولد ستين ولدا سبعا وثلاثين بنتا وثلاثة وعشرين ابنا وقال المفيد كان للامام الكاظم سبعة وثلاثون ولدا ذكرا وانثى . وعد الذكور ثمانية عشر والاناث تسع عشرة : وذكر صاحب الفصول المهمة كان له سبعة وثلاثون ولداً ما بين ذكر وانثى : وقال ابن الخشاب ولد له عشرون ابنا وثمان عشرة بنتا : وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال علماء السير

له عشرون ذكرا وعشرون انثى والله اعلم بالصواب . وسيدهم خليفة ابيه الذي نص على امامته من بعده الامام علي الرضا عليه السلام

روى ابن الجوزي في كتابه مثير الغرام الساكن الى اشرف الأماكن والجنابذي في كتابه معالم العترة النبوية والرامهرمزي في كتابه كرامات الأولياء قال حسام بن حاتم الأصم قال شقيق البلخي خرجت حاجاً سنة ست واربعين ومئة . فنزلت في القادسية فبينما انا انظر الناس في مخرجهم الى الحج وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى شاب حسن الوجه شديد السمرة نحيف فوق ثيابه صوف مشتمل بشملة وفي رجليه نعلان وقد جلس منفرداً فقلت في نفسي هذا من الصوفية ويريد ان يخرج مع الناس . فيكون كلاً عليهم في طريقهم والله لأمضين اليه ولأوبخنه . فدنوت منه فلما رآني مقبلاً نحوه . قال يا شقيق « اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظنِّ إثم » ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا لأمر عجيب تكلم بما في خاطري ونطق باسمي ما هذا الا عبد صالح لألحقنه واسألنه الدعاء ، فاسرعت في أثره فلم الحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا وادي فضة فاذا هو قائم يصلي فقلت هذا صاحبي أمضي اليه واستحله فوقفت حتى فرغ من صلاته فالتفت الي وقال يا شقيق انل « واني لغفارٌ لمنْ تابَ وآمنَ وعملَ صالحاً ثمّ اهتدى » وتركني ومضى . فقلت هذا الفتى من الأبدال قد تكلم على سري مرتين فلما نزلنا بالأبواء اذا انا بالفتى قائم على البئر وبيده ركوة فيها ماء فسقطت من يده بالبئر وانا انظر اليه فرمق الى السماء بطرفه وسمعته يقول

« انت ثقتي اذا ظمئت الى الما ... وقوتي اذا اردت طعاما »

إلهي وسيدي مالي سواك فلا تحرمنيها . فوالله لقد رأيت الماء ارتفع الى رأس البئر فمد يده فأخذ الركوة فتوضأ وصلى اربع ركعات . ثم مال الى كثيب رمل فجعل يقبض بيديه ويجعل في الركوة ويحركها ويشرب فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد عليّ السلام فقلت اطعمني من فضل ما انعم الله به عليك فقال يا شقيق لم تزل نعم الله علينا ظاهرة وباطنة فأحسن ظنك بربك . ثم ناولني الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت الذ منه ولا اطيب فشبعت وروبت واقمت

اياماً لا أشتهي طعاماً ولا شرابا ثم لم أره حتى دخلنا مكة . فرأيته ليلة إلى جنب قبة الشراب في نصف الليل قائماً يصلي بخشوع وانين وبكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يسبح ثم قام فصلى الغداة وطاف بالبيت سبعاً وخرج فتبعته اريد السلام عليه واذا بجماعة أحاطوا به يميناً وشمالا للسلام عليه يتبركون به ورأيت حوله خدم وحشم وموال فقلت لبعضهم من هذا الفتى فقال هذا موسى الكاظم بن الامام الصادق بن الامام الباقر بن الامام السجاد بن الامام الحسين بن امير المؤمنين عليهم السلام فقلت لا عجب ان تكون له هـذه العجائب .

« سل شقيق البلخي عنه وما عا ين منه وما الذي كان أبصر »
« قال لما حججت عاينت شخصاً شاحب اللون ناحل الجسم اسمر »
« سائراً وحده وليس له زا د فما زلت دائماً أتفكر »
« ثم عاينته ونحن نزول دون قيد على الكثيب الأحمر »
« يضع الرمل في الاناء ويحسو ه فناديته وعقلي تحير »
« إسقني شربة فناولني منـه فعاينته سويقاً وسكر »
« فسألت الحجيج من هو هذا قيل هذا الامام موسى بن جعفر »

وهي قصيدة طويلة لابن المعاذ يمدح بها الامام الكاظم

اليس من الحق الواضح بان سر عظمة العظيم كمين في نفسه فبمقدار ايمانه وبما يحمل من الاخلاق في قلبه لله عز وجل في الشدة والرخاء يأتيه العون الالهي وقد صدق شقيق البلخي بما شاهد ورأى من الكرامات وخوارق العادات التي ظهرت من الامام الكاظم تكريما له من الله قطع بها جهيزة كل خطيب فان أقرب الناس إلى الله أولياؤه العاملون بطاعته القائمون بهداية خلقه لمعرفته فحياة الامام الكاظم قدوة لعباد الله ناطقة بما لفضيلة الصبر وقوة الاحتمال والمثابرة على العبادة وعلى العمل بما ينفع الناس كامثاله من آبائه الميامين اولياء الله « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

وفاته عليه السلام

بعد ان غضب هارون الرشيد على الفضل بن يحيى لعدم قيامه بتنفيذ أمره بالامام الكاظم وكان الرشيد يومئذ بالرقة فذهب ابوه يحيى بن خالد الى الرقة وبوصوله دخل عليه من غير الباب الذي يدخل الناس منه حتى جاء من خلفه وهو لا يشعر به ثم قال له يا امير المؤمنين ان ولدي الفضل حدث وقد قصر فيما امرته به وأنا اكفيك ما تريد فانطلق وجهه وتهلل سروراً واقبل على الناس فقال ان الفضل كان قد عصاني في شيء فلعنته وقد تاب وأناب الى طاعتي فتولوه فقالوا نحن أولياء من واليت واعداء من عاديت وقد توليناه وأمر يحيى بن خالد بالرجوع الى بغداد

وخرج يحيى بن خالد على البريد حتى وافى بغداد فماج الناس وارجفوا بكل شيء واظهر يحيى أنه ورد لتعديل السواد والنظر في اعمال العمال وتشاغل ببعض ذلك اياما ثم دعا السندي بن شاهك اليه وكان الامام الكاظم محبوساً عنده منذ تسلمه من الفضل بن يحيى وأمره بالمضي بما جاء لأجله فامتثل وتولى قتله بالسم وقد جعله في طعامه وقدمه اليه وقيل جعله في رطب فأكل منه فأحس في تسمم جسمه ولبث ثلاثا بعده موعوكا وقبض في اليوم الثالث .

ولما مات عليه السلام أدخل السندي بن شاهك عليه الفقهاء ووجوه أهل بغداد وفيهم الهيثم بن عدي فنظروا اليه حيث لا أثر بـــه من جراح ولا خمش وأشهدهم انه مات حتف انفه زوراً وبهتانا وما مصيبة الامة بالامام إلا علما تنكس وسيفاً تثلم واملا تحطم وبنيان قوم تهدم

لا عجب إذا كانت سياسة التمويه في ذلك العهد سجية وعادة متبعة لدى الملوك ومن والاهم ليستروا الجريمة برداء شفاف يحكي ما تحته ولكن اليس الله بالمرصاد يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور والسلام عليك يا أبا ابراهيم الكاظم ورحمة الله وبركاته

« انتم بنو طه ونون والضحى وبنو تبارك والكتاب المحكم »
« وبنو الأباطح والمشاعر والصفا والركن والبيت العتيق وزمزم »

شذرات من كلامه عليه السلام

ان اهل الأرض لمرحومون ماتحابوا وأدوا الأمانة . وعملوا بالحق

ما اهان الدنيا قوم قط الا هنأهم الله اياها وبارك لهم فيها وماأعزها قوم قط الا نغصهم الله إياها

ان قوماً يصحبون السلطان يتخذهم المؤمنون كهوفاً يلجأون اليهم فهم الآمنون يوم القيامة

ليس منا من لم يحاسب نفسه في كل يوم فان عمل حسنا استزاد منه وأن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه

من اكرمه الله بثلاث فقد لطف له . عقل يكفيه مؤونة هواه . وعلم يكفيه مؤونة جهله وغنى يكفيه مؤونة الفقر

ثلاثة من مكارم الدنيا والآخرة . ان تعفو عمن ظلمك . وتصل من قطعك وتحلم اذا جهل عليك

اربع من كنوز البر . كتمان الحاجة . وكتمان الصدقة . وكتمان الوجع وكتمان المصيبة .

من صدق لسانه زكا عمله . ومن حسنت نيته زيد في رزقه . ومن حسن بره باهله زيد في عمره

ان المؤمن أخو المؤمن لا يشتمه . ولا يحرمه . ولا يسيء به الظن

ان الله ينزل المعونة على قدر المؤونة . وينزل الصبر على قدر المصيبة . ومن اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة . ومن بذر واسرف زالت عنه النعمة . وأداء الامانة والصدق يجلبان الرزق . والخيانة والكذب يجلبان الفقر والفاقة

وقال عليه السلام . اشتدت مؤونة الدنيا والدين . فأما مؤونة الدنيا فانك لا تمد يدك الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه واما مؤونة الآخرة فانك لا تجد اعوانا يعينونك عليها

وقال ما تساب اثنان الا انحط الأعلى منهما إلى مرتبة الأسفل

وقال . عونك الضعيف من افضل الصدقة

وقال . المصيبة للصابر واحدة وللجازع اثنتان

وقال وجدت علم الناس في اربع . اولها ان تعرف ربك . والثانية ان تعرف ما صنع بك . والثالثة ان تعرف ما أراد منك . والرابعة ان تعرف ما يخرجك عن دينك

وقال من ايقن بالخلف جاد بالعطية . وما عال من اقتصد . والتدبير نصف المعيشة

الفصل الثاني عشر

في سيرة الامامين الرضا والجواد

الامام ابو الحسن الرضا

ولد سنة ١٥٣ هـ ٧٦٨ م وتوفي سنة ٢٠٣ هـ ٨١٧ م

هو الامام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بن علي امير المؤمنين عليه السلام

وامه ام ولد اسمها ام البنين وكنيته ابو الحسن . والقابه الرضا والزكي والولي والصابر والصديق

واشهرها الرضا ولد بالمدينة المنورة سنة ١٥٣ وتوفي سنة ٢٠٣ هـ

وكانت وفاته بطوس من ارض خراسان في قرية يقال لها سنا آباد . ومذ اصبحت مثوى الامام ومرقده توجهت نحوها الوجوه . وهاجرت اليها الناس من كل حدب وصوب المجاورة بالقرب من روضته المطهرة . التي غدت محجة ومثابة للزائرين كل ايام السنة وتحولت مدينة كبيرة من حواضر الدولة الايرانية ويطلق عليها المشهد ويتوسطها ضريح الامام الرضا عليه السلام . بمناراته الباسقة وقبيه العسجدية وأوانيه المذهبة . كواسطة العقد في جيد الحسناء تحف به البنايات الشاهقة والشوارع المنظمة والحدائق المنسقة الحافلة بالازهار العطرة . وتكتنفه الاسواق العامرة المكتظة بروادها من الاقطار المتاخمة لها كالهند والافغان والاتحاد

السوفياني . وتحتوي من الفواكه والأثمار ما لا يوجد في غيرها لكثرة البساتين المثمرة . مع رخاء الأسعار وعذوبة الماء ولذلك قال فيها الشاعر

« يا ارض طوس سقاك الله رحمته ماذا حويت من الخيرات ياطوس »
« طابت بقاعك في الدنيا وطاب بها قبر بارضك مدفون ومرموس »
« يا قبره أنت قبر قد تضمنه علم وحلم وتطهير وتقديس »
« فافخر بانك مغبوط بمرقده وبالملائكة الأبرار محروس »

ادلة امامته عليه السلام

قال المفيد بالارشاد كان الامام بعد ابي ابراهيم موسى بن جعفر عليهما السلام ابنه علي بن موسى الرضا و كنيته ابو الحسن لفضله الى ان قال ولنص ابيه على امامته من بعده واشارته الى ذلك دون جماعة اخوته واهل بيته .

وروى احمد بن محمد بن مهران عن محمد بن علي عن زياد هذا ابني كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قاله فالقول قوله وهو الامام بعدي

شاعره

دعبل الخزاعي وابو نواس . وبابه محمد بن راشد . ومن ثقاته احمد بن محمد بن ابي النصر البزنطي ومحمد بن الفضل الكوفي الأزدي وعبد الله بن جندب البجلي : ومن اصحابه حسن بن علي الخزاز « ويعرف بالوشاء » ومحمد بن سليمان الديلمي النصري وعبد الله بن المبارك النهاوندي وابراهيم بن محمد الهمداني وخلف البصري وغيرهم من اهل التقى والصلاح والعلم والفضل نقش خاتمه . حسبي الله

اولاده

جاء في الحلية لابي نعيم محمد الملقب بالجواد ابو جعفر الثاني وجعفر وابو محمد الحسن وابراهيم وابنة واحدة : وقال المفيد بالارشاد مضى الامام الرضا ولم يترك ولدا نعلمه الا ابنه الامام بعده أبا جعفر محمد بن علي عليهما السلام وقال الطبرسي كان للرضا ابنه ابو جعفر محمد الجواد لا غير

وقال ابن شهر اشوب في المناقب أولاده محمد الجواد فقط

جلس على اريكة الامامة بالنص الجلي الواضح من ابيه من آبائه من جده الرسول الأمين صلى الله عليه وآله وسلم فكان علما من اعلام الدين والفضيلة السابغة والاخلاق الفاضلة وسيداً جليلا قويا في ذات الله لا تأخذه في الحق لومة لائم ولا نقمة ناقم تدافع الناس لورود حياضه الفياضة ينهلون العلم الصحيح . ويستنيرون بنور الهداية ويقتبسون من جوامع كلامه الاحكام الالهية وكلهم وجد في رحابه الفسيح ضالته المنشودة وفي جنابه مرتعا خصيبا فقد هذب الأذواق . ووطد دعائم الدين . وشحذ الهمم للسير على تعاليم الدين المبين والشريعة الغراء .

وايقظ الحماس في النفوس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فتوسعت الافكار . وتنبهت الأخيلة للخير والعواطف للاحسان والطباع للصفح والعفو والمسامحة والألسن على الصدق بالقول بما ينفع الناس ويرضي الله عز وجل

وجاء عن ابن سنان انه قيل للامام الرضا عليه السلام لقد ظهر امرك واتسع جاهك بعد ابيك بانتقال الامامة اليك وجلست مجلسه وسيف الرشيد يقطر دما وقلبه مفعم بالحقد عليكم .

فقال جوابي على هذا ما قاله جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عندما كان ابو جهل يتربص به الدوائر . إن اخذ ابو جهل من رأسي شعرة فاشهدوا اني لست بنبي وانا اقول لكم ان اخذ الرشيد من رأسي شعرة فاشهدوا اني لست بامام

معاصره

من الخلفاء العباسيين الأمين والمأمون وفي عهدهما كان الجفاء محتدم بين الأخوين والسعاية والنميمة والفتن والاضطرابات على اشدها والاشرار من بطانة السوء تنفخ في نار الخلاف بينهما فتزيدها ضراما والمطلع على ماجريات الأحوال يومئذ والمستقصي لدقائقها ليوافق اولئك الذين يذهبون بالقول بأن سياسة الدولة لم تكن سياسة رشيدة لسيرها بين الجذب والدفع والتزلف والتمويه والمخادعة والتحيل . وحسبنا توضيح نواحي الحياة بايجاز . ومن المعلوم بأن الأمين هو الخليفة الشرعي في بغداد يحف به السراة من بني العباس وأركان الدولة ورجالها والأموال تجبى اليه والعدة والعدد والجيش وقادته تحت قيادته

انتقال الامام الرضا عليه السلام من المدينة الى طوس

قيل ان السبب في ذلك ان الرشيد العباسي بايع في حياته لابنه محمد الامين بن زبيدة وبعده لأخيه عبد الله المأمون وبعدهما لاخيهما القاسم المؤتمن وجعل أمر عزله وابقائه بيد المأمون وكتب بذلك صحيفة وأودعها في جوف الكعبة وقسم الاقطار بين الامين والمأمون فجعل شرقيها للمأمون وأمره بسكنى مرو وغربيها للأمين وأمره بسكنى بغداد فكان المأمون في حياة ابيه في مرو . ثم ان الامين بعد موت ابيه خلع أخاه المأمون من ولاية العهد . وبايع لولد له صغير فوقعت الحرب بين الاخوين . فنذر المأمون حين ضاق به الامر ان اظفره الله بالامين ان يجعل الخلافة في أفضل آل ابي طالب وبني هاشم . فلما قتل اخاه الامين واستقل بالسلطة وجرى حكمه في شرق الارض وغربها . كتب الى الامام الرضا يستقدمه الى خراسان ليفي بنذره .

وقال اليافعي في مرآة الجنان :

ان سبب طلب المأمون الرضا عليه السلام الى خراسان ليكون ولي عهده لانه استحضر اولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو من بلاد خراسان وكان عددهم ثلاثة وثلاثين الفاً بين كبير وصغير ثم استدعى الامام علياً فأنزله احسن منزل وجمع خواص الاولياء وأخبرهم انه نظر في ولد العباس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد أحداً في وقته أفضل ولا أحق بالخلافة من علي الرضا فبايعه .

وقال الطبري في تاريخه انه ورد كتاب من الحسن بن سهل الى بغداد ان امير المؤمنين جعل علي بن موسى بن جعفر بن محمد ولي عهده من بعده . وذلك انه نظر في بني العباس وبني علي فلم يجد احداً هو أفضل ولا أورع ولا اكمل ولا اعلم منه

أما المأمون بعد وفاة والده سنة ١٩٣ هـ في خراسان فقد بقي في مرو قاعدة بلاد فارس حسب وصية أبيه ولكن لاحول له ولا طول ولا يدري ما يصنع بعد خلعه من ولاية العهد من قِبَل اخيه الامين الذي نكث عهد ابيه ولكن غدر اخيه به لم يفت في عضده ولم يوهن عزيمته وهو المعروف بالحزم والدهاء فقد اعمل فكرته

وشد حيازيمه وحسر له عن ساقه وجمع حوله طائفة مجربة من رجال السيف والقلم والجاه والوجاهة والسياسة والكياسة فكان موفقا بذي الرياستين الفضل بن سهل وأخيه الحسن وطاهر بن الحسين الخزاعي وزميله هرثمة بن اعين وغيرهم من اهل البصر والبصائر .

لا جرم ان دقة السياسة في الخضم الهائج بالفتن تحتاج إلى ربان ماهر يقبض عليها بيد من حديد لمكافحة الاهواء المتضاربة والامواج الصاخبة للوصول الى شاطىء السلامة وتبديد الغيوم المتراكمة . ومن أجدر من الفضل بن سهل المعروف ببعد النظر والاناة والحزم والعزم لهذه المهمة . فنهض غير هياب ولا وجل . وبدأ بقطع البريد عن دار الخلافة بغداد واسقط اسم الأمين من الخطبة . واستقدم اليه الرجال العظام المفكرين من بغداد بطريقة « دبلوماسية » وذهب هو ورجاله من مرو الى طوس لزيارة الامام الرضا وهذه الزيارة لا تخلو من غاية سياسية مع ان الامام عليه السلام اجل قدرا واعلى شأنا من الدخول في هذه الترهات والمنازعات التي لا يأبه لها الأن الله خصه بطبيعة حية قوية الاحساس . وذخيرة نفسية غنية بمعالي الامور يتدفق منها الجمال الروحي جذابة غير هيابة تفديها النفوس بالنفيس والقلوب بالولاء

وروى الصدوق في العيون بسنده عن رجاء بن ابي الضحاك قال بعثني المأمون الى المدينة في اشخاص الامام علي بن موسى الرضا وامرني ان آخذبه على طريق البصرة والأهواز وفارس كي لا نمر على « قم » وأمرني ان احفظه بنفسي بالليل والنهار حتى اقدم به اليه فكنت معه من المدينة إلى مرو

قدومه عليه السلام على نيسابور

اورد صاحب تاريخ نيسابور والمناوي في شرح الجامع الصغير ان علياً الرضا عند ما جاء الى مرو من المدينة اجتاز نيسابور وكان في قبة مستورة على بغلة شهباء وقد شق بها السوق فعرضا له من رجال العلم ابو زرعة وابو مسلم الطوسي ومعهما من العلماء واهل الفضل ما لا يحصى . فقالا أيها السيد الجليل ابن السادة الائمة بحق آبائك الأطهرين وأسلافك الاكرمين . إلا ما أريتنا وجهك الميمون .

ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدك نذكرك به فاستوقف غلمانه وأمر بكشف المظلة واقر عيون الخلائق برؤية طلعته واذاله ذؤابتان معلقتان على عاتقه والناس قيام على طبقاتهم ينظرون ما بين باك وصارخ ومقبل حافر بغلته وعلا الضجيج فصاحت الأئمة الأعلام معاشر الناس اسمعوا وانصتوا ولا تؤذونا بصراخكم فقال الامام الرضا عليه السلام حدثني ابي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه علي زين العابدين عن ابيه شهيد كربلا عن ابيه علي المرتضى قال حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال حدثني جبريل عليه السلام قال سمعت رب العزة سبحانه وتعالى يقول . كلمة لا إله الا الله حصني فمن قالها دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي . ثم ارخى الستر على المظلة وسار قال فعد اهل المحابر والدواوين الذين كانوا يكتبون . فأنافوا على عشرين الفاً وقال بعض سلفنا من الاخبار لو قرأ هذا الاسناد على مجنون لأفاق من جنونه وقال ابو القاسم القشيري اتصل هذا الحديث بهذا السند ببعض امراء السامانية فكتبه بالذهب وأوصى ان يدفن معه في قبره فرؤي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك قال غفر لي بتلفظي بلا إله إلا الله وتصديقي بان محمداً رسول الله واني كتبت هذا الحديث بالذهب تعظيما واحتراما

وبعد ان تعددت الوفود بين الأخوين لاصلاح ذات البين على غير جدوى ولم يزدادا الا بعداً وقطيعة . وتلتها الحرب الكلامية التي تطورت الى تهديد ووعيد والمأمون يقابل كل عمل من أخيه بنظيره . وآل الأمر بينهما الى الحرب في ختام سنة ١٩٠ هـ واحرز المأمون النصر والفلج على اخيه .

وتفوق القائد طاهر الخزاعي قائد جيش المأمون على خصمه علي بن ماهان قائد جيش الأمين .

وفاز المأمون بالعرش والخلافة والغنائم والأمين بالهزيمة والخسران والقتل بعدئذ

وبعد هذه الحرب المنكرة بينهما توقف قائد جيش المأمون عن الزحف الى بغداد ينتظر الاشارة من خراسان وفي آخر سنة ١٩٨ هـ كان القائد طاهر الخزاعي وزميله هرثمة بن اعين على باب قصر الخليفة في بغداد وكل منهما يود ان يتسلم الأمين

القابع في قصره ليحوز قصب السبق على زميله وختمت حياته بمأساة محزنة .

وبويع المأمون بالخلافة العامة في ذلك التاريخ واصبحت مرو مثابة ومرجعا للعلماء والأدباء والشعراء والخاصة والعامة من جميع الطبقات

جرت هذه الحوادث الجسام والمأمون في خراسان لا يشغله شاغل عن حضور مجلس الامام الرضى في اكثر الايام المكتظ بالناس بين عالم ومتعلم وسائل ومستفتي ومستفهم ومسترشد

وبعد سماعه للمحاورات العلمية والارشاد وزواجر الوعظ ينقلب مسرورا بما رأى ووعى من جوامع الكلم والعظات البالغات

بيد ان هيبة الحكومة هزلت والاخلاق تبدلت والعقول تغيرت بعد الحروب الداخلية واستشرى الفساد وبلغ مبلغاً لا حرمة فيه للشرع والدين . ففي الرقة ثورة نصر بن شبث . وفي العراق ثورة ابي السرايا وثورة ملك كابل وثورة صاحب شبث وقد عاثوا في الارض فساداً وشنوا الغارة على مواطنيهم ومجاوريهم . والمأمون يجهز الحملة تلو الحملة لتأديب المشاغبين ليعيد الامن الى نصابه . اضف الى ذلك فان جرثومة الفساد والخلاف والمنافسة سرى عدواها الى حاشيته ورجاله فاوغروا صدره على القائد هرثمة بن اعين فقتله سنة ٢٠٠ هـ وهو الذي كافح وقاوم لتثبيت عرش المأمون وقد احدث موته فتناً وقلاقل وثورات من حزبه ومشايعيه وخوفاً من اتساع الخرق على الراقع عقد المأمون مجلساً عاماً للمداولة من وزرائه وقواده وخلصائه والمقربين اليه . فقلبوا الأمر ظهراً لبطن لايجاد طريقة تبعث على الاستقرار ولم يروا وسيلة فعالة تنفي عنه الشبهات . وتزيل ماعلق بذهن الرأي العام ضده مما ينسب اليه الا بالبيعة بولاية العهد من بعده للامام الثامن من أئمة اهل البيت علي بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه السلام لأن الحقد تضاعف أثره في قلب كل موحد يؤمن بالله واليوم الآخر على العباسيين لسفكهم دماء الابرياء واستئصالهم ذرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفتهم لقوله تعالى « قل لا اسألكم عليه اجراً إلا المودة في القربى » وقد تقرر ذلك بالاجماع وصادف هوى في نفس المأمون فعندها هب كافا نشط من عقال وأمرهم بالذهاب الى الامام الرضا ليخبروه

با عزم عليه ويلزموه بالقبول بالحجة والبرهان . فذهبوا واستأذنوا بالدخول فاذن لهم وتكلم ابن سهل .

فقال يا ابن رسول الله ان امير المؤمنين المأمون بحر علم زاخر وحكيم مجرب علم من حقكم ما جهله اسلافه . ويعلم بانكم سيد الهاشميين علماً ونبلا وورعاً وزهداً وقد عزم على البيعة لكم بولاية العهد من بعده فقبولكم لهذا الأمر رحمة للأمة في هذه الدياجي المدلهمة .

فاعتذر الامام واثنى على المأمون وامتنع عن القبول ورجع الوفد ادراجه ينقل الحديث للمأمون . فاكفهر وجهه وهو يعلم ان الامام لا يأبه لأبهة الملك ولا لمقام الخلافة

فقال لهم أعيدوا عليه الكرة . فعادوا بين اليأس والرجاء . وتكلم الفضل ثانيا قائلا يا ابن رسول الله ان قبولكم لولاية العهد وسيلة لتأييد الدين ولزوال سوء التفاهم والشحناء بين الهاشميين وهذه الغيوم المتلبدة في سماء الامبراطورية العربية تتبدل غيثا ورحمة على البلاد فقبولكم يعيد المياه الى مجاريها ويبعث البشر والايناس للناس وبجدكم الأعظم اهتدينا وبكم اقتدينا والأمة قلوبها معك والخليفة اطوع لك من بنانك فتبسم الامام وقربه اليه وهمس في أذنه كلمة كشف له بها عن فظائع المستقبل فتغير وجهه ولم يحر جواباً

ثم اجتمع الامام والمأمون بالمسجد فقال له المأمون يا ابن رسول الله ان مركزكم العلمي تتصاغر عنده جهابذة العلماء ومقامكم الديني المؤيد بصالح الاعمال يغبطكم عليه خيرة الأولياء وإني أراك أحق مني بالخلافة وأريد أن أعزل نفسي عنها وأبايعك بالخلافة فقال له الامام لا طاقة لي على حمل هذا العبء الثقيل . وان كانت الخلافة لك فلا يجوز ان تخلع نفسك منها وتجعلها لغيرك وان كانت ليست لك فلا يجوز أن تعطيني ما ليس لك . فقال له المأمون يا ابن العم لا بد لك من القبول فقال له الامام لا يكون ذلك عن طواعية واختيار وما يزال المأمون يجهد نفسه معه تارة ووزيره الفضل بن سهل تارة اخرى وهو مصر على عدم القبول فعندها نهض المأمون مخاطباً الامام فلتكن ولي عهدي وإذا بقيت على إصرارك أجبرتك .

فقال الامام الحكم لله وهو حسبي ونعم الوكيل وقد نزلت على حكمك بقبول ولاية العهد على انني لا أعزل ولا أولي ولا أبدل شيئاً من شؤون الدولة فأذعن المأمون لشروطه وخرج ذو الرياستين قائلا واعجباه أمير المؤمنين يفوض أمر الخلافة للامام الرضا ويأبى قبولها . فيا لها من خلافة ما اضيعها وما احقرها في عين رجال الله الصالحين

لقد اظهر الامام من الشجاعة الأدبية والجرأة والصراحة ومتانة الاخلاق والاباء والتعفف ما هو جدير به تجاه الوفد والخليفة معاً . وما هي إلا روحانية من الاحساس الملهم والثورة العميقة المكبوتة والهدوء الرزين والاخلاص لعقيدة راسخة لله وبالله

ذكر الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام قال دخل عبد الله بن ماهان على المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا . فقال له المأمون ما تقول في اهل هذا البيت . فقال عبدالله ما أقول في طينة عجنت بماء الرسالة وغرست بماء الوحي هل ينفح منها الا مسك الهدى وعنبر التقي . فدعا المأمون بحقة فيها لؤلؤ فحثاها

البيعة للامام الرضا بولاية العهد

وضرب المأمون موعداً في يوم مخصوص للاحتفال بعقد البيعة بولاية العهد من بعده دعا اليها خواصه ووزراءه وأركان دولته وقواده وحجابه ووجوه الناس واعيانهم وخلع الشعار الاسود شعار العباسيين وارتدى الشعار الأخضر شعار العلويين واوعز إلى عماله في الولايات الاقتداء به فلما انتظم عقد الجمع اشار إلى الفضل بن سهل ان يعلن للجماهير بان ولي عهد امير المؤمنين من بعده الامام الهمام ابن الامام ابو الايمة علي بن موسى الرضا فابتهج الناس وظهرت امارات السرور على الوجوه بالبشر والانس . وبعد هنيهة جاء الامام لابسا الخضرة وعلى رأسه عمامة ومتقلد بسيف وقد تحوطه الاكبار والجلال فكبرت الجماهير استبشاراً بمرآه وهللت الوجوه اكباراً لهيبته وسبحت الالسن شكراً على نعمته فتقدم سلام الله عليه وجلس بين وسادتين عظيمتين وضعتا له . وأمر المأمون ابنه العباس بمبايعته بولاية العهد اول الناس . فرفع الامام يده ووضعها فوق يد العباس فقال له

المأمون لماذا لا تبسط يدك فقال له الرضا ان رسول الله كان يبايع ويده فوق ايديهم فقال افعل ما ترى ثم تقدم الهاشميون والوزراء فالقواد فالحجاب فالوجوه فالأعيان فبايعوه والسرور شامل والوجوه ناضرة والأفراح عامة للخاصة والعامة ثم وزعت الدراهم والدنانير والثياب على الناس بقدر مراتبهم . وأول ما بدأ بالعلويين ثم بالعباسيين وانطلقت السن الشعراء والخطباء تعدد مآثر الامام حيث وجدوا مجالا للقول وسعة للمدح وبعدها قال المأمون تكلم يا ابا الحسن فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبي فصلى عليه . وقال ايها الناس ان لنا عليكم حقا برسول الله ولكم علينا حق به فاذا أديتم لنا ذلك وجب لكم علينا الحكم والسلام

ولم يسمع منه في هذا الحفل غير هذه الكلمة وخطب للامام بولاية العهد في كل مكان وفي كل بلد من الامبراطورية العربية وخطب عبد الجبار بن سعيد على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة فقال في دعائه للامام الرضا . ولي عهد المسلمين الامام علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي عليهم السلام وقال

« ستة آباء هم ما هم أفضل من يشرب صوب الغمام »

وضربت الدراهم والدنانير باسمه وهي المعروفة بالرضوية سنة ٢٠١ هـ ونقل المدائني قال جلس الامام في ذلك المجلس والشعراء ينشدون والخطباء يتكلمون والالوية تخفق فوق رأسه . والتفت الى بعض مواليه وقد داخله من السرور مالا مزيد عليه فأشار اليه فدنا منه فقال له لا تشغل قلبك بهذه الأخيلة البراقه فان هذا الأمر لا يتم . وبعد اعلان البيعة حصل الاستقرار في جميع الأقطار ومشت الشعوب على خطوات مرآتها الصافية النقية وانقطع دابر الأشقياء الذين كانوا يعيثون في الأرض فساداً فاذا كل شيء يسير سيراً طبيعياً والتشاؤم ينقلب تفاؤلا واستبشاراً والضغن يصبح عطفا ورقة وقد سكنت الدهماء وخمدت النائرة وبسط الأمن رواقه واتصلت السبل

ان اهل النضوج الفكري ينظرون الى مقـــدمات الحوادث فتنكشف لهم نتائجها فالفضل بن سهل وطاهر بن الحسين وأضرابهما مـن رجال السياسة مهدوا

الأمور للمأمون من اقرب الطرق بتحويل الرأي العام لجهته ببايعة الامام الرضا بولاية العهد فكان لهم ما ارادوا وقد وضعوا الحناء في موضع النقب وجاءت الوفود تترى على الخليفة وولي عهده من الاقطار النائية ومن بغداد نفسها مستبشرة بالعهد الجديد والعيش الرغيد مجددة الطاعة والبيعة منددة بالأمين ووزرائه وخصيانه وبلغ من إخلاص المأمون للامام تزويجه له من ابنته ام حبيب وتولية احد اخوته امارة الحج وهذه المصاهرة أتت بها يوافق الحكمة والسداد ووثقت عرى المحبة بين البيتين العلوي والعباسي وتوطدت دعائم الالفة بعد القطيعة

لماذا تقلد الامام ولاية العهد

جاء اليه رجل استغرب قبوله لها فقال له يا مولاي كيف صرت الى ماصرت اليه من المأمون فقال له الامام الرضا باهذا أيهما افضل النبي او الوصي قال بل النبي قال فأيهما افضل المسلم او المشرك قال بل المسلم . قال فان عزيز مصر كان مشركا وكان يوسف عليه السلام نبياً وان المأمون مسلم وأنا وصيه . ويوسف سأل العزيز ان يوليه قال اجعلني على خزائن الأرض اني حفيظ عليم . وانا اجبرت على ذلك : وقال محمد بن عرفة قلت للامام الرضا عليه السلام ماحملك على الدخول في ولاية العهد . فقال ما حمل جدي امير المؤمنين على الدخول في الشورى

وعن محمد بن يحيى الفارسي قال نظر ابو نواس الى الامام الرضا وهو خارج من قصر المأمون على بغلة فارهة فدنا منه وسلم وقال يا ابن رسول الله قلت فيك بياتاً أحب ان تسمعها مني فقال له قل فانشأ

« مطهرون نقيات ثيابهم تجري الصلاة عليهم كلما ذكروا »
من لم يكن علوياً حين تنسبه فما له من قديم الدهر مفتخر »
« اولئك القوم اهل البيت عندهم علم الكتاب وماجاءت به السور »

فقال له لقد جئتنا بأبيات أبيات يا غلام ما معك من فاضل نفقتنا قال ثلاثمائة دينار فقال ادفعها اليه وبعد ان ذهب الى البيت قال يا غلام لعله يستقلها سق اليه البغلة أيضاً فساقها اليه

ولما عوتب على الامساك عن مديح الامام الرضا فقال :

قيل لي انت اوحد الناس طراً ... في فنون من الكلام النبيه
فعلام تركت مدح ابن موسى ... والخصال التي تجمعن فيه
قلت لا استطيع مدح امام ... كان جبريل خادماً لأبيه

وأخذت الشعراء تتبارى في هذا المضمار وكان منهم المجلي والسابق دعبل بن علي الخزاعي التي اربت قصيدته على مائة وعشرين بيتاً من عيون الشعر ومنها

ذكرت محل الربع من عرفات ... فأجريت دمع العين في العبرات
مدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ إلى قوله

أرى فيئهم في غيرهم منقسما ... وأيديهم من فيئهم صفرات

قال له الامام صدقت يا خزاعي وتابع انشاده

اذا وتروا مدوا الى واتريهم ... اكفاً عن الأوتار منقبضات

جعل الرضا يقلب كفيه ويقول اجل والله منقبضات حتى انتهى الى قوله

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي

قال له الامام امنك الله يوم الفزع الاكبر حتى وصل الى قوله

وقبر ببغداد لنفس زكية ... الحت على الاحشاء بالزفرات

قال له يا خزاعي افلا الحق لك في هذا الموضع ببيتين تضمهما لقصيدتك قال بلى يا سيدي فقال عليه السلام

وقبر بطوس يا لها من مصيبة ... توقد بالاحشاء في الحرقات
الى الحشر حتى يبعث الله قائما ... يفرج عنا الهم والكربات

فقال دعبل يا ابن رسول الله قبر من هذا بطوس قال له قبري ولا تنقضي الايام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وواصل دعبل انشاده

خروج امام لا محالة خارج ... يقوم على اسم الله والبركات
يميز فينا بين حق وباطل ... ويجزي على النعماء والنقمات

قال له الامام الرضا نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين واجازه بستمائة

دينار فردها وطلب ثوبا من ثياب الامام فانفذ اليه بجبة خز مع السعاية دينار وقال للخادم قل له يأخذهما ولا يراجعني فانه سيحتاج اليهما لا سيما الدنانير فأخذهما وتجهز مع قافلة للعراق فخرجت عليهم اللصوص بالطريق ونهبوا القافلة وكتفوا اهلها ومنهم دعبل . واخذوا يقتسمون الأموال ومقـــدم اللصوص يراقبهم ويتمثل ويقول

« أرى فيئهم في غيرهم متقسما وأيديهم من فيئهم صفرات »

فقال له دعبل اتعرف قائل هذا البيت فقال له كيف لا اعرفه هو لشاعر من خزاعة يقال له دعبل شاعر الامام الرضا من قصيدته التي مدحه بها فقال له انا دعبل صاحب القصيدة فحلوا كتافه وتلى عليهم القصيدة فاعتذروا له وقالوا قد وجب حقك علينا وقد اطلقنا القافلة ورددنا جميع ما اخذناه منها اكراماً لك .

ثم سار دعبل الى مدينة قم وقرأ عليهم القصيدة فوصلوه بمال كثير وسألوه بيع الجبة بألف دينار وقال لهم اخذتها للتبرك لا ابيعها . وارتحل عنهم فخرج عليه بعض احداثهم واخذوا منه الجبة فرجع الى قم واخبر كبارهم فردوها عليه وقالوا نخشى ان ياخذمنك هذه الجبة غيرنا فبالله الا ما أخذت الالف دينار وتركتها لنا . فقال اشترط عليكم ان تعطوني شيئاً منها يكون في كفني عند موتي فأعطوه فرد كم منها ولما وصل الى وطنه لم يجد في منزله شيئاً لان اللصوص نهبوا جميع ما فيه اثناء غيابه . فباع الدنانير التي وصله بها الامام الرضا كل دينار بماية درهم وقد تضاعفت قيمتها لانها مضروبة باسم الامام وذكر دعبل قوله انك ستحتاجها ثم توجه دعبل الى الحجاز لحضور موسم الحج بعد ان كتب قصيدته المذكورة التي سارت بها الركبان على ثوب واحرم فيه واوصى ان يكون هـــذا الثوب في اكفانه عند موته

على الاصول تنبت الغصون

كل من تصفح التاريخ الاسلامي يعلم ان قبيلة خزاعـــة المعروفة بالنجدة والشجاعة كانت موالية للهاشميين في الجاهلية والاسلام وشاعرنا احد افراد هذه القبيلة مواليا للنبي وأهل بيته عليهم السلام كآبائه .

وقصيدته التي انشدها للامام الرضا قطعة من قلبه المملوء ولاءً واخلاصاً صاغها درراً منظومة في أسلاك من الذهب فجاءت فريدة تنطق عن شعور قوي وشاعرية لا تبارى استهلها بالذكرى لديارهم الخالية ومنازلهم الخاوية التي اخفى عليها الدهر وانتقل للتوجع والتلهف والتفجع لما نالهم من الأذى والارهاق والقتل والتشريد ويكفيه فخراً وشرفاً استحسان الامام لها ودعائه له

معجزات الله عليه السلام

وعن ياسر الخادم قال سمعت مولاي الامام الرضا عليه السلام يقول اوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواضع . يوم يولد الى الدنيا ويخرج المولود من بطن امه فيرى الدنيا . ويوم يموت فيعاين الآخرة واهلها ويوم يبعث فيرى احكاما لم يرها في دار الدنيا . وقد سلم الله على يحيى في هذه الثلاثة المواطن وأمن روعته فقال « وسلام عليه يوم ولد ويوم يموتُ ويوم يبعثُ حياً » . وقد سلم عيسى بن مريم على نفسه فقال « والسلام عليّ يوم ولدتُ ويوم اموتُ ويوم أبعثُ حياً »

روى جعفر بن صالح قال اتيت الامام الرضا فقلت امرأتي اخت محمد بن سنان احد اصحابك وبها حمل فادع الله يا مولاي ان يجعله ذكراً . فقال هما اثنان فولدت وحدس في قلبي ان اسميهما محمدا وعليا . فدعاني فاتيته فقال سم واحداً علياً والآخر أم عمرو وقدمت الكوفة فولدت غلاما وجارية فسميت الذكر عليا والانثى أم عمرو كما أمرني وقلت لأمي ما معنى أم عمرو قالت جـــدتك اسمها أم عمرو

روى الكليني بسنده ان الامام الرضا عليه السلام خرج من المدينة يريد الحج في السنة التي حج فيها هارون الرشيد فانتهى الى جبل على يسار الطريق يقال له فارع فنظر اليه وقال باني فارع وهادمه يقطع اربا اربا . فلم ندر ما معنى ذلك .

فلما بلغ الرشيد ذلك الموضع نزله وصعد جعفر بن يحيى الجبل وأمر ان يبنى له فيه مجلس فلما رجع من مكة صعد اليه وأمر بهدمه ولما انصرف الى العراق قطع اربا اربا

وروى حمزة بن جعفر الارجاني قال خرج الرشيد من المسجد الحرام من باب وخرج الامام الرضا من باب . فقال الرضا وهو يعني هارون الرشيد . يا بعد الدار وقرب الملتقى يا طوس ستجمعينني وإياه في بقعة واحدة

قال مسافر كنت مع ابي الحسن علي الرضا بمنى فمر يحيى بن خالد البرمكي وهو مغط وجهه من الغبار بمنديل فقال الرضا مساكين هؤلاء لا يدرون ما يحل بهم في هذه السنة فكان من أمرهم ما كان .

وقال اعجب من هذا انا وهارون كهاتين وضم اصبعه السبابة والوسطى قال مسافر فوالله ما عرفت معنى حديثه في هارون الا بعد موت الرضا ودفنه الى جانبه

المعجزة عجزت العقول عن تكييفها واقرت صدورها من اهلها كالانبياء والرسل لهداية خلقه وكذلك أولياء الله المقربين الذين نهجوا نهجهم وسلكوا طريقهم في خدمة عباده . ومن اقرب إلى الله من خاتم النبيين وأهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم كالامام الرضا ثامن أئمة اهل البيت وقد أجمع المؤرخون ورواة الحديث على علمه وفضله وورعه وزهده وسخائه وعبادته واعراضه عن الدنيا يؤيد ذلك ما قاله المأمون له . إني أراك احق مني بالخلافه . وهو الضنين بها لقتله اخيه لأجلها وقد عزف الامام عنها ولم يأبه لها . ولولا موالاته له واعتقاده بفضله اعتقاداً ملك عليه سمعه وبصره . لبقي مثابراً على السياسة التقليدية التي سلكها الرشيد مع الامام موسى الكاظم ومع غيره من اهل البيت من القتل والتشريد

وفي آخر سنة ٢٠١ هـ استتب الأمر للمأمون وكثر جمعه ووقدت جمرته ورحل من خراسان الى دار الخلافة بغداد ومعه من اولياء الله وحزب الله ولي عهده ومن سيوف العز واركان الخلافة ودعائمها وزراءه وحاشيته متئداً في سيره يمشي الهوينا والبريد يوافيه باخبار الولايات في كل منزل حل فيه . وفي هذا الأثناء خلع الطاعة عمه ابراهيم بن المهدي وادعى الخلافة لنفسه يؤيده العباسيون في بغداد واستفحل أمره ووقعت الحرب بينه وبين الحسن بن سهل قائد جيش المأمون . ولم يتجرأ احد من وزراءه وحاشيته التصريح له بذلك . فتقدم اليه الامام الرضا وكشف

له وجه الحقيقة . ونصحه بان خير علاج التعجيل بالعودة إلى بغداد قبل ان يتفاقم الأمر فعزم على ما أشار عليه الامام وكان وزيره الفضل بن سهل السياسي الكبير لا يفارقه في السفر والحضر ولا يعمل الا برأيه . وما كادوا يجاوزون سرخس في طريقهم واذا هم بالفضل بن سهل مقتولا بالحمام فاوعز لرجاله بالتحري على الفاعلين لهذه الجريمة . ولما قبضوا عليهم جاءوا بهم إلى الخليفة فقال لهم لم قتلتموه قالوا اتق الله يا امير المؤمنين . قتلناه بأمرك فلم يلتفت إلى كلامهم وامر بقطع اعناقهم . والذين قتلوا الفضل من حشم المأمون وهم غالب المسعودي . وقسطنطين الرومي وفرج الديلمي . وموفق الصقلي وبعد ان قتلهم بعث برؤوسهم الى اخيه الحسن بن سهل القائد في بغداد معزيا له ويعده بالوزارة خلفاً لأخيه . ثم عزاه بكتاب آخر يخطب منه ابنته بوران ليسترضيه كي لا ينتقض عليه ويثأر منه .

ويحدثنا ابن طباطبا ان الفضل بن سهل كان سخياً كريماً يجاري البرامكة في جوده واريحيته شديد العقوبة سريع الانعطاف حليما بليغاً عالما بآداب الملوك بصيراً جيد الحدس وكان يقال له الوزير الأمير ومذهبه موالات اهل البيت

وفاته عليه السلام

ليس في السياسة من اعتبارات أدبية أو اجتماعية وليس فيها مقاييس ثابتة لوقوع حادث آخر لم تهجس به الضمائر ولم يسنح في فكر ارتجت لوقعه الدولة وتضعضعت لهوله الامة واستولى على الناس الذهول ولم يكن متوقعا حدوثه . وهو انه عند ما نزل الخليفة في طوس توفي الامام الرضا فجأة . وتناقلت الناس الخبر بحزن شامل وهلعت القلوب وسرى الذعر في النفوس سريان الوباء الساري حتى لم يبق ثمة من يقف على قدميه هادئا مطمئناً في طول البلاد وعرضها وقد أظهر المأمون الحزن والجزع عليه

ثم انفذ الى ابن عمه محمد بن الامام جعفر الصادق والى جماعة من العلويين فلما حضروا نعاه اليهم وأظهر توجعاً وبكى وأراهم اياه صحيح البدن وقال يعز علي يا اخي ان اراك على هذا الحال وقد كنت اؤمل ان يكون يومي قبل يومك فأبى الله الا ما اراد ثم امر بغسله وتكفينه وتحنيطه وخرج مع جنازته حتى انتهى

الى الموضع المدفون فيه الآن فدفنه والموضع دار حميد بن قحطبة في قرية سناآباد بارض طوس . وفيها قبر هارون الرشيد وقبر ابي الحسن بين يديه في قبلته

وروى الصدوق في العيون والمفيد في الارشاد وجاء في سنن ابن ماجه وفي مقاتل الطالبيين بالاجماع بان الامام الرضا مات مسموما . وخالف هؤلاء العلماء الاعلام سبط بن الجوزي في كتابه تذكرة الخواص . وابو بكر الصولي في كتابه الاوراق وعلي بن عيسى الاربلي في كتابه كشف الغمة بان الامام الرضا دعاه الله الى جواره فلباه كأمثاله من أولياء الله وان المأمون بري مما نسب اليه والله اعلم بذلك واليه المصير

والمأثور عن الامام من الأدعية والأوراد في تهجده وعبادته لا تحصى لكثرتها تستنزف الدمع من العيون يتقربون بها اهل الله في تلاوتها في عقيب صلاتهم وفي أوقات مخصوصة في مظان الاجابة

والختام اني اعتقد ان المأمون فيلسوف العباسيين وهو الذي رفع شأن العلم وقرب العلماء واثار كوامن الرغبة للعمل والبحث والتعميق في الدرس لاستخراج الحقائق واستقدم العلماء من الأعاجم مع كتبهم وذخائرهم وزاد في ثروة اللغة العربية من فلسفة اليونان وحضارة الفرس وعلوم الهنود والرومان حتى ملأعصره بأنواع المعارف

ولم يقلد أسلافه الماضين بالغض من كرامة بيت الوحي وانكار فضلهم خوفاً منهم على الملك ولكنه قرب الامام الرضا واعترف من بحر علمه حكمة ونبلا وهدى واطل على الأمة العربية بالوعي المثمر والعلم الصحيح الذي زوده به الامام لخدمة الانسانية ورفع شأن الأمة العربية .

ثم تنكر له كما يقولون حتى آل الأمر الى مأساة مفجعة . ولعله علم انه عقبه كأداء في سبيل ارضاء اهله وذويه .

ولما كانت المصادر التي بين أيدينا لم تكشف القناع بصورة تبعث على الاقناع فالمسألة بقيت في صدر الأيام سراً مكتوماً في علم الله الذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير

« خذا بيدي يا آل بيت محمد اذا زلت الأقدام في غدوة الغد »
« ابى القلب إلا حبكم وولاءكم وماذاك إلا من طهارة مولدي »

شذرات من كلامه عليه السلام

من رضي من الله عز وجل بالقليل من الرزق . رضي الله منه بالقليل من العمل
ان الله يبغض القيل والقال . واضاعة المال . وكثرة السؤال
لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى تكون فيه خصال ثلاث . التفقه في الدين وحسن التقدير في المعيشة والصبر على الرزايا
ليس لبخيل راحة . ولا لحسود لذة . ولا لملول وفاء . ولا لكذوب مروءة
افضل المال ما وقي به العرض . وافضل العقل معرفة الانسان نفسه
اصحب السلطان بالحذر . والصديق بالتواضع . والعدو بالتحرز . والعامة بالبشر
ان للقلوب اقبالا وادباراً . ونشاطاً وفتوراً . فاذا اقبلت بصرت . واذا ادبرت كلت وملت فخذوها عند اقبالها ونشاطها . واتركوها عند ادبارها وفتورها
لا يجتمع المال الا بخصال خمس . بخل شديد . وأمل طويل . وحرص غالب وقطيعة الرحم . وإيثار الدنيا على الآخرة
وقال ثلاثة مقرون بها ثلاثة . ان الله أمر بالصلاة والزكاة فمن صلى ولم يزك لم تقبل منه صلاته . وأمر بالشكر له وللوالدين . فمن لم يشكر والديه لم يشكر الله . وأمر بالتقوى وصلة الرحم فمن لم يصل رحمه لم يتق الله
وقال لا يعدم المرء دائرة السوء مع نكث الصفقة . ولا يعدمه تعجيل العقوبة مع ادراع البغي .
وقال بالعبودية لله افتخر . وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا . وبالورع عن المحارم ارجو الفوز بالمغانم . وبالتواضع في الدنيا ارجو الفوز عند الله
من حاسب نفسه ربح . ومن غفل عنها خسر
وقال صديق كل امرء عقله . وعدوه جهله
من شبه الله بخلقه فهو مشرك . ومن نسب اليه ما نهى عنه فهو كافر

وقال الدنيا كلها جهل الا مواضع العلم . والعلم كله حجة الا ما عمل بـه . والعمل كله رياء الا ما كان مخلصاً . والاخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يختم لـــه .

وقال صاحب كتاب نثر الدرر سئل الفضل بن سهل الامام الرضا في مجلس المأمون . فقال له يا أبا الحسن . الخلق مجبورون . قال الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب . قال فمطلقون . قال الله تعالى احكم من ان يهمل عبده ويكله إلى نفسه لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون فيه ثلاث خصال سنة من ربه . وسنة من نبيه وسنة من وليه . فاما السنة من ربه فكتمان السر . واما السنة من نبيه فمداراة الناس . واما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء

ابو جعفر الثاني الامام الجواد

ولد سنة ١٩٥ هـ ٨١١ م وتوفي سنة ٢٢٠ هـ — ٨٣٥ ميلادية

هو الامام محمد الجواد بن ابي الحسن بن ابي ابراهيم بن ابي عبدالله بن ابي جعفر الأول بن ابي محمد بن ابي عبد الله سبط فخر الكائنات صلى الله عليه وآله وسلم . وأمه ام ولد تدعى سبيكة وقيل سكينة المريسية رضي الله عنهم اجمعين . ولد بالمدينة سنة ١٩٥ هـ وقبض في بغداد سنة ٢٢٠ ودفن في مقابر قريش في ضريح جده الامام موسى الكاظم وقيل انه مات مسموماً في أوائل ملك المعتصم العباسي بيد زوجته ام الفضل بنت المأمون العباسي والله اعلم

القابه

التقي والزكي والمنتجب والقانع والجواد . وكنيته ابو جعفر الثاني . شاعره حماد . وبابه عثمان بن سعيد السمان . نقش خاتمه نعم القادر الله . ومـن ثقاته أيوب بن نوح وجعفر بن يونس الأحول

ومن اصحابه شاذان بن الخليل النيسابوري ومحمد بن احمد المحمودي وغيرهم من العباد والزهاد .

وجاء في كتاب مطالب السؤول هذا محمد أبو جعفر الثاني وقد تقدم في آباءه

أبو جعفر محمد الباقر بن علي فجاء هذا الامام باسمه و كنيته واسم أبيه فعرف بابي جعفر الثاني وان كان صغير السن فهو كبير القدر رفيع الذكر ومناقبه رضي الله عنه كثيرة لا تحصى

عاصر من الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم والدولة في إبان عزها وفي قمة مجدها مزدهرة باسمة مشرقة ضاحكة . وقصور الخلافة منتجعاً وموردا للصادر والوارد ومحجة للوفود العربية والأعجمية ومسرير الخليفة مثابـــة ومطافاً للملوك والأقيال يستمدون منه العناية ويجددون له الطاعة . والأموال تنهال من الأمم والأقوام على بيوت المال في بغداد كالسيل الدافق . او كالغيث المنهمر والعلماء والفلاسفة من مشارق الأرض ومغاربها لافرق بين اعجمي وعربي . والكل يتزاحمون بالمناكب بين معاهد العلم في الكرخ والرصافة عـــلى شاطىء دجلة يتبارون في التأليف والتصنيف والتعريب وقد فتحت لهم الدور والقصور والصدور والخليفة بنفسه يتعهد هذه المعاهد الزاهرة ويناقش العلماء في شتى العلوم ويعقد لهم المجالس العلمية للبحث والتنقيب في كل بادرة ونادرة حاضرة وغابرة والنفوس تزخر بشتى الأحاسيس وقد بلغ الوعي القومي والطموح السياسي بين طبقات الامة العربية اقصى مداه في هذا العصر أزهر وأثمر كل ما بذره مؤسسو الدولة من حب وأب وفاكهة وشوك . وخير وشر وصلاح وفساد وعلم وجهل وفيه بلغ كل شيء غايته

وأعطى كل عمل نتاجه . وتشابكت حضارات العرب والفرس والروم . والعلم طاب نميره والأدب قام على سوقه . والنقدة من شيوخ العلم وجهابذته رفعوا الشراع في خضم جياش فياض بمختلف العلوم والفنون فنالوا مبتغاهم . واستخرجوا من كنوزه دررا تزري بقلائد العقيان واستساغت لغة الضاد كل مالذ وطاب من سياسة فارسية . وفلسفة يونانية بنت عليها سامق البناء ليهتدي الضال ولا يشتبه عليه الأمر بين الماء والآل .

في هذا الدور الزاهر الذي رغب فيه المأمون اكتساب قلوب الناس بعد نفورها وإيناسها بعد وحشتها لم يتورع عن الغدر وقطع الرحم فقتل وزيره الفضل بن سهل الملقب بذي الرياستين ذو الهمة الوثابـــة . والعزيمة المرهفة قتله باجماع

المؤرخين الحمام في جزاء اخلاصه له بتوطيد ملكه ولعل سياسة الدولة اقتضت ابعاده الى الدار الباقية .

وقد تجاهل الحادث وقتل القتلة الذين جاهوه بقولهم لـــه انت امرتنا بقتله وارسل رؤوسهم الى اخيه الحسن بن سهل و كتب اليه يعزيه وصاهره بزواجه من ابنته بوران وقلده الوزارة

وبعد قليل تصدعت الوحدة الهاشمية وتقطعت اواصر القربى بين البيتين العلوي والعباسي بموت الامام علي بن موسى الرضى فجأة وهو ولي عهد الخلافة وصهر الخليفة ومستشاره النصوح في جميع الشؤون الدينية والدنيوية . وبالرغم مما اظهره المأمون من الجزع والحزن والأسى على الامام فقد كان يتردد على السنة الناس بأنه هو الذي دس له السم في العنب وقد دفنه في جوار قبر أبيه الرشيد في قرية سنا آباد مـن أعمال طوس بين الحسرات الموجعة والدموع الجارية من الجماهير التي كانت تتميز غيظا من العباسيين والى ذلك أشار ابو فراس الحمداني في قصيدته الميمية

«باءوا بقتل الرضا من بعد بيعته وابصروا بعض يوم رشدهم فعموا»
« لا بيعة ردعتهم عن دمائهم ولا يمين ولا قربى ولا رحم »

فالمأمون في تحقيق اطماعه وتثبيت ملكه جرى على طريقة الملوك الغابرين وعمل بالسياسة « المكيافيلية » التي تضحي بكل شيء للوصول للهدف المنشود والتاريخ يخبرنا بان السفاح والمنصور والرشيد عبدوا الجادة لأبنائهم ليسيروا من بعدهم على هذا المنهاج اللاحب يؤيد ذلك معاملتهم القاسية لأبناء عمهم العلويين من الظلم والتنكيل والتشريد واستهتارهم بالعرب وتفضيل الأعاجم عليهم مـــن الترك وغيرهم واطراحهم جانباً وحرمانهم من المناصب ورفعهم الى اعلى مراتب الدولة واطلاق أيديهم بخيراتها ومنافعها ومرافقها وتمتعوا بالحقوق الـــتي كان العرب يتمتعون بها واستأثروا بالخطط العالية .

فمن هذه الناحية نجد بين المؤسسين للدولة العباسية وبين من أتي بعدهم تشابهاً في المقاصد والوسائل والغايات لا تختلف في صورها واشكالها مع اختلاف الزمن والأحوال

في هذا الظلام الدامس المحفوف بالأعاصير السياسية ظهر الامام محمد الجواد مع صغر سنه وجلس على منصة آبائه الميامين في مسجد جده النبي العظيم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم في المدينة للوعظ والارشاد والقاء الدروس العلمية لعلمه بان العلم هو السبيل الأوحد لرفع غشاء الجهل عن عيون الأمة في حياتها الدينية والدنيوية فأحيا ميت الآمال باحياء السنة واماتة البدعة واوضح شعائر الدين بحجة واضحة تنير طريق المسترشد وتزيد الراشد ايمانا .

فالامام عليه السلام من خزنة علم آبائه عن جدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لا يتعمل في طلبه ولا يرهف حساً ولا يجد عصباً . وإنما هو الينبوع ينبثق فيجري الماء دفقاً ما يحتاج الى منح مانح ولا ينضب معينه . فكأنه خلق الناس خلقاً جديداً . فهبوا يستنفرون بعضهم بعضاً للاقتداء به بعد ابيه يشدون الرحال لرحابه وينيخون ببابه لينهلوا من بحر علمه الزاخر هدى ونوراً يستضيئون به في العاجلة والآجلة لاعتقادهم بانه لا يرفع شأن العرب الا ابن سيد العرب ولا يؤيد الدين الا ابن خاتم النبيين ولا يبعث روح التوثب والنهوض في نفوس الأمة ويفيض عليها من حلل العز والكرامة . ويدحض حجج المبطلين ويرفع منار الشريعة غير هذا الامام سليل الأئمة المنتجبين . فكان يلقنهم علوم الدين والدنيا للمعاد والمعاش شارحا لهم غوامض المعضلات الدينية محللا لهم ما أبهم عليهم من المشكلات الدنيوية فينقلبون الى اهلهم مسرورين بما آتاهم الله من فضله

كيف لا وهو الامام التاسع من الأئمة الهادين المهديين مفترض الطاعة بالنص الظاهر والأجماع المتواتر ومما قاله ابو العلاء المعري في مدحه

« يا ابن الذي بلسانه وبيانه هدي الأنام ونزل التنزيل »
« عن فضله نطق الكتاب وبشرت بقدومه التوراة والانجيل »
« لولا انقطاع الوحي بعد محمد قلنا « محمد » من ابيه بديل »

وبعد رجوع المأمون الى بغداد كان الامام بالمدينة وعمره تسع سنوات يجلس في المسجد للفتيا والناس ترجع اليه بعد وفاة ابيه

روى المفيد في الارشاد بسنده متصل عن معلى بن محمد قال خرج علي ابو جعفر

حدثان موت ابيه فنظرت الى قده لأصف قامته لأصحابنا فقعد وقال يا معلى ان الله احتج في الامامة بمثل ما احتج به في النبوة فقال تعالى« وآتيناه الحكم صبياً»

وفي السنة العاشرة من عمره وجه المأمون الى ولده الامام الجواد فحمله إلى بغداد وبوصوله اتفق خروج المأمون للصيد فاجتاز بصبيان يلعبون والامام محمد الجواد واقف عندهم ينظر اليهم . فلما رأوا موكب المأمون فروا من طريقه وبقي الامام واقف مكانه وحينما قرب منه الخليفة الذي لايعرفه لأنه لم يكن مع ابيه في خراسان . قال له يا غلام ما منعك من الانصراف كأصحابك . فقال لم يكن الطريق ضيق فأوسعه لك وليس لي جرم فاخشاك . والظن بك حسن لاتضر من لا ذنب له فاعجب بفصاحته وهيئته وأدبه فقال له ما اسمك واسم ابيك فقال محمد بن الامام علي الرضا فاكبره وترحم على أبيه فهاجت عواطفه لذكرى ابيه واغضى على القذى

ولحق المأمون بحاشيته ومعهم بزاة الصيد فلما توسط الصحراء اطلق بازيا على دراجة فغاب عنه صاعداً ثم هبط من الجو يحمل سمكة صغيرة فيها نسيس الحياة فعجب من ذلك وعاد أدراجه فرأى الصبيان والامام عندهم يشاهدهم ولم يشترك معهم ففروا إلا هو فدنا منه الخليفة وقال له أتعلم ما في يدي فقال له يا امير المؤمنين ان الله خلق في بحر قدرته سمكا صغاراً تصيده بزاة الملوك كي يختبر بها ابناء المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كرامة لهم فعندها ترجل عن جواده وضمه الى صدره وقال له انت ابن الرضا حقاً وأخذه معه وأحسن اليه وقربه وبالغ في اكرامه وشغف به كما شغف بابيه من قبل . فكان لا يفارقه في السفر والحضر معجبا بفضله وعلمه وظهور برهانه وقوة حجته

هذه المكرمة من الله لوليه والاكرام من المأمون له ذكرها العلامة الشبلنجي في كتابه نور الابصار وقد وشح بها كتابه المؤرخ المحقق صاحب كشف الغمة علي ابن عيسى الأربلي وغيرهما من المؤرخين .

وهذا الخليفة المأمون المعروف بالعلم والعرفان لا يجهل مكانة الامام الجواد في علمه وفضله وزهده وعبادته . ولم تكن حفاوته به وتقديره له عن عاطفة رحمية

أو سياسة يرمي بها إلى تنفيذ اغراضه الدنيوية كلا وانما هو يعلم ويعتقد به أنه امام عصره بعد آبائه الماضين . وان الله ارحم بعباده ان يتركهم هملا كالقطيع الشارد أو كالأنعام السوائم دون ما وازع رشيد وامام رفيق

لا غرو من قيام المأمون بالواجب لمعرفته بالمقام الذي اقامه الله به قربة وزلفى لله ولرسوله

اخلاقه واطواره

قال الطبرسي في أعلام الورى كان الامام الجواد عليه السلام قد بلغ في وقته من الفضل والعلم والحكم والآداب مع صغر سنه منزلة لم يساوه فيها أحد من ذوي الاسنان من السادة وغيرهم .

ولذلك كان المأمون مشغوفاً به لما رأى من علو رتبته وعظيم منزلته في جميع الفضائل فزوجه ابنته وكان متوفراً على اعظامه وتوقيره وتبجيله له .

وقال المفيد في حقه من الثناء والمديح والاعجاب به مع صغر سنه ما يشبه كلام الطبرسي والشمس لا تحتاج لتعريف

لا يعرف العظيم الا العظيم

لقد بلغ الامام عند المأمون منزلة من الاحترام والاخلاص ليس بعدها زيادة لمستزيد من العلو والرفعة والاكبار ومنذ حل في بغداد وهو تحت رعايته في دار الخلافة يستنير بنور علمه الفياض في مجالسه الخاصة والعامة حتى اذا بلغ اشده عزم على تزويجه من ابنته ام الفضل فأوجس العباسيون خيفة ان يعهد اليه بولاية العهد بعد المصاهرة كما عهد لأبيه فهرعوا اليه مذعورين وقالوا ننشدك الله يا امير المؤمنين أن تتوقف عما عزمت عليه من تزويج ابن الرضا فانا نخاف ان تخرج به عنا أمراً قد ملكناه الله . وتنزع عنا عزاً قد ألبسناه الله وقد علمت ما بيننا وبين آل علي قديماً وحديثاً وما كان عليه الخلفاء قبلك من تبعيدهم والتصغير من شأنهم وقد كنا في وهلة من عملك مع ابيه الرضا حتى كفانا الله المهم من ذلك فالله الله ان

تردنا الى غم قد انحسر عنا واصرف رأيك عن ابن الرضا الى من تراه يصلح من أهل بيتك دون غيرهم

فقال لهم المأمون أما ما بينكم وبين آل علي فأنتم الظالمون لهم ولو أنصفتم القوم لكانوا أولى بكم واما ما كان يفعله من قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم واعوذ بالله من ذلك ووالله ما ندمت على ما كان مني من استخلاف الامام الرضا وقد سألته ان يقوم بالأمر وانزعه من عنقي فأبى علي وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وأما مصاهرتي لأبي جعفر محمد الجواد بن الرضا فقد اخترته لتبريزه على كافة أهل العلم والفضل مع صغر سنه واني ارجو ان يظهر للناس ما قد رأيته ليعلموا اني على حق في تقديره بما هو اهله . فقالوا يا امير المؤمنين هل يجوز ان تزوج ابنتك صبياً لم يتفقه في دين الله ولا يعرف الحلال من الحرام ولا الفرض من السنة فامهله ليتأدب ويتفقه ثم اصنع ما تراه . فقال لهم المأمون ويحكم اني اعرف بهذا الفتى منكم وانه لأفقه منكم وأعلم بالله ورسوله وسننه واحكامه واقرأ لكتاب الله وأعلم بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه وظاهره وباطنه وتنزيله وتأويله منكم وانه من اهل بيت علمه من الله عن جدهم رسول الله ليس في العلوم الدينية فحسب بل في جميع العلوم العقلية والنقلية . وان شئتم فاسألوه ما بدا لكم في اي علم شئتم قالوا قد رضينا بما حكمت يا أمير المؤمنين . فخل بيننا وبينه لنختار من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة فقال لهم المأمون شأنكم وذاك متى أردتم فخرجوا من عنده واجتمع رأيهم على القاضي يحيى بن أكثم على أن يسأله مسألة لا يعرف الجواب فيها ووعدوه بالمال الكثير والعطاء الجزيل وعادوا إلى المأمون فسألوه ان يختار لهم يوماً للاجتماع فأجابهم إلى ذلك وفي اليوم الموعود اجتمعوا وحضر معهم يحيى بن أكثم ليناظره في مجلس الخليفة .

ولما انتظم عقدهم بحضور أركان الدولة وعلمائها وخرج أبو جعفر وجلس في صدر المجلس وقام الناس في مراتبهم وجلس المأمون بالقرب من الامام ليشاهد قوة القاضي يحيى بن أكثم في مناظرته للامام وتقدم ابن اكثم للامام وقال له جعلت فداك أتأذن لي في مسألة فقال له ابو جعفر سل ما شئت فقال ما تقول

يا أبا جعفر اصلحك الله في محرم قتل صيداً .

فقال له أبو جعفر عليه السلام أفصح في مسألتك هل قتله في حلّ او جرم عالما كان المحرم او جاهلا . قتله عمداً أو خطأ . حراً كان المحرم او عبداً . صغيراً كان أم كبيراً . مبتدئاً بالقتل ام معيداً . من ذوات الطير كان الصيد أم من غيرها من صغار الصيد كان ام من كباره . مصراً على ما فعل أو نادما . في الليل كان قتله للصيد في اوكارها أم نهارا وعيانا . محرماً بالعمرة كان اذ قتله او بالحج كان محرماً . فتحير ابن اكثم ووجم وانقطع انقطاعاً عن الجواب ولم يخف على أحد ضعفه وبانت في وجهه امارات العجز وجمجم ولم يقدر ان يتكلم . فنادى المأمون احسنت يا ابن رسول الله الحمد لله على هذه النعمة والتوفيق لي بالرأي ثم التفت الى أهل بيته وذويه من العباسيين وقال لهم أعرفتم ما كنتم تجهلون . وعلمتم ما كنتم تنكرون

ولما ارفض عقد الاجتماع ولم يبق إلا من بقي من الخاصة قال المأمون لأبي جعفر عليه السلام ان رأيت ان تذكر لنا الفقه فيما فصلته من وجوه قتل المحرم للصيد وتعرفنا ما يجب على كل صنف من هذه الأصناف في قتل الصيد لنعلمه ونستفيده فقال الامام نعم ان المحرم اذا قتل صيداً في الحل وكان الصيد من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاة فان أصابه في الحرم فعليه الجزاء مضاعفاً . فاذا قتل فرخاً في الحل فعليه حمل قد فطم من اللبن وليست عليه القيمة لأنه ليس في الحرم واذا قتله في الحرم فعليه الحمل وقيمة الفرخ . وان كان من الوحش حمار وحش فعليه بقرة . وان كان نعامة فعليه بدنة . فان لم يقدر فاطعام ستين مسكيناً . فان لم يقدر فليصم ثماني عشرة يوماً . وان كان بقرة فعليه بقرة . فان لم يقدر فليطعم ثلاثين مسكينا . فان لم يقدر فليصم تسعة أيام . وان كان ظبياً فعليه شاة فان لم يقدر فليطعم عشرة مساكين . فان لم يجد فليصم ثلاثة أيام . فان قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاء مضاعفا هديا بالغ الكعبة . واذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه . وكان احرامه بالحج نحره بمنى حيث ينحر الناس . وان كان احرامه بالعمرة نحره بمكة بفناء الكعبة ويتصدق بمثل ثمنه حتى يكون مضاعفا .

وكذلك اذا أصاب أرنبا أو ثعلبا فعليه شاة ويتصدق بمثل ثمن شاة . وان قتل حماما من حمام الحرم فعليه درهم يتصدق به ودرهم يشتري به علفا لحمام الحرم . وفي الفرخ نصف درهم وفي البيضة ربع درهم . وكلما أتى به المحرم بجهالة او خطأ فلا شيء عليه الا الصيد فان عليه فيه الفداء بجهالة أم بعلم بخطأ كان او بعمد وجزاء الصيد على العالم والجاهل سواء وفي العمد آثم وهو موضوع عنه في الخطأ . والكفارة على الحر في نفسه وعلى السيد في عبده والصغير لا كفارة عليه . وهي على الكبير واجبة والنادم التائب يسقط عنه بندمه عقاب الآخرة والمصر على الذنب ينطبق عليه عقاب الآخرة . والدال على الصيد وهو محرم وقتل الصيد فعليه فيه الفداء فقال له المأمون أحسنت يا أبا جعفر احسن الله اليك فقد أحطت بالموضوع من جميع أطرافه وأمر أن يكتب عنه وقال ان رأيت ان تسأل ابن اكثم مسألة كما سألك لننظر مبلغ علمه . فقال يحيى بن أكثم يسألني فان كان عندي جواب أجبت به وإلا فاكون استفدت منه . فالقى عليه الامام مسألة شرعية في القضاء بصفته قاضي القضاة يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه فلم يحر جوابا . وقال للامام لا أدري ولي بعلمك نبراسا أهتدي به . فعندها كشف له الثام عن وجه الحكم والحكمة فيه وحلل له دقائق المسألة وما اشتبه عليه منها وأقبل المأمون على الحاضرين من أهل بيته معجبا يستطلع طلع رأيهم فقالوا ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء

فالعصبية العباسية التقليدية الموروثة كما سدت المسالك في وجه أبيه الامام الرضا وصدته عن اصلاح شؤون الأمة . واحبطت مساعيه المبرورة فقد وقفت حجر عثرة في طريق ولده الامام الجواد « وعادت حليمة لعادتها القديمة » جامحة في غوايتها ماضية في عمايتها ممعنة في الاساءة . متردية في الباطل حرصا على الملك والملك عقيم والمالك مستأثر وله بأبيه اسوة حسنة . وإذا كان من آيات الحياة في الكائنات تطورها وتجددها ونموها . ولا شك بان من هذه الكائنات علوم الدين والدنيا فقد أحيا الامام معالمها وجدد ما درس من حدودها

وانصرف ابن اكثم ومن تواطأ معه على مناظرة الامام الجواد من مجلس المأمون

يجرون أذيال الخيبة وقد اهتفت آذانهم يسرعون الخطى ليتوارواعن الناس لما حاق بهم من الضعف والوهن والفشل لا يلوون على شيء لعظم ما نالهم من الحيرة والهوس والاضطراب

واقبل بعدها الخليفة المأمون على ابي جعفر قائلا له إني مزوجك ابنتي ام الفضل وان رغم لذلك انوف قم فاخطب لنفسك فقال الامام أبو جعفر . الحمد لله اقرارا بنعمته . والحمد لله اخلاصا لوحدانيته وصلى الله على سيدنا محمد سيد بريته والأصفياء من عترته . أما بعدفقد كان من فضل الله على الأنام . ان أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى « فانكحوا الايامى منكم والصالحين مِن عِبَادكمْ وإمَائكم ان يكونوا فُقَراء يُغنهمُ الله مِنْ فَضله والله واسعٌ عليمٌ » ثم ان محمد بن الامام علي الرضا خطب الى أمير المؤمنين المأمون ابنته أم الفضل وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو خمسماية درهم جياد فهل زوجتني يا أمير المؤمنين إياها على هـذا الصداق المذكور فقال المأمون زوجتك ابنتي ام الفضل على هذا الصداق فقال أبو جعفر قبلت النكاح لنفسي على هذا الصداق المذكورثم أخرج الخدم للحاضرين انواعاً مختلفة من الطيب ووضعت موائد الحلوى وأكل الجميع ووزعت عليهم الجوائز على قدر منازلهم وتقدم الامام أبو جعفر بالصدقة على الفقراء والمساكين . وبقي في دار الخلافة مرجعاً تختلف اليه الناس من أهل العلم والفضل والوجاهة في الأمور الجسام مكرما معظما إلى ان اختار الرجوع بزوجته إلى المدينة المنورة

كرامة ذكرها العلامة الشبلنجي في كتابه نور الأبصار للامام الجواد قال أبو خالد وهو من الثقاة قال كنت بالعسكر فبلغني أن هناك رجلا محبوساً أتي به من الشام مكبلا بالحديد وقالوا أنه قتبأ . فاتيت إلى باب السجن ودفعت شيئاً للسجان حتى دخلت عليه فاذا هو ذو فهم وعقل ولب فقلت له يا هذا ماقصتك فقال إني كنت بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال انه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينما أنا ذات ليلة في المحراب اذكر الله اذرأيت شخصابين يدي وقال لي قم فقمت معه فمشي قليلا وأنا معه فاذا نحن في مسجد الكوفة فقال لي اتعرف

هذا المسجد فقلت نعم هذا مسجد الكوفة قال فصل فصليت معه ثم انصرف وأنا معه ومشينا قليلا فاذا نحن في مكة فطاف وطفت معه وخرج وخرجت معه ومشينا قليلا واذا أنا بموضعي الذي كنت فيه اعبد الله تعالى بالشام وغاب عني وبقيت متعجباً حولا كاملا مما رأيت فلما انقضى الحول وانا في المحراب اقبل علي ذاك الشخص فاستبشرت به فدعاني فأجبته ففعل معي كما فعل في العام الماضي فلما أراد مفارقتي قلت له بحق الذي أقدرك على ما رأيت منك إلا ما أخبرتني من أنت قال أنا محمد بن علي الرضا بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين وغاب عني فحدثت جماعة بهذا الحديث فرفعوا ذلك الى محمد بن عبد الملك الزيات فبعث إلي من أخذني كما ترى فقلت له سأرفع قصتك إلى ابن الزيات فكتبت قصته ورفعتها له فوقع على ظهرها قل للذي أخرجك من الشام إلى هذه المواضع أن يخرجك من السجن قال أبو خالد فاغتممت لذلك من جواب هذا المتجبر وذهبت إلى السجن فاذا أنا بالحرس والموكلين بالسجن في هرج وحيرة فسألت ما الخبر فقيل لي أن الرجل الشامي المتنبىء فقدناه وحده بمفرده . وقيوده والأغلال التي في عنقه ملقاة في السجن ولم ندر كيف خرج فقلت في نفسي عنجهية ابن الزيات وجبره انقذاه من السجن

وجاء في وفيات الأعيان للقاضي ابن خلكان ان الامام ابا جعفر قدم على بغداد وافداً على المعتصم بعد وفاة المأمون ومعه امرأته أم الفضل فتوفي بها وحملت امرأته الى قصر عمها المعتصم

ويسوغ لنا ان نستنتج مما تقدم ان المأمون لم يكن فيلسوفا فحسب ولكنه كان علامة بحاثة وسياسياً فذاً غزير الاطلاع طويل الباع بعيد النظر تأثر بالعلم فملك عليه حواسه وهداه الى الحقيقة التي تنكر لها أسلافه . وعلم أن الحق أحق ان يتبع وعمل على التقرب من أبناء عمه العلويين من أئمة أهل البيت الذين ملكوا ناصية العلم الصحيح الموروث لهم عن جدهم المختار الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله وسلم وجدد القرب اليهم بالمصاهرة ولم تشغله ابهة الملك وعظمة الخلافة عن اظهار عاطفته واعتقاده بهم وقد اعاد بانصافه الالفة بين الهاشميين او كاد

وفاته عليه السلام

روى العياشي في تفسيره عن زرقان صاحب احمد ابن ابي دؤاد قاضي المعتصم العباسي قال رجع ابن ابي دؤاد ذات يوم من عند الخليفة المعتصم وهو مغتم فسألته لماذا فقال وددت اني مت منذ عشرين سنة فقلت لما ذاك فقال لقد افحمني هذا الأسود محمد بن علي بن موسى بن جعفر بين يدي أمير المؤمنين . فقلت وكيف ذلك . فقال ان سارقا اقر على نفسه بالسرقة وسأل الخليفة تطهيره باقامة الحد عليه فجمع الفقهاء والعلماء . واحضر الامام الجواد فسألنا عن القطع من اين يجب أن يقطع فقلت من الكرسوع « وهو طرف الزند الناتيء مما يلي الخنصر » فقال الخليفة وما الحجة في ذلك فقلت لأن اليد هي الأصابع والكف الى الكرسوع لقول الله تعالى في التيمم « فامسحوا بوجوهكم وايديكم » واتفق معي قوم وقال آخرون . بل يجب القطع من المرفق لأن الله قال وأيديكم الى المرافق . دل على ان حد اليد الى المرافق . فالتفت الخليفة الى محمد بن علي وقال ما تقول في هذا يا أبا جعفر فقال له قد تكلم القوم . قال دعني مما تكلموا به . قال أعفني من هذا . قال أقسمت عليك بالله لما اخبرت بما عندك في هذا الحد . فقال اما اذا اقسمت علي بالله فاني أقول انهم أخطأوا فيه السنة . فالقطع يجب ان يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكف . قال وما الحجة في ذلك قال قال رسول الله (ص) السجود على سبعة أعضاء الوجه واليدين والركبتين والرجلين فاذا قطعت يده من الكرسوع او المرفق لم يبق له يد يسجد عليها وقال الله تعالى « وان المساجد لله » يعني به هذه المساجد السبعة التي يسجد عليها وما كان لله لم يقطع

وقد جاء بالحكم الشرعي منه كما أمر الله وخرجت انا والعلماء والفقهاء مدحورين وقال له المعتصم هذا هو الحق وقطع يد السارق كما قال

وبعد ثلاثة ايام قلت للمعتصم يا أمير المؤمنين ان ابا جعفر هو الامام التاسع من أئمة أهل البيت يقود شطر الأمة بامامته ويدعون انه أولى منك بهذا المقام فتدبر الأمر وعمل على قتله بالسم ولا حول ولا

« يلومني في هوى أبناء فاطمة قوم وما عدلو بالله إذ عذلوا »
« ان خفت في هذه الدنيا بحبهم فما علي غداً خوف ولا وجل »

شذرات من كلامه عليه السلام

إن لله عباداً يخصهم الله بدوام النعم فلا تزال فيهم ما بذلوها فان منعوها نزعها الله منهم وحولها إلى غيرهم

ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت اليه حوائج الناس فمن لم يتحمل تلك المؤونة عرض تلك النعمة للزوال

من استفاد اخا بالله فقد استفاد بيتاً في الجنة ولو كانت السماوات والأرض رتقا على عبد اتقى الله لجعل الله له منها فرجا

من استغنى بالله افتقر الناس اليه ومن اتقى الله احبه الناس

العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء

العلماء غرباء لكثرة الجهال بينهم

الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت

مقتل الرجل بين فكيه والرأي مع الأناة . وبئس الظهير الرأي الفطير

ثلاث خصال تجتلب بهن المودة الانصاف في المعاشرة والمواساة في الشدة والانطواء على قلب سليم

الناس اشكال وكل يعمل على شاكلته .

والناس اخوان فمن كانت اخوته في غير ذات الله فانها تعود عليه عداوة لقوله تعالى « الأخلاء بعضهم لبعض عدوّ إلا المتقين »

الشريف كل الشريف من شرفه علمه . والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى ربه

كفر النعمة داعية المقت . ومن جازاك بالشكر فقد اعطاك اكثر مما أخذ منك . كفى بالمرء خيانة ان يكون أمينا للخونة

اياك ومصاحبة الشرير فانه كالسيف المسلول يحسن منظره ويقبح أثره

الحوائج تطلب بالرجاء . وهي تنزل بالقضاء والعافية احسن عطاء

لا تكن ولياً لله في العلانية . وعدواً له في السر . والتحفظ على قدر الخوف والايام تهتك لك الأمر عن الأسرار الكامنة

تأخير التوبة اغترار وطول التسويف حيرة . والاعتلال على الله هلكة . والاصرار على الذنب أمن لمكر الله (ولا يأمنُ مكرَ الله إلاالقَومُ الخاسرون)

من أطاع هواه اعطى عدوه مناه . نعمة لا تشكر سيئة لا تغفر

الثقة بالله تعالى ثمن لكل غال . وسلم لكل عال

الفصل الثالث عشر

في سيرة الامامين الهادي والعسكري

الامام ابو الحسن علي الهادي

ولد سنة ٢١٤ هـ ٨٥٩ م وتوفي سنة ٢٥٤ هـ ٨٩٨ م

الامام علي الهادي بن محمد الجواد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم الأمين ابن جعفر الصادق الطاهر بن محمد الباقر الشبيه بجده المصطفى بن علي ذي الثفنات بن الحسين الشهيد سبط خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم بن علي المرتضي عليه السلام وأمه سمانة المغربية المعروفة بأم الفضل وألقابه الهادي والنقي والناصح والطيب والمتوكل . وقد نهى اصحابه عن تلقينه بالمتوكل لكي يرفع الاشتباه بينه وبين جعفر المتوكل العباسي

شاعره ابن حماد وبوابه عثمان بن سعيد ولد في ضاحية المدينة في قرية صريا التي أسسها جده الامام موسى بن جعفر تبعد عن المدينة ثلاثة أميال كما جاء في مناقب ابن شهر اشوب وتوفي في سر من رأى « سامراء » مسموما ودفن في داره في خلافة المعتمد العباسي سنة ٢٥٤ هـ وولادته سنة ٢١٤ هـ نقش خاتمه « من عصى هواه بلغ مناه » أولاده خلف من الاولاد ابنه ابا محمد الحسن العسكري والحسين وجعفراً وهو الذي ادعى الامامة بعد اخيه الحسن العسكري وكان من الخاسرين وابنته عليه

وله في سامراء مقام عظيم تعلو ضريحه قبة كالطود الشامخ في الفضاء تفاضل القبة الزرقاء تجللها هالة من أنوار الهداية ترسل اشعتها العسجدية تباعاً حينما تنعكس الشمس عليها الى المكان البعيد لكي تهدي المسترشد الى الصراط المستقيم

يرقد تحتها هو وولده الامام الحسن الملقب بالعسكري والد الامام المهدي المنتظر عجل الله ظهوره وتأييده وتسديده تتجلى روحانية هذه الروضة المباركة في في نفوس زائريها الذين لا يحصى عددهم فيندفعون بتأثير داخلي برفع أصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير

عاصر من الخلفاء العباسيين الواثق ثم اخوه المتوكل ثم ابنه المنتصر ثم المستعين ابن اخي المتوكل ثم المعتز ثم المعتمد الذي استشهد في أيامه مسموما

وفي عهد هؤلاء الخلفاء كانت الامبراطورية العربية الاسلامية تموج بالفتن والدسائس وتعج بالثورات والقلاقل . وتزخر بالترف والنعيم جلس جعفر المتوكل على الله على العرش سنة ٢٣٢ هـ وقد دب الضعف في جسم الدولة . واستولى عليها الوهن وتبدلت الاوضاع السياسية والدينية فساد الجهل والشقاء بفساد الاخلاق وهما آفة الاجتماع ونذير الانهيار

ولا غرو في ان بعض المبررات المعقولة وان كان توفرها كثيراً ما تم بمعاونة الظروف والاتفاقات التي تجيء في نتائجها منطبقة على احكام عامة توضح حقيقة العوامل المنطقية التي رفعت دولا وطوحت بآخرين

« يقضي على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن »

لقد قبع المتوكل في قصره في سامراء مسروراً محظوظاً بين القيان والندمان وبنت الحان والفوضى ضاربة أطنابها والقتل والاعتقال على الظن والتهمة من اصغر الجرائم ومال الأمة يذهب هباء وفي هذا الجو المظلم نشطت الجواسيس لايقاظ الضغائن والأحقاد بين العلويين والعباسيين فأثاروا الفتنة واستحكم الجفاء واستعصى الداء بين الهاشميين وقد صادفت السعايات والوشايات هوى في نفس الخليفة الذي يحمل قلبا بين جنبيه مفعما بالعداوة لابناء عمه العلويين ليس للاحياء منهم فحسب بل للأموات ايضا .

« غلب الوهم عليه فغدا سيء الظن لما يهوى ظلوم »

ويزيدنا اعتقاداً بالمتوكل وما كان يظهره من الحقد ما رواه المؤرخ محمد بن جرير الطبري ان مروان المعروف بأبي السمط انشده قصيدة يعرض فيها بالعلويين فعقد له على البحرين واليمامة وخلع عليه اربع خلع وأمر له بثلاثة آلاف دينار ومنها

« ملك الخليفه جعفر للدين والدنيا سلامه »
« لكم تراث محمـــد وبعدلكم تنفى الظلامه »
« يرجو التراث بنو البنا ت وما لهم فيه قلامه »
« والصهر ليس يوارث والبنت لا ترث الامامه »

بيد ان هذه الحياة الحافلة بكل شيء من نافع ومؤذ مغذ للروح أو قاض عليها هذه الحياة المصطخبة المتأججة تحفزنا للتدبر في دروس وعبر تمثلت على صفحة الدهر فالدولة العباسية تأسست على العصبية العلوية لتأييد الدين وقمع الجور والظلم وصرفت عن أهلها إلى بني العباس الذين قام منهم أفراد لم يتجاهروا بالمعاصي ولم يتمردوا على الدين .

ومرت الأيام والسنون « فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات » فالمقاييس الاجتماعية والسياسية اختلت في عهد المعتصم باستيلاء المرتزقة من الطورانيين على القوة التنفيذية ومن ذلك الحين ظهر الانحلال والاضمحلال وازداد الطورانيون عتواً

فلا عجب إذا رأينا المتوكل آلة صماء بيد الفتح بن خاقان وزميله وصيف وبغا والدعي علي بن الجهم وأضرابهم من الطفيليين الذين « لا يتناهون عن منكر فعلوه » وناهيك بدولة وطد دعائمها السفاح والمنصور بحزمهما وعزمهما تتلاعب بمقدراتها حثالة من الناس ورجال العرب المغاوير ومراتهم أحلاس بيوتهم لا حول لهم ولا طول مبعدون عن دار الخلافة لأن جعفر المتوكل اعلن حربا شعواء ليس على ابناء عمه فحسب بل على التفكير الحر وعلى رجال العلم ونكل بفلاسفة العرب وعلمائهم وأدبائهم وقتل الوزير ابن الزيات والفيلسوف الأديب ابن السكيت وغيرهما من الفطاحل وتفرق العلماء خوفاً وفرقاً الى البلاد النائية .

ولما كان الامام علي الهادي هو الامام العاشر من هذه الشجرة الزكية المباركة من أئمة اهل البيت النبوي ومن أولياء الله وانصار دينه وحماة الحق وذادته طاعته فريضة بالنص الجلي عن أبيه التقي بالاجماع وشواهد الحال ناطقة بامامته وسيرته منذ نعومة أظفاره الى نهاية حياته لأنه وارث علوم آبائه المنتجبين عن جدهم سيد المرسلين صلى الله عليه وعليهم اجمعين

اخباره واحواله

كان عليه السلام إماما باراً هاديا مهديا شجاعاً كريماً فصيحا لا يكثر في هذر ولا يصمت مفحما يعتصم بالتقوى . فلا يحل ولا يحرم إلا بوحي الدين الحنيف عرف برحابة صدره وغزارة علمه نقي الثوب طاهر الأزار سليم دواعي الصدر جلس على سدة الشرع بعد أبيه بالحرم النبوي الشريف واجتمع حوله العلماء والمتعلمون يقتدون بعلمه ويستضيئون من مشكاة فضله ويغترفون ما يبتغونه من علوم الدنيا والدين . وتوالت عليه الوفود من جميع الاقطار يتبركون بطلعته ويتقربون إلى الله بزيارته ويستفتونه بما اشكل عليهم واستغلق أمره عنهم فاستنارت قلوبهم وازدادوا إيمانا على إيمانهم وطاب المصدر والمورد وازدهرت معالم الدين بعد الذبول . واشرقت شمس الشريعة بعد الأفول وعم الرخاء واخصب الجناب وامرع في كل قطر ومصر ببركة هذا الامام التقي الهادي للحق

فلم يرق ذلك لعبد الله بن محمد العباسي عامل الخليفة بالمدينة وقد تأكل قلبه حسداً وغيظاً فسعى بالامام ابي الحسن الى المتوكل منتقما منه . وعلم الامام بوشايته وبما ينطوي عليه كتابه من الافتراء فكتب إلى المتوكل يشكوه متألماً من تحامل عبد الله بن محمد عليه

فكتب اليه المتوكل جواباً ليناً يعتذر له عما صدر من عامله ويدعوه إلى زيارته بكلام معسول ظاهره اللطف والكياسة وباطنه مخبئات السياسة .

فلم ير الامام بدا من الاجابة . وتجهز للرحيل وبعد خروجه طلع عليه هرثمة ابن اعين احد قواد جعفر المتوكل ومعه الجند حافين به مواكبين الامام الى ان

حل في سر من رأى عاصمة الخلافة الجديدة فأنزلوه في دار اعدت له هو وحاشيته وفرضوا عليه الاقامة الدائمة .

وكانت معاملة المتوكل له بين الشدة واللين تتبدل وتتغير تارة يحترمه ويعظمه بما هو اهله ويستشيره في بعض شؤونه وتارة يتربص به الدوائر وينصب له الحبائل حياة جاهمة ومعاملة قاسية واحتقار زائد وايذاء ظاهر وقد لج في غلوائه وامعن في اساءته للحاضرين والغابرين

اخباره مع المتوكل

وذكر الطبري في تاريخه . ان المتوكل امر بهدم ضريح الحسين الشهيد في كربلا سنة ٢٣٦ هـ وهدم ما حوله من الدور والمنازل وان يحرث ويبذر ويسقى موضع قبره وان يمنع الناس من زيارته . وامر صاحب شرطته ان ينادي في الناحية من وجدناه عند القبر بعد ثلاثة أيام بعثنا به الى المطبق فهرب الناس وامتنعوا عن زيارته

وسعي بأبي الحسن الى المتوكل بأن في منزله سلاحا وعتاداً وكتباً من أصحابه فوجه اليه ليلا بكتيبة من الجنود الأتراك تسوروا الجدران عليه وهجموا على منزله على حين غفلة ممن في داره . فوجدوه في غرفة وعليه مدرعة من شعر ولا بساط في الغرفة غير الرمل والحصى وعلى رأسه عمامة من صوف متوجها الى ربه يترنم بآيات من القرآن في الوعد والوعيد فأخذ على ما وجد عليه في جوف الليل الى المتوكل وهو في مجلس لهوه يعاقر الشراب وبيده كأس يحسوه ومذ علم انه لم يكن شيء في منزله مما قيل فيه ولم ير حالة يتعلل بها عليه أعظمه وأجلسه الى جانبه وناوله الكاس الذي في يده فقال له اعفني والله ما خامر لحمي ولا دمي قط فأعفاه وقال له انشدني شعرا فقال له اني قليل الرواية للشعر فقال له لابد ان تنشدني شيئاً فانشده

« باتوا على قلل الاجبال تحملهم غلب الرجال فما أغنتهم القلل »
« واستنزلو بعد عز من معاقلهم فأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا »

إلى آخر الأبيات فخاف من حضر على الامام من خنزوانته وتجبره وظنوا

ان بادرة تبدر منه اليه ولكنه بكى وأمر برفع الشراب وقال له يا ابا الحسن أعليك دين قال نعم اربعة آلاف دينار فدفعها له ورده إلى داره مكرماً

هكذا كان المتوكل يعامل أولياء الله من ابناء بنت نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فالأحياء منهم بالتخويف والارهاب فالامام الهادي انتزعه من وطنه في مدينة جده المصطفى انتزاعاً واستعمل الحيلة في اخراجه من بلد دب ودرج في احيائها وعاش في ارجائها واستقدمه الى سامراء وفرض عليه الاقامة الدائمة ووضعه تحت المراقبة خوفاً منه على التاج والصولجان والامام لم يدر في خلده مزاحمته على ملك فاسد لا يرجى إصلاحه . والاموات عمل على انتهاك حرمة مراقدهم المشرفة ومنع الناس من زيارتهم تشفياً وانتقاماً لامبرر له البس في هذا التمادي في العدوان زيغ عن وضع المحجة . واغراق جاوز القصد واسراف في الغواية

وفي مناقب ابن شهراشوب قال المتوكل لابن السكيت سل ابن الرضا مسألة عوصاء بحضرتي فسأل الامام لم بعث الله موسى عليه السلام بالعصا وبعث عيسى عليه السلام بابراء الاكمه والأبرص واحياء الموتى وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن والسيف فقال ابو الحسن بعث الله موسى بالعصا واليد البيضاء في زمن الغالب على اهله السحر فأتاهم من ذلك ما قهر سحرهم وبهرهم وأثبت الحجة عليهم وبعث عيسى بابراء الاكمه والأبرص واحياء الموتى باذن الله في زمن الغالب على اهله الطب والمباهات بالاطباء وقد احيا الموتى باذن الله فقهرهم وبهرهم . وبعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن والسيف في زمن الغالب على اهله الشعر والسيف فأتاهم من القرآن الزاهر والسيف القاهر ما بهر بـه شعرهم وكسر حدة سيوفهم وأثبت الحجة عليهم .

فقال ابن السكيت فما الحجة الآن قال العقل يعرف به الكاذب على الله فيكذب .

فقال يحيى بن اكثم ما لابن السكيت ومناظرته . وانما هو صاحب نحو وشعر ولغة ورفع قرطاساً فيه مسائل مكتوبة أملاها على الامام الهادي في مجلس المتوكل ووزراءه ورجاله . وطلب منه الجواب عليها يقترح فيها تفسير بعض الآيات من

الذكر الحكيم ما بين مكية ومدنية تشابه عليه معناها ومبناها اذ لا يعلم تفسيرها ولا تأويلها الا الله والراسخون في العلم . ويسأله ايضا عن بعض الاحكام الشرعية وعللها في التشريع . ويسأله عن بعض الأحاديث النبوية ويسأله عن يوم الجمل وصفين وعمن حارب علياً عليه السلام . ولماذا كان حكمه على محاربيه في صفين غير حكمه على محاربيه يوم الجمل فتناولها الامام واحدة واحدة وأجاب عليها على البديهة واندفق كالبحر الزاخر يجلو غوامضها ويظهر اسرارها ويفصح ما استعجم ويفتح ما استغلق فدحض الشبهات ونسخ العمايات فانقشع الظلام وأزال الارتياب بحجة قوية تبعث على الاقناع فانكمش ابن اكثم وتغضن وجهه وتضاءل وتصاغر وأذعن واستسلم وخنع وبخع وهمس في اذن المتوكل حق علينا الغلب اليوم فالمناظرة مع ابن الرضا ترفع شأنه وتكثر جمعه فالفلج والظفر يزيده جرأة واقداما وعلوا واحتراما

لست غالياً ولا متزايداً اذا قلت بعصمة الامام الهادي من الخطل والزلل في القول والعمل لأنه يحمل في صدره الرحب من علوم آبائه ما يفيض بالحكمة وفصل الخطاب وله من عناية ربه به من الأسرار الآلهية ما يخوله الاتيان بالمعجزات والكرامات واذا استعرضنا تاريخ حياته الذي افناه بالعبادة والزهد والصبر ونشر العلم وتأييد الدين نقطع بأنه عاش في طاعة الله ومن اطاع الله اطاعه كل شيء

فالانسان مهما يرزق من شدة العقل ويؤتى من قوة الخيال لايستطيع ان يتصور شيئاً لم يقع عليه حسه وكيف له بهذا والحس وحده هو السبيل لادراك الواقع ودنيا الانسان ما يرى ويسمع وما يدرك من الحقائق بحواسه الأخرى .

وقد حقق الامام الهادي عليه السلام ما وقع عليه الحس واستراحت له الحواس الخمس واطمأنت له النفوس بما منحه الله من الملكات الراسخة في نفسه يبغي بها تعريف الخلق بخالقهم معرفة تقربهم اليه زلفى عكف على البحث العلمي في كتاب الله فاستخرج من آياته البينات وعكف على عبادة ربه فأتى بالمعجزات وما هو إلا شخصية تهدي الناس الى سبل الخير والرحمة والاصلاح

ويحدثنا المسعودي في اثبات الوصية . ان بريحة العباسي صاحب الصلاة

بالحرمين كتب الى المتوكل ان كان لك في الحرمين حاجة . فاخرج علي بن محمد الجواد منها فانه قد دعا الناس لنفسه واتبعه خلق كثير .

وتابع بريحة الكتب يضرب على هذا الوتر الحساس وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص قال علماء السير . انما اشخصه المتوكل من المدينة الى بغداد لأن المتوكل كان يبغض علياً وذريته فبلغه مقام علي الهادي بالمدينة وميل الناس اليه فخاف منه . فدعى يحيى بن هرثمة وقال اذهب الى المدينة وانظر في حاله واشخصه الينا .

قال يحيى فذهبت الى المدينة . فلما دخلتها ضج اهلها ضجيجاً عظيما ما سمع الناس بمثله خوفاً على الامام لأنه كان محسناً اليهم يفيض عليهم من فواضل ماله خيرا كثيراً ملازماً للمسجد للعبادة والعمل بما ينفع الناس ولم يكن عنده ميل للدنيا ومذ رأيتهم بهذا الولاء والاخلاص جعلت اسكنهم . وأحلف لهم اني لم أؤمر فيه بمكروه . ثم فتشت منزله فلم اجد فيه الا المصاحف والأدعية وكتب العلم . فازداد اكبارا في عيني وتوليت خدمته بنفسي

كلامه في تنزيه الباري تعالى

فمما جاء عنه في تنزيه الباري ما رواه الحسن بن علي بن شعبة في كتاب تحف العقول انه قال . ان الله لا يوصف الا بما وصف به نفسه . والى يوصف الذي تعجز الحواس ان تدركه . والاوهام ان تناله . والخطرات ان تحده . والأبصار عن الاحاطة به نأى في قربه . وقرب في نأيه كيّف الكيف بغير ان يقال كيف . وأين الأين بلا ان يقال أين هو منقطع الكيفية والأينيه الواحد الأحد جل جلاله وتقدست اسماؤه

وهنا يحدثنا عبدالله بن جعفر الحميري وقد ذكر هذا الحديث ابن شهراشوب في المناقب وجاء في الخرائج أيضا وهو ان امرأة اسمها زينب زعمت انها بنت امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فأحضرها المتوكل وقال لها اذكري نسبك فقالت انا زينب بنت علي وقد حملت الى الشام ووقعت في بادية بني كلب واقمت بين ظهرانيهم فقال لها المتوكل ان زينب بنت علي توفاها الله قبل مائة وخمسين

سنة وانت شابة لا ينطبق ادعاءك على الحق . فقالت لحقتني دعوة رسول الله بأن يرد علي شبابي في كل خمسين سنة فدعا المأمون آل ابي طالب وآل العباس وتداول معهم بالأمر فاستنكروه . فقال الفتح بن خاقان ليس لها إلا ابن الرضا يعني الامام الهادي عليه السلام فدعاه المتوكل وقال اسمع من هذه ما تقول فسمع منها وقال للمتوكل ان لولد فاطمة علامة قال وما هي قال لحومهم محرمة على السباع فالقها إلى السباع فان كانت من ولد فاطمة فلا تضرها . فقالت الله الله في دمي انني زينب الكذابة

وكان علي بن الجهم من حاشية المتوكل فقال يا امير المؤمنين جرب هذا القول على قائله فصادف كلامه هوى في قلب المتوكل . فاجيعت السباع ثلاثة أيام ودعي الامام الهادي واخرجت السباع فلما رأته لاذت به وتبصبصت باذنابها فلم يلتفت الامام اليها وصعد السلم وجلس الى جانب المتوكل ثم نزل من عنده والسباع تبصبص حوله وتلوذ به حتى خرج فلما شاهد ذلك ابن الجهم سقط في يده وكسر في ذرعه .

مؤلفاته كثيرة ومنها رسالته في الرد على اهل الجبر والتفويض واثبات العدل أوردها الحسن بن علي بن شعبة الحلبي في تحف العقول . وقطعة في أحكام الدين ذكرها ابن شهر آشوب في المناقب عن الخيبري . وأجوبته ليحيى بن اكثم عن مسائله وهذه ايضا اوردها الحلبي في تحف العقول

يؤلمني وأيم الله من القاضي يحيى بن اكثم الذي حامت حوله الريب والاشاعات المعروف بمجونه وخبث سيرته لوقوفه موقف السائل المتعنت للامام الهادي وهو لا يجهل ما قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حق « اهل البيت » لا تعلموهم فانهم اعلم منكم » ولكنه قصد معايات الامام ولم يكن نصيبه الا الخذلان والخسران وحسبك ما كان ينشده المأمون معرضا به من قصيدة طويلة في تعداد مثالبه

« قاض يرى الحد في الزناء ولا يرى على من يلوط من باس »

ولما سئل المأمون عن سبب تنحيه ابن اكثم وعزله من القضاء قال « لاأترك

قاضيا يشرب النبيذ ، كما جاء في كتاب عصر المأمون للعلامه الدكتور الرفاعي

وروى ابن شهر اشوب في المناقب عن ابي محمد الفحام قال سأل المتوكل ابن الجهم من اشعر الناس فذكر الشعراء في الجاهلية والاسلام ثم سأل أبا الحسن عليه السلام فقال له الشاعر الحماني حيث يقول

لقد فاخرتنا من قريش عصابة ... بمط خدود وامتداد أصابع
فلما تنازعنا المقال قضى لنا ... عليهم بما تهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا ... عليهم جهير الصوت في كل جامع
فان رسول الله احمد جدنا ... ونحن بنوه كالنجوم الطوالع

فقال المتوكل وما نداء الصوامع يا أبا الحسن قال اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد جدي ام جدك فضحك المتوكل ثم قال هو جدك لا ندفعك عنه

ومن اعجب العجب ان هناك شبابا من العرب تثقفوا في اوربا ورجعوا الى اوطانهم ينكرون تراثهم العلمي وينتقدون لغتهم التي لم يحذقوا شيئاً منها ولم يظهروا فيها على شيء من آداب اهل اوربا ولكن بهرتهم صنعة اولئك فراحوا يقلدونها ويحذون حذوها ليكونوا من المجددين وما التجديد في نظرهم الا الاتيان بالغريب الشامس في صوره واخيلته ومعانيه ويا ليتهم عملوا على احياء آثار السلف الصالح الذي تأسست عليه حضارة الغربيين

ويخبرنا خيران الاسباطي قال قدمت على الامام الهادي بالمدينة قبل انتقاله الى سامراء فقال لي ما خبر الواثق العباسي قلت في دعة وعافية فقال يقولون انه قد مات ثم قال مافعل جعفر يعني المتوكل قلت تركته بالسجن قال هو المالك ثم قال ما فعل ابن الزيات الوزير قلت الأمر أمره . فقال لا بد ان تجري مقادير الله واحكامه . يا خيران مات الواثق وجلس مكانه جعفر المتوكل وقد قتل ابن الزيات قلت متى جعلت فداك قال بعد خروجك بستة ايام فتعجبت ولم استغرب ظهور المعجزات فقد رأيت منه كثيراً مثل هذه

لا عجب ولا استغراب فالائمة الهداة أهل الكرامات ولا أستطيع الاحاطة

والافصاح عن كنه ماهية هذا الامام المتحدر من شجرة النبوة الوارفة الظلال ومع اعترافي بالعجز لا يسعني الا التنويه بفضله فقد زانه الله بعلم لاينفذ . وفضل لا يبارى وأخلاق كالعسل المصفى ووهبه الله الحلم والاناة والتقوى والصبر عاش بعيدا عن وطنه في بيئة موبوءة بشتى الأمراض الاجتماعية مكرهاعلى الاقامة الجبرية صابراً محتسباخائفا مترقباً عاملابطاعة الله يأمر بالمعروف فلا يسمعون وينهى عن المنكر فلا ينتهون حتى دعاه ربه الى جواره فلباه وله بآبائه الطاهرين اسوة حسنة

« ان كنت تمدح خير النا س فه لا لعله »
« فاقصد بمدحك قوماً هم الهداة الأدله »
« إسنادهم عن أبيهم عن جبرئيل عن الله »

شذرات من كلامه عليه السلام

من جمع لك وده ورأيه فأجمع له طاعتك .

الشاكر اسعد بالشكر منه بالنعمة التي أوجبت الشكر ، لأن النعم متاع والشكر نعم وعقبى . من هانت عليه نفسه فلا تأمن شره .

الدنيا سوق ربح فيه قوم وخسر آخرون . الغنى قلة تمنيك والرضا بما يكفيك الناس في الدنيا بالأموال ، وفي الآخرة بالأعمال .

اذكر مصرعك بين يدي اهلك لاطبيب يمنعك ولا حبيب ينفعك .

من رضي عن نفسه كثر الساخطون عليه .

المصيبة للصابر واحدة ، وللجازع اثنتان . الفقر شره النفس ، وشدة القنوط .

من أطاع الله لم يبال سخط المخلوقين ، ومن اسخط الخالق فليوقن ان يحلّ به الخالق سخط المخلوقين . الحسد ماحي الحسنات جالب المقت والعجب صارف عن طلب العلم . داع إلى الغمط والجهل . والبخل اذم الأخلاق . والطمع سجية سيئة . الهزء فكاهة السفهاء ، وصناعة الجهال . والعقوق يعقب القلة ، ويؤدي إلى الذلة . إياك والحسد فإنه يظهر فيك ، ولايعمل في عدوك .

المراء يفسد الصداقة القديمة ، ويحل العقدة الوثيقة ، وأقل ما فيه أن يكون

فيه المغالبة ، والمغالبة أس اسباب القطيعة .

العتاب مفتاح التقالي . والعتاب خير من الحقد . الغضب على من تملك لؤم الحكمة لاتنجع في الطباع الفاسدة .

« وقال للمتوكل في جواب كلام دار بينهما » لا تطلب الصفاء فيمن كدرت عليه ، ولا الوفاء بمن غدرت به ، ولا النصح بمن صرفت سوء ظنك اليه . فإنما قلب غيرك كقلبك اليه

وقال عليه السلام ابقوا النعم بحسن مجاورتها ، والتمسوا الزيادة فيها بالشكر عليها . واعلموا ان النفس اقبل شيء لما أعطيت وأمنع شيء لما منعت

من أمن مكر الله وأليم أخذه تكبر حتى يحل به قضاؤه . ونافذ امره . ومن كان عليه بينة من أمره هانت عليه مصائب الدنيا ، ولو قرض ونشر .

ان الظالم الحاكم يكاد أن يعفي على ظلمه بحلمه . وأن الحق السفيه يكاد أن يطفيء نور حقه بسفهه .

الامام ابو محمد العسكري عليه السلام

ولد سنة ٢٣٢ هـ ٨٤٧ م وتوفي سنة ٢٦٠ هـ ٨٧٤ م

الامام حسن العسكري بن الامام علي الهادي بن الامام محمد الجواد بن الامام علي الرضا بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي السجاد بن الامام الحسين سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بن أمير المؤمنين علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين

وأمه ام ولد يقال لها سليل وكانت من العارفات الصالحات قال المسعودي في اثبات الوصية انها لما أدخلت سليل ام أبي محمد علي الامام الهادي قال سليل مسلولة من الآفات والعاهات والأرجاس والأدناس : وكنيته أبو محمد

والقابه العسكري وكان هو وأبوه وجده كل منهم يعرف في زمانه بابن الرضا ومرّ في سيرة أبيه انه كان أيضاً يعرف بالامام العسكري لسكناهما في سامرا في العسكر ونقل ابن شهر آشوب القابه الخالص والسراج المضيء والرفيق والزكي وفي مطالب السؤول لقبه الخالص . نقش خاتمه . سبحان من له مقاليد السماوات

والأرض » بوابه عثمان بن سعيد العمري وابنه محمد شاعره ابن الرومي

ومن ثقاتـه داود بن القاسم الجعفري « وهو الذي عاصر خمسة من الأئمة » وعبد الله بن جعفر الحميري القمي ومن أصحابه محمد بن الحسن الصفار وعبدوس العطار وغيرهم من الزهاد والعباد وحملة العلم المعروفين

ولد بالمدينة المنورة سنة ٢٣٢ وتوفي سنة ٢٦٠ هـ وجاء في كتـاب الفصول المهمة لما توفي الامام العسكري في سامرا وذاع الخبر ارتجت جميع الأنحاء العراقية وعطلت الأسواق واغلقت الدكاكين وركب بنو هـــاشم من علويين وعباسيين والقضاة والكتاب ورجال الدولة وسائر الناس لتشييع جنازته بالبكاء والنحيب والحسرات والجماهير تهتف هتافات عدائية ضد الظالمين وظاهرة الحقد في الوجوه تعرب عما تكنه الضمائر للعباسيين والطورانيين وكان يوماً مشهوداً جمع الخلائق في صعيد واحد ودفن مع أبيه بسامرا

لقد دفن عليه السلام مع أبيه الهادي في تربة تسامت قدراً وعلت شرفاً بمرقدهما وما هي إلا روضة من رياض الجنة طابت وزكت وأصبحت مثابة للناس تؤمها من كل حدب وصوب فالوفود تترى لهذه البقعة المباركة لزيارتهما وتعظيما لجدهما صلى الله عليه وآله وسلم القائل « أذكركم الله في أهل بيتي »

فالزائر لمشهدهما يستشعر الرهبة والمهابة والخشوع وتغمره روحانية لايعلم سر كنهها تزيد المؤمن ايماناً وتبعث في نفسه الاكبار والتعظيم لله تعالى والولاء لهما وينقلب إلى أهله مسروراً بالقبول قوي الايمان ثابت الجنان تحرسه ملائكة الرحمن

فالامام العسكري هو الامام الحادي عشر من أئمة أهل البيت بالنص الثابت عن أبيه عن ابائه عليهم السلام . ويا ليت الشباب العربي المثقف تثقيفاً عالياً على الطريقة العصرية الذي يتضاعف عدده كل عام يدرس ترجمة أحوال السلف الصالح من أئمة المسلمين أمثال هـــذا الامام اسوة بدراسته لترجمة تولستوي الروسي وشيشرون الروماني وأضرابهما من علماء أوربا فتتسع مداركهم ويعلمون مايجهلونه عنهم ولعل الله سبحانه وتعالى يعصمهم من قطع الصلة بينهم وبين رجال رضي الله عنهم ورضوا عنه لا يقاس بهم غيرهم علماً وعملاً وحلماً وكرماً

صفة الامام في خلقه وخلقه

قال صاحب الفصول المهمة صفته بين السمره والبياض . ووصفه أحمد بن عبيد الله بن خاقان بأنه أسمر اللون أعين حسن القامة جميل الوجه جيد البدن له جلالة وهيبة

صفته في أخلاقه . قال أحمد بن عبيد الله بن خاقان كما يأتي قال مارأيت ولا عرفت اماماً مثله وقد عرفت جميع الهاشميين من العلويين والعباسيين فلم أر مثل الحسن بن علي بن محمد بن الرضا عليهم السلام ولا سمعت به في هديه وسكونه وعفافه وعلمه ونبله وكرمه عند أهل بيته وعند السلطان وعند جميع بني هاشم وتقديمهم إياه على ذوي السن منهم والخطير فيهم . وكذلك القواد والوزراء والكتاب والقضاة والفقهاء وسائر الناس الا وجدته عندهم بغاية الاجلال والاعظام والمحل الرفيع والقول الجميل والتقديم له على أهل بيته ومشايخه وغيرهم ولم أر له ولياً ولا عدواً الا وهو يحسن القول فيه والثناء عليه . وقال أبوه عبيد الله بن خاقان في ذلك الحديث كما يأتي لو زالت الخلافة عن بني العباس ما استحقها من بني هاشم غيره فإنه يستحقها في فضله وعفافه وهديه وصيانة نفسه وزهده وعبادته وجميل أخلاقه وصلاحه

وجاء في الجزء السابع من تاريخ الكامل لابن الاثير الجزري في حوادث ٢٦٠هـ وفيها توفي الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام

لقد اسهب عبيد الله بن خاقان وزير المتوكل وولده احمد في وصف الامام بما هو اهله وهو فوق ذلك والشمس لا تحتاج إلى دليل كان عليه السلام ضخم العقل والتفكير ضخم العلم والذكاء ينال بالنظرة الأولى ما لا ينال غيره بشدة الجهد والمطاولة سفرت له وجوه الحقائق وبذلت لعينيه ذات السرائر وشخصيته لو جردناها من كل نعت فهي تستتبع البروز حتما لأن عناصر تكوينها من بارئها في أوضاعها ومقاييسها لا يتاح لباحث ان يبلغ اعماقها والحوادث الخارجية تبرزها وتنميها

يحدثنا صاحب كتاب درر الأصداف ان البهلول رأى الامام العسكري وهو صبي يبكي والصبيان يلعبون . فظن انه يتحسر على ما بأيديهم فقال له فداك ابي وأمي هل اشتري لك ما تلعب به فقال له يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقال ولماذا خلقنا قال له للعلم والعبادة فقال له من أين لك ذلك فقال من قوله عز وجل « افحسبتم أنا خلقناكم عبثاً وانكم الينا لا ترجعون » فسكت البهلول مأخوذاً مما سمع وسأله ان يعظه فوعظه بآيات من الذكر الحكيم ثم خر مغشياً عليه فلما أفاق قال ما تزل بك يا سيدي وانت صغير لا ذنب لك فقال اليك عني يا بهلول فأني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد الا بالصغار واني اخشى ان اكون من صغار حطب جهنم

لا عجب اذا رأينا هذا الامام منذ نعومة اظفاره استأثر بالعظمة على الزمن الذي عاش فيه بنقواه وتفكيره في قدرة الله الخالق لكل شيء فعرفه حق معرفته فامتلأ قلبه الكبير رهبة ورغبة وساوره الخوف والرجاء فخر مغشياً عليه يردد الآية الكريمة ويبكي طلبا لرحمة الله لما اشتملت عليه من الوعيد وعرض له مايعرض للمتقين من خشية الله تأثر من الصغر خطى آبائه الميامين لأنهم في هذه الحلبة سواسية شيوخهم وكهولهم واطفالهم لايرهبون غير الواحد الاحد ولا يخضعون إلا لجبارتهم كرام لا يبخلون وعلماء لا يبارون

عاصر من الخلفاء العباسيين المعتز والمهتدي والمعتمد والحياة العلمية والسياسية مضطربة بعيدة عن الاستقرار تتجلى عن ضعف ووهن وانحطاط وخنوع وقد غلبوا على أمرهم باستيلاء الطورانيين على دفة السياسة في الدولة وساعدهم على الاستئثار بمرافق البلاد انتشار الفوضى وتفاقم الثورات وانشقاق العباسيين على انفسهم وخروج بعضهم على بعض وتنحية رجال العرب والمفكرين والسياسيين واهل الرأي منهم عن دار الخلافة وأصبحت مقدرات الدولة بأيدي « وصيف وبغا » وزملائها من هؤلاء الدخلاء الذين جعلوا الجيش وقواده وبيوت المال وما حوت طوع ارادتهم . فكانوا يتصرفون في الخلفاء وخلعهم وتوليتهم والفتك بهم بين حين وآخر كتصرفهم في جميع مرافق الدولة « لا يتناهون عن منكر فعلوه » في خدمة

مصلحتهم وتثبيت أقدامهم على ضفتي الرافدين . وقد اوجسوا خيفة من المتوكل تآمروا مع ولده المستنصر على قتله وخلعوا احمد بن محمد المستعين وقتلوه بالاتفاق مع أخيه المعتمد وعملوا على خلع المعتز وتولية المهتدي بن الواثق وهكذا دواليك ولذلك خاطب الشاعر بني العباس

« خُلع الخليفة احمد بن محمد وسيقتل التالي له او يخلع »
« ايها بني العباس إن سبيلكم في قتل اعبدكم سبيل مهيع »
« رقعتم دنياكم فتمزقت بكم الحياة تمزقا لا يرقع »

هذا الشاعر الغيور لما رأى الخلع والقتل للخلفاء ، عادة مألوفة لا يستنكرها أحد أخذ ينبههم من سبات عميق في دفع سلطة الأغيار عنهم ويخبرهم بأن الترقيع في الحياة يعقبه التمزيق فالفناء وأراه ضرب في حديد بارد فالخلافة في هذا العهد كريشة بهب الريح انحطت مكانتها، وسقطت هيبتها وعلم الناس انه لا يتقلدها الا كل ضعيف الرأي عاجز كسول همه من عظم شأن الملك نيل ما يصبو اليه من الشهوات واللذات

التاريخ يعيد نفسه باحتلال البهود الى فلسطين

ليس من سبيل لتوقي عبر الدهر والعصمة من كوارثه والناس ما عاشوا في هذه الدنيا اهداف للمصائب واغراض للنوائب لقد مني العرب بكارثة صماء تهون عندها الكوارث وهي ان احدى الدول العظمى قضت عليها مصلحتها ان تقيم دولة يهودية في فلسطين مهد المسيح ومعراج محمد عليهما السلام في قلب البلاد العربية وقد حققت ذلك بتشريد مليون عربي من ديارهم واوطانهم فماذا فعلت الدول العربية والاسلامية لدفع هذه المأساة التي تمثلت في القرن العشرين غير الخنوع والخضوع للأمر الواقع فالاغضاء على القذى نكبة لم يسجل التاريخ بين دفتيه اعظم منها لأن كل امة ذلت وبخعت زالت معالم العظمة فيها وكل امة تستليم على الضيم فالفناء أقرب اليها من الخلود وكل نهضة سياسية أو عسكرية او اصلاحية تمكنت أسسها وتعالى بنيانها فالحياة مضمونة لها هل خمدت النخوة في صدورنا أين الشمم والاباء والشجاعة هل فترت الهمم يا ابناء عدنان وقحطان هذه حدودنا مفتوحة

للأعداء وهم اقرب الينا من حبل الوريد . هل عملتم بالآية الكريمة « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » لقد جند اليهود رجالهم ونساءهم وأوجدوا من الضعف قوة واعدوا آخر اختراع من السلاح لمهاجمتنا في قعر دارنا فهبوا على اسم الله والله معكم لدرء هذا الخطر الداهم

في هذا الدور دور الهرم والانحلال للدولة العباسية انصرف خلفآئهم عن إصلاح شؤونهم في سامرا وبغداد الى الانتقام من أبناء عمهم العلويين . واتخذوا التعسف المذهبي والتحزب الديني المموه بالسياسة وسيلة للغاية التي ينشدونها ولم يحجموا عن اجتراح المعاصي التي تشين هذا المركز الكبير جهلا منهم باستدراج الله لهم فساءت أفعالهم وظنونهم واستولى عليهم الوهم فضلوا الطريق ولم يراعوا جانب الله فنفرت منهم الأمة

فالامام الحسن العسكري امام خطير جليل القدر نابه الذكر صلته بالله عزوجل قوية لا ينفصم عراها لأنه من أولياء الله . فرض عليه العباسيون الاقامة الدائمة في سامراء دار ملكهم وعاصمتهم وبصفته إمام زمانه بالنص عن ابيه عن آبائه الميامين مفترض الطاعة لعلمه وحلمه وزهده وتقواه وشجاعته وكرمه ومبادئه القويمة . فقد نهض مستعيناً بالله وسار بسيرة أبيه لاصلاح النفوس المرضى بداء الجهل المميت . وبدأ باصلاح المجتمع من الشوائب وصارت الناس تختلف اليه للاغتراف من بحر علمه الإلهيات على حقيقتها بالدليل القاطع . والشرعيات بالاسناد الصحيح الى مشرعها الصادق الأمين . وعلوم الدين على اختلاف ماهياتها وما تفرع منها وغير ذلك من العلوم . فامتعض العباسيون لإقبال الناس عليه حينما شاهدوا الوفود تتلو بعضها بعضا لورود حياض علمه المترعة لينهلوا من كأس روية علا بعد نهل فتحركت في نفوسهم عوامل الخوف من كثرة الاقبال عليه فعندها أحاطوه بجيش من الجواسيس يحصون عليه انفاسه فأقام بينهم مرتاعا مذعوراً خوفاً من غدرهم لعلمه انهم يتربصون به الدوائر . وساءهم قوله عندما كان يلقي دروسا في الأخلاق والاجتماع « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » فلم يرق لهم ذلك وارسل الخليفة وصيفاً احد رجاله للامام وحذره من القاء عبارات كهذه تثير المجتمع

وتترك في النفوس أثراً غير محمود عواقبه وأقاموا سداً بينه وبين الناس ومنعوهم من الوصول اليه

وبالرغم من هذا النطاق الذي احاطوه به فقد كان ثقاته وأصحابه يتسللون اليه لواذا من مكان سحيق بين الفينة والفينة وبين اليوم واليوم ويأخذون عنه علوم الدين والدنيا ويذيعونها بوسائلهم المخصوصة في الاقطار العربية والأعجمية وهذه النخبة المختارة لم يرهبها تهديد وزجر ووعيد وثابرت على الرجوع اليه في كل ما أشكل عليها من المسائل والعويص من المعضلات فيحل لهم أوابدها وما استغلق فهمه ويبين وجه الحكمة فيها وما انطوت عليه من البلاغة بعبارة عذبة تشربها العقول بسهولة وتستقر في مكامنها كالشراب الحلال والماء الزلال

شخصيته عليه السلام

من اروع الشخصيات القوية لعزوفها عن الحياة الناعمة واقبالها على كل عمل فيه جهد وفيه خشونة وفيه ما يؤيد الدين ويرفع شأن الاسلام . فازدراء الامام باسباب الترف والنفور من أبسط المتع والتجرد والتقشف عند الحاجة لا ريب انها من الفضائل عند اولياء الله الدالة على احساس قوي ورغبة صادقة في الاخلاص لفكرة التضحية من أجل مبدأ او عمل يقرب الانسان الى ربه

روى ابن طاوس في كتاب مهج الدعوات عن كتاب الأوصياء قال لما همّ المستعين العباسي في امر أبي محمد العسكري بما همّ به وامر سعيد الحاجب بحمله الى الكوفة وان يحدث عليه في الطريق حادثة انتشر الخبر بذلك وبلغ اصحاب الامام فأقلقهم وكان ذلك بعد مضي ابيه الامام الهادي باقل من خمس سنين فكتب محمد بن عبد الله والهيثم بن سيابة للامام الحسن العسكري بلغنا جعلنا الله فداك خيراً اقض مضاجعنا واقلقنا وبلغ منا فوقع بعد ثلاث يأتيكم الفرج قال فخلع المستعين في اليوم الثالث وتولى بعده المعتز وكان كما قال

فالامام عليه السلام اعتصم بالايمان من هذا الطاغية وبذلك الايمان الذي يولد الثقة بالنفس بوعد الله استعان على الخليفة المستعين بقلب عامر واعتقاد جازم بان

الله بالمرصاد فصرف كيده عنه وقتل بعد ثلاث بيد رجاله وحاشيته « ومن بغى عليه لينصرنه الله »

وفي أيام هذا الخليفة حصلت مصادمة بين اهل الكوفة والجند فانكشف الجند امامهم فدعا المستعين بصالح بن وصيف التركي وأمره ان يأخذ كتيبة من الجند ويذهب الى دار الامام العسكري ويأتي به السجن فصدع بأمره وجاء به الى السجن واقام فيه أياما صائماً نهاره قائماً ليله ولم يعلم لماذا جاءوا به . قال علي بن زياد الصيمري دخلت على عبد الله بن طاهر وكان من القواد فرأيت بيده رقعة من الامام العسكري يقول فيها اني انزلت ظلامتي في هذا الطاغي على الله وسيأخذه بعد ثلاثة ايام فانتظرت اليوم الثالث وفيه خلع وختمت حياته بالقتل الفظيع

وفي خلافة المهتدي ابن الواثق قال ابو هاشم الجعفري كنت محبوسا مع الامام ابي محمد الحسن وقد ضيق علي الحراس وارهقوني فشكوت له ما انا فيه من البلاء فقال لي صبرا لا تجزع « إن الله عزيز ذو انتقام » في هذه الليلة يبتر الله عمره فلما اصبحنا سمعنا بان الاتراك شاغبوا عليه وولي المعتمد مكانه

وجاء في كتاب الصفوة عن عيسى بن الفتح لما دخل علينا الامام ابو محمد الحسن الحبس في عهد المعتمد العباسي قال لي يوما يا عيسى لك من العمر خمس وستون سنة وشهر ويومان وكان معي كتاب فيه تاريخ ولادتي فنظرت فيه فكان كما قال . ثم قال هل رزقت ولدا قلت لا فرفع يديه الى السماء وتكلم بكلام لا أفهمه ثم قال اللهم ارزقه ولداً يكون له عضداً فنعم العضد الولد

« من كان ذا عضد يدرك ظلامته ان الذليل الذي ليست له عضدا »

فقلت له بأبي سيدي وانت لك ولد فقال اني سيكون لي ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلا وأما الآن فلا . وبعد ان خرجت من الحبس أنعم الله علي بولد فأتيت الى سيدي الامام فأخبرته فسجد لله شكراً حيث استجاب الله دعاءه

فيا ليت المستعين ومن جاء بعده من الخلفاء رجعوا الى الله وتراجعوا عن سياستهم التقليدية تجاه ابناء عمهم الأئمة الأطهار واستبدلوا العسف معهم بالتساهل والعنف باللين والشدة بالرخاء والخوف بالأمن . والحرمان بالنعمى . ونبذوا

الساعين بينها لتوسيع شقة الخلاف وعملوا بحزم وأناة لاستلوا من القلوب عداوتها ومن النفوس سخيمتها وأعادوا للخلافة قوتها وبهجتها وضمنوا من الرعية الاخلاص والثقة المتبادلة والود الصحيح

ليس من الحق ان نقول بان الولد مر ابيه فالامام العسكري حاق به الظلم والجور كآبائه الميامين ولهم بجدهم المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أسوة حسنة فقد ورثوا عنه العلم والزهد والعبادة والتقوى وخدمة المجتمع ونالهم الأذى والتنكيل من قومهم ما ناله من اهله وذويه « وتلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين »

سادة وددوا مناهل الخير عذبة وشرائع الفضيلة صافية صرفوا همهم لرفع شأن الدين في القلوب وتأييد العدالة الاجتماعية . وحماية الناس من الزيغ بعد الهداية فكانوا في غلس الليل في محاريبهم ملائكة أبرار وفي مساجدهم قضاة ومرشدون في وضح النهار أنسوا بذكر الله وعبادته فـــفازوا برحمته ونعمته . والحكم لله لا معقب لحكمه

« ملائكة من خشية الله خشع يجودون للعافي ببذل وإيثار »
« احاديثهم لا لبس فيها لقولهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري »

شذرات من كلامه عليه السلام

ان في الجنة بابا يقال له المعروف . لا يدخله الا اهل المعروف فان اهـــل المعروف في الدنيا اهل المعروف في الآخرة

ان لكل ولي من اولياء الله ضداً منازعا وعدواً مقارعاً والعاقبة للمتقين

ما ترك الحق عزيز إلا ذل . ولا أخذ به ذليل إلا عز

من الفواقر التي تقصم الظهر . جار ان رأى حسنة أطفاها . وان رأى سيئة افشاها

ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة . وانما العبادة كثرة التفكر في أمر الله

لا يشغلك رزق مضمون . عن عمل مفروض . لا يعرف النعمة إلا الشاكر ولا يشكر النعمة إلا العارف

المقادير الغالبة لا تدفع بالمغالبة . والأرزاق المكتوبة لا تنال بالشره ولا تدفع بالامساك عنها

من كان الورع سجيته والكرم طبيعته والحلم خلته كثر صديقه وانتصر على اعدائه بحسن الثناء عليه

جرأة الولد على والده في صغره . تدعو الى العقوق في كبره .

ليس من الأدب اظهار الفرح عند المحزون

خير الاخوان من ينسى ذنبك اليه ويذكر احسانك عليه

اقل الناس راحة الحقود

لا يسبق بطيء بحظه ولا يدرك حريص ما لم يقدر له .

من اعطي خيرا فالله اعطاه ومن وقي شرا فالله وقاه

اذا كان المقضي كائنا فالضراعة لماذا

خصلتان ليس فوقهما شيء الايمان بالله ونفع الاخوان .

الغضب مفتاح كل شر

من يزرع خيراً يحصد غبطة . ومن يزرع شراً يحصد ندامة ولكل زارع ما زرع

من وعظ أخاه سراً فقد زانه . ومن وعظه علانية فقد شانه

بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذا لسانين يطري أخاه شاهداً ويأكله غائباً

ان اعطي حسده . وان ابتلي خذله . لا تكرم الرجل بما يشق عليه

اورع الناس من وقف عند الشبهة . وأعبد الناس من اقام على الفرائض

إن للسخاء مقداراً فان زاد عليه فهو سرف .

وللحزم مقدار فان زاد عليه فهو جبن

وللاقتصاد مقداراً فان زاد عليه فهو بخل

وللشجاعة مقدار فان زاد عليه فهو تهور

من أنس بالله استوحش من الناس وعلامة الأنس بالله الوحشة من الناس

نائل الكريم يحببك اليه ويقربك منه

ونائل اللئيم يباعدك منه ويبغضك اليه

الفصل الرابع عشر

في سيرة الامام المنتظر الامام ابو القاسم المهدي

ولد سنة ٢٥٦ هـ ٨٧٠ م وغاب سنة ٢٦٥ هـ - ٨٧٨ م

هو أبو القاسم المهدي المنتظر صاحب العصر والزمان ابن الحسن العسكري الخالص بن علي المتوكل بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ابن علي المرتضى عليه السلام وامه ام ولد اسمها نرجس وقيل سوسن رضي الله عنها وكنيته أبو القاسم وابو صالح وهو سمي جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واكتفى بكنيته وقيل لا يحل تسميته باسمه حتى يخرج وكان يعبر عنه في الأخبار وكلام الرواة بالصاحب والقائم وصاحب الدار وبالحضرة والناحية المقدسة ولا يصرحون باسمه للعباسيين تحذراً سلام الله عليه من ائمة اطهار تاريخهم حافل بالمآثر النافعة والمكارم النادرة والمآثي الخالدة وهو الامام الثاني عشر وخاتمة الأئمة من أئمة أهل البيت بالنص الواضح عن جدهم المختار صلى الله عليه وآله وسلم « نقش خاتمه انا حجة الله »

قال المفيد كانت سنه عند وفاة ابيه خمس سنين آتاه الله فيها الحكمة وفصل الخطاب وجعله آية للعالمين وآتاه الحكمة صبياً كما أتاها يحيى عليه السلام صبياً وجعله اماماً في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى بن مريم عليه السلام في المهد نبياً

صفته في خلقه وحليته . جاء في اسعاف الراغبين صفحة ١٤٩ عن أبي نعيم الاصبهاني في حلية الأولياء قال . المهدي شاب اكحل العينين أزج الحاجبين اقنى الأنف كث اللحية على خده الأيمن خال وعلى يده اليمنى الحديث

فالانسان الكامل من أطاع الله في سره وعلانيته وآثر الفضيلة على الرذيلة ولم يفكر إلا في عظمة الله ولم يصرف ايامه إلا في نفع عباد الله فالفضائل الموهوبة

ليست في ملامح وجهه ولا في هيئته الظاهرة بل في شخصيته الظاهرة والباطنة معاً وهي التي تملي عليه الخير وتقربه إلى بارئه وتتجلى عليه فيوضاته الالهية لتوجيه الانسانية إلى سعادة الدارين ما اكثرما ينتاب الانسان والأمم من تغير الأحوال والآراء في مجموعها وأفرادها في أجسامها وتفكيرها لكن شخصية الامام المهدي تظل هي هي . مشمولة بقوة غير منظورة أفاضت عليها حكمة قدسية في عالم ما وراء الطبيعة لا تتغير مهما طال عليها الزمن لأن طفولته تبدو من خلل رجولته وقوته يستمدها من عناية الله به والأمل بظهوره يلوح من خلل اليأس للمشككين الذين دخلت عليهم الشبهات من حيث لا يشعرون، انهم يرونه بعيداً ونراه قريباً وله غيبتان صغرى وكبرى فالأولى من تاريخ ولادته إلى انقطاع السفارة الخاصة وهي أربع وسبعين سنة والثانية لم تكن عبثا لصدورها عن امر الله عز وجل لمصلحة علوية لا يعرف أسرارها إلا علام الغيوب . بعد أن تجرع كأس الضيم وأساغ الشجا صابراً محتسباً فظهوره وغيبته بارادة الله تعالى لحكمة لاتتجلى حقيقتها إلا عند ظهوره . يومئذ ينشق عمود الصبح ويتنفس عن إصلاح عام وعدل شامل

روى أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما . وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لم يبق إلا يوم واحد من الدنيا لبعث الله رجلا من أهل بيتي يملؤها عدلا كما ملئت جوراً . أخرجه أبو داود في سننه . وجاء في عقد الدرر في الفصل الثاني من الباب الرابع عن ابي عبد الله الحاكم في مستدركه عن السيدة أم سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يبايع لرجل من أمتي بين الركن والمقام كعدة أهل بدر الحديث .

كم يوجد من المعاندين . المبطلين الذين يرتابون لطول الأمد لسوء اعتقادهم في قدرة الواحد الأحد دون أن يقفهم أقل استحياء. أما لغرض أعمى يحز في نفوسهم أو لقصور فهم يحول دون سبر هذا الغور أو لحقد رسب في قلوبهم ورثوه عن الأجيال الماضية من الناصبين لأهل البيت الأطهار فهؤلاء مصابون بالسقم في أفهامهم والاضطراب في أعصابهم ولا عبرة في حكمهم ولا ثقة في تقديرهم فالعيون المريضة

يؤذيها نور الشمس والنفوس الخبيثة تنكر الحقائق ولا تذعن لمقاييس ثابتة وحجج دامغة مصداقاً لقوله تعالى « لقد ضل سعيهم في الحياة الدنيـــا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً »

وآخرون من أهل البصائر من العلماء المحققين الأخيار المغطورين على الخير جدوا واجتهدوا الاستجلاء هذا السر الغامض وسعوا سعياً حثيثاً سراً وعلانية واستعانوا بوحي الدين من الكتاب والسنة بما يتفق والعلم الصحيح وفكروا تفكيراً مجرداً من كل شائبة وتجافوا العنف الذي يتخذه المتمردون سلاحاً للمواربة . فأدركوا ببصيرتهم النافذة تمجيد شخصية هذا الامام المهام وتأكيد وجوده تأكيداً قوياً جلياً لا يحتمل الريب ورجعوا مؤمنين بوجوده وظهوره كايمانهم بالله واليوم الآخر وبكل ما جاء به الصادق الأمين واستقر في نفوسهم شعوراً ثابتاً واعتقاداً راسخاً بأن الأرض لا تخلو من حجة رحمة بعباده وان الحجة هو المهدي حيٌ موجود دل عليه البيان وثبت عليه الوجود وقام عليه البرهان لا يستطيع انكاره إلا من اضطرب تكوينه الفكري . فتاه في بيداء الحيرة عن النهج القويم

فالملك مهما اتسع والسلطة مهما امتد سلطانها والعظائم مهما تعاظمت كلها تذهب هباء امام عظمة الله القادر على كل شيء. لقد صمد الامام عليه السلام للصعاب والعقبات فذللها بحكمته فلم يعبأ بها وانتصر والنصر حليفه ان شاء الله. ولا عبرة بالأوهام الباطلة التي تغلغلت في اعصاب بعض المستهترين وعششت في رؤوسهم من ضعف إيمانهم بان الامام حي يرزق منذ الف سنة ونيف وان حياته تخالف المعقول فكأنهم يتحدون قدرة الله التي لا يعجزه شيء.

وقال المؤرخ ابن حجر في صواعقه صحيفة ١١٤ بعـــد ان ذكر وفاة الامام العسكري عليه السلام قال ولم يخلف غير ولده ابي القاسم الحجة وعمره عند وفاة ابيه خمس سنين لكن أتاه الله بها الحكمة

سفراء

والآن سنتحدث عن اربعة من رجال الله وأولياءه العاملين بعلمهم الزاهدين في حطام الدنيا استحصفت عرى الـــدين بهم واشتدت اسبابه واستقامت مناهجه

المشهود لهم بالعفة والنزاهة واليقين والعبادة من مؤالفيهم ومخالفيهم وهم سفراء المهدي بينه وبين أصحابه في زمن الغيبة الصغرى وهؤلاء السفراء الأربعة كانوا يصلون إلى رحابه ويقومون بخدمته يومئذ مدة هذه الغيبة ويتولون تقديم الكتب اليه والمسائل العلمية على اختلاف انواعها من دينية ودنيوية ويأخذون أجوبتها مهورة بطابعه وخطه ويتسلمها منهم اصحابه والموالين له

الأول العبد الصالح عثمان بن سعيد بن عمرو العمري الأسدي وكان يسكن سامراء وقد نصبه الامام الهادي وكيلا عنه ثم ابنه الامام العسكري ثم صار سفيراً للامام المهدي وتوفي في بغداد ودفن بها

الثاني محمد بن سعيد العمري نص عليه العسكري وتوفي سنة ٣٠٥ هـ ودفن في بغداد .

الثالث الحسين بن روح بن ابي بحر النوبختي توفي سنة ٣٢٠ هـ في بغداد ودفن في النوبختية .

الرابع علي بن محمد السمري اوصى اليه الحسين بن روح النوبختي للقيام مقامه وتوفي سنة ٣٢٩ هـ في بغداد وبعدهم انتهت السفارة الصغرى ووقعت الغيبة الكبرى وكان المسلمون في الغيبة الصغرى مع شدة ثقتهم بسفرائه الأربعة لا يأخذون قولهم من المسلمات الا بعد ظهور آية على يد كل واحد منهم لتطمئن قلوبهم لأن عين الخليفة رقيبة على كل من بيت الامام بصلة وجزاء من اشتبه به القتل والاستئصال وخراب الديار .

ولما قرب اجل السفير الأخير علي بن محمد السمري قيل له من هو النائب بعدك فاخرج للناس منشوراً بتوقيع الامام بحلول الغيبة الكبرى ومضمونه لا ظهور الا بمشيئة الله السميع العليم فمن ادعى المشاهدة قبل ظهور السفياني فلا تصدقوه وختامه عظم الله اجر اخوانك فيك فانك ميت بعد ستة ايام فأجمع امرك ولا توص الى احد يقوم مقامك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظم

وبالغيبة الكبرى انقطعت النيابة الخاصة واصبحت النيابة عامة بشروط وقيود يقوم بها اهل التقى والصلاح من علماء المسلمين الأعلام من عباده الصالحين المخالفين

لمواهم المنقطعين لعبادته الحافظين لكتابه العاملين بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

ولما كانت العقيدة الراسخة والايمان الثابت موطنها القلب فالمؤمن يرى بعقيدته ما لا يراه غيره لأنه منح من الحواس الباطنة والذوق ما قصر عن ادراكه القياس والدليل . والعقيدة تقتحم الأخطار وتزلزل الجبال وتنسخ الشك وتبعث في النفس الحزم واليقين . واعتقادنا بالله ورسوله لا يتزعزع وكل كلمة فاه بها الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم لا نتردد في قبولها والعمل بها .

والمأثور عنه قوله عليه أفضل الصلاة والسلام . « من مات وليس عليه امام فان موته موتة جاهلية » وهذا الحديث اخرجه الحميدي في الجمع بين الصحيحين واخرجه الحاكم وصححه عن النبي بمجيء المهدي وخروجه في آخر الزمان .

وجاء في كتاب الغيبة عن الامام جعفر الصادق عليه السلام في معنى قوله عز وجل وعدَ اللهُ الذينَ آمَنوا مِنكمْ وعَملوا الصالِحاتِ ليَستَخلفنّهم في الأرض وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً » قال نزلت في القائم وأصحابه . وروى الصدوق في العيون عن الامام الرضا عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا تقوم الساعة حتى يقوم القائم الحق منا وذلك حين يأذن الله له ومن تبعه نجا ومن تخلف عنه هلك الله الله عباد الله فسارعوا اليه ولو على الثلج فانه خليفة الله عز وجل وخليفتي

عاصر من الخلفاء المعتمد العباسي الذي سلك سبيل آبائه وحذا حذوهم وأوجف في غيه وأمعن في إساءته لأبناء عمه العلويين . فالمهدي المنتظر لم يكن مجهولا عند اسلاف هـــذا الخليفة الذي طالما تردد اسمه على السنتهم بالرواية عن جدهم حبر الأمة عبد الله بن عباس كابرا عن كابر وكانوا يترقبون ولادته لا استبشاراً به بل استنكاراً له لاعتقادهم انه لا امام بعده من الأئمة الهداة . فالفتك به والقضاء عليه في المهد يبعث السكينة في قلوبهم الواجفة ويوطد الملك في اعقابهم إلى يوم يبعثون .

وعند ما توفي الامام العسكري أظهر المعتمد دفين حقده و كمين ضغنه ووضع العيون والجواسيس على دار الامام ووكل نساء يحرسن حرمه وجواريه ويتفقدن حملهن وذكر بعضهن ان هناك جارية بها حمل فأمر بها فجعلت في حجرة ووكل نحرير الخادم واصحابه ونسوة معهم بحراستها ولم يزل الذين وكلوا بحفظ الجارية التي توهموا فيها الحبل ملازمين لها سنتين حتى تبين لهم انها غير حامل فقسم ميراثه بين امه واخيه جعفر وبقي الخليفة يتحرى ولده المهدي ولا يجد الى ذلك سبيلا واصحابه يعلمون انه مات وخلف ولداً يقوم مقامه في الامامة والخليفة لم يعلم انه ولد في حياة ابيه

غيبته عليه السلام

وكان اصحاب ابيه والموالين لهم يعروهم الوجل والذعر من كثرة الجواسيس عند ما يأتون اليه يعزونه بأبيه ويهنئونه بالامامة ولا ينبسون ببنت شفة خوفاً عليه من الاعداء الذين يتحرونه بالليل والنهار .

وقد بلغ السنة التاسعة وسامراء مثابة للمسلمين يحجون الى رحابه للتبرك بطلعته ويستفتونه ويأخذون ما يهمهم من أمور دينهم ودنياهم .

وعناية الله عليه تحميه من المتسلطين ومن الجواسيس الأشرار . ولما رأى الخليفة العباسي كثرة الوفود الى سامراء ارتاب وانتابته الهواجس وبعد لأي علم ان بينه وبين الامام بضع خطوات من قصره . فتغلب الانتقام في صدره على الحلم بتقاليد فاسدة لا تؤدي الى غير البلايا والشرور والانهيار . فلم ينشب ان اوعز الى زبانيته بكل جرأة وقحة بالقبض عليه فامتثلوا امره وهاجموه في محرابه فلم يأبه بهم ومشى امامهم ودخل سردابا في دار ابيه وغاب عن اعينهم وهم ينظرون اليه واجمين واستولى عليهم الخوف والرعب وعادوا ادراجهم والرهبة تساورهم يجرون أذيال الخيبة والفشل

لست ادري ولا المنجم يدري . لماذا استأصل الحقد في قلب هذا الخليفة على طفل لم يتجاوز السنة التاسعة من عمره أعزل من السلاح والمال رطب العود ناعم

الظفر لم تسبق له معرفة به ولم يجن جناية تبعث على المبالغة في اذيته وتهديم هيبته وجلاله ودخول داره عنوة وتخويف اهله وذويه .

ولماذا أثارها حربا لا هوادة فيها على من لم يثر عليه ولماذا تعمد الاساءة الى من لم تبدو منه بادرة تسيء الظن به

ولكن التاريخ يخبرنا بان المعتمد عاش شغوفا بالطرب غلبت عليه المعاقرة وحب اللهو والمجون فاختل تفكيره وساء تدبيره فجاءت اعماله شاذة تجاه اولياء الله من بني عمه ورحمه

ذكر الشعراني في لواقح الأنوار القدسية المنتقاة من الفتوحات المكية والصباني والمصري في اسعاف الراغبين واليواقيت وهما مطبوعان في مصر وشرح الدائرة للصلاح الصفدي ونقل لفظه صاحب ينابيع المودة والشيخ المالكي في الفصول المهمة بان المهدي الموعود هو ابن ابي محمد العسكري بن علي النقي وأيد ذلك الشيخ الحموي الشافعي في فرائد السمطين .

وروى الصدوق في كمال الدين ان عليا عليه السلام قال الغائب منا غيبته أمدها طويل .

وقال الحسين الشهيد منا اثني عشر مهديا اولهم امير المؤمنين وآخرهم التاسع من ولدي وهو القائم بالحق .

وقال الامام الحسن الزكي اذا خرج الامام التاسع من ولد اخي الحسين ابن سيدة الاماء يطيل الله عمره في غيبته ثم يظهره بقدرته .

والأحاديث كثيرة في مولده وغيبته وظهوره لا يستوعبها هذا السفر ومن رغب الاطلاع عليها فعليه بمظانها فيرى ما يبعث على الاقناع

الاتفاق على مجيء مصلح

وقد اتفق اليهود والنصارى والاسلام على ظهور شخص متأله يملأ الأرض قسطاً وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجوراً .

فاليهود يسمونه (هما شيح) من ذرية النبي داود عليه السلام .

والنصارى يقولون لا بد من رجوع المسيح عليه السلام الى الأرض

والاسلام يقولون بظهور المهدي والمسيح معاً عليهما السلام .

فالاجماع على ظهور مصلح عظيم لاستصلاح الأنفس وتنظيم المجتمع الانساني وتهذيب الاخلاق وتوطيد دعائم العدل على الأرض وتوحيد اهلها على عبادة الواحد الديان بلا خلاف فيه وان اختلفت الاسماء والالقاب

فالامام المهدي وجوده وتصرفه لطف من الله وهو في غيبته الكبرى كالشمس يسترها السحاب واشعتها تنبعث من خلاله على الكائنات وآثارها ظاهرة للعيان مهما تكاثفت السحب فضياؤها يخرق الحجب وهكذا الامام الغائب المنتظر حاضر لا يعرف بشخصه ولا بجليته وهيئته ولعله يحضر المحافل والمجتمعات ويدلي برأيه ناصحاً مشفقاً في الحوادث الجسام عملوا برأيه او لم يعملوا وربما جالس الملوك والوزراء ورجال الدين والعلماء وأرشدهم إلى الطريقة المثلى في السياسة العملية والاصلاح المنشود وهداهم للخير العام وحثهم على الصدق بالقول والعمل وأنه لشديد الاجتهاد في ان يكون في صورة آحاد الناس بين العلماء فاذا كان الحديث في علوم الدين او في تفسير آي الذكر الحكيم أو في فن من الفنون او في استجلاء وجه الرأي في العظيمات او المعضلات تقف مشدوها مما تسمع من بلاغة تعبير وفصاحة لسان وقوة بيان فكأن المعاني طوع ارادته ألبسها من الالفاظ ما يطابق قوتها في تحقيق معجز تجمد عنده العقول أحاط بمعناه ومبناه تكاد عبقريته وهيبته تغشى الأبصار ويتوارى بالرفق واللين والتواضع كي لا تنكشف ماهيته في مضارب الحجة ولا يقول للمخطىء اخطأت ويلوح له بالرأي في حواشي القول ليهتدي من تلقاء نفسه للصواب اخذ عليه السلام بأعلى قواعد الأخلاق يتألم مع الناس اذا ظلموا ويمقت الظالمين وينتظر الفرج من ربه لهداية الخلق لخالقهم وما ذلك اليوم ببعيد

وفي المواسم ايام الحج لا تفوته الفريضة محرماً ملبياً ساعيا داعيا ضارعا الله بتعجيل الفرج لانقاذ خلقه من الجور والفناء . وقد يعود المرضى ويصاحب المسافرين ويزور اصحاب الحاجات والمضطرين ويواسيهم ويخفف عنهم ما يحملونه من تعب ونصب من حيث لا يشعرون ولا يعرفونه

« ان انكروك فذا عن غير معرفة فالشمس ظاهرة بالعين والأثر »

قال سبط ابن الجوزي في كتابه تذكرة خواص الأمة في معرفة الائمة بعد ترجمة الامام العسكري ما لفظه ولده محمد الامام « فصل » هو محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب عليهم السلام

« شرف تتابع كابر عن كابر كالرمح أنبوبا على أنبوب »

و كنيته أبو عبد الله وأبو القاسم وهو الخلف الحجة وصاحب الزمان والقائم والمنتظر والتالي وهو آخر الائمة

ثم ذكر بعض الروايات الواردة فيه . ثم قال وذكره في روايات كثيرة . ويقال له ذو الاسمين محمد وابو القاسم وأمه ام ولد .

ثم حكى عن السدي اجتماعه مع عيسى بن مريم وتقديم عيسى له في الصلاة وعلل هو ذلك بوجهين

« الأول » انه يخرج عن الامامة بصلاته مأموما فيصير تبعا

« الثاني » لئلا يتدنس وجه « لانبي بعدي » بغبار الشبهه الى آخر ما ذكره وختم كلامه بذكر جماعة طالت اعمارهم

وقد روى الجامي في شواهد النبوة عن حكيمة عمة ابي محمد العسكري قالت دخل على الامام أبي محمد أحد اصحابه وقال يا ابن رسول الله من الخلف والامام بعدك فدخل الدار ثم خرج وقد حمل طفلا كأنه البدر ليلة تمامه في سن ثلاث سنين فقال له لولا كرامتك علي لما أريتك هذا الولد اسمه اسم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كنيته كنيته هو الذي يملأ الأرض عدلا وقسطاً كما ملئت جورا وظلماً

تصديق الامام الرضا على قول الشاعر

وقد اسهبت التواريخ بدخول دعبل الخزاعي الشاعر على الامام علي بن موسى الرضا بعد المبايعة له بولاية العهد . وتلى عليه قصيدته التائية المشهورة حتى انتهى الى قوله

« خروج امام لا محالة قائم يقوم على اسم الله والبركات »
« يميز فينا بين حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات »

قال له الامام يا دعبل نطق روح القدس بلسانك وما قلت إلا حقا . ولعمري ان هذه الكلمة من الامام الرضا عليه السلام تفيد القطع والبشارة بخروج المهدي لاصلاح العالم ورفع مستواه وتوجيهه وجهة تؤهله لبلوغ السعادة في العاجلة والآجلة

ويقول صاحب كتاب فرائد السمطين بان الامام الرضا تابع حديثه الى دعبل الخزاعي بقوله له ان الامام بعدي ابني محمد الجواد ثم من بعده ابنه علي الهادي ثم من بعده ابنه الحسن العسكري ثم من بعده ابنه محمد المهدي الحجة المنتظر .

وجاء في كتاب المعارف للعارف بالله الشيخ عبد الرحمن البسطامي الحنفي قوله

« ويظهر ميم المجد من آل احمد ويظهر عدل الله في الناس اولا »
« كما قد روينا عن ابي الحسن الرضا وفي كنز علم الحرف اضحى مفصلا »

وهذا العلامة الشهيد صاحب الفتوحات المكية ابن العربي يقول في كتابه الدر المكنون

« اذا دار الزمان على حروف بيسم الله فالمهدي قاما »
ويخرج بالحطيم عقيب صوم ألا فاقرأه من عندي السلاما »

ونقل محمد بن يوسف الكنجي في كتابه البيان عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال قال رسول الله يخرج المهدي وعلى رأسه ملك ينادي هذا المهدي فاتبعوه

سبحات الجلال وبلاغة المقال في كلام صاحب الرسالة المحمدية على اختلاف اوضاعه ومقاصده وله وزنه العلمي وقوته الروحية وهو من جوامع الكلم وكان المسلمون يتلقفونه ويتدارسونه كوحي إلهي ويتهافتون على سماعه وحفظه كتهافت الجياع على القصاع ويتذاكرونه في نواديهم ومجتمعاتهم لاشتماله على العلم والحكمة وتهذيب الاخلاق . ويبشرون بعضهم بعضاً بخروج امام علوي من اهل بيت النبوة يرأب الصدع ويرتق الفتق ويقيم قسطاس العدل . ويطهر الارض من كل قاطع وعائث واستفاض الخبر عنه وارتفع الصوت به وانتشر وذاع وملأ الأسماع

عجل الله فرجه وسهل مخرجه انه سميع مجيب

وروى ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن جعفر الكاتب النعماني في كتاب الغيبة بسنده عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى « واستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً » قال نزلت في القائم وأصحابه يجتمعون على غير ميعاد

وروى الكليني بسنده عن الامام الباقر عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال دخلت على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين يديها لوح فيه اسماء الأئمة من ولدها فعددت اثني عشر اماما آخرهم القائم من ولد فاطمة عليها السلام منهم ثلاثة اسماء محمد واربعة اسماء علي

فالادلة العقلية والنقلية على مولده وغيبته وظهوره لا تقبل النقض باجماع المسلمين ولا يخلو الأمر من بعض المعارضين لغايات طارئة او لاسباب شخصية او لقصور في الفهم وبعد ان تضافرت الأخبار وقامت الادلة ناصعة فكل كلام يخالف قول الرسول يذهب هباء ولا يقام له وزن وطول حياة القائم المنتظر لا يعارض الدليل والمعمرين جاء ذكرهم في محكم الكتاب العزيز ولا امتناع من بقائه حيا كعيسى بن مريم عليه السلام او الخضر والياس من اولياء الله وبقاء ابليس والاعور والدجال من اعداء الله . وجاء عن سعيد بن جبير في تفسير الآية الكريمة « ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » قال هو المهدي من ولد فاطمة عليها وعلى ابيها السلام

وذكر صاحب عقد الدرر عن حذيفة بن اليمان قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من جملة خطابه قوله . لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلا من ولدي إسمه إسمي فقام سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال يا رسول الله من أي ولدك قال من ولدي هذا ووضع يده على كتف الحسين

ويحدثنا الشيخ عبد الوهاب الشعراني المصري في الجزء الثاني من كتابه اليواقيت والجواهر ما لفظه المبحث الخامس والستون في بيان ان جميع اشراط الساعة التي اخبرنا بها الشارع حق لا بد ان تقع كلها قبل قيام الساعة وذلك كخروج المهدي

الى ان قال . وهو من اولاد الامام الحسن العسكري ومولده ليلة النصف من شعبان سنة ٢٥٦ هـ وهو باق الى ان يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام فيكون عمره الى وقتنا هذا وهو سنة ٩٥٩ سبعمائة سنة وست سنين هكذا اخبرني الشيخ حسن العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطلي بمصر المحروسة عن الامام المهدي حين اجتمع به . ووافقه على ذلك شيخنا سيدي علي الخواص رحمها الله تعالى .

(وقال) الشعراني في الطبقات المسمى باللواقح على ما حكى عنه بعد سياحة حسن العراقي انه قال وسألت المهدي عن عمره فقال يا ولدي عمري الآن ستمائة سنة وعشرون سنة ولي عنه الآن مائة سنة قال الشعراني فقلت ذلك لسيدي على الخواص فوافقه على عمر المهدي رضي الله عنهما

علامات ظهور المهدي عليه السلام

وقد رواها العلماء الأعلام باسانيدهم المتصلة كالشيخ الطوسي في كتاب الغيبة والنعماني وغيره من الاخبار والمفيد بالارشاد وهذه العلامات منها بعيد ومنها قريب كخروج السفياني من وادي اليابس في فلسطين . وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك «ومنها» محتوم كما نص عليه في الروايات كالسفياني واليماني والصيحة من السماء وغير ذلك «ومنها» غير محتوم ولعل المحتوم الذي لابد من وقوعه وبغير المحتوم المشترط بحكمة الله وارادته والمحتوم اختلفت الروايات في تعداده وفي بعضها خمس علامات محتومات قبل قيام القائم عليه السلام . السفياني واليماني والمنادي من السماء باسم المهدي . وخسف في البيداء . وقتل النفس الزكية وهي اعظم الدلائل على ظهور الحق بعدها ثم ان الروايات عن الأئمة الهداة لا تقول بالتوقيت وقالوا من روى لكم عنا توقيتاً فلا تهابوا ان تكذبوه كائنا ما كان فانا لا نوقت وهذا من اعدل الشواهد على بطلان أمر كل من ادعى ذلك قبل مجيء هذه العلامات

ان علامات ظهوره كثيرة أسهب العلماء بتعدادها وبما ان كتابي هذا مبني على الايجاز فمن اراد الاطلاع عليها فعليه بمظانها فيرى ما يشفي العليل ويروي الغليل

وذكر العلامة احمد المنيني الشامي الحنفي في شرح القصيدة الموسومة بوسيلة الفوز والأمان في مدح صاحب الزمان من نظم شيخنا الجليل والعلامة الكبير الشيخ بهاء الدين العاملي .

قال المنيني شارح القصيدة وليعلم ان هذه القصيدة لناظمها في مدح المهدي الموعود به في الأحاديث انه يخرج في آخر الزمان فيملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجورا . وسماه ناظمها صاحب الزمان لأنه إذا ظهر ظهوراً تاما ملك الدنيا بحذافيرها ولا يبقى لأحد نقض ولا إبرام إلى نزول عيسى السلام وهو من اشراط الساعة العظام والامارات القريبة التي يعقبها قيام الساعة واسمه محمد على المشهور وقيل احمد وأبو عبد الله

وقال التقي الفاضل السيد محمد البرزنجي المدني في كتابه الاشاعة ان احاديث المهدي بلغت حد التواتر المعنوي فلا معنى لانكارها . ومن ثمة ورد من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدي فقد كفر .

رواه ابو بكر الاسكاف في كتاب فوائد الأخبار وابو القاسم السهيلي في شرح السيرة انتهى

فالعقل البشري للآن لم يتوصل الى اكتشاف جميع اسرار مكنونات الكون على اننا في كل ردح من الزمن نرى اكتشافا جديدا يبرهن على ما تضمنته الديانة الاسلامية من الاسرار العلوية التي كنا في غفلة عنها .

بيد ان اعتقادنا بكل ما جاء به القرآن الكريم سرمد لازب لا شبهة فيه .

فولادة المسيح عليه السلام من غير أب وصعوده إلى السماء وخبر أهل الكهف والرقيم الذين لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم انتبهوا من سباتهم وغيبة الامام المهدي عليه السلام وغير ذلك من الآيات البينات وخوارق العادات حقيقة لا ريب فيها ترشدنا الى تقدير عظمة الله القادر على كل شيء .

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لا يزال الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثناعشر خليفة كلهم من قريش وأسنده علي بن محمد وفي آخره تسعة من صلب الحسين والمهدي منهم

نعم ان المهدي عليه السلام سيخرج هاديا مهديا تظلله هالة من المهابة كما قال جده النبي صلوات الله عليه مؤيداً منصوراً يحطم قيود الجور ويقيم الشرائع والسنن القويمة ويؤلف القلوب على التضامن والاتحاد ولا يكون هناك عقبة الا تذلل ولا عدوا الا بخع واستكان وحقت عليه الغلبة ولا يبقى غير الحب والتسامح في القلوب لأن تحليل عيوبنا الاجتماعية متعة وعظة للمجتمع وأمراضه المستعصية .

فالانصراف عن الروحيات . والتلهي بالماديات والتمادي في الغي وجموح النفس الأمارة في شهواتها المردية كلها أسباب تقودنا للهلاك المحتم ولا مخرج للعالم مما يتخبط به من النوازل المتتابعة إلا بالرجوع الى الله والتمسك باهداب الدين فهو الوازع الذي ينقذنا من جور الجبابرة والمتسلطين وجشعهم ومن قادة الشعوب وغطرستهم ومن قنابلهم الذرية . ومن طائراتهم النفاثة . ومن آلاتهم الجهنمية التي اخترعوها للدمار والفناء واستعباد الشعوب . ومن المذاهب المدامة التي انتشرت في العالم وتغلغلت في نفوس الضعفاء من الناس كالشيوعية وغيرها

هذا نسمة رحيمة من روح الله . تنفس الكربة وتدحض البلاء تهب رخاء على الكرة الأرضية السابحة في فضاء الله الواسع الارجاء تزيل العناء وتستأصل الداء . وتجدد الرجاء في قلوب عباده الضارعين لعظمته بانكشاف هذه الغمرة عن امام مصلح عظيم تتصرم به هذه الوهلة وتنجلي هذه الهبوة . فقد حل اليأس والقنوط . واستولى على الناس الجحود وعبدوا القوة المسيطرة بالنار والحديد وتناسوا بأن الله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد

ايها المصلح الأعظم الهادي المهدي . غرة مضر وذؤابة هاشم والخلف الصالح من آل بيت الوحي . روحي لك الفداء هل تأهبت للأمر . لقد بلغ السيل الزبى والتزام الطبيين . ولم يبق في قوس الصبر منزع . هل انت بمعزل عن عباد الله وبنجوة عما يراد بهم . فالعالم في اضطراب متصل يتهدده الفناء اذا لم تدر كه رحمة من بارئه . فقد استشرى الشر وكلت البصائر وفسدت السرائر فالانسانية معذبة والاعناق متلفة والعيون شاخصة تنظر الى الأفق البعيد لتسعد بطلعتك فانهض على اسم الله مؤيداً منصورا . وطهر الأرض من كل عائث وعابث من سباع الغارة

وكلاب الفتنة وانشر لواءك خفاقاً . واستأصل الداء من جذوره فان للحق اعلاماً لا تطوى ومناراً لا ينهدم وانت آية من آيات الله . وولي من أوليائه

وقال امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في بعض خطبه كما جاء في نهج البلاغة . لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها . وتلا عقيب ذلك الآية الكريمة « ونريدُ انْ نَمنَّ على الذينَ استضعفوا في الأرْضِ ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » وهذا تصريح ظاهر بخروج الامام المنتظر

وقد حمل ابن الرومي الشاعر المتوفى سنة ٢٨٣ هـ على الخلفاء العباسيين يتوعدهم بالامام المهدي انتصاراً للعلويين في قصيدته الجيمية ومنها

« أفي الحق ان يمسوا خماصاً وأنتم يكاد أخوكم بطنه يتبعج
« لعل لهم في منطوي الغيب ثائراً سيسموا لهم والليل في الصبح مولج

الحياة قد تثير غباراً كثيفاً في أثناء عدوها يحجب عن الأبصار سنا النور . وعن البصائر ومبض اليقين . ولكن هذا الغبار بعد قليل تنكشف ظلمته عن ضياء وضياء ينير البصر والبصيرة يهدي للحق والحق أحق ان يتبع . كما جاء في آي الذكر الحكيم « وأما الزبدُ فيذهبُ جفاء وَاما ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرْضِ » وقد ظهر الصبح لذي عينين باجماع المسلمين عن سيد المرسلين بوجود المهدي المنتظر . وظهوره منوط بأمر الله وارادته نسأله تعالى أن يجعل للمسلمين من أمرهم فرجاً ومخرجاً . وبلهمهم التعاون والتعاضد لتأدية رسالتهم في خدمة الانسانية والعروبة ويمنحهم العزة في أوطانهم وما ذلك على الله بعزيز ونضرع إلى الله في الختام حسن الختام

« لنا بطلعتك الغراء الف رجا ياصاحب الأمر عجل وأرسل الفرجا »
« وارفع لواءك والأملاك تحرسه وانهج كجدك في بدر كما نهجا »
« فالرعب في عالم الأحياء مشتمل على الخلائق ممن دب أو درجا »

. . .

« هذي القنابل يا ابن الاكرمين غدت ذرية تخطف الأرواح والمهجا »
« والطائرات بدت نفاثة بلظي نار الجحيم إذا ما نفثها وهجا »

« عجل وانقـــذ عباد الله من خطر فالذعر عمّ وطيب العيش قد سمجا »
« متى نرى وجهك الميمون طالعهُ ويكشف الله عنا العسر والحرجا »

بعض المأثور من كلامه عليه السلام

اذا قعد الصبي . وتحرك المغربي . وسار العماني . وبويع السفياني بأذن الله لي بالفرج واخرج بين الصفا والمروة . بثلاثمائة وثلاثة عشر رجل من انصاري

وقال لي أبي يابني . وكأني بك وقد آن أوان خروجك . وكأني بألوية النصر تخفق فوق رأسك ما بين الحطيم وزمزم . وكأني بأصحابك وشيعتك وهم قوم اذلاء . يخرجون بمخايل الذلة والاستكانة . وهم عند الله بررة اتقياء . وما ذلك إلا ان يشملهم بالعز في دار البقاء . يرعون اليك تحت شجرة في بحيرة طبريا وقد بزغت أفانين اغصانها

وسئل عليه السلام . متى يأتي الفرج بظهورك . فقال أما ظهور الفرج فان مرجعه إلى الله عز وجل وكذب الوقاتون

واما الحوادث الواقعة . فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا . فانهم حجتي عليكم وانا حجة الله . واما المتلبسون بأموالنا فمن استحل شيئاً فأكله فانما يأكل النيران وأما الخمس فقد ابيح لشيعتنا وجعلوا منه في حل الى وقت ظهور امرنا لتطيب ولادتهم ولا تخبث

وأما علة ما وقع من الغيبـــة . فإن الله قال في محكم كتابه العزيز « يا أيها الناسُ لا تسألوا عنْ أشياء إنْ تبدَ لكمْ تسؤكم »

انه لم يكن احد من آبائي إلا وقد وقعت في عنقه بيعة لطاغية زمانه واني اخرج حين يأمرني ربي بالخروج ولا بيعة في عنقي لأحد من الطواغيت

وأما وجه الانتفاع في غيبتي . فكالانتفاع بالشمس إذا غيبها عن الأبصار السحاب . واني أمان لأهل الأرض . كما ان النجوم امان لأهل السماء

جاء في كتاب مهج الدعوات من بعض ادعية الامام المهدي عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم يامالك الرقاب يا هـــازم الأحزاب يا مفتح الأبواب

يا مسبب الأسباب سبب لنا سبباً لا نستطيع له طلباً بحق لا اله إلا الله محمد رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله اجمعين

هذا ما واتاني به القلم . من حياة خاتم النبيين سيد العرب والعجم . والأئمة الطاهرين من أبنائه الميامين وقد بذلت الجهد ما وسعته طاقتي . ولا أعدو سدرة الحق إذا اعترفت بالتقصير لأني أوجزت بحسب حجم الكتاب ولكني مهدت الطريق إلى مباحث مستفيضة رحبة الأرجاء والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداهم إلى يوم الدين

وكان الفراغ من تأليفه في اليوم التاسع من شهر ذي الحجة سنة ١٣٧١ هـ يوم الجمعة في ٢٩ آب سنة ١٩٥٢ م في مدينة بيروت العاصمة اللبنانية على يد مؤلفه الفقير لله تعالى « سلمان مروّة » « الحارثي الهمداني »

سجل المراجع

القرآن الكريم : جامع البيان في تفسير القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري : مجمع البيان في تفسير القرآن للامام الشيخ ابو علي بن الحسن الطبرسي : اسباب النزول لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري البحار للعلامه الجليل المجلسي : الشفاء للقاضي عياض

زاد المعاد في هدى خير العباد لشمس الدين ابي عبد الله المعروف بابن القيم الجوزية : صحيح العلامة الكبير البخاري : صحيح العلامة الجليل مسلم السيرة لابن اسحاق : الارشاد في حجج الله على العباد للامام المفيد : اصول الكافي للامام الكبير محمد بن يعقوب الكليني الرازي : تاريخ اليعقوبي لأحمد بن يعقوب المعروف بابن واضح الأخباري : المواهب اللدنية بالمنح المحمدية لأحمد بن محمد بن ابي بكر القسطلاني الكامل لابن الأثير الجزري : المغازي لابي عبد الله محمد بن عمر الواقدي : المعارف لابن قتيبة الدنيوري السيرة النبوية لزيني دحلان : الصواعق لابن حجر : شرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن ابي الحديد المعتزلي مروج الذهب للمسعودي : مجلة الأخلاق الاسلامية للبحاثة محمد محمود المصري : الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي الأغاني لابي الفرج الأصفهاني : العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي : عيون اخبار الامام الرضا للعلامة الصدوق : امالي ابن بابويه : حياة محمد لمحمد حسين هيكل : نور الابصار للعلامة الشبلنجي : تفسير القرآن للامام فخر الدين الرازي : تذكرة خواص الامة لسبط ابن الجوزي السيرة الحلبية لابن برهان الشافعي : كشف الغمة لعلي بن عيسى الاربلي الاوراق لابي بكر الصولي : وفيات الاعيان لابن خلكان : مسند الامام احمد بن حنبل : البصائر لابي حيان التوحيدي : كمال الدين للامام الصدوق : الكشكول للعلامة الشيخ بهاء الدين العاملي : المناقب لابن شهراشوب : درر الاصداف للشربيني : تاريخ ابن القفطي ينابيع المودة للشيخ سليمان بن خواجه كلان الحسيني : الآداب السلطانية لابن الطقطقي : رحلة الى الشرق للمستشرق مرشلوس

فهرس الموضوعات

كلمة العماد الاصفهاني ٢- بيان للمسلمين يحثهم على الاتحاد ٣- توطئة في مقدمة الكتاب ٥- شهادة العلماء والفلاسفة من غير المسلمين بالرسول الأمين ودينه القويم ٧- مهد الدين الاسلامي والديانات السماوية بلاد العرب ١٥- تمهيد في تأسيس دولة فينيقية في شمالي افريقية وهي قرطاجنة الوارثة لعظمة صيدا وصور ١٨ - قريش وهاشم ٢٠ - مولد النبي العربي محمد بن عبد الله وقد كفله جده عبد المطلب ٢٠- وفاة امه آمنة بنت وهب ووفاة جده عبد المطلب ٢٣ - كفالة عمه ابو طالب له بعد جده ٢٣ - رحلته الاولى الى الشام مع عمه وفي بصرى رآه بحيرى الراهب الذي بشر عمه بان ابن اخيه سيكون له شأن عظيم ٢٥ - حرب الفجار بين قريش وهوازن واشتراكه في حلف الفضول ورعيه غنم اهله ٢٦ - زواجه من السيدة خديجة بنت خويلد بعد رحلته الثانية الى الشام في تجارتها ٢٦ - خطبة عمه ابو طالب في حفلة الزواج ٢٧و٢٨ - رجوع القرشيين لحكمه في وضع الحجر الاسود في الكعبة مكانه ٢٩ - حياته في غار حراء وعبادته على شريعة خليل الرحمن ٢٩ - اول الوحي والبعثة ونزول الروح الأمين عليه في ليلة مباركة وتشجيع السيدة خديجة له وبشارة عمها ورقة بن نوفل لها بانه هو النبي المنتظر ٣٠ - فتور الوحي ما بين ثلاثين او اربعين يوماً ثم نزل عليه الوحي بسورة الضحى ٣٢ - الصلاة وعلم الله نبيه الصلاة واول من صلى معه زوجه خديجة وابن عمه علي بن ابى طالب ٣٣ = النزول والتنزيل بدأ في مكة ثم بعد هجرته للمدينة وعدد السور والآيات والحروف

٣٥ - الشرائع الدينية بعد الاعتراف بالوحدانية والنبوة بالدليل العقلي ٣٥ - الصلاة والزكاة وفريضة الحج وصوم شهر رمضان والجهاد في سبيل الله ٣٥ و ٣٦ - الشرائع الاجتماعية شرع الله القصاص وحدد الحدود وحرم الربا واحل البيع ٣٧ - واوضح كيفية التعامل وفصل المواريث وجعل للمرأة نصيبها ونهى عن اكل اموال اليتامى وشرع الزواج والطلاق واباح الزواج باكثر

من امرأة مع العدل وحث على تأدية الامانة لأهلها ونهى عن الشرك المردي وجعل الناس احراراً في دنياهم وامر بالبر بالوالدين ٣٨ و ٣٩ – واباح الزينة والطيبات وعدم الاسراف والاعتبار بالامم الغابرة ونبه على الآداب في الاستئذان والتحية عند الدخول الى البيوت ٤٠ – ونهى النساء عن التبذل . وأمر بالصفح والعفو وبين لنا بأن لكل عمل ثواب وكشف لنا حقيقة العدل والاصلاح ٤١ – وفصل لنا آداب المناظرة مع غير المسلمين وان الدين الاسلامي اول ما يقدس الواجب . ولا يوجد أمة قامت على الدين والعلم معاً غير الأمة الاسلامية بشهادة فلاسفة الغربيين ٤٢ – وانذر عشيرتك الأقربين ٤٣ – ابو لهب وزوجه ام جميل ٤٤ – خطر ملموس يكاد الدين الاسلامي يجرف اصنامهم ٤٥ – الجهر بالدعوة زلزل موقف قريش واصابها داء السعار وامعنت بالأذى ٤٦ – الهجرة الى الحبشة حديث الغرانيق ٤٧ – سفارة قريش الى النجاشي ووقوف جعفر بن ابي طالب في مجلس الملك يشرح فضائل الدين الاسلامي شرحا حمل اللورد كرومر العميد البريطاني على التصريح بقوله لو اجتمع علماء الشرق والغرب على وصف الدين الاسلامي لما أتوا احسن واخصروا جمع من وصف مهاجري الحبشة له ٤٨ و ٥٠ اسلام حمزة وعمر بن الخطاب ٥٢ – وفود قريش إلى ابي طالب ٥٢ – الحصار بالشعب ومقاطعة قريش للهاشميين بموجب صحيفة كتبوها بينهم ٥٥ – رفع الحصار بعد ثلاث سنين ٥٦ – الدعاية ضد النبي في المواسم وقدوم جماعات عليه صلوات الله عليه ورجوعهم من ركابه مملوءة قلوبهم إيمانا واسلاما ٥٨ – الايمان عقيدة راسخة لا تزيدها المحن والخطوب الا رسوخاً ٥٩ – التردد والذهول ابو سفيان وابو جهل والاخنس بن شريق ٦٠ – سفارة عتبة بن ربيعة إلى النبي ورجوعه في حيرة وذهول ٦٢ – ابو جهل والاراشي ٦٣ الحسد لا يرحم صاحبه

الفصل الثاني من الهجرة الى السنة الاولى

العاص بن وائل السهمي كان يقول غر محمد نفسه ٦٥ = كان الرسول يمشي ويسير وراءه الحكم بن ابي العاص وهو يخلج في انفه ٦٥ = ومن تاه في عمايته

الاسود بن عبد يغوث ٦٥= عبس وتولى ٦٦ = إلفات الشباب المتعلم للاقتداء بالنبي الاعظم ٦٧= عام الحزن ٦٧ = وفاة ابي طالب ٦٨ = وفاة خديجة ام المؤمنين ٦٩ = الخروج إلى الطائف بعد ان فقد النصيرين ابي طالب وخديجة ازداد عليه الاذى ولم يكن اهل الطائف خيراً من المكيين ٧١= عداس النصراني ورجوعه من الطائف بعرض نفسه على القبائل ولم يرمنهم إلا الاعراض ٧٢ – يعود إلى مكة ولم يتمكن من دخولها حتى جاء المطعم بن عدي احد اشرافهم وأجاره ٧٤ – الاسراء والمعراج ٧٥ – المصاهرة لقد تزوج سودة بنت زمعة ارملة احد المسلمين بعد وفاة خديجة ثم مكن أواصر القربى بينه وبين أبي بكر حيث خطب ابنته عائشة ٧٨ – تباشير النصر والظفر مقدمات الهجرة إلى المدينة ١١ = الشعب اليهودي في القرن العشرين يغري دولتين عظيمتين مسيحيتين على تأسيس دولة يهودية في فلسطين مولد المسيح ومعراج محمد عليهما السلام ٨٠ = بيعة العقبة الاولى سنة ٦٢٠ م ٨١ = بيعة العقبة الكبرى واشراطها ٨٢ = هجرة الرسول الى المدينة ٦٢٢ م علي في فراش النبي يفديه بنفسه ٨٥ = النبي وصاحبه في غار ثور ٨٦ = معجزة الغار ٨٧ = ماقاساه النبي من وعثاء السفر في الطريق إلى يثرب ٨٨= دخوله لها صلى الله عليه وآله وسلم ٩٠ -

الفصل الثالث من الهجرة الى آخر السنة الثالثة

المدينة المنورة ٩٠ = ما قاله شاعرهم أنس بن هرمة ٩١ = استقبال اليثربيين للنبي وهم يستعرضون قيافته وهيئته وأخلاقه ووجوههم تطفح مروراً ٩١ = مواعظه تعاليمه مؤآخاته بين المهاجرين بناء المسجد جهاده في إصلاح حال اليثربيين ٩٤ = سننه ٩٥ – تنظيم أحوال اليثربيين وجمع وحدتهم وهم ما بين مسلم ويهودي ومشرك على الحب والصفاء بعد أن طحنتهم الحروب وكتب بينهم صحيفة التحالف على التعاون بين الاحزاب وأطلق حرية المعتقد للجميع ٩٤ و ٩٥ = انتقاض اليهود خوفاً من الاسلام يطغي عليهم ٩٦ =الاشتراكية

في الاسلام ٩٦ – المناوشات بين المسلمين والمشركين ٩٧ – غزوة ودان
٩٨ – ماجريات حوادث السنة الاولى ٩٨ – السنة الثانية سنة الأمر
٩٩ = سرية عبد الله بن جحش الفتنة اكبر من القتل ٩٩ = المؤتمر الثلاثي بين
المسلمين والمسيحيين واليهود ١٠١ = غزوة بدر الكبرى خروج المسلمين إلى
بدر ١٠١ = وعدة اصحاب النبي ثلاثماية رجل من المهاجرين والأنصار ١٠٢
– خروج قريش من مكة ١٠٢ – كلمة الأنصار للنبي ١٠٢ – قال النبي
سيروا وابشروا ان الله وعدني احدى الطائفتين ١٠٣ – بناء العريش للنبي
حمزة يقتل ابن عبد الاسد ١٠٤ = التقاء الجمعين في ساحة النزال اشراف القرشيين
خرج اليهم حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث فقتلوهم واستشهد عبيدة ١٠٥ –
وخاض المعركة حمزة وعلي وتابعوهم ابطال المسلمين يحصدون رؤوس المشركين
١٠٦ – مقتل ابي جهل وأمية بن خلف وغيرهما من صناديد القرشيين وجيء بالعباس
عم النبي اسيراً ١٠٧ — نزول الوحي على النبي بالآية الكريمة « ولقد نصركم
الله ببدر وانتم اذلة » ماجريات حوادث السنة الثانية ١١٠ = السنة الثالثة سنة
التمحيص ١١١ = اليهود يأتمرون ويشاغبون غزوة بني قينقاع ١١٢ = غزوة
السويق هجوم ابي سفيان على المدينة خلسة ١١٣ — غزوة غطفان ١١٤ –
غزوة غطفان ١١٤ = غزوة أحد تجهيز قريش للثار من يوم بدر ١١٥ =
رسول العباس الى النبي وصول قريش إلى المدينة ونزلوها في سفوح جبل أحد
١١٥ = تشاور النبي وأهل المدينة منهم القائلون بالتحصن بالمدينة ، ومنهم القائلون
بالخروج للقاء العدو ١١٦ = اصحاب الرسول سبعماية محارب في وجه ثلاثة
آلاف من المشركين ١١٦ = خروج المسلمين تنظيم الصفوف قريش ونساؤها
النضال في ساحة الشرف ١١٧ = حمزة بن عبد المطلب وعلي بن ابي طالب
فرسا رهان ابو دجانة وعصابة الموت ١١٨ = علي بن ابي طالب يقتل اصحاب
اللواء عمه حمزة الرهبة تسبق سيفه يتلوها الموت ١١٩ = ظفر المسلمين مخالفة
الرماة امر النبي جمع المشركون فلولهم بعد الهزيمة الدائرة تدور على المسلمين مقتل
حمزة سيد الشهداء ١٢٠ = ما أصاب الرسول علي يدافع عنه بعد هزيمة المسلمين

حزن النبي على عمه حمزة ١٢٣ = دفن القتلى والعودة إلى المدينة والخروج في الغداة إلى العدو ١٢٤ . غزوة حمراء الأسد . رجوع ابي سفيان الى مكة هاربا ١٢٥ = يوم الرجيع ١٢٦ = ماجريات حوادث السنة الثالثة ١٢٦ = الفصل الرابع من اول السنة الرابعة لغاية السنة السادسة ١٢٧ = السنة الرابعة سنة النرفئة سرية بئر معونة ١٢٧ = سريه ابي سلمة . سرية عبد الله بن انيس غزوة بني النضير ١٢٨ = بدر الآخرة كاتب سر النبي غزوة ذات الرقاع ١٣١ = ماجريات السنة الرابعة . السنة الخامسة سنة الزلزال ١٣٢ = وقعة الاحزاب ١٣٣ = تألبت العرب كلها على المسلمين بالمدينة خوف المسلمين . حفر الخندق حول المدينة ١٢٤ = خيانة بني قريظة . ازدياد الخوف من وثوب القبائل ١٣٦ = خيول المشركين تطفر الخندق يتقدمهم فارس الاحزاب فيخرج اليه فارس المسلمين علي بن ابي طالب فيقتله ١٣٧ = وكفى الله المؤمنين القتال غزوة بني قريظة . دفع الرسول اللواء إلى علي بن ابي طالب . مقتل مثير الفتن حيي بن اخطب ١٤١ - غزوة دومة الجندل ١٤٢ — ماجريات حوادث السنة الخامسة ١٤٣ — السنة السادسة سنة الاستئناس وقد نثلث قريش آخر سهم في كنانتها نسخ عادة التبرج ١٤٣ — غزوة بني لحيان غزوة ذي قرد ١٤٦ — غزوة بني المصطلق ١٤٧ — حديث الافك براءة السيدة عائشة ١٤٨ — ابطال التبني الذي كان قبل الاسلام ١٤٩ — زواج النبي بامرأة من زوجة زيد بن حارثة للقضاء على عادات الجاهلية ولا عبرة بانتقاد لامنس اليسوعي واضرابه ١٥١ — غزوة الحديبية وبيعة الرضوان ١٥٢ — غزوة خيبر وقد حمل علي بن ابي طالب باب الحصن كالترس حتى فتح الحصن وقتل مرحباً بطل اليهود ١٥٦ السفارات النبوية للملوك والأمراء ١٥٩ و ١٦١ - ماجريات حوادث السنة السادسة ١٦٣ — عمرة القضاء جلاء قريش عن مكة ١٦٤ - ماجريات حوادث السنة السابعة ١٦٦ — السنة الثامنة سنة الاستواء ١٦٦ - ظهور الذل والغلب على قريش بعد عمرة القضاء ١٦٢ — المسيحية والاسلام ١٦٨ — موقعة مؤتة حيث استشهد جعفر بن ابي طالب وزيد بن

حارثة وعبد الله بن رواحة ١٦٨ ـــ غزوة ذات السلاسل ١٧١ ـ فتح مكة نقض قريش عهد الحديبية استصراخ قبيلة خزاعة النبي بالمدينة ١٧١ ـــ مسيرة جيش المسلمين إلى مكة تطهير الكعبة من الأصنام ١٧٤ ـــ صعود علي بن ابي طالب على سطح البيت العتيق حيث اقتلع صنم خزاعة وقذف به إلى الارض ١٧٩ ـــ غزوة حنين فرار المسلمين ثبات النبي في المعركة وعلي يضرب بسيفه بين يديه . نداء العباس للمسلمين ورجوعهم وانتصارهم بعد الهزيمة ١٨١ ـــ غزوة الطائف وحصارها وقد رد سبايا هوازن ١٨٥ ـ ماجريات حوادث السنة الثامنة ١٨٧ ـــ السنة التاسعة سنة البراءة ١٨٧ ـــ وفود الشعراء والأمراء على النبي ١٨٨ ـ مولد ولده ابراهيم من ماريه القبطية ١٨٩ امتعاض نساء النبي منها ١٩٠ ـــ غزوة تبوك وقد خلف على المدينة عليا بن ابي طالب ١٩١ ـــ تحرك الجيش تحت قيادة الرسول ١٩٢ ـ معاهدة أهل الحدود ١٩٣ مؤآمرة بعض المنافقين على النبي ١٩٤ ـ غزوة تبوك خاتمة غزواته . هدم مسجد الضرار . وفاة عبدالله بن ابي ١٩٥ ـــ وفاة ابراهيم بن الرسول ١٩٦ ـــ علي بن ابي طالب يبلغ عن الرسول يوم الحج الاكبر ١٩٧ ـ دحض انتقاد بعض المستشرقين ١٩٩ ـــ ماجريات حوادث السنة التاسعة ٢٠٠

ـــ الفصل السادس . من اول السنة العاشرة الى انتقاله للرفيق الأعلى ٢٠١ السنه العاشرة سنة الوداع . وقد ثقيف وهدم صنمهم اللات ٢٠١ ـ مربة علي بن ابي طالب الى اليمن ٢٠٢ ـ دخول اليمن ومهرة والبحرين واليمامة بالاسلام ٢٠٢ ـ المباهلة ٢٠٤ ـ حجة الوداع وحدة العرب في ظل الاسلام تجهز النبي إلى الحج ٢٠٧ ـ مسيرة النبي إلى الحج الاحرام والتلبية الاحلال بالعمرة رجوع علي بن ابي طالب من اليمن إلى مكة اشركه النبي بالهدي الذي ساقه من المدينة ٢٠٨ ـــ اداؤه مناسك الحج . خطبة الرسول الجامعه ٢١٠ ـ غدير خم اليوم اكملت لكم دينكم ٢١٢ ـــ الأنبياء الكذبة ٢١٤ ـ ماجريات حوادث السنة العاشرة ٢١٥ ـ السنة الحادية عشرة اكمل تنظيم جزيرة العرب واسس الدولة ووضع قواعدها وانهزم الشرك امام التوحيد وعنت الوجوه للحي

القيوم ٢١٥ - وصية النبي لأسامة بن زيد وتجهيز الجيش تحت قيادته ٢١٦ - مرض النبي الاستغفار لأهل المقابر خروجه إلى المسجد ٢١٧ — بعد الصلاة يحث على تنفيذ جيش أسامة . وأراد أن يكتب لهم كتابا فاختلفوا ٢١٨ — ابنته السيدة فاطمة وحديثه لها حذر المسلمين من الاختلاف عليه وأمرهم بالتمسك بسنته والاقتداء بعترته ٢١٩ - وفاته صلى الله عليه وآله وسلم علي بن ابي طالب يناجيه . اختاره الله إلى جواره في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول الذي هو تتمة عشر سنين للهجرة في ٢٩ مارس سنة ٦٣٢ ميلادية ٢٢٠ — بعد النبي أصبح منزل اهل بيت النبوة بيت أحزان وكادت الصدمة تودي بحياة علي بن أبي طالب وعمر كذب الوفاة . مجيء ابي بكر من السنح يزيل ما علق بالأذهان ٢٢١ - كل نفس ذائقة الموت ٢٢١ - الأحزاب القرشية ٢٢٣ سقيفة بني ساعدة ٢٢٣ - علي بن ابي طالب يغسل النبي . مجيء عمه العباس ليبايعه بالخلافة فيأبى عليه ويقول له أنا في شغل عن هذه الامور ٢٢٥ - ما مني به المسلمون بعد النبي ٢٢٦ - مرقده في حجرته التي قبض فيها ٢٢٦ - اتحاد الصحابة لتعزيز الدين ٢٢٨ — الخلفاء الراشدون والآل المنتجبون ٢٣٠ - اولاد النبي ٢٣٠ - ازواج النبي وسراريه الطاهرات ٢٣١ - اعمام النبي وعماته ٢٣٢ - حاضنته وأمه من الرضاع ٢٣٣ - غزواته ومراياه . كتبة الوحي . اسماء خيله وسيوفه . معيشته ومواليه الذين اعتقهم ٢٣٣ - صفته واخلاقه ٢٣٤ - المعجزة تعددت منه صلى الله عليه وآله وسلم واعظمها القرآن الشريف ٢٣٥ - المأثور عنه من الاحاديث ٢٣٧ -

الفصل الثامن

يشتمل على حياة امير المؤمنين علي بن ابي طالب وولده الحسن الزكي - قل لاأسألكم عليه اجرا إلا المودة في القربى ٢٤٠ - ميلاد امير المؤمنين علي عليه السلام واستشهاده ومحتده - كنيته والقابه وصفته ونقش خاتمه وشاعره وكاتبه ٢٤٣ - خصائصه ٢٤٣ - جواب الحسن البصري وقد سئل عنه وما قاله

الخياط والرافعي في حقه ٢٤٤– ما قاله الرسول في حقه ٢٤٥ – بعض الاحاديث التي وردت بفضله ٢٤٦ – قوة ايمانه وزهده وعدله وعلمه ٢٤٧ – خطبة النبي في غدير خم كما جاء في تاريخ اليعقوبي ٢٤٩– ما قاله حسان بن ثابت يوم الغدير ٢٥٠= خلافته واجتماع الامة على بيعته ٢٥١ خروجه إلى البصرة لحرب الناكثين ٢٥٣ = كتابه الى معاوية ليدخل فيما دخل فيه الناس ٢٥٥ = اتفاق معاوية وعمرو بن العاص وخروجهما على الخليفة الشرعي ٢٥٦ = وفاته شهيداً حيث اغتاله الشقي بن ملجم ٢٥٨ شذرات من كلامه ٢٦٠

خلافة ابي محمد الحسن الزكي مولده ووفاته صفته وما جاء في حقه من الاحاديث ٢٦١ صفته وكنيته وخلافته ٢٦٦ معاويـــة بن ابي سفيان وبطانته ٢٦٧ معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومشاغبتهم على الامام الحسن ٢٦٩ تجهيز معاوية الجيش لحرب الحسن ٢٦٩ انتقاض جيش الامام الحسن باساليب مخصوصة من رجال معاوية ٢٧٠ اتفاق معاوية مع الامام الحسن على شروط لم يف بها معاوية ٢٧١ الاكراه على الصلح ٢٧٢ استلحاق معاوية زياد ابن ابيه بوالده ابي سفيان ٢٧٣ خروج الامام الحسن من الكوفة الى المدينة ٢٧٤ اريحيته ومكارمه ٢٧٦ العداوة بين بني هاشم وبني امية ٢٧٧ وفاة الامام الحسن ٢٧٨ اولاده عليه السلام ختام كلمتي في حياته ٢٨٠ ٢٨١ شذرات من كلامه

الفصل التاسع

في سيرة الامام الحسين شهيد كربلا ٢٨٢ مولده ووفاته ومحتده والقابه ٢٨٢ الخليفة عمر بن الخطاب يفضله هو واخيه الحسن على اولاده ٢٨٤ خروج الحسين من المدينة الى مكة ٢٨٦ مطالبة بني امية للامام الحسين ان يبايع يزيد فيأبى ٢٨٧ قوة إيمانه واخلاصه لله ٢٨٨ ورود الكتب من اهل الكوفة اليه ٢٨٩ ارسال ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل الكوفة لينظر قوة ايمانهم ٢٨٩ ولاية ابن زياد على الكوفة ٢٩١ مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة وخيانة اهل الكوفة ٢٩٢ خروج الامام الحسين من مكة الى الكوفة ٢٩٤

أول طلائع ابن زياد للتضيق عليه ٢٩٥ خروج عمر بن سعد لقتال الحسين ٢٩٦
كتاب ابن زياد الى عمر بن سعد ٢٩٦ مصرع العبد الصالح مسلم بن عوسجة من اصحاب الحسين ٢٩٧ مصارع اصحابه واهل بيته ٢٩٨ استشهاد الهاشميين ٢٩٨ وبعد استشهاد اصحابه واهل بيته بقي وحيدا في وجه جيش زهاء ثلاثين الفا ٣٠٠ مواعظه لهذا الجيش الجرار على غير فائدة ٣٠١ استشهاده عليه السلام ٣٠٢ دخول السبايا ورؤوس الشهداء على ابن زياد ٣٠٤ دخولهم على يزيد بن معاوية بالشام ٣٠٤ رجوعهم إلى المدينة ٣٠٨ ماذا في الشهر الحرام ٣٠٨ احاديث مكذوبة ٣١٠ التوابين والمختار بن عبيد الثقفي ٣١١ خروج سلمان بن صرد الخزاعي واصحابه للطلب بثار الحسين ٣١٣ مقتل عبيد الله بن زياد ورؤساء جيشه الذين حاربوا الحسين ٣١٤ شذرات من كلامه عليه السلام ٣١٥

الفصل التاسع

في سيرة السجاد وولده الباقر عليهما السلام ٣١٦ الامام ابو محمد علي بن الحسين مولده ووفاته ونجاره ٣١٦ سياسته ومعاصروه ٣١٧ ادعيته المأثورة عنه ٣٢١ ومن كراماته ٣٢٢ احسانه وكرمه ٣٢٤ علمه وفضله ٣٢٤ مبادىء الاشتراكية في الدين الاسلامي ٣٢٦ مدح الفرزدق الشاعر للامام بحضور هشام بن عبد الملك ٣٢٧ شهادة العلماء بفضله وعلمه وزهده وتقواه ٣٢٩ اولاده ٣٢٩ شذرات من كلامه ٣٣٠ ابو جعفر الامام الباقر عليه السلام مولده ووفاته والقابه وجوده وسخاؤه وعلمه وفضله ٣٣١ الامام الباقر يجلس مجلس ابيه للوعظ والارشاد والفتيا وتجتمع العلماء تحت منبره ٣٣٥ سياسته وماهيتها البعد عن السياسة ٣٣٦ اهداء رسول الله السلام اليه ٣٣٧ السكة الاسلامية ٣٣٩ مناقبه وفضائله ٣٤٠ كرامة باهرة ٣٤٢ اولاده ٣٤٣ شذرات من كلامه ٣٤٤

الفصل الحادي عشر

سيرة الامامين الصادق والكاظم عليهما السلام ٣٤٥ الامام ابو عبد الله جعفر الصادق مولده ووفاته ٣٤٥ القابه ٣٤٦ ادلة امامته ٣٤٦ سياسته ٣٤٨

علومه والراوون عنه ٣٥١ وممن تلمذ عليه جابر بن حيان في علم الكيميا ٣٥٢ ابو حنيفة والامام الصادق في مجلس المنصور العباسي ٣٥٤ ادخال السرور على المؤمن ٣٥٦ اولاده وشذرات من كلامه عليه السلام ٣٥٨

ابو ابراهيم موسى الكاظم عليه السلام مولده ووفاته ٣٥٩ معاصروه من الخلفاء العباسيين ٣٦٠ سجيته واخلاقه ٣٦١ خبره مع نفيع الانصاري ٣٦٣ الامام الكاظم والخليفة المهدي العباسي ٣٦٥ اعتقال الرشيد العباسي للامام وارساله إلى حبس البصرة ٢٦٧ من كراماته ارسال الرشيد ابا يوسف ومحمد بن الحسن الى الامام بالحبس لسبر غور علمه ٣٦٩ اولاده ٣٧١ ما روى عنه شقيق البلخي ٣٧٢ وفاته ٣٧٤ شذرات من كلامه عليه السلام ٣٧٥

الفصل الثاني عشر

في سيرة الامامين الرضا والجواد عليهما السلام الامام الرضا علي بن موسى الكاظم مولده ووفاته ومحتده ٣٧٦ ادلة امامته شاعره واولاده ٣٧٧ معاصره ٣٧٨ انتقاله من المدينة المنورة الى ولاية طوس ٣٧٩ قدومه على نيسابور ٣٨٠ الخلاف بين الأمين والمأمون ٣٨١ انتصار المأمون على اخيه الأمين ٣٨٢

المأمون يريد ان يبايع الامام الرضا بولاية عهد الخلافة والامام يأبى عليه ٣٨٣ وقد تعددت الوفود والامام لا يقبل ٣٨٣ اجتماع المأمون والامام الرضا في المسجد وحاول المأمون ان يخلع نفسه من الخلافة ويبايع الامام فامتنع وبعد التهديد قبل بولاية العهد ٣٨٣ البيعة للامام الرضا بولاية العهد ٣٨٤ لماذا تقلد الامام ولاية العهد الامام والشعراء ٣٨٦ على الأصول ثنبت الغصون ٣٨٨ معجزاته ٣٨٩ وفاته ٣٩١ شذرات من كلامه عليه السلام ٣٩٣ ابو جعفر الثاني الامام الجواد ٣٩٤ مولده ومحتده والقابه وكنيته واصحابه ٣٩٤ عاصر من الخلفاء العباسيين المأمون والمعتصم ٣٩٥ الامام محمد الجواد من خزنة علم آبائه ٣٩٧ المأمون والامام ٣٩٨ اخلاقه واطواره ٣٩٩ احترام المأمون للامام ٣٩٩ يحيى بن اكثم يناظر الامام ٤٠١ العصبية العباسية ٤٠٢

التقليدية زواج الامام من بنت المأمون ٤٠٣ وفاته ٤٠٥ شذرات من كلامه عليه السلام ٤٠٦

الفصل الثالث عشر

في سيرة الامامين الهادي والعسكري ٤٠٧ الامام علي الهادي مولده ووفاته ونسبه والقابه ٤٠٧ عاصر من الخلفاء العباسيين المتوكل والمنتصر والمستعين والمعتز والمعتمد ٤٠٨ اخباره واحواله ٤١٠ اخباره مع المتوكل ٤١١ مناظرة ابن السكيت ويحيى بن اكثم للامام باشارة المتوكل ٤١٢ ارسال المتوكل قائده يحيى بن هرثمة الى الحجاز لاشخاص الامام الى سامراء ٤١٣ كلامه في تنزيه الباري تعالى ٤١٤ كراماته مؤلفاته ٤١٥ شباب العرب وثقافتهم ٤١٥ شذرات من كلامه عليه السلام ٤١٧ الامام ابو محمد العسكري - مولده ووفاته والقابه بوابه وثقافته ٤١٨ التاريخ يعيد نفسه باحتلال اليهود الى فلسطين ٤٢٢ الامام العسكري وخلفاء العباسيين ٤٢٣ شخصيته ٤٢٤ كراماته ٤٢٥ شذرات من كلامه عليه السلام ٤٢٦

الفصل الرابع عشر

في سيرة الامام المنتظر ابو القاسم المهدي عليه السلام - مولده وغيبته ومحتده وكنيته صفته في خلقه وحليته ٤٢٨ الاحاديث الواردة في حقه ٤٢٩ سفراؤه الأربعة في الغيبة الصغرى ٤٣٠ انقطاع النيابة في الغيبة الكبرى عجل الله فرجه ٤٣١ عاصر من الخلفاء العباسيين المعتمد الذي حاول الفتك بالامام ٤٣٢ الخلاف في غيبته بين النفي والاثبات ٤٣٣
غيبته عليه السلام ٤٣٣ الاتفاق على مجيء مصلح ٤٣٤ تصديق الامام الرضا على قول الشاعر دعبل الخزاعي ٤٣٦ علامات ظهور المهدي عليه السلام ٤٣٩ ما قاله العلماء في غيبته وظهوره ٤٤٠ ابيات للمؤلف بمدح الامام المهدي ٤٤٢ شذرات من كلامه عليه السلام ٤٤٣ سجل المراجع ٤٤٥ فهرس الموضوعات ٤١٦ الخطأ والصواب ٤٥٧

العصمة لله وحده

-(الفات نظر)- بعد الفراغ من الطبع وجدنا هذه الاخطاء التي كنا نتحاشى وقوعها بعد العناية التامة بالتصحيح الأول ومع انها غير مخلة في المعنى فالرجاء من القارىء الكريم المعذرة لصدورها على غير علم منا وهذا جدول الخطأ والصواب واستمد من الله العناية

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	١	وموعظة	وموعظة
٤	١٠	ونحن	نحن
٥	٩	وبوشك	وتوشك
٥	١٠	واغشي	واغشى علي
٥	١	اعتقادوعمل	اعتقاداوعملا
٨	٢٥	والعشرون	والعشرين
١٠	١٧	مناراً	منار
١٠	٢١	لا اثنتين	لا اثنتان
١١	١٢	لم يفطنوا	لم يفطن
١٢	١٠	علوم وفنون	علوماً وفنوناً
١٥	١١	فحي الله	فحيا الله
٢٢	٢٢	خمس عشرة	خمسة عشر
١٧	٧	يدرسونه	يدرسه
١٩	١٦	عاكفون	عاكفين
»	»	ووئد	ووأد
»	٢٣	فشي	فشا
٢٠	٢٤	بثلاثة	بثلاث
٢١	٢٢	فنشى	فنا
٢٢	٨	شأنا عظيما	شأن عظيم
٢٢	٢١	تركتيه	تركته
٢٣	٧	نظروا	نظر
٢٣	٢١	جلسائه	جلساءه
٢٤	١٤	ابو	ابي
٢٥	٦	عشر	عشرة
٢٦	»	التي	الذي
٢٨	٥	عشر	عشرة
٢٩	١٢	فرسا	فرمي
»	١٢	المفادات	المفاداة
٣١	١٩	اذن	اذناً
»	٢٠	زلاقة	ذلاقة
٣٢	١٦	اياماً	ايام
»	٢١	يتقولون	يتقول

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٣٣	٢١	اباذر	ابو ذر
٣٤	٤	محى	محا
«	١٧	الاحدى	الحاديه
٣٥	٤	اثنا عشرة	اثنتا عشرة
«	«	وثلاث عشر	وثلاثة عشرة
٣٦	٢٢	ويعطفون	ويعطفون بعضهم
٣٩	٣	قيدا ودحضا	قيد ودحض
٤٠	٢٣	الكفين والقدمين	الكفان والقدمان
٤١	٥	وهاتين الآيتين	وهاتان الآيتان
٤٢	١١	المساوات	المساواة
«	٦	مثابراً	مثابر
٤٣	٧	هي	هو
«	٨	شيئاً	شيء
«	٢٥	يوهن عزمه	يوهنا عزمه
«	«	تهي همته	ته همته
٤٥	٦	ويتطهرون	ويتطهروا
٤٦	٣	سفهائهم	سفاؤهم
«	١٦	يزهدم	يزدهم
٤٧	١	ابو	ابي
«	٣	يبيتونه	يبته
«	١٦	اصحابه	لاصحابه
«	١٨	احدى	احد
«	٢٢	الله اراد	الله اذا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٢٢	٢٣	ابوجهل	ابي جهل
٤٨	١١	ثلاث	ثلاثة
٤٩	١٤	لا ينتظم	لاينتظمان
«	١٧	ظاهر ومخالف	ظاهران ومخالفان
٥٤	٢١	يهدهد	تهدهد
٥٧	١	بصفيحهم	بصحيفتهم
٥٨	١	ستة عشر	ست عشرة
٥٩	١	هجزه	هزجه
٦٤	٢١	ختمت	ختمتا
٦٨	٢٠	خمسة	خمس
«	«	عشرة	عشر
«	٢٢	اثنين	اثنتين
٧٧	٤	كالمستهزء	كالمستهزى
٧٨	٢٠	عشر	عشرة
٨٩	١٦	بده	بدأ
٨٤	١	جديداً	جديد
٨٦	١٩	مرضات	مرضاة
٩٥	٢	بالترهات	بالترهات
«	٤	ادما	ادم
٩٧	١	اغتصبها	اغتصبتها
١٠٠	١٧	جهيزه	جهيزة
١٠٤	١٣	بدراً يقام	بدر تقام
١٠٦	١٤	أبو	أبا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
١٠٦	١٤	فارس	فارساً
«	١٩	وتابعوهم	وتابعهم
١٠٧	٢٠	محى	محا
١٠٨	٩	فقالوا	فقال
«	١٤	أخيها	أخاها
١٠٩	١	التي	الذي
١٠٩	٧	فيشمتوا	فيشمتون
«	١٠	فرسا	فرسي
«	١٤	احدى	واحدا
١١٢	٢١	يجلب	تجلب
١١٤	٤	بالب	تؤلب
«	٥	مشرأبة	مشرئبة
«	١٨	فعفى	فعفا
١١٥	٨	اعادة	اعادت
«	١٣	حلفائهم	حلفاؤهم
«	١٥	ليتعجلونها فينتهزونها	ليتعجلوها لينتهزوها
١١٥	١٧	لا تدعو	لا تدعوا
١١٦	١٥	الفا	الف
«	١٧	ملاقات	ملاقاة
١١٧	٤	مابتي	ماينا
«	٥	خمسةعشر	خمس عشرة
١١٨	٣	فرسا	فرسي
«	١٧	وحشي	وحشيا
١١٨	١٢	اؤخذه	آخذه
١١٩	٦	وهربن	وهرب
١٢٠	١٤	خال	خاليا
«	١٤	مائتي	مائتا
«	٣	ملاقات	ملاقاة
١٢١	٦	صوتامشؤماً	صوت مشؤم
١٢٢	١٩	جنوه	جناه
«	٢٣	اعلاه	اعلى
١٢٣	١	سبعون	سبعين
«	٢	وعشرين	وعشرون
«	١٢	نهتدي	نهتد
«	١٥	ابو	ابي
«	١٧	واذانه	وأذنيه
١٢٤	٦	فداءك	فداؤك
١٢٥	١٣	ابو	ابي
١٢٦	٦	نفر	نفراً «
١٢٧	١٠	فيدعنهوم	فيدعونهم
«	«	ابو	ابي
١٢٩	١٨	عشرون	عشرين
١٣٠	١٣	ابو	ابي
١٣٧	١٤	ذات	ذا
١٤٠	٢٣	بجمعون	بجمعين
١٤٢	٦	خمساً	خمسة
١٤٣	٢٣	يتنازعان	تتنازعان

صفحه	سطر	خطأ	صواب
١٤٤	٢٥	مصانة	مصونة
١٤٥	١	ملهاتا	ملهاة
١٤٦	١٠	مأتي	ماتي
١٤٩	١٧	ماافترفوا	ما اقترفن
١٥١	١٠	فلاتخشاهم	فلاتخشهم
١٥٣	١٧	وغيرهم	وغيرها
١٥٥	١٩	تنبذه	تنبزه
»	١٥	لها	لها ندّ
١٥٦	٢٠	ويستميتون	يستميتون
١٥٩	١٥	المحكمين	المتحكمون
١٦٣	١١	التي	الذي
»	٢٠	محذور	محظور
١٦٦	١	يأكلون	يأكلوا
١٦٧	٢٤	منتصرة	متنصرة
١٦٨	٢٥	العدوران	العدوان
١٦٩	١٤	متراً	متر
١٧٠	٩	جعفر	جعفراً
١٧٠	١٠	شهيداً	شهيد
١٧٣	١٦	يجرأها	يجرئها
»	٢٠	مايتين	مايتا
١٧٣	٩	غضبانا	غضبان
»	٢٥	فوجد	فوجدا
١٧٤	٢٣	أبو	ابا
١٧٥	١٤	اباوصاحبيه	ابووصاحباه
١٧٦	١٦	المهاجرين	المهاجرون
١٧٧	١	ابو	ابي
»	٢	المفاجئات	المفاجئاة
٧٨	١٩١	وعفى	وعفا
١٧٩	٦	لي	إلى
»	١٠	يلق	يلقي
١٧٩	١٥	عشرة	عشر
١٨٠	١٨	دمائنا	دماؤنا
١٨١	٤	ابو	ابي
١٨٥	٢١	اثنين	اثنتين
١٧٦	١	بجذورا	بحظوراً
١٩١	١٤	منصرف	منصرفاً
»	١٧	فربق	فريقاً
»	١١	مصدقاً	مصداقا
١٩٣	٨	وفشى	وفشا
١٩٨	٥	عشر	عشرة
٢٠٤	٢٢	باسداس	لأسداس
٢٠٥	٤	تدع	ندع
»	٢١	بأهل	باهل
٢٠٧	٢	التي	الدي
»	٣	لم يمنع	لم يمنعا
»	١٥	عبر	عبرا
١٠٨	٦	ونساءه	ونساؤه
»	٢٥	شكاباهم	شكاباتهم

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٢١٢	١٢	نسائه	نساؤه
٢١٤	٢٥	ففلحلوا	فافلحوا
٢١٥	١٩	ليفقهونهم	ليفقهوهم
»	٥	وادعائهم	وادعاؤهم
٢١٦	»	اذا	اذ
٢١٧	١٦	شيئا	شيء
٢١٩	٢٣	امرها	مرها
٢٢٣	١٩	شاملا	شامل
٢٢٤	٦	عارضوكم	عارضكم المهاجرين
٢٢٥	١٤	لم يقال	لم يقل
٢٢٧	١٦	ارضهم وديارهم	ارضها وديارها
٢٢٩	١٥	اربعة عشر	اربع عشرة
٢٣٣	٣	الثلاث	الثلاثة
»	١٣	سنة	ست
٢٤٠	١٤	اعادته	اعارته
٢٤١	١٧	بثلاثة	بثلاث
٢٤٣	١٨	ستة عشر	ست عشرة
»	١٦	ومؤاخات	ومؤاخاة
٢٤٥	٧	مهابا	مهيباً
٢٤٧	١٦	نوراً	نور
٢٥١	٢١	بضع	بضعة
٢٥٢	١	واخطروا انفسهم	واخطرا انفسها
٢٥٣	١٤	خرج	خرجا
»	١٩	غلبا	غلبوا
٢٥٤	١٧	الف	الفا
٢٥٦	٩	ولده	ولديه
٢٥٧	٣	كتمها	كتمها
٢٥٧	٩	اجنادالتي هو	اجنادالتي هي
»	٢٢	بصفحه	بصفحة
٢٦٢	٥	اولياؤه	اولياءه
٢٦٣	١٥	احدى	احد
٢٦٤	١٠	شجاعامقداماً	شجاع مقدام
»	١١	اماماً دينياً	امام ديني
٢٧٤	١	الفوزوالفلح	الفوزوالفلج
٢٧٥	٦	اماماً هاديا	امام ديني
»	٢٠	اللتين ارتقى	التي ارتقى
٢٧٦	٢٤	مقيان	مقيمين
٢٧٧	٢٠	يبلغها	يبلغها
٢٨٠	٧	عفى	عفا
٢٨٢	٢٥	بوزنها	بوزنه
٢٨٥	١٥	عشر	عشرة
٢٨٧	٨	اعناقها	عنقيها
٢٩٠	٨	يتلوا	يتلو
٢٩٣	٥	عظاة	عظات

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٢٩٣	١٢	خوته	اخوته
٢٩٨	١١	اثنان وعشرون	اثنين وعشرين
٢٩٩	٢٠	بعامود	بعمود
٣٠٢	١١	يتضاغو	يتضاغون
٣٠٤	١٥	علياً	على
٣٠٦	٣	ابو	ابي
٣٠٧	١٥	رحم	رحمي
٣١٤	٤	وابو	وابي
»	٣	وابو	وابي
»	٥	مقدمتهم	مقدمتها
»	٦	وارسلهم	وارسلها
٣١٦	٢٠	ذو	ذا
٣١٨	١٠	قريب	قريباً
٣٢١	٣	صفاة	صفات
٣٢٠	٧	قوي	قويا
٣٢٣	١١	لبكتك	لبكيتك
٣٢٣	١٨	وبدخولة	وبدخوله
٣٢٦	١٤	المؤاخات	المؤاخاة
٣٢٩	٧	فعفى	فعفا
٣٣٣	١	اطلاقها	اطلاقها
»	٢٣	بنوه	بناه
٣٤٠	٨	مبتل	مبتلا
»	٢٠	عالماً سيداً	عالم سيد

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٣٤٤	٧	عابد	عابدا
٣٤٥	١	سأل	سئل
»	٢١	فأومي	فأوما
»	١٨	سأل	سئل
»	٢٠	الي	الى
»	٢٤	القى	الق
٣٥٥	١٤	يفاجاه	يفاجى.
»	١٥	عنهم	عنها
٣٥٨	»	يوم	يوماً
٣٥٩	٣	استغناه	استفتاؤه
٣٦١	١٥	وبوا	وبوى.
»	١٦	متفوق	متفوقا
٣٦٤	٢٠	بتبليغة	بتبلغيه
٣٦٨	٢٥	بجازات	بجازاة
٣٧٠	٢٥	ثابت قوى	ثابتا قويا
٣٧١	٢٥	وثمان	وثماني
٣٧٣	٥	خدم وحشم	خدما وحشما
٣٧٤	١٩	علما وسيفا	علم وسيف
»	٢١	لدا	لدى
٣٧٨	١٨	محتدم	حتدما
٣٨٠	٢٣	فعرضا	فعرض
٣٨٢	٥	ومستفق	ومستفت
٣٨٨	٩	وتلى	وتلا
٣٨٩	٥	ودعائه	ودعاؤه

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٣٩١	١٣	موالات	موالاة
٣٩٣	١٠	ينقربون	ينقرب
٣٩٥	٦	منتجعاً	ومورداً
٣٩٨	٦	واقف	واقفا
»	٨	ضيق	ضيقا
٤٠٥	١٤	اذا	اذ
٤١٠	٣	الجال	الحال
٤١٦	٦	نهوى	فهوى
٤٢١	٥	البهلون	البهلول
٤٢٤	٢٢	خيرا	خبرا
٤٢٦	٩	رددوا	وردوا
٤٢٧	٧	وبذكر	وبذكر
»	٢٠	مقدار	مقدارا
»	٢٢	مقدار	مقدارا
٤٣٠	١	مقايس	مقاييس
٤٣٠	٢	مصدق	مصداقا
٤٣٢	٢٤	استأصل	تأصل
٤٣٤	٢٤	شبح	شبح
٤٥١	١٩	مسيرة	مسير
٤٥٤	١	التضيق	التضييق
٤٥٤	٨	سلمان	سليمان

922.97:M98aA:c.1
مروة، سليمان
احسن الاثر فى حياة النبى والائمة الاث
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01040963

American University of Beirut



922.97
M98aA

General Library